Fundación Internacional
Faros del Pensamiento
Granada, España

مؤسسة منارات الفكر الدولية
The International Foundation of Beacons of Intellect

كتاب المؤتمر الدولي

مستقبل التربية والتعليم والعلوم الإنسانية والشرعية في عالم متغير

3-4 مايو | أيار 2023 - مدينة نوفي بازار - جمهورية صربيا

إشراف وتنسيق :

د. مصطفى بن أحمد الحكيم

د. المصطفى السماحي

منشورات مؤسسة منارات الفكر الدولية

الرقم الدولي المعياري : 978-1-9163760-9-0

حقوق النشر محفوظة © 2023

كتاب المــؤتـمـر الدولي: مستقبل التربية

والعلوم الإنسانية والشرعية في عالم متغير

3 ـ 4 مايو | أيار 2023

نوفي بازار | جمهورية صربيا

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب المؤتمر الدولي:

مستقبل التربية والتعليم والعلوم الإنسانية والشرعية في عالم متغير

3-4 مايو | أيار 2023

مدينة نوفي بازار – جمهورية صربيا

بمقر كلية الدراسات الإسلامية

إشراف وتنسيق:

د. مصطفى بن أحمد الحكيم

د. المصطفى السماحي

الرقم الدولي المعياري

978-1-9163760-9-0

مؤسسة منارات الفكر الدولية
The International Foundation
of Beacons of Intellect

مؤسسة منارات الفكر الدولية
The International Foundation
of Beacons of Intellect

منشورات مؤسسة منارات الفكر الدولية

- **بيانات الفهرسة:**

كتاب المؤتمر الدولي: مستقبل التربية والتعليم والعلوم الإنسانية والشرعية في عالم متغير

إشراف وتنسيق: د. مصطفى بن أحمد الحكيم | د. المصطفى السماحي

الطبعة الأولى: أكتوبر 2023 – مؤسسة منارات الفكر الدولية

الرقم الدولي المعياري (ردمك): **978-1-9163760-9-0**

ملحوظة: جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة منارات الفكر الدولية، ويمنع نسخ أو إنتاج المواد الواردة في الكتاب كله أو بعضه بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو أية وسيلة أخرى من وسائل النشر إلا بموجب إذن كتابي من المؤسسة. وتبقى الأفكار والآراء المعبر عنها في الكتاب وجهة نظر لأصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن سياسة المؤسسة.

الموقع الرسمي للمؤسسة : https:// manaratelfikr.org

البريد الإلكتروني: info@manaratelfikr.org

The future of education, humanities and legitimacy in a changing world

Novi Pazar, Serbia

3-4 May 2023

Proceedings Book

Edited by:

Dr. Mostafa Ahmed El -Hakim

Dr. Mostafa Samahi

Published by

The International Foundation of Beacons of Intellect

ISBN: 978-1-9163760-9-0

Copyright©2023

Fundación Internacional
Faros del Pensamiento
Granada, España

الفهرس

كلمة الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم (رئيس المؤتمر ورئيس مؤسسة منارات الفكر الدولية)		8
كلمة الدكتور المصطفى السماحي (منسق الكتاب ونائب المدير الأكاديمي للمؤسسة)		9
كلمة الدكتور خير الدين باليتش (إدارة كلية الدراسات الإسلامية نوفي بازار)		12
أرضية المؤتمر (الإشكالية ـ الأهداف ـ المحاور)		14
الرئاسة الشرفية / أعضاء اللجنة العليا للمؤتمر / أعضاء اللجنة التنظيمية		18
أعضاء اللجنة العلمية		19
عنوان الورقة العلمية	الباحث	
نحو بناء استراتيجية معاصرة للأمن الأسري	الأستاذ الدكتور محماد بن محمد رفيع	22
إشكالية ترجمة المصطلحات الإسلامية في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإسبانية: دراسة استطلاعية على عينة من طلبة العلوم الإسلامية وأساتذتها بجامعات الجزائر	الدكتور كريم بابو	43
التعليم المستمر في ضوء الكتاب والسنة النبوية رؤية مستقبلية	الدكتورة خديجة إسماعيل بشير عثمان	62
أدب المفتي والمستفتي في الإعلام الافتراضي في ظل عالم متغير	الدكتورة فاطمة عيسى محمد	96
النظام الفقهي بين الأمة والدولة الحديثة دار الإسلام ودار الكفر نموذجاً	الدكتور إحسان دلال	120
المراكز البحثية في المجتمعات الإسلامية: تحدّيات ريادة النهضة الإسلامية	الدكتور عبد النور منصوري	141
الحرية الجسدية للمرأة بين الرفض والتأييد– الإجهاض الاختياري نموذجا	الدكتورة جوهر قوادري صامت	167
العلاقات الأسرية و أثرها على مستقبل الأبناء "في ضوء السنة النبوية"	الدكتورة إشراقة إبراهيم محمد أحمد	194
تقييم الأداء التربوي لأساتذة العلوم الإسلامية في التعليم العالي على ضوء معايير جودة التعليم -دراسة في الجامعة الجزائرية	الدكتور محمد جرادي	232
دور الوالدين في تربية الأبناء وتعليمهم في ضوء القرآن الكريم	الدكتورة فاطمة عبد الغفار إبراهيم الحاج	260
مستقبل تعليم تلاوة القرآن الكريم باستخدام الذكاء الاصطناعي "دراسة وصفية"	الدكتور محمد بن إبراهيم بن محمد نور سيف	297

مستقبل الترجمة الدينية من عالم ثابت إلى آخر متغير، ترجمة أعلام الأنبياء في القرآن: النبي يونس/يونان نموذجا	الدكتور عبد العزيز لخفاوني	316
الاستعارة من الفكر الشرعيّ عند الأصوليّين إلى التصور اللسانيّ المعرفي المعاصر	الباحث عادل غرار الدكتور محمد ناجي	361
العادات والأعراف في الشريعة الإسلامية	الدكتور عبد الله مساعد يوسف بوغيث	389
الثقافة القانونية آلية لتعزيز قيم المواطنة	الباحث يونس لعناني	420
درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل	الباحثة يارا أنور المرشدي	439
هل تشكّل التربية على الإبداع، الوجه الجديد لتكريس التفاوت والفصل بين المتعلمين في المستقبل؟	الدكتور محمد الناكوع الباحثة عائشة عبد الواحد	476

كلمة الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم

رئيس المؤتمر

رئيس مؤسسة منارات الفكر الدولية

تمثل المؤتمرات العلمية فضاءات فسيحة للمذاكرة والمناظرة والمثاقفة الواعية، والنظر العميق، والاستشراف الـمُبْصِر لواقع المجتمعات الإنسانية وآفاق تطورها، كما تشكل محطات لدراسة المشكلات، وحل المقفلات، وعرض الحلول والمخرجات ... وفي هذا السياق جاء تنظيم المؤتمر الدولي الموسوم بـ: " **مستقبل التربية والتعليم والعلوم الإنسانية والشرعية في عالم متغير** " هادفا بناء الجسور، وتقوية الصلات بين التخصصات، وتحقيق التكامل المعرفي، وتقوية الالْتِقَائية بين العلوم بما يخدم قضايا الإنسان ويعزز وجوده، ويساهم في تعزيز أمنه وتقوية نسيجه الاجتماعي، وتوظيف العلوم الاجتماعية والإنسانية لخدمته، وحل مشكلاته وأزماته.، واستشراف آفاق التطور والتحديث.

ولا يفوتني أن أقدم الشكر الجميل والثناء العاطر لفضيلة **الأستاذ الدكتور مولود دوديتش** حفظه الله المفتي العام ورئيس المشيخة الإسلامية بصربيا على رعايته الكريمة للمؤتمر؛ كما أتوجه بالشكر البالغ **للجنة الإدارية** بكلية الدراسات الإسلامية نوفي بازار على جميع التسهيلات المقدمة لإنجاح المؤتمر؛ وفي مقدمتهم **سعادة الأستاذ الدكتور خير الدين باليتش** على عطائه وبذله، والشكر موصول **للجنتين العليا والتنظيمية** للمؤتمر **ومجلس إدارة مؤسسة منارات الفكر الدولية** على الجهود الطيبة المبذولة في سبيل إنجاح فعالياته، كما لا يفوتني التنويه بالعمل المبارك المتقن لمنسق هذا الكتاب **سعادة الدكتور المصطفى السماحي** الذي أسهم في إدارة التحكيم وتنسيق وإخراج هذا الكتاب.

والشكر متوجب في حق المشاركين الذين شاركوا حضوريا وعبر منصة زووم، والشكر موصول للجنة العلمية التي قوَّمت وحكَّمت وراجعت الأوراق البحثية المقدمة.

كلمة الدكتور المصطفى السماحي
نائب المدير الأكاديمي لمؤسسة منارات الفكر الدولية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الحكيم: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}[الزمر :9]، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من أرسل مربيا ومعلما، فجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم، وعلى من سلك نهجه من الصحب والتابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن التعليم يعد من أهم الميادين والقطاعات في حياة الأمم والمجتمعات، فهو الركن الأساس في تطور الأمم وازدهار الحضارات، وهو المحدد لمستقبلها، والمحرك الأساس لتنميتها، فالاستثمار فيه استثمار للمستقبل، لذلك كان لزاما أن يكون التعليم في صميم اهتمامات الدول وأولوياتها، وأن تخصص له ما يكفي من الميزانيات لا ما يفضل من الفتات، وألا تعتبره قطاعا غير منتج، لأنه استثمار في الرأسمال البشري المحرك للحياة.

وقد أثبتت التجارب أن الدول والبلدان التي تمثل قوى صاعدة اليوم مثل اليابان وسنغفورة وماليزيا وغيرها، هي التي استثمرت في الرأسمال البشري، لما لذلك من انعكاسات على كل المجالات؛ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، وفي هذا السياق أنقل كلاما نفيسا للأستاذ عمر عبيد حسنه وهو يتحدث عن التعليم وعلاقته بالتنمية في تقديمه لكتاب "النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا" لقطب مصطفى سانو، الذي نُشر في سلسلة كتاب الأمة، فيقول: "ومهما حاولنا أو توهمنا أنّ النهوض والتغيير والإصلاح يمكن أن يتمّ خارج مواقع التعليم، فإنّ التاريخ والواقع والتجربة الذاتية والعالميّة تؤكد أنّ التربية والتعليم هي – كما أسلفنا- السبيل الأوحد إلى درجة يمكن أن نقول معها بدون أدنى تحفظ: إنّ التربية هي التنمية بكل أبعادها، وأي مفهوم للتنمية بعيدا عن هذا، فهو مفهوم جزئي وعاجز عن تحقيق الهدف، لذلك

فإنّ أية تنمية لا يمكن أن تتم خارج رحم التربية ومناخها، وإنّ المدارس والمعاهد العلميّة والتربويّة، هي طريق القادة السياسيّين والاقتصاديّين والاجتماعيّين والتربويّين والإعلاميّين والعسكريّين، وسائر المواقع الأخرى".

إن تجاوز الكثير من الأزمات التي تعيشها دول العالم الثالث، ومنها بعض الدول العربية والإسلامية، واستشراف المستقبل أمام أجيالها المتعاقبة، يتطلب، بعد توفر الإرادة السياسية، إعادة النظر في نظمها التربوية والتعليمية، وإصلاح ما اختل من مناهجها، وإعادة النظر في أهدافها ومقاصدها، وتطويرها تطويرا مستمرا يواكب العصر وعالم الشغل والصناعة والإنتاج، دون إغفال للجانب القيمي وهوية الأمة ومراعاة الخصوصيات، والتخلص من التبعية، خاصة أمام هذا التردي الأخلاقي الذي يجتاح العالم على كل المستويات، كما يجب أن يضطلع بهذه المهمة أهل الاخصاص والكفاءات من كل التخصصات؛ العلمية والإنسانية والاجتماعية والشرعية وغيرها، إذ التكامل المعرفي مطلوب ومرغوب، دون أن ننس محورية الأسرة ودور الوالدين في عملية التربية والتعليم، في عالم متغير، وعلاقتها بباقي المؤسسات التربوية وفي مقدمتها المدرسة.

وفي هذا السياق، ولتسليط الضوء على كل هذه الإشكالات، ومساهمة منها، قامت مؤسسة منارات الفكر الدولية وشركائها بتنظيم مؤتمر دولي في موضوع "مستقبل التربية والتعليم والعلوم الإنسانية والشرعية في عالم متغير" يومي 3 ـ 4 مايو/أيار 2023 بمدينة نوفي بازار بصربيا.

وقد كان هذا المؤتمر منصة للباحثين والأكاديميين والمفكرين من دول كثيرة: (المغرب والإمارات، والكويت، والسعودية، والجزائر، وتونس، وصربيا، وتركيا)، ومن تخصصات مختلفة ومنطلقات متنوعة، للإدلاء بآرائهم في الموضوع، في جو ساد فيه الحوار، وتكاملت فيه الأبحاث، وها هي اليوم- بعد تحكيمها وتنقيحها من قبل نخبة من الدكاترة والعلماء الأجلاء - تستوي على سوقها في كتاب جماعي نقدمه للقراء

والمهتمين، آملين أن يكون إضافة نوعية في مجاله، وأن يسهم في إثراء النقاش في موضوع حيوي ترتبط به حياة الأفراد والمجتمعات وتنميتها.

وختاما أغتنم الفرصة لأتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على مؤسسة منارات الفكر الدولية، وفي مقدمتهم رئيس المؤسسة الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم، وكل الجهات والمؤسسات المشاركة والراعية للمؤتمر، والشكر موصول للسادة أعضاء اللجنة العلمية الذين سهروا على تحكيم الأوراق البحثية وتقويمها، وكذا الباحثين الفضلاء الذين أغنوا المؤتمر بأوراقهم البحثية القيمة .

والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين

كلمة الدكتور خير الدين باليتش
عضو اللجنة الإدارية بكلية الدراسات الإسلامية نوفي بازار

تتشرف كلية الدراسات الإسلامية بالمشاركة في إعداد وتنظيم واستضافة المؤتمر الدولي المنعقد في مدينة نوفي بازار في جمهورية صربيا بتاريخ 3-4 مايو عام 2023 ميلادي.

قامت إدارة كلية الدراسات الإسلامية وبمباركة ومشاركة المشيخة الإسلامية في صربيا بالمشاركة في تنظيم واستقبال هذا المؤتمر الدولي إدراكاً لأهمية التماشي مع تطورات العصر ومجابهة التحديات الجديدة والطارئة التي تؤثر على المجتمعات الإسلامية وخصوصاً الأجيال الناشئة، وفي هذا العالم المتغير تواجه مؤسساتنا العلمية والتعليمية تحديات جديدة وخصوصاً في مجال العلوم الإنسانية والشرعية المرتبطة بالمنظومة القيمية للإسلام والمسلمين، وهنا تنبثق الأهمية العالية لهذا المؤتمر الذي يناقش أفكاراً ومشاكل ونظريات متعددة ويطرح أسئلة ويناقش حلولاً لها.

قدم المشاركون من الخبراء والمختصين في هذا المؤتمر العديد من الأبحاث الذي ترتبط بمشاكل المجتمعات الإسلامية من زوايا مختلفة وناقشوا العديد من المشاكل والحلول التي تواجه مجتمعاتنا. هذه المشاركات القّيمة تساهم في تطوير الوعي وسبل فهم التحديات وأساليب معالجتها والتعامل معها، ولا يخفى على أحد حجم هذه التحديات التي تزداد في عالم اليوم، حيث تواجه مجتمعاتنا الإسلامية بالإضافة إلى المنظومة القيمية الإسلامية هجوماً واسعاً وتستهدف الأجيال الناشئة بشكل خاص ببرامج سلبية ومغرضة وتستخدم وسائل حديثة ومتطورة ووسائل تواصل متنوعة، ما يستدعي مشاركة المفكرين والمختصين والعلماء في إيجاد وسائل الدفاع عن مجتمعاتنا وأطفالنا وشبابنا والمنظومة القيمية الإسلامية.

هذا المؤتمر قدم ما هو مفيد وهو خطوة في مسيرة نتمنى أن تستمر في المساهمة في رفع الوعي في الأمة الإسلامية، من خلال البحث عن الحلول للمشاكل التي تواجهها مجتمعاتنا لتحصين هذه المجتمعات وحمايتها من العبث والفساد .

إدارة كلية الدراسات الإسلامية في جمهورية صربيا تشكر رئيس المؤتمر وكافة المشاركين في هذا المؤتمر كما تشيد بالسادة المنظمين للمؤتمر وتثني على مخرجات هذا المؤتمر راجين التوفيق والسداد لجميع المشاركين.

إدارة كلية الدراسات الإسلامية

أ.د. خيرالدين باليتش

أرضية المؤتمر

الإشكالية، الأهداف، المحاور:

بناء عقل الإنسان، وترقية تفكيره، وتطوير شخصيته؛ أساس لتمكينه من مواجهة المتغيرات، وتحقيق التنمية، والتربية هي الوسيط الرئيس لاكتساب أنماط السلوك التي يجب أن تسود في المواقف الحياتية الحالية والمستقبلية، والتعليم هو المعين على امتلاك المعارف وتنمية المهارات الداعمة لمواجهة التحديات والتعامل الإيجابي والذكي مع التطورات.

إن بؤرة تركيز مختلف العلوم هي الإنسان من زوايا متعددة، فَفَهْمُ الإنسان بكل تعقيداته ليس بالأمر اليسير، لذلك اتجهت الدراسات والأبحاث دائما نحو استقاء وتحليل سلوكياته المختلفة في محاولة لفهمه من حيث القدرات والمهارات والطاقات، وهو أمر يستدعي تداخل العلوم الإنسانية والاجتماعية والشرعية في محاولة لرصد ما يحدث داخل هذا الكائن الحي الذي يبقى قابلا للدراسة في أي وقت، وفي أي مكان من خلال فهم الماضي، والحاضر، واستشراف المستقبل.

وحياتنا في الوقت الحالي اتسمت بتحولات كبيرة ؛ حيث تعطلت تفاعلاتنا الاجتماعية، وازدادت الاضطرابات الاقتصادية، وظهرت التشرذمات السياسية، واتسعت الفجوات الرقمية، وتعمقت الصراعات النفسية. إنها تحولات فاقت في آثارها أسلحة الدمار الشامل أو الهجمات الالكترونية، وما يماثلهما.

إنها تحولات فرضت (الآن)، وستفرض (مستقبلاً) على التربية والتعليم والعلوم الإنسانية والاجتماعية والشرعية الأخذ بأسباب التطوير والتجديد والإبداع في عالم متغير...

أهداف المؤتمر:

- رصد الإشكاليات التي تعاني منها العلوم الإنسانية والشرعية.
- استشراف مستقبل المجتمعات المسلمة في مختلف المجالات.
- طرح رؤى استشرافية تطويرية لمناهج التربية والتعليم والعلوم الإنسانية والاجتماعية والشرعية.
- تبيان أهمية التكامل المعرفي بين التخصصات في سبيل الرقي بالإنسان .
- اقتراح البدائل والحلول للتعامل مع مختلف المشكلات الإنسانية والاجتماعية والشرعية.

محاور المؤتمر:

أولا: محور التربية والتعليم والأسرة في عالم متغير

1. **الإبداع: مستقبل التربية في عالم متغير**

1. التربية الإبداعية في التشريع والتراث
2. التعليم من أجل الإبداع في القرآن والسنة والسيرة والتاريخ
3. مستقبل التربية الأسرية، والإبداع
4. مستقبل التعليم المدرسي والإبداع
5. الإبداع في حاضر التعليم الجامعي، ومستقبله.
6. الشخصية المبدعة، وتحديات الحاضر
7. الشخصية المبدعة، وفرص المستقبل
8. الممارسة المهنية المبدعة : تطوير للحاضر ، وانطلاق للمستقبل

2. **المُناخ الأسري والمدرسي: آفاق للتواصل وللتعاون**

- أدوار الوالدين في دعم تعليم الأبناء في المجتمع.
- إدارة المدرسة في الظروف الحالية ، وفي المستقبل.
- دعم المؤسسات التربوية الأخرى للأسرة والمدرسة

3. **الممارسات الناجحة للتربية الأسرية: الو اقع ، و آفاق التطوير**

- العلاقات الأسرية، وأثرها على تربية الأبناء للمستقبل.
- الإرشاد النفسي من الوالدين للأبناء للتعامل مع المتغيرات.
- التعامل الأسري مع الأبناء ذوي الاحتياجات الخاصة.

4. **مستجدات عناصر العملية التعليمية (المناهج – التدريس – وسائط التعليم – أساليب التقويم)**

- تطوير المناهج الدراسية ضرورة مستقبلية
- التعليم المدمج ، والتعلم عن بُعد : مستقبل التدريس في مدارس ما بعد كورونا.

- التقويم المرحلي والنهائي : أساليب جديدة في منظومة تعليم ما بعد كورونا.

5. **التكنولوجيا: أساس مواجهة التحديات**
   - وسائل التواصل الاجتماعي، ودورها في التربية والتعليم.
   - التوسعات في التطبيقات التربوية والمنصات التعليمية.
   - انعكاسات الرقمنة، وتطبيقات الذكاء الاصطناعي على التربية والتعليم.
6. **الشراكة بين الأسرة والمدرسة (ضرورات التكامل)**
   - أدوار متجددة للوالدين في العملية التعليمية.
   - مدارس المنازل: دمج التربية والتعليم.
   - التربية المستمرة، والتعليم المستمر. توجهات مستقبلية.
7. **الأرطفونيا والتربية الخاصة**
   - إعداد معلم التربية الخاصة
   - رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة
   - رعاية المسنين وكبار السن
   - الدمج الاجتماعي وسياسات وتشريعات ذوي الاحتياجات الخاصة
   - الاتجاهات المعاصرة فى الصحة النفسية...
8. **رعاية الطفولة: الاتجاهات والمناهج والقضايا**
   - الألعاب الالكترونية والطفل
   - الآثار السلبية للأجهزة الذكية على الأطفال
   - حقوق الطفل وسياسات حماية الطفل على شبكة الانترنت
   - مشكلات الطفولة...
9. **وسائل وأساليب تعزيز الأمن الأسري**
   - الإطار المفاهيمي للأمن الأسري
   - متطلبات الأمن الأسري
   - تحديات الأمن الأسري

- وسائل وأساليب تعزيز الأمن الأسري ...

ثانيا: محور و اقع العلوم الإنسانية والشرعية في عالم متغير

العلوم الاجتماعية: قضايا ومناهج وآفاق

العلوم الشرعية: قضايا ومناهج واتجاهات

العلوم النفسية: قضايا ومناهج وآفاق

اللغة العربية: اتجاهات ومناهج

القانون والمجتمع

التعليم العالي والبحث العلمي: القضايا والإشكالات

تاريخ الشعوب والحضارات والفلسفة الاجتماعية

الدراسات الفلسفية: قضايا ومناهج

علو م الرياضة وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية والإنسانية

الاقتصاد والمجتمع والتنمية

الرئاسة الشرفية للمؤتمر

فضيلة الأستاذ الدكتور مولود دوديتش حفظه الله

المفتي العام ورئيس المشيخة الإسلامية بصربيا

اللجنة العليا للمؤتمر

✍ الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم

رئيس المؤتمر ورئيس مؤسسة منارات الفكر الدولية

✍ الدكتور خير الدين باليتش

المنسق العام للمؤتمر وعضو اللجنة الإدارية بالكلية

✍ الدكتور وداد يتكين

عضو مجلس إدارة المؤسسة وأستاذ بجامعة بيلاجيك التركية

اللجان التنظيمية للمؤتمر

✍ لجنة الجلسات العلمية والبيان الختامي:

رئيس اللجنة: د. ألمير برامنكوويتش | نائبه: د. وداد يتكين

د. سهام موعد

✍ لجنة الاستقبال والضيافة:

رئيس اللجنة: د. أحمد حسن سنان أوغلو | نائبه: د. نجاد رجبوفيتش

د. نزار عمران

✍ لجنة الإعلام والتواصل:

رئيس اللجنة: د. حارس حاجيتش

الإدارة التقنية للبث المباشر ومنصة زووم: د. عبد الإلاه أبجان

الإدارة الأكاديمية للجلسات العلمية عبر منصة زووم : د. عبد الله الغرمول

أعضاء اللجنة العلمية الذين حكَّموا الملخصات والأوراق البحثية

الاسم	مؤسسة الانتساب	الدولة
د. محمد ضاوي العصيمي	جامعة الكويت - كلية الشريعة والدراسات الاسلامية	الكويت
أ.د. جمال شاكر يوسف عبد الله	جامعة زايد	الإمارات
أ.د. مصطفى بوعناني	كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس	المغرب
د. وسن الرشيدي	الأستاذ المشارك بقسم الفقه وأصول الفقه بكلية الشريعة جامعة الكويت	الكويت
د. اشفاق حمود رزاز قاسم الورد	جامعة أم درمان الإسلامية	يمينة مقيمة في إسطنبول
د. حورية قادري	جامعة طاهري محمد - بشار	الجزائر
د. لينا نواف حمدي الحربي		الكويت
د. كريمة بوعمرة	كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية جامعة الجزائر 2	الجزائر
أ.د. ياسمين عبد الكريم قلو	جامعة الجزائر 2	الجزائر
د. عبد الرحمان بن المختار اولاد طرادة	وزارة التربية الوطنية	المغرب
د. فواز حمدان رويشد العازمي	وزارة الشئون الاجتماعية	الكويت
د. علي بن إبراهيم بن علي النهاري	المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جامعة أم القرى بمكة المكرمة	السعودية
د. عواطف عبيد المطيري	محاضر غير متفرغ في الجامعة الدولية للعلوم والتكنولوجيا – الكويت	الكويت

د. خديجة قمار	جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة	**الجزائر**
د. جواد خليل غولوش		**البوسنة والهرسك**
أ.د. حرشاوى يوسف	معهد التربية البدنية و الرياضية جامعة مستغانم	**الجزائر**
د. المصطفى السماحي	وزارة التربية الوطنية	**المغرب**
د. كحول سعاد	جامعة الجزائر 2	**الجزائر**
د. عبد القادر أحمد دحماني	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	**الجزائر**

المؤتمر الدولي: مستقبل التربية والتعليم
والعلوم الإنسانية والشرعية في عالم متغير
3 - 4 مايو/ أيار 2023 نوفي بازار – جمهورية صربيا

الأوراق البحثية المحكمة

نحو بناء استراتيجية معاصرة للأمن الأسري

الأستاذ الدكتور محماد بن محمد رفيع

أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة

جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس | المغرب

Mohamad.rafia@usmba.ac.ma

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تفصيل القول في معالم استراتيجية الأمن الأسري في السياق المعاصر، نظرا لما تمثله الأسرة من قيمة استراتيجية في حفظ الأمن التربوي والقيمي للمجتمعات.

ويتأسس القول في هذا الموضوع على المباحث الآتية:

مقدمة: أضمنها إشكال البحث وقيمته العلمية والعملية والمنهج المتبع فيه وتصميمه وأهم نتائجه.

المبحث الأول: المعالم الاستراتيجية الكلية للأمن الأسري، وسيتم فيه تفصيل القول في الكليات المقاصدية الناظمة للأمن الأسري.

المبحث الثاني: المعالم الاستراتيجية التفصيلية للأمن الأسري، وفيه أتناول السياسة التشريعية للشريعة الإسلامية في حفظ الأمن الأسري من خلال مختلف الأحكام في مجال الأسرة.

خاتمة أضمنها أهم النتائج التي تمخض عنها البحث.

أما المنهج المزمع اتباعه في بناء هذا العمل فيجمع بين استقراء المادة العلمية من مظانها الأصلية الأصولية والمقاصدية ومن مظانها التبعية من دراسات تربوية وسوسيولوجية، وتحليل المادة العلمية وتعليل قضاياها، ومقارنتها بغيرها، وتركيب ذلك في سياق التصور العام للموضوع.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية- الأمن الأسري – المقاصد الكلية – المقاصد التبعية.

Towards establishing contemporary strategy for family ecurity

Pr. Dr. Mohamad Rafia

Abstract:

This research paper aims detailed discussion about the parameters of the family security strategy, In the contemporary context, In view of the strategic values of the family in preserving educational security and values for societies

To discuss these issues, the paper will revolve around two topics following:

Introduction : Incudes the usual contents

Chapter one : The globals strategics parameters for family security.

Chapter two : The detailed strategic landmarks for family security.

Conclusion: Includes search results.

This paper follows an approach based on extrapolating the scientific material from the maqasid fundamentalist sources and from educational and sociological studies, then analyzing that material, comparing it with others, and constructing it in the context of the research.

Keyswords: Strategy - The family security - The globals Maqasid- The detailed Maqasid .

مقدمة:

استدعى القول ببناء استراتيجية الأمن الأسري في السياق المعاصر، ما تمثله الأسرة من قيمة استراتيجية في حفظ الأمن التربوي والقيمي للمجتمعات، وكذا حجم التحديات الوجودية الزمنية التي تواجهها الأسرة على مختلف الجبهات.

ومن أجل تفصيل القول في هذا الموضوع أقترح أن يجري الابتحاث فيه وفق المباحث الآتية:

مقدمة: أضمنها إشكال البحث وقيمته العلمية والعملية والمنهج المتبع فيه وتصميمه وأهم نتائجه.

المبحث الأول: المعالم الاستراتيجية الأصلية للأمن الأسري، وسيتم فيه تفصيل القول في الكليات المقاصدية الأصلية الناظمة للأمن الأسري.

المبحث الثاني: المعالم الاستراتيجية التبعية للأمن الأسري، وفيه أتناول المقاصد التبعية الزمنية في حفظ الأمن الأسري من خلال متعدد المصالح في مجال الأسرة الخادمة للمصالح الأصلية.

خاتمة أضمنها أهم النتائج التي تمخض عنها البحث مشفوعة ببعض توصيات للمؤتمر.

أما المنهج المزمع اتباعه في بناء هذا العمل فيجمع بين استقراء المادة العلمية من مظانها الأصلية الأصولية والمقاصدية ومن مظانها التبعية من دراسات تربوية وسوسيولوجية، وتحليل المادة العلمية وتعليل قضاياها، ومقارنتها بغيرها، وتركيب ذلك في سياق التصور العام للموضوع.

المبحث الأول: المعالم الاستراتيجية الأصلية للأمن الأسري

تنتظم سياسة الشريعة في حماية الأمن الأسري في سلك المقاصد الشرعية الأصلية التي حصرها الإمام الشاطبي في قوله: " الأصول الكلية التي جاءت الشريعة بحفظها خمسة وهي الدين والنفس والعقل والنسل والمال"[1]، ونذكر منها فيما يلي ما تنبني عليه قضية الأمن الأسري:

1) مقصد حفظ الدين:

من أعلى المقاصد الكلية للشريعة في سلمها المقاصدي التراتبي حفظ الدين، قال الشاطبي: " أما الدين فهو أصل ما دعا إليه القرآن والسنة وما نشأ عنهما وهو أول ما نزل بمكة"[2] ومعلوم أن موضوع الدين ومناطه الإنسان، فلا ضمان لحفظ استمرار الدين في الوجود بدون ضمان استمرار الإنسان موضوع الدين، ولا يتحقق هذا إلا بحفظ النوع الإنساني في مختلف مراحل عمره حفظا مزدوجا: فمن جانب الوجود يكون الحفظ بضمان الحضور القوي للقيم الدينية في التنشئة الاجتماعية للطفل داخل الأسرة ابتداء حتى تصاغ شخصيته على قواعد الإيمان ومبادئ الإسلام، فيتحول مع الزمان إلى شخصية معتزة بدينها مستبطنة لقيم حضارتها فيتواصل مع غيره من الأجيال على هذا الأساس القيمي.

أما حفظ الدين من جانب العدم في موضوع حماية الأمن الأسري فيتم بصيانتها من نواقض القيم الدينية علما وعملا، قال الشاطبي في تحديد المعنى المزدوج لحفظ الدين: " والحفظ لها يكون بأمرين أحدهما ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود والثاني ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم"[3].

---

1 - الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، بيروت: دار المعرفة، 47/3.

2 - الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، 47/3.

3 - الشاطبي، المصدر السابق، 8/2.

2) حفظ النوع البشري:

ليست قضية حماية الطفولة في فلسفة الشريعة إجراء سياسيا ظرفيا ولا تدابير تشريعية جزئية، وإنما هي قضية حيوية استراتيجية يترتب عليها شرف عظيم ألا وهو حفظ النوع البشري مناط التكليف بالوظيفة الوجودية في هذا الكون التي قصدها الحق سبحانه من خلق الإنسان حين قال: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً " (البقرة من الآية 30)، والمقصود بخلفية الإنسان هنا كما يقول الطاهر بن عاشور " قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض "[1]، مصداقا لقول الله تعالى: " هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا " (هود من الآية 61).

وهذه الوظيفة التكوينية راجعة إلى ما يمتاز به الإنسان من كونه " الموجود الوحيد الذي استطاع بما أودع الله في خلقته أن يتصرف في مخلوقات الأرض بوجوه عظيمة لا تنتهي خلاف غيره من الحيوان "[2]، إذ جاء هذا المخلوق في أحسن تقويم جسما وفكرا وإرادة ليقوى على العمارة وبناء الحضارة بما يخدم القصد الكلي الكوني في قوله تعالى: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (الذاريات الآية 56.).

والوسيلة الوحيدة المحققة لهذا المقصد الشرعي الاستراتيجي من جانب الوجود هي بناء طفولة قوية سليمة عن طريق نظام الزواج الذي شرع من أجل التناسل و التكاثر وإيجاد النفوس لتعمرالعالم و تشكل بذرة الحياة الإنسانية في الجيل الخالف فيستمر النوع البشري في الزمان، ويتواصل أداء أمانة الاستخلاف في الأجيال المتلاحقة، غير أن ذلك لا يتم إلا على شرط تأسيس فضاء أسري ومجتمعي سليم للتنشئة الاجتماعية.

أما حفظ هذا المقصد من جانب العدم فإنما يتم بصياغة سياسة اجتماعية وقائية تصون الطفولة من عوامل تحريف فطرتها واعتلال صحتها، وإلا فالطفولة المشوهة فطرتها المعتلة صحتها لا تقوى على ضمان

---

1 - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 399/1.

2 - الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، 399/1.

الاستمرار الإيجابي للنوع البشري وتأمين مستقبل الأمة ومسيرتها الحضارية في التاريخ، وبذلك يحتل الأمن الأسري المرتبة العليا.

3) مقصد حفظ الفطرة الإنسانية:

خاطب القرآن الإنسان على أنه مخلوق مكرم طاهر، يمتلك القدرة والاستعداد لبلوغ أقصى درجات الكمال البشري، وهو المعرفة بالله وبخلقه وبشرعه، بحيث لا يوجد لدى أي إنسان أو طائفة ما يعوق إمكانية الارتقاء الكمالي، ويستوي في ذلك الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وأعراقهم، يقول الطاهر بن عاشور: " لو ترك الإنسان وتفكيره، ولم يلقن اعتقادا ضالا لاهتدى إلى التوحيد بفطرته "[1]، وفطرة الإنسان حسب ابن عاشور " ما خلقه الله عليه جسدا وعقلا، فمشي الإنسان برجليه فطرة جسدية... واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية "[2]، وهذا الذي سماه القرآن " فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " (الروم من الآية 30).

فالإنسان بهذا المقتضى يولد نقيا طاهرا على الفطرة، لا يحمل وزر غيره أو خطيئة أجداده إرثا موروثا، أو ما يعرف في المسيحية " بالخطيئة البشرية "، وإنما تتعرض فطرة الإنسان لما يشوهها ويغيرها بعوامل التنشئة الاجتماعية، وغياب الأمن التربوي داخل الأسرة، كما أخبرنا الحق سبحانه على لسان نبيه عليه السلام حين قال: " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا "[3]، وأكده نص البيان النبوي: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[4].

---

1 - الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، 90/20.

2 - الطاهر بن عاشور، المصدر السابق.

3 - مسلم في الجامع الصحيح باب في صفة يوم القيامة، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

4 - البخاري في الجامع الصحيح باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، كتاب الجنائز .

فالحفاظ على فطرة الطفولة بصيانتها من عوامل التحريف الاجتماعية، مقصد شرعي يتحمل مسؤولية تحقيقه الفضاء الأسري ابتداء والفضاء المجتمعي انتهاء، قال الإمام الغزالي: " اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبيان أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له"[1].

4) مقصد حفظ العقل:

للعقل في شريعة الإسلام مكانة كبرى، فهو مناط المسؤولية، و به كرم الإنسان و فضل على سائر المخلوقات، و تهيأ للقيام بالخلافة في الأرض وحمل الأمانة من عند الله تعالى، في قوله: " إنا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا" (الأحزاب الآية 72)، لذلك حافظت الشريعة على العقل بما يكفل شروط السلامة الجسدية والعقلية للطفولة، بتشريع سائر المنافع الجسدية والعقلية وتحريم ما ينافيها من المفاسد والمضار، لأن بذلك يحافظ على العقل الجماعي المستقبلي للأمة، ذلك أن أي خلل يحصل في سلامة العقل في مرحلة الطفولة ينعكس أثره سلبا في مستقبل المجتمع.

تلك هي المقاصد الشرعية الأصلية الناظمة لسياسة الشريعة الاجتماعية في حماية الطفولة، فما المقاصد التبعية في الموضوع؟

---

1 - الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، 72/3.

المبحث الثاني: المعالم الاستراتيجية التبعية للأمن الأسري

يمكن إجمال المعالم الاستراتيجية التبعية في سياسة الشريعة في حماية الأمن الأسري في جملة من المقاصد التبعية الآتية:

1) مقصد تأمين فضاء التنشئة الاجتماعية:

يقتضي حفظ مقاصد الشريعة الأصلية السابقة في موضوع حماية الناشئة تأسيس فضاء أسري سليم للتنشئة الاجتماعية للطفل، ذلك أن طبيعة الأجواء السائدة في مؤسسة الزواج المسئولة عن إنتاج النوع البشري ، وإعداده وتربيته تجد لها صدى في المجتمع، فباستقرار هذه المؤسسة يستقر المجتمع، وباضطرابها يضطرب.

فالعلاقة الزوجية القائمة على الصراع والكراهية، لا تنتج سوى صور الانحراف المغذية لمآسي المجتمع، بينما الحياة الزوجية الهادئة القائمة على مبادئ القرآن وأسس الشريعة، تنتج أجيال الحكمة والقوة التي تبني المجتمع وتعمل على استقراره.

لقد أحاطت الشريعة العلاقة الزوجية بعناية بالغة، وشيدتها على أسس متينة وقواعد مكينة، تنطلق من عمق الفطرة البشرية لتعانق مقاصد الإعمار في الأرض، وتحقيق العبودية لله وحده، ومن هذه الأسس:

أ- بناء العلاقة الزوجية على التساكن والتواد والتراحم:

فالأصل في الحياة الزوجية أن تتأسس على هذه المعاني الكبيرة الثلاثة : التساكن، والمودة، والرحمة انطلاقا من قول الله عز وجل:" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة " (الروم الآية21.).

فالرجل والمرأة يحتاج كل واحد منهما – بمقتضى الفطرة – إلى لحظة سكينة وطمأنينة يأوي فيها أحدهما إلى الآخر ويفضي إليه وإلا ساد التوتر وحل الاضطراب، لأن النفس البشرية واحدة شطرها عند الرجل وشطرها الآخر عند المرأة، ولا سبيل لتحقيق استقرار هذه النفس وطمأنينتها إلا بالجمع بين شطريها الموزعين بين المرأة والرجل، قال الله عز وجل مقررا هذه الحقيقة: " هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها " (الأعراف الآية 189)، وكرر الحق سبحانه ذكرها في كتابه، فقال : "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء" (النساء الآية 1).

فوحدة الأصل للنفس البشرية، وتفرعها إلى طرفي الذكورة والأنوثة هي الحقيقة التي ندرك من خلال فهمها واستيعابها حاجتنا الفطرية الملحة – ذكورا وإناثا – إلى التساكن في علاقتنا الزوجية، وبدون هذا التساكن، يصبح استمرار الحياة الزوجية متعذرا وعبئا ثقيلا لا تطيقه النفس الإنسانية التواقة إلى لحظات السكينة.

غير أن تحقيق أجواء التساكن بين الزوجين، وإدامتها في لحظات السراء والضراء يتوقف على رابطة المودة التي ينبغي أن تكون الأساس المعتمد وإليها المستند في بناء العلاقة الزوجية، فبالمحبة بين الزوجين تقوى سفينة الزواج على الصمود ومواصلة المسير وسط أمواج مشاكل الحياة المتلاطمة.

كما أن المحبة تضمن للزوجين في معاشرتهما التحلي بمعاني الصبر و المصابرة وتحمل الأذى، والتغاضي عن العيوب وجوانب التقصير التي لا يخلو منها بشر، وهي أمور تتوقف عليها المعاشرة الزوجية الدائمة، لكنها دائرة مع المحبة وجودا وعدما.

وتجود المحبة كذلك عند تمكنها من قلوب الأزواج بقيمة كريمة سامية ألا وهي الرحمة، فكلا الزوجين محتاج بين الحين والآخر إلى استشعار معاني الرحمة والعطف والصفح من الطرف الآخر، خصوصا في لحظات الضعف ومواقف الخطأ والذنب التي تنتاب الإنسان بطبيعته.

فبناء العلاقة الزوجية على أساس التساكن والمودة والرحمة، تضمن فضاء تربويا منتجا داخل الأسرة يكون اللبنة الأساس في تنشئة موفقة وصياغة مباركة للذرية الصالحة المصلحة

ب- التعظيم الشرعي للعلاقة الزوجية:

ليست العلاقة الزوجية في شرع الله مجرد عقد بين طرفين للاستمتاع أو الانتفاع يعقدانه حسب رغبتهما وينهيانه وفق مزاجهما، وإنما هي علاقة ميثاق غليظ كما سماها كتاب الله:" وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا " (النساء ، 21).

والميثاق العهد عند أهل اللغة[1]، وهو هنا عهد بين ذمتين كما أن الإفضاء وصلة بين جسمين أعطاها الشرع حرمة خاصة، إذ لم يصف الحق سبحانه الميثاق بالغلظة في كتابه إلا في ثلاثة مواطن:

- في سورة الأحزاب التي تحدثت عن الميثاق الذي أخذه الله من أنبيائه في قوله تعالى: " وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا " (الأحزاب الآية 7) .

- في سورة النساء لما تحدث الحق سبحانه عن فسقة وكفرة بني إسرائيل الذين نقضوا عهد الله ، حيث قال سبحانه : " ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم، وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا، وقلنا لهم لا تعدوا في السبت، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا " (النساء لآية 154).

- في موضوع الزواج الذي نتحدث عنه كما في الآية التي أوردناها سابقا.

وقد رفع الله شأن ميثاق الزواج درجات من التعظيم والقدسية إلى جانب ميثاق الأنبياء والرسل وما أخذه الله على بني إسرائيل، ليفهم الزوجان أن رابطة الزواج رابطة مقدسة لصلتها بعهد الله وميثاقه وكلمته، وقد

1 -ينظر : الفيروز آبادي القاموس المحيط ، 390/3 ، و الرازي، مختار الصحاح ص : 332.

بين الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القدسية لميثاق الزواج وأكدها ضمن أواخر وصاياه في حجة الوداع حيث قال: " فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله "[1]، لذلك قرر القرافي أن " النِّكَاحُ عَظِيمُ الْخَطَرِ جَلِيلُ الْمِقْدَارِ لِأَنَّهُ سَبَبُ بَقَاءِ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ الْمُكَرَّمِ الْمُفَضَّلِ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَسَبَبُ الْعَفَافِ الْحَاسِمِ لِمَادَّةِ الْفَسَادِ وَاخْتِلَاطِ الْأَنْسَابِ وَسَبَبُ الْمَوَدَّةِ وَالْمُوَاصَلَةِ وَالسُّكُونِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْمَصَالِحِ"[2].

لقد بلغ تقدير الشرع لرابطة الزواج أن عدها ضمن القربات التي يتقرب بها إلى الله عز وجل، وألغى بذلك كل الأفكار والنظريات التي تختزل الزواج في جانب الإشباع الغريزي أو الإنجاب، لا صلة له بالآخرة.

فالمعاشرة بالمعروف بين الزوجين ما هي مسألة اختيارية أو مزاجية وإنما الأمر دين وأمر شرعي، يعد الإخلال به مخالفة شرعية ومنقصة في مروءة المرء وإيمانه، قال الله عز وجل:" وعاشروهن بالمعروف " (النساء الآية19)، كما أن القيام بهذا الأمر يزيد من إيمان المرء، ومن قربه من الحق سبحانه.

ويعلمنا شرعنا الجانب التعبدي في أدق جزئيات الحياة الزوجية، كما في مسألة إطعام الزوجة والنفقة عليها، فعلى الرغم من أن المسألة واجب شرعي على الزوج، فإن جانب القربة فيها حاصل بفضل الله وكرمه، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك " [3].

---

1 - مسلم في كتاب : " الحج " باب حجة النبي.

2 - القرافي، شهاب الدين، الفروق، وبهامشه القواعد السنية في الأسرار الفقهية لابن الشاط، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، بيروت: المكتبة العصرية، 2003م، 217/3.

3 - مسلم في كتاب الوصية : باب الوصية بالثلث ، والبخاري في كتاب الوصايا : باب أن يترك ورثته أغنياء .

ويذهب الشرع بعيدا في إبراز جوانب التعبد في الحياة الزوجية التي لا تتنافى والجوانب الأخرى المعتبرة شرعا، حيث بشرنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه و سلم بأن لحظة المضاجعة في فراش الزوجية قربة من المولى سبحانه عز وجل، وذلك في قوله لصاحبه ابتداء وأمته انتهاء، " وفي بضع أحدكم صدقة "، ولما استغرب الصحابة من هذا التقدير ا لشرعي للشهوة الآدمية في قولهم:" أ يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ " أجاب صلى الله عليه وسلم بقياس معكوس :" أرأيت لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له فيها أجر "[1].

فتقدير الزوجين لرابطة الزواج وتعظيمها كما عظمها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يجعل مؤسسة الأسرة في وضعية استقرار واطمئنان دائمين، وهو ما يناسب جو التنشئة الاجتماعية السليمة للطفولة.

ج- بناء العلاقة الزوجية على العدل والإحسان :

أقامت الشريعة الإسلامية العلاقة الزوجية على مبدأي العدل والإحسان ضمانا لدوامها واستقرارها، وصيانة لها من عوامل الشقاق والخلاف، فقال سبحانه تجسيدا لمبدأ العدل بين الزوجين : " ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف " (البقرة الآية 226)، حتى لا تضيع الحقوق بين الزوجين، فيبادر كل منهما - تحت هذا التوجيه القرآني – للوفاء بما عليه من حقوق تجاه قرينه .

ولما كانت العلاقة الزوجية دائمة ومستمرة ومعاشرة يومية، وحالة الاحتكاك والنزاع فيها طارئة لا محالة، كان لا بد لهذه العلاقة من غلاف إحساني، حتى لا يتحول الأمر إلى مشاحنة ومنازعة حول الحقوق الزوجية، بل ينتقل التعامل بين الزوجين- على أساس مبدأ الإحسان- إلى الحرص على إكرام الطرف الآخر بغض النظر عن وفائه لما عليه أو تقصيره، فيتبادلان العفو والتجاوز والصفح عند التقصير والشكر والتقدير والتنويه عن كل لحظة وفاء مهما كانت بسيطة، وقد تقرر في الفقه الإسلامي أن عقد الزواج عقد مكارمة لا عقد مكايسة.

---

1 - مسلم في كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل باب من المعروف .

د- الرعاية التربوية:

إن اهتمام الشريعة أحكاما ومقاصد بالتأسيس المتين لفضاء الأسرة، كما بينا سلفا، إنما هو إعداد للبيئة التربوية التي تحتضن الطفل منذ ولادته إلى اكتمال رشده، ونظرا لجسامة مسؤولية تربية الطفولة خصوصا في مراحلها الأولى، ركزت الشريعة على متانة البناء للعلاقة الزوجية ودوامه واستقراره، وذلك تأمينا لشروط التربية السليمة، وحماية للطفل من أي اضطراب نفسي أوعاهة بدنية بسبب سوء العلاقة الزوجية.

فقد غرس الحق سبحانه في فطرة الوالدين عاطفة خاصة تجاه الأبناء تجعلهما يندفعان إلى حمايته وحسن رعايته، ولم تكتف الشريعة بهذا العامل الفطري في الرعاية التربوية للطفل، وإنما عززت ذلك بعامل أقوى وهو عامل الغيب حين اعتبرت التربية الحسنة للطفل مشروعا استثماريا يمتد نفعه وعائداته من دنيا الوالدين إلى آخرتهما، كما نفهم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو عمل ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"[1].

ومن هذا المنطلق حملت الشريعة الوالدين مسؤولية الرعاية التربوية لأطفالهم باعتبارهم هبة ربانية بين أيديهم في الحديث الذي سقناه آنفا: " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"، وإنما يحافظ على استقامة الفطرة من أي انحراف بيئي بالتربية الإيمانية.

والرعاية التربوية المطلوبة للطفل شرعا تتنوع حسب الفترة العمرية، ففترة الحضانة وما تقتضيها من المعالجة اليومية اللطيفة غير فترة الطفولة المبكرة، وهذه غير فترة اليفاعة وهكذا، غير أن الجامع بين هذه

1 - ابن خزيمة في صحيحه، باب ذكر الدليل على أن أجر الصدقة المحبسة يكتب للمحبس، جماع أبواب الصدقات والمحبسات، وابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن عموم هذه اللفظة انقطع عمله لم يرد بها كل الأعمال.

المراحل في التربية أن يكون الوالدان قدوة أخلاقية عملية للطفل، فـ"المرء على دين خليله"[1] كما قال صلى الله عليه وسلم، والطباع تسرق الطباع كما تقول العرب.

والرعاية التربوية التي كفلتها الشريعة للطفل يتكامل فيها الجانب الروحي والعقلي والجسدي، لأن شخصية الطفل لا تكتمل إلا بإشباع حاجياته الثلاث، فالجسد له متطلبات الغذاء والسكن والملبس والراحة والدواء والرياضة، وجب على الوالدين ابتداء والمجتمع انتهاء تلبيتها حسب الوسع تحقيقا لمقصود الشريعة في حفظ النفس، وللروح حاجياته الإيمانية من محبة الله ورسوله والذكر والصلاة والصيام والدعاء ومعاشرة الناس بالمعروف، يتعين لزوما إشباعها تحقيقا لمقصود الشارع في حفظ الدين، وللعقل مطالب العلم والفكر واللغة وحفظ القرآن يجب على المربين أن تلبى تحقيقا لمقصود الشارع في حفظ العقل.

2) مقصد تأمين فضاء التنشئة الاجتماعية المجتمعي:

إذا كانت الشريعة عالجت فضاء الأسرة من حيث قوة تأثيره في التنشئة الاجتماعية للطفل وفي صياغة مبادئ شخصيته في مراحله العمرية الأولى، فإن مقتضى رؤيتها الاستراتيجية للموضوع ترتيب فضاء المجتمع من حيث هو المجال الأوسع للتنشئة الاجتماعية لا يقل قوة في تشكيل وعي الطفل وتوجيه سلوكه القيمي من خلال عوامل التنشئة فيه، إما على نحو متكامل مع تنشئة فضاء الأسرة أو على نحو متخالف، ويمثل أهم ركائز التنشئة الاجتماعية في الفضاء المجتمعي المؤسسات التالية:

أ- المؤسسة التعليمية:

تمثل القضية التعليمية المدخل الواسع للتنمية الحقيقية، والشرط المبدئي لأي تقدم حضاري، كما أن أي إخفاق في المسألة التعليمية يستتبع لزوما الإخفاق فيما سواها من المجالات الحيوية، فالتعليم صمام الأمان في بناء وصيانة الهوية الحضارية للأمة في ناشئتها وأجيالها المتعاقبة، وهو الضامن لتحقيق

1 - أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، والبيهقي في شعب الإيمان، فصل مجانبة الفسقة والمبتدعة.

تكافؤ الفرص بين المتعلمين، الذي يساعد على اكتشاف طاقات شباب الأمة لتوجيهها واستثمارها في متطلبات الأمة الآنية والمستقبلية.

وتستمد قضية التربية والتعليم أهميتها الشرعية من كونها مقصدا شرعيا كليا من مقاصد بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم، كما أخبرنا بذلك الحق سبحانه في أكثر من موطن في القرآن، فقال سبحانه: " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون" (البقرة الآية 151.)، وقال كذلك: " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" (الجمعة الآية 2.)، وقال: " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" (آل عمران الآية 164).

فتكرر ورود قضية التزكية والتعليم في مختلف السياقات القرآنية محددة لمقاصد البعثة النبوية بإطلاق ومن غير تقييد، يدل على مركزية القضية التربوية التعليمية في بناء شخصية الإنسان، وقد ظهر ذلك جليا في منهج النبي صلى الله عليه وسلم العملي الذي اعتمد أساسا على التربية والتعليم في تغيير الإنسان وإعادة بنائه من خلال مجالسه صلى الله عليه وسلم في مؤسسة المسجد ومشيه في الناس بعظمة خلقه، فكانت النتيجة إحداث تغيير عميق في النفوس كبارا وصغارا.

وما زالت التربية والتنشئة تفعل فعلها التغييري والتنموي الاستراتيجيين في الإنسان عموما وفي الطفل خصوصا عبر التاريخ حتى بعد أن انتقلت التربية والتعليم من المسجد إلى المدرسة وانتظمت في المناهج التربوية والطرق البيداغوجية والوسائل الديداكتيكية، يقول عمر عبيد حسنه عن موقع التعليم في القضية التنموية "مهما حاولنا أو توهمنا أنّ النهوض والتغيير والإصلاح يمكن أن يتمّ خارج مواضع التعليم، فإنّ التاريخ والواقع والتجربة الذاتية والعالميّة تؤكد أنّ التربية والتعليم السبيل الأوحد إلى درجة يمكن أن

نقول معها بدون أدنى تحفظ: إنّ التربية هي التنمية بكل أبعادها، وأي مفهوم للتنمية بعيدا عن هذا، فهو مفهوم جزئي وعاجز عن تحقيق الهدف، ولذلك فإنّ أية تنمية لا يمكن أن تتم خارج رحم التربية ومناخها، وإنّ المدارس والمعاهد العلميّة والتربويّة هي طريق القادة السياسيّين والاقتصاديّين والاجتماعيّين والتربويّين والإعلاميّين والعسكريّين، وسائر المواقع الأخرى"[1].

فإذا كانت المنظومة التربوية التعليمية متجددة وفعالة بحيث تستجيب في مخرجاتها لحاجيات المجتمع الآنية ومتطلباته المستقبلية، يكون مستقبل المجتمع الحضاري إلى حد كبير مؤمنا، وتنعكس الأمور رأسا على عقب حين يكون المعتمد في بناء المنظومة التربوية الارتجال والارتهان لعوامل خارجية وحسابات ظرفية.

ب- المؤسسة الإعلامية:

أصبحت المؤسسة الإعلامية بمختلف أنواعها " شبكة محيطة بوقت الناشئة مستولية على حياتها الفكرية والنفسية "[2]، كما أحاطت بوقت الأسرة فألهتها عن وظيفتها التربوية تجاه الناشئة، ومعظم مضامينها الإعلامية لا تستبطن القيم التربوية الحضارية للأمة إن لم تتناقض معها، في حين أن المفروض في المؤسسة الإعلامية من حيث هي عامل مؤثر في التنشئة الاجتماعية أن تكون التربية والتعليم قضيتها الأولى، وبمقتضاها تصرف منتجها الإعلامي، فتنضاف جهودها المتطورة إلى جهود المؤسسة التعليمية في صيانة فطرة الناشئة وتمنيعها بالقيم الخلقية وإكسابها المعايير الحضارية حتى تقوى طفولتنا على الصمود أمام رياح العولمة العاتية التي تستهدف بالهدم خصوصيات الشعوب الثقافية

1 ينظر سانو، قطب مصطفى، النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ط.1، 1998م، ص21.

2 - ياسين، عبد السلام، الحوار مع الفضلاء الديمقراطيين، ص 121.

فغير مطلوب من الإعلام شرعا سوى الإسهام بإيجابية في حماية فطرة الطفولة لأنها مسؤولية حملها البيان النبوي لكل من له تأثير في التنشئة الاجتماعية كالإعلام في قوله صلى الله عليه وسلم: " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[1]، فتكون حماية الفطرة من عوامل التحريف بمقتضى النص النبوي مسؤولية مشتركة بين الأسرة ابتداء والمجتمع بمؤسساته انتهاء.

3) مقصد المكاثرة النوعية:

من المقاصد التبعية لسياسة الشريعة الاجتماعية في موضوع الأمن الأسري بناء قوة ديموغرافية في المجتمع يضمن بها تنميته المستقبلية واستمراره في الزمان بين الأمم، يدل لذلك الترغيب النبوي في التناسل حين قال صلى الله عليه وسلم: " تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم"[2].

وقد أصبح الرهان منذ الآن على القوة الديموغرافية لبناء القوة الاقتصادية والتنمية الشاملة، خصوصا وأن هناك بعض التقارير تنذر بأن العجز الديموغرافي في بعض الدول الغربية سيصل بعد عقود إلى حالة الاختلال، لكن هل المقصود بالقوة العددية التي يراهن عليها تفريخ الحشود العارية الجائعة الجاهلة كما هو الحال في كثير من الدول العربية ؟

إن الكثرة الديموغرافية السلبية هو عين الضعف ومنتهى الإفلاس للسياسات الاجتماعية لتلك المجتمعات، وإنما القوة في الكثرة النوعية المؤهلة المعلمة، لذلك لا ينبغي فهم الترغيب النبوي في التناسل على إطلاقه، لأنه خلاف المقصود، وإنما يفهم قصده صلى الله عليه وسلم من الترغيب في التناسل في سياق تحذيره صلى الله عليه وسلم من الكثرة الغثائية في حديث ثوبان: " يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها قال قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون

1 - سبق عزو الحديث.

2 - البيهقي في السنن الكبرى، باب استحباب التزوج بالودود الولود، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم.

غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قال قلنا وما الوهن قال حب الحياة وكراهية الموت"[1].

فهذا تحذير نبوي من مآل تاريخي بئيس للأمة تتحول فيه إلى كثرة عددية لكنها لا تغنيها من إهانة الأمم واحتقارها واستباحة أوطانها، فتقرر بذلك أن القصد من التوالد بناء قوة عددية نوعية ترفع من شأن الأمة لتكون مهابة الجانب مؤثرة في القرار السياسي والاقتصادي العالمي، فتستحق بذلك أن يباهي بها النبي صلى الله عليه وسلم الأمم يوم القيامة.

ومن ثنائية الترغيب والتحذير النبويين من الكثرة الديموغرافية تبنى السياسة الاجتماعية الواجب اعتمادها في تدبير الأمن الأسري في حماية الطفولة.

تلك هي أهم المعالم الكلية والتفصيلية لسياسة الشريعة الاجتماعية في حماية الأمن الأسري، أرجو أن أكون قد وفقت في حسن عرض مضامينها وجودة تحليل قضاياها.

1 - أحمد في المسند، مسند ثوبان، وقد حسنه شعيب الأرناؤوط.

خاتمة:

وفي ختام هذه الجولة في فضاء استراتيجية الشريعة الإسلامية في حماية الأمن الأسري أقرر ما خلص إليه البحث فيما يلي:

1) إن للشريعة الإسلامية سياسة اجتماعية في حماية الأمن الأسري واضحة المعالم محكمة البناء ملائمة للنوع البشري وملبية لحاجياته المتكاملة، أقام الشارع الحكيم بنيانها على قاعدتين مركزيتين:

القاعدة الفلسفية الكلية: وعليها البناء المقاصدي لهذه السياسة الاجتماعية الشرعية، حيث ارتبط موضوع حماية الأمن الأسري بمستويات مقاصد الشريعة الأصلية منها والتبعية، لتكون معايير ضابطة وموجهة ومقومة للتطبيقات العملية للسياسة الاجتماعية الشرعية.

القاعدة المقاصدية التبعية: وتمثل البناء المصلحي العملي لسياسة الشريعة الاجتماعية التي تنتظم في سلك البناء المقاصدي الأصلي ولا تخرج عنه.

وموضوع اشتغال هذه الاستراتيجية الشرعية بشقيها الفلسفي والتشريعي بناء أسرة سليمة قوية قادرة على إنتاج أجيال نافعة للأمة والبشرية دنيا وأخرى، لذلك ألفينا هذه الاستراتيجية تعالج موضوع حماية الأسرة معالجة عميقة تنطلق من ضبط وتهيئ الفضاء التربوي الملائم للطفولة بما هو أسرة متناغمة متكاملة متراحمة متحابة، ومجتمع متفاعل منتج بتظافر جهود مؤسساته الاجتماعية في التنشئة الاجتماعية الإيجابية.

2) إن واقع معظم الأسر العربية في مجمله بلغ مداه في البؤس التربوي والضياع الاجتماعي، وذلك بسبب البناء الارتجالي الهش للسياسات الاجتماعية المعتمدة في كثير من الدول العربية، وغياب مشروع مجتمعي واضح المعالم تنطلق منه تلك السياسات الاجتماعية، لذلك بات من الواجب الشرعي واللازم الحضاري ومقتضى النظر السياسي اعتماد سياسة الشريعة الاجتماعية معيارا حضاريا وتشريعيا لمراجعة سياساتنا الاجتماعية وتقويمها في موضوع الطفولة ليكون ذلك مخرجا عمليا لأزمة الطفولة في بلادنا العربية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

لائحة المصادروالمراجع:

* القرآن الكريم برواية ورش من طريق الأزرق.

* البخاري أبو عبد الله محمد، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا ط. 3 دار ابن كثير اليمامة، بيروت 1407هـ-1987م.

* البيهقي، أبو بكر أحمد. السنن الكبرى البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز بمكة المكرمة، بدون رقم، 1994م.

* البيهقي، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 2003م.

* ابن حنبل، أحمد. مسند أحمد، بتحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1999م.

* الرازي، مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي، باعتناء يوسف الشيخ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، طبعة 2002.

* الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، بدون تاريخ.

* مسلم أبو الحسين بن الحجاج، الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ ولا رقم الطبعة.

* النسائي، أحمد بن شعيب.السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1991م.

* الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة.

* الفيروز آبادي،القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى/1995م.

* القرافي، شهاب الدين، الفروق، وبهامشه القواعد السنية في الأسرار الفقهية لابن الشاط، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، بيروت: المكتبة العصرية، 2003م.

* سانو، قطب مصطفى، النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ط.1، 1998م.

* الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، بيروت: دار المعرفة.

* ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، مطبوعات الأفق، البيضاء، الطبعة الأولى 1994م.

إشكالية ترجمة المصطلحات الإسلامية في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإسبانية: دراسة استطلاعية على عينة من طلبة العلوم الإسلامية و أساتذتها بجامعات الجزائر

الدكتور كريم بابو

أستاذ محاضر في جامعة الأغواط | الجزائر

kb814370@gmail.fr

ملخص البحث:

حاولت هذه الدراسة التعرف على واقع الترجمة الدينية و بالتحديد ترجمة المصطلحات الإسلامية في ترجمة خوليو كرتاس " Julio Cortes" لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الإسبانية، ومدى فعاليتها في نقل المفاهيم الإسلامية للمتلقي الأجنبي، من خلال إعداد استبيان موجه إلى طلبة العلوم الإسلامية و أساتذتها من مختلف جامعات الجزائر، وقد تألفت عينة الدراسة العشوائية من (60) مفردة، طور خلالها الباحث استمارة إلكترونية تضمنت أربعة محاور رئيسية لقياس متغيرات الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق - الترجمة- - القرآن الكريم- المصطلح الإسلامي.

Difficulties of rendering Islamic Terminology from the Holy Quran into Spanish: A Descriptive Study on a Sample of Religious Studies' Students and Teachers in Algerian Universities

Abstract:

The current study attempts to identify the reality of religious translation, namely Islamic terminology, in Julio Cortes' rendering of Quran's meaning into Spanish; as well as to frame the utility of this terminology in transmitting Islamic concepts to the foreign recipient. These very aims were achieved through a questionnaire designed specifically to Religious Studies' Students and Teachers from different Algerian universities. The study's random sample constitutes of 60 terms, leading the researcher to design a four-track electronic questionnaire in view to measure the study's variables.

Keywords: Holy Quran; Islamic terminology; Orientalism; Translation.

مقدمة:

مفهوم المصطلحات الإسلامية و دلالتها قضية مهمة للغاية للحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية وحمايتها من التشتت و التنافر الذي ينخر كيانها. و الأمة الإسلامية لا تقتصر على الأمة العربية بل تشمل كل الناس على اختلاف أصولهم و لغاتهم، فمن الواجب ترجمة هذه المصطلحات و تحديد مفاهيمها للقارئ الأجنبي. ذلك لتفادي حدوث أي سوء فهم و محاربة الصور النمطية التي تخدم أعداء هذا الدين. و عندما يتعلق الأمر بترجمة معاني القرآن الكريم الذي يعتبر قلب الإسلام فالأهمية تتضاعف و الخطورة في الوقت ذاته، فمن الضروري تحديد مفاهيم هذه المصطلحات قبل قراءة النص القرآني لتفادي أي تداخل مع الخلفية الدينية الأخرى التي يعتنقها أو كان يعتنقها القارئ.

و يعتبر الاستبيان وسيلة هامة تضع بين أيدي الباحث حقائق من أرض الواقع، يعتمد في ذلك على مجموعة من الأسئلة، تطرح على مجموعة من الأفراد ثم يتولى تحليلها واستشفاف ما فيها من بيانات ليتوصل إلى نتائج الدراسة التي قام بها. يأتي هاذا الاستبيان للوقوف ميدانيا على واقع الترجمة الدينية في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم، وذلك من خلال استطلاع آراء طلبة و أساتذة العلوم الاسلامية من مختلف جامعات الوطن.

عرضنا الاستبيان على ستين طالبا و أستاذا في العلوم الاسلامية. يتكون الاستبيان من أربعة عشر سؤالا ينقسم إلى أربعة محاور بالإضافة إلى محور المعلومات الشخصية. أبدى الطلبة ترحيبهم بفكرة اهتمام الباحثين في الترجمة بمجال الترجمة الدينية، كما لاقى موضوع ترجمة المصطلحات الاسلامية في ترجمة معاني القرآن الكريم ترحيب الأساتذة كذلك. ابتعدنا أثناء عرض هذا الاستبيان عن كل ما يمكن أن يؤثر على آراء الطلبة، مكتفين بتوضيح الأسئلة وتوضيح الغرض من هذه الدراسة.

بما أن موضوع الدراسة يتعلق بمجال الترجمة الدينية و بالتحديد ترجمة معاني القرآن الكريم، أردنا إشراك طلبة وأساتذة العلوم الاسلامية في هذا المجال و استطلاع آراءهم حول قضايا متعلقة بالترجمة في هذا

المجال. حيث طرحنا عليهم أربعة عشر سؤالا على شكل أربعة محاور بالإضافة إلى محور المعلومات الشخصية كما يلي:

1)- محور المعلومات الشخصية:

نهدف خلال هذا المحور إلى جمع المعلومات الشخصية المتعلقة بالجنس و المستوى الجامعي و الجامعة التي ينتمي اليها الطالب أو الأستاذ و التجربة في التخصص، أما ذكر الاسم و اللقب كان اختياريا و لاحظنا تخوف بعض الطلبة من ذلك، و نلخص النتائج في جداول فيما يلي:

الجنس:

عدد الإجابات	أنثى	ذكر
60	22	38

وعليه نتحصل على نسبة 36,7% من المستجوبين إناث و 63,3% ذكور، فنلاحظ تفوق نسبة الذكور على الإناث و هذا ما نلاحظه غالبا في تخصص العلوم الاسلامية على عكس التخصصات الأخرى.

الجامعة :

الجامعة:	جامعة الجزائر 1	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان	جامعة باتنة 1	جامعة وهران1
العدد:	36	12	4	6	2

و نلاحظ أن أغلبية الطلبة و الأساتذة ينتمون لجامعة الجزائر 1 كلية العلوم الاسلامية في خروبة بنسبة 60%، ثم تأتي جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة بنسبة 20%، ثم تأتي جامعة باتنة1 بنسبة 10%، ثم تأتي جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان بنسبة 6.7% و في الأخير جامعة وهران بنسبة 3.3%. و تجدر الاشارة إلى أن

الاستبيان كان الكترونيا لتسهيل عملية نشره بين الطلبة و الأساتذة من مختلف جامعات الوطن من خلال مشاركة الرابط الالكتروني للاستبيان عبر الانترنت عن طريق البريد الالكتروني و مواقع التواصل الاجتماعية و ذلك لمواكبة التطور التكنولوجي الحالي التي تسهل لنا العملية و توفر لنا الوقت.

المستوى الجامعي :

المستوى الجامعي:	ليسانس	ماجيستير أو ماستر	دكتوراه
العدد:	12	34	14

نلاحظ من خلال الجدول أن أكبر نسبة هي 56,7% تعود لحاملي شهادة الماجستير أو الماستر ثم تأتي نسبة 23,3% المتعلقة بحاملي شهادة الدكتوراه، و في الأخير تأتي نسبة 20% التي تمثل الطلبة المتحصلين على شهادة الليسانس. فنستنج أن الأغلبية يحملون شهادات جامعية عليا.

التجربة في التخصص:

التجربة في التخصص:	بطال	موظف حديثا	موظف منذ مدة طويلة	أستاذ جامعي	أعمل في مجال آخر
العدد:	4	22	16	8	10

نلاحظ من خلال الجدول أن أغلبية الطلبة موظفون حديثا في ميدان التخصص بنسبة 36,7%، ثم تأتي نسبة 26,7% للطلبة الموظفون منذ مدة طويلة في التخصص و يعملون كأساتذة في التعليم الثانوي أو أئمة في المساجد أو يعملون في مجالات دينية أخرى، ثم تأتي نسبة 16,7% للطلبة الذين يعملون في مجال آخر، ثم تأتي نسبة 13,3% المتعلقة بالأساتذة الجامعيين و في الأخير تأتي نسبة 6,7% للطلبة البطالين. فنستنتج أن معظمهم لديهم تجربة في تخصصهم و تعتبر نقطة إيجابية لأهميتها في كسب الخبرة و تنمية كفاءة الطالب ومهاراته.

2)- محور الترجمة الدينية:

1- هل ترى أن دور الترجمة مهم في الدعوة الإسلامية في ظل تنامي التعتيم الإعلامي على الإسلام؟

عدد الإجابات:	مهم	غير مهم
60	60	0

نلاحظ أن كل المستجوبين 100% أجمعوا على أهمية الترجمة في الدعوة الاسلامية في ظل تنامي التعتيم الاعلامي على الاسلام. حيث يؤدي الاعلام دور هام في العالم لذلك يسمى بالسلطة الرابعة، خاصة مع التطور التكنولوجي الذي يشهده عصرنا الحالي و سرعة انتقال المعلومة و نشرها، بالإضافة لتداعيات العولمة. فيعملون على ترسيخ صور نمطية على العرب و المسلمين مفادها انها دول متخلفة تتخبط في الحروب و الصراعات. و نحن في المقابل يجب العمل على مواجهة هذه الصور و الأفكار من خلال ترجمة كتبنا و إظهار صورة الاسلام الحقيقية الذي يدعو للسلام و الاعتدال و الحق، فننشر مبادئه السامية و لا نتركهم يترجمون كتبنا و يتلاعبون بها لدعم أفكارهم وترسيخها.

2- كيف تقيم جهود الترجمة في هذا المجال؟

عدد الإجابات:	كافية	غير كافية
60	2	58

نلاحظ من خلال الجدول أن الأغلبية الساحقة بنسبة 96.7% أجابوا بأن الجهود المبذولة في مجال الدعوة الاسلامية غير كافية. في الواقع الترجمة في الوطن العربي قليلة في شتى المجالات وفي المجال الديني أكثر. فأصبح من الضروري على المؤسسات والجامعات تنشيط مجال الترجمة وتحفيز المترجمين من خلال تنظيم مسابقات لأحسن ترجمة للكتب وجوائز، مثلما تقوم به دولة قطر على هامش مؤتمرها الدولي للترجمة وإشكالات المثاقفة الذي تشرفت بالمشاركة في طبعته الثالثة، حيث تخصص كل سنة لغة معينة وتعمل

على تكريم أحسن ترجمة من و إلى تلك اللغة. كما يمكن كذلك القيام بمشاريع ترجمة كتب وتوزيعها إلى أجزاء على طلبة الماستر أو الدكتوراه كجزء من مذكرات تخرجهم حسب تخصصهم. فنعمل بذلك على إثراء مكتباتنا. حيث عشت هذه التجربة في طور الماستر فقمنا بترجمة كتاب من الاسبانية إلى العربية يحمل عنوان "معركة لبانت" تحت اشراف الدكتورة فلاق عريوات مريم و الدكتورة سي بشير زينة. فنود تعميم هذه المبادرة الممتازة. ويمكن كذلك تعيين لجان تتكون من مترجمين متخصصين في عدة مجالات بالتنسيق مع مختلف جامعات الوطن و تعمل كل لجنة عل برمجة مشاريع لترجمة كتب في تخصص معين كالترجمة الدينية و القانونية و الطبية و غيرها. و يمكن إشراك متخصص في كل مجال كالأطباء و المحامون و غيرهم في كل لجنة. و لما لا تصدر ترجمة جزائرية لمعاني القرآن الكريم. على غرار ما يقوم به مجمع الملك فهد في المملكة العربية السعودية.

3- هل تؤيد قضية ترجمة معاني القرآن الكريم؟

عدد الإجابات:	نعم	لا
60	56	4

نلاحظ أن الأغلبية يؤيدون ترجمة معاني القرآن الكريم بنسبة 93,3% و عللوا إجابتهم بعالمية الرسالة الاسلامية فهي موجهة لكل البشرية على اختلاف ألسنتهم و على المسلمين ترجمة معاني القرآن الكريم لأنه أمر ضروري للدعوة الاسلامية حتى يتعرف الأجانب على حقيقة الاسلام و مبادئه السامية التي تدعوا للسلم و العدل و الحق. و دحض مزاعم المشككين و هناك من أشار لضرورة التقيد بالشروط المنصوص عليها و يكون عمل جماعي. أما البقية اللذين يمثلون نسبة 6,7% لا يؤيدون قضية ترجمة معاني القرآن الكريم مخافة الاخلال بمعاني القرآن الكريم في حالة احتواء الترجمة على أخطاء، و يرون أن اللغة العربية التي أنزل بها هي الوحيدة القادرة على احتواء معانيه و على الأجانب تعلم اللغة العربية. و في الحقيقة هذه القضية

طرحت جدلا واسعا بين العلماء حول جواز ترجمة معاني القرآن الكريم أم لا و في الأخير صدرت فتوة بجوازها لكن بشروط محددة على المترجم التقيد بها.

4- بما أنك تزاول دراستك باللغة العربية هل تلجأ عادة للترجمة عند إنجاز البحوث أو لأمور أخرى تتعلق بالدراسة ؟

عدد الإجابات:	نعم	لا
60	42	18

نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة 70% من المستجوبين يلجؤون للترجمة لإنجاز بحوثهم أو لأمور أخرى تتعلق بالدراسة، و هي نسبة جيدة و أخبرونا أنهم يدرسون مقياس اللغة الانجليزية و هذا أمر جيد و لما لا يدرجون لغات أخرى كالفرنسية و الاسبانية للتمكن من التواصل مع الناس على اختلاف ألسنتهم و نشر الاسلام. والبقية من المستجوبين يمثلون نسبة 30% لا يلجؤون للترجمة. ثم سألنا الطلبة الذين أجابوا بنعم إذا كانوا يقومون بالترجمة بأنفسهم أو يلجؤون لمكاتب الترجمة فتحصلنا على النتائج التالية:

عدد الإجابات:	أقوم بالترجمة بنفسي	ألجأ لمكاتب الترجمة
42	24	18

نستنتج من الجدول أن نسبة 57,1% من الطلبة اللذين يلجؤون للترجمة في دراستهم يعتمدون على أنفسهم لأنهم يتقنون اللغة الفرنسية و الانجليزية و منهم من يستخدم برامج الترجمة على الانترنت. لكن تجدر الاشارة إلى أن الترجمة الآلية في الانترنت ليست دقيقة وغالبا ما تحتاج للمراجعة من طرف المترجم، خاصة عندما يتعلق الأمر بنصوص متخصصة فلا يمكن الاعتماد عليها. أما بقية الطلبة يمثلون نسبة 42.9% يلجؤون لمكاتب الترجمة لأن مستواهم في اللغات الأجنبية لا يسمح لهم بالترجمة، و أخبرونا أن دروس اللغة الانجليزية غير كافية فيفضلون اللجوء للمتخصصين في الترجمة.

3)- محور ترجمة المصطلحات الاسلامية

1- هل تستخدم معاجم أحادية أو ثنائية اللغة للبحث عن ترجمة مصطلحات تخصصك من اللغة العربية إلى اللغة الأجنبية ؟

عدد الإجابات:	نعم	لا
60	38	22

تحتوي المعاجم المتخصصة على مصطلحات حقل معرفي معين، ثم تشرح هذه المصطلحات حسب استعمال أهلها و المتخصصين بها، و يورد مقابلاتها بلغة ثانية إذا كان مزدوج اللغة و بعدة لغات إذا كان متعدد اللغات. وهي غنية بالتفاصيل حول مفهوم المصطلح ، و لا غنى عنها للمتخصص و الطالب و حتى المترجم.

نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة 63,3% من المستجوبين يستخدمون معاجم أحادية أو ثنائية اللغة للبحث عن ترجمة مصطلحات تخصصهم، و البقية التي تمثل نسبة 36,7% لا يستخدمون المعاجم. ثم سألنا الذين يستخدمون المعاجم إذا كانوا يواجهون صعوبات ناجمة عن عدم دقة ترجمة المصطلح فكانت الأجوبة كما يلي:

عدد الإجابات بنعم:	نعم	لا
38	36	2

نستنتج من الجدول أن الأغلبية بنسبة 94,7% يواجهون صعوبات ناجمة عن عدم دقة ترجمة المصطلح في المعاجم، و تتمثل حسب إجاباتهم في تقديم مفهوم عام و غير متخصص للمصطلح، وخاصة المصطلح الشرعي الاسلامي من الصعب العثور على مقابل له في اللغات الأجنبية و غالبا ما يحتفظ به كما هو، و قدموا لنا مثال لترجمة مصطلح الزكاة إلى اللغة الانجليزية بالمقابل Charity و هي تعني "الصدقة" لذلك يجب

ترجمتها بالمقابل "Zakah" و شرح مفهومها الاسلامي. كما أشاروا إلى ندرة المعاجم المتخصصة في المجال الديني.

2- كيف تتأكد من دقة المقابل الأجنبي للمصطلح الإسلامي؟

عدد الإجابات:	المترجم	المتخصص في العلوم الاسلامية	أقوم ببحث توثيقي
60	20	18	22

نستنتج من الجدول أن نسبة 36,7% يقومون بالبحث التوثيقي للتأكد من دقة المقابل الأجنبي للمصطلح الاسلامي، ثم تأتي نسبة 33,3% المتعلقة بالطلبة اللذين يلجؤون إلى المترجم، أما البقية التي تمثل نسبة 30% يفضلون التوجه إلى المتخصص في العلوم الاسلامية.

3- لمن تعود أولوية وضع المقابل الأجنبي للمصطلح الإسلامي؟

عدد الإجابات:	المترجم	المتخصص في العلوم الاسلامية	يجب أن يكون تعاون بينهما
60	2	12	46

نلاحظ من خلال الجدول أن الأغلبية بنسبة 76,7% ترى أنه يجب أن يكون تعاون بين المتخصص في العلوم الإسلامية و المترجم لوضع مقابل للمصطلح الاسلامي، ثم تأتي نسبة 20% للذين يرون أن الأولوية للمتخصص في العلوم الاسلامية، و في الأخير لدينا نسبة 3,3% تمثل الذين يرون أن المترجم أولى بذلك.

4)-محور النص الموازي و الترجمة:

يمثل النص الموازي كل العناصر التي تحيط بالنص الرئيسي كالعناوين و الهوامش، و إذا كان كتابا فالنص الموازي يتمثل كذلك في غلاف الكتاب و المقدمة و الخاتمة و ينقسم إل قسمين النص الموازي

الداخلي والخارجي، أما النص الموازي الخارجي فيمثل كل النصوص المتعلقة بالنص الرئيسي أو الكتاب مثل كتب التفسير المتعلقة بالقرآن الكريم. تكتسي هذه العناصر أهمية كبيرة فلا يجب تهميشها لأنها توجه عملية تأويل النص الرئيسي خاصة في الترجمة، وهي مقاربة حديثة في الترجمة للدكتور خوسي يوستي فرياس José Yuste Frías من جامعة فيقوVigo الاسبانية أطلق عليها تسمية Paratraducción و هي كلمة مركبة من كلمتين الكلمة الأولى هي السابقة Para المتعلقة بكلمة "النص الموازي" Paratexto والكلمة الثانية هي "الترجمة" Traducción". وفي ترجمات معاني القرآن الكريم نلاحظ استخدام كثير للنصوص الموازية ففي ترجمة خوليو كرتاس أضاف المترجم مقدمة بلغت خمسين صفحة ثم يليها معجم للمصطلحات الإسلامية بالإضافة إلى الحواشي التي بلغت 286 حاشية لسورة البقرة فقط. و أضاف كذلك عناوين بين آيات السور فعلى سبيل المثال سورة البقرة أضاف لها 26 عنوانا يتخلل الآيات. وفيما يلي بعض الأسئلة المتعلقة بالنص الموازي و ترجمة معاني القرآن الكريم:

1- هل ترى ضرورة ترجمة كتب تفسير القرآن الكريم ؟

عدد الإجابات:	نعم	لا
60	50	10

نستنتج من خلال الجدول أن الأغلبية الساحقة بنسبة 83,3% ترى ضرورة ترجمة كتب تفسير القرآن الكريم لشرح معاني القرآن الكريم و ضمان الفهم الصحيح و الدقيق لآياته. وترجمة معاني القرآن الكريم لا تكفي وحدها. أما البقية الذين يمثلون نسبة 16,7% لا يرون ضرورة ترجمة كتب التفسير لأن ترجمة معاني القرآن تكفي مع استعمال الحواشي مع ضرورة تعلم اللغة العربية لقراءة كتب التفسير. لكن في الحقيقة نحن كعرب علينا الرجوع لكتب التفسير لتفادي أي تأويل خاطئ لآيات القرآن فما بالك بالأجانب، أما بالنسبة

لتعلم اللغة العربية فليس بالضرورة أن يكون اعتنق الاسلام بل قد يرغب فقط اكتشاف القرآن الكريم في لغته الأم.

2- هل ترى ضرورة إضافة مقدمة و حواشي و معجم صغير للمصطلحات الإسلامية عند ترجمة معاني القرآن الكريم ؟

عدد الإجابات:	نعم	لا
60	48	12

نلاحظ من خلال الجدول أن الأغلبية بنسبة 80% يرون ضرورة إضافة مقدمة و حواشي و معجم صغير للمصطلحات الاسلامية عند ترجمة معاني الكريم لضمان فهم دقيق لمعاني القرآن الكريم من خلال الشرح والتوضيح لإزالة الغموض أو اللبس عند القارئ الأجنبي. أما النسبة الباقية التي تمثل نسبة 20% يرون أنها غير ضرورية و تعمل على تشتيت فكر القارئ و منهم من قال أنه من الأفضل الشرح في النص. في الحقيقة يجب عدم الإكثار من استعمال الحواشي و تركها للضرورة القصوى عندما يكون الشرح طويل لا يمكن ادراجه في النص، وتعتبر الحل الأخير عند فشل الترجمة في ايصال المعنى.

3-بعد اطلاعك على العينة التالية من ترجمة المصطلحات الإسلامية للمستشرق "خوليو كرتاس Julio Cortes" في ترجمته لمعاني القرآن الكريم كيف تحكم عليها:

مصطلح الله

يترجمه بالمقابل " Dios" ثم يعرفه في المعجم الذي أضافه في ترجمته لمعاني القرآن الكريم كنص موازي كما يلي:

Dios (ar. Allah): el único dios real (C11). ´Ala´ corresponde al vocablo árabe para Dios y lo emplean tanto los musulmanes como los árabes cristianos. Empleando ´Dios´ en lugar de ´Ala´ se evitan diferenciaciones interpretativas erróneas .

نلاحظ أن المترجم يستعمل المقابل الإسباني لمصطلح "الله" و هو Dios في كل الآيات ثم يحيل القارئ في الحاشية إلى تعريف المصطلح في المعجم، فيذكر طريقة نطقه بالعربية لكن بحروف لاتينية، ثم يعرفه بأنه الإله الوحيد الحقيقي و يحيل القارئ إلى الآية الأولى من سورة الفاتحة. ثم يذكر أن مصطلح "الله" كما يلفظ بالعربية هو المقابل العربي للمصطلح المستعمل من قبل المسلمين و العرب المسيحيين. و يقول أنه عند استعمال المقابل الإسباني Dios عوض المقابل العربي 'Alá' يتفادى بذلك اختلافات تأويلية خاطئة. و في الحقيقة ليست تأويلات خاطئة بل حقيقية لأن مفهوم الله يختلف تماما بين الإسلام و المسيحية، فينبغي توضيح ذلك خاصة عندما يتعلق الأمر بترجمة معاني القرآن الكريم.

ترجمة مصطلح "صبغة الله"

يترجمه في الآية 138 من سورة البقرة بالمقابل الحرفي "Tinte de Dios " و يضيف حاشية في ترجمته لمعاني القرآن الكريم كنص موازي لشرح مفهومه كما يلي:

" Tinte de Dios" 138 (ز). Lit., ´tinte que se emplea para teñir por inmersión´. La tradición exegética islámica más antigua ha visto aquí una alusión al bautismo cristiano. Ya Q.S.F. Tertuliano en su tratadito De baptismo (escrito entre 2OO Y 206) empleaba habitualmente ´teñir´ por ´´bautizar´.

ثم يضع في الحاشية ص23 علامة استفهام كرمز لكون الآية مشكك في تأويلها ثم يقول أن حرفيا تعني الصبغة المستعملة للتلوين عن طريق التغطيس. و أن التفسير الإسلامي القديم يلاحظ أنه إشارة إلى طقس التعميد في المسيحية. ثم يقول أن Tertuliano في كتابه De baptismo كان يستعمل فعل "صبغ" بمعنى تعميد. فنلاحظ أنه قدم للقارئ دلالة خاطئة للمصطلح فربطه بطقس التعميد في المسيحية عن طريق الغمس في الماء، بينما هو يعني الفطرة التي خلق الله الناس عليها أي دينه و شريعته.

نعرض في الجدول التالي الأجوبة التي تحصلنا عليها:

عدد الإجابات:	دقيقة	غير دقيقة
60	8	52

نلاحظ أن الأغلبية بنسبة 86,7% يعتبرون ترجمة هذه العينة من المصطلحات غير دقيقة، أما البقية التي تمثل نسبة 13,3% يعتبرونها ترجمة دقيقة. و في الحقيقة من المعروف أن مفهوم الله في الاسلام والمسيحية ليس نفسه فمن الأفضل استعمال المقابل "Allah" عوض "Dios" للتفريق بين المفهومين المختلفين. أما المصطلح الثاني ربطه بمفهوم طقس التعميد في المسيحية، فبذلك تكون ترجمته غير دقيقة في تحديد مفهوم هذه المصطلحات.

5)-محور الاستشراق و ترجمة القرآن الكريم

1- هل أنت على دراية بمفهوم الاستشراق؟

عدد الإجابات:	نعم	لا
60	46	14

نلاحظ من خلال الجدول أن الأغلبية بنسبة 76.7% على دراية بمفهوم الاستشراق لكن هناك من حصره في الدراسات الاسلامية، لكن في الحقيقة هو يشمل كل المجالات. وهناك من حصر اهدافه في تشويه صورة الاسلام و إثارة الشبهات حوله لكن تجدر الاشارة إلى أنه هناك من المستشرقين المنصفين رغم قلتهم. أما بقية المستجوبين الذين يمثلون نسبة 23,3% ليسوا على دراية بمفهوم الاستشراق للأسف. لذلك نشدد على أهمية تدريس الطلبة هذا المقياس للتعريف بمفهوم الاستشراق و تاريخه و مناهجه نظرا لأهميته.

2- هل ترى أن للدراسات الاستشراقية دورا مهما في تقديم صورة عن الإسلام للغرب؟

عدد الإجابات:	مهم	غير مهم
60	42	18

نستنتج من خلال الجدول أن نسبة 70% من المستجوبين يرون أن للدراسات الاستشراقية دور مهم في تقديم صورة عن الإسلام للغرب، لأنهم سفراء الشرق في الغرب فيعملون على التعريف به من خلال دراساتهم وترجماتهم، لكن للأسف غالبا ما يدخلون فيها ايديولوجياتهم و شبهاتهم، أما النسبة الباقية من المستجوبين التي تمثل 30% يرون أن الدراسات الاستشراقية غير مهمة بل على العرب و المسلمين التعريف بحقيقة الاسلام والثقافة الشرقية. لكن في ظل قلة الجهود المبذولة في هذا المجال و كون المستشرق أقرب للأجنبي و يؤمن به أكثر لأنه من بني جلدته، فمن الصعب اقناعه و تغيير نظرته للإسلام و العرب بصفة عامة.

3- هل تؤيد قيام المستشرق بترجمة معاني القرآن الكريم؟

عدد الإجابات:	نعم	لا
60	8	52

نلاحظ أن أغلبية المستجوبين يمثلون نسبة 86,7% لا يؤيدون قيام المستشرق بترجمة معاني القرآن الكريم، بحجة أنه يسيء للإسلام و يعمل على تشويه صورته من خلال ترجمته لمعاني القرآن الكريم، و يعمل

على إثارة الشبهات حوله و التشكيك فيه. و منهم من يرى أن الأولوية للمسلمين في ترجمته لتفادي الوقوع في الأخطاء. أما البقية التي تمثل نسبة 13,3% تؤيد قيام المستشرق بترجمة معاني القرآن الكريم لكن بشرط التحلي بالموضوعية والحياد و منهم من قال أنه يجب أن يكون دخل في الاسلام و عليه الاستعانة بالمتخصصين في العلوم الاسلامية.

نتائج الدراسة:

-تطرح ترجمة المصطلحات الاسلامية إشكالات في الترجمة لصعوبة ترجمتها و ذلك لغياب المكافئ غالبا في ثقافة القارئ، و حتى إذا وجد يكون تقريبيا لا ينقل مفهوم المصطلح، لذلك يستعين المترجم بمجموعة من النصوص الموازية كالمقدمة والحواشي والمعجم لشرح وتوضيح مفهومه في الإسلام. لكن لاحظنا مع ذلك أن المترجم لم يكن دقيقا في نقل بعض المفاهيم بل كانت بعض المقابلات قريبة من ثقافة القارئ المسيحية.

- رغم اعتماد المترجم على النصوص الموازية من هوامش و مقدمة و المعجم لاحظنا أنه أحيانا لم يستغلها جيدا و لم يحدد مفهوم المصطلح الاسلامي بدقة بل كانت أحيانا غامضة مثل تعريف مصطلح "الله" الذي هو أساس عقيدة الإسلام و التعبير الاصطلاحي "صبغة الله" الذي ربطه بعقيدة التعميد في المسيحية من خلال الشرح في الحاشية. لذلك أردنا تسليط الضوء على أهمية النصوص الموازية لأنها تعتبر سلاحا ذا حدين قد تساهم في توضيح مفهوم المصطلح للقارئ من جهة، و قد تقدم قراءة أخرى للمصطلح من جهة أخرى.

- توضح لنا من خلال هذا الاستبيان وعي طلبة و أساتذة الترجمة بالمسائل المتعلقة بالترجمة الدينية و أبدوا اهتمامهم بموضوع ترجمة المصطلحات الاسلامية في ترجمات معاني القرآن الكريم. لكنهم غير واعين بالقدر الكافي بالمسائل المتعلقة بالمصطلح وترجمته. و نفس الشيء فيما يخص مفهوم الاستشراق للأسف. لذلك نشدد على تخصيص مقياس للاستشراق و علم المصطلح و ترجمة المصطلحات الاسلامية إلى اللغات الأخرى في البرنامج الجامعي في تكوين المتخصصين في العلوم الاسلامية خاصة الأئمة الذين سيعملون في دول أجنبية.

-موضوع الدراسة يندرج ضمن الدراسات البينية التي تشير إلى التكامل المعرفي بين التخصصات وتقاطعها، حيث يجمع بين علم المصطلح والترجمة و الاستشراق و العلوم الاسلامية. حيث يمكن الاستعانة بأدوات و مناهج من تخصصات مختلفة لخدمة تخصص معين و قد يساهم في تطوير ذلك التخصص و قد ينتج عنه تخصص جديد. وتعد الترجمة أرضية خصبة لمثل هذه الدراسات لأنها بطبيعتها تشمل كل التخصصات و هذا ما نشهده حاليا من خلال استغلال العلوم الحاسوبية في المجالات اللغوية فنتج عنه ما يسمى بالترجمة الآلية و النظريات الترجمية التي تدرس كيفية اشتغال دماغ المترجم أثناء الترجمة و محاولة محاكاته بالاستعانة بالعلوم الطبية المتخصصة في هذا المجال. والعلوم الاسلامية كذلك تمثل أرضية خصبة للدراسات البينية لأنها كذلك ترتبط بكل المجالات فالدارس للعلوم الاسلامية عليه الاحاطة بكل التخصصات لتكون لديه ثقافة موسوعية ولمواكبة التطور الهائل الذي يشهده عصرنا الحالي.

الخاتمة:

لقد اطلعنا على النتائج التي أفضت إليها الدراسة الميدانية من خلال الاستبيان الذي عرضناه على طلبة العلوم الاسلامية. بحيث لمسنا اهتمامهم بموضوع ترجمة المصطلحات الاسلامية في ترجمة معاني القرآن الكريم، ووعيهم بالقضايا المتعلقة بالترجمة الدينية بصفة عامة. و ليس الغرض من هذه الدراسة التحدث بلغة الأرقام لأنها ليست من اختصاصنا، و لكنها تمثل مبادرة للوقوف ميدانيا على واقع الترجمة الدينية من جهة، و من جهة أخرى حتى تتخذ دراستنا أكثر موضوعية. و في الأخير يبقى من الصعب محاكاة الأسلوب الرباني المعجز للنص القرآني خلال ترجمة معانيه لأنها تبقى مجهودا بشريا محكوم عليه بالتقصير و يبقى الكمال لله عز وجل. لكن هذا لا يعني أن نبقى مكتوفي الأيدي بل نتحمل مسؤولية نشر هذا الدين و تعاليمه السمحاء وصد الباب أمام الصور النمطية التي يسعى الآخر لترسيخها في ذهن المتلقي خاصة لكوننا مترجمين. و إذا قلنا إن المصطلحات هي مفاتيح العلوم فالمصطلحات الدينية هي بمثابة مفتاح الدين. و يجب توفير ترجمات لمعاني القرآن الكريم ينجزها عرب و معاجم وقواميس دينية ليستعين بها من سيعتنقون الإسلام. وذلك من خلال انشاء مخابر متعددة التخصصات على مستوى الجامعات لتتضافر جهود المتخصصين في مختلف المجالات كالترجمة و العلوم الإسلامية.

قائمة المصادروالمراجع:

العربية:

القرآن الكريم.

الأجنبية:

-Cortés Julio (2005), El Corán, Herder Editorial, S. L., 9 edición, Barcelona.

التعليم المستمر في ضوء الكتاب والسنة النبوية: رؤية مستقبلية

الدكتورة خديجة إسماعيل بشير عثمان

جامعة القصيم- كلية العلوم والآداب بالأسياح

المملكة العربية السعودية

fraslmhmwd50@gmail.com

ملخص الدراسة:

جاءت هذه الدراسة بعنوان" التعليم المستمر في ضوء الكتاب والسنة النبوية " الى الوصول الى رؤية مستقبلية وتحديد أهدافها وخصائصه واستنباطها من مصادر التشريع الاسلامي المختلفة، واتبعت الباحثة المنهج التحليلي الاستقرائي من خلال تحليل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمأثور من أقوال الصحابة والتابعين، وجاءت الأهمية بأن التعليم المستمر يمثل استجابة لمتطلبات المجتمع ؛لضرورة التصدي للتطورات العالمية ومواجهة التغيرات المستمرة إذ لا توجد حقيقة مطلقة بل تتجدد بتقدم الحياة وكل ذلك يصب في خدمة الفرد والمجتمع ، أتبعت الباحثة في دراسته المنهج التحليلي الاستقرائي حيث يتم تتبع النصوص الواردة في القرآن والسنة النبوية وتحليلها للوصول الى دلالات واضحة ذات صلة بموضوع الدراسة ، وخطة البحث تتكون من تمهيد يتحدث عن مفهوم الدراسة و ثلاثة مباحث تحتها مطالب ، المبحث الأول بعنوان فضل العلم وخصائص التعليم المستمر وأنماطه ، المبحث الثاني التعليم المستمر من خلال القران الكريم ،والمبحث الثالث التعليم المستمر من خلال السنة النبوية ، والنتائج المتوقعة كانت كالآتي:

1) تختلف مسميات التعليم المستمر ، فهناك من يطلق مصطلح (التعليم المستمر)، ومنهم من يطلق مصطلح (التربية المستمرة)، وآخرون يطلقون مصطلح (التربية مدى الحياة)، ومع اختلاف المصطلحات فقد وجد الباحث أن التعاريف متقاربة، والمفاهيم متشابهة. 2) أسمى أهداف التعليم المستمر في منظور الشرع هو الإيمان بالله، وتحقيق العبودية له، وتعمير هذا الكون، والتفاعل مع متغيرات العصر. 3) يتسم التعليم المستمر في الشرع بشموليته لكل مراحل العمر، وكذلك شموليته للذكر والأنثى، والكبير والصغير، والغني والفقير.. 4) يتميز التعليم المستمر بالمرونة، والانفتاح على كل علم ومعرفة ينتفع منها الإنسان، مهما كان نوعها أو مصدرها، شريطة أن تكون تلك المعرفة محققة لما جاء في الشرع.5) يتميز التعليم المستمر

بالإثراء المعرفي الذي يتزايد مع مرور الأيام وتسارع الخطى 6) ويتميز أيضاً بالإشباع الذاتي وذلك بما يمكّن الفرد من القدرة على التكيف مع مستجدات الحياة في الظروف المختلفة وانطلاقا من تلك النتائج السابقة فقد توصل الباحث إلى عدد من التوصيات، من أهمها: 1) نشر ثقافة التعليم المستمر عبر وسائط التربية والتعليم المختلفة، كالمدرسة، والجامعة، والمجتمع، والإعلام، والمسجد.. 2) ترغيب الأفراد في التعليم المستمر بكل وسائل المثوبة والتحفيز المادي والمعنوي التي تقدمها الدولة للأفراد، من أجل استمرار تطوير قدراتهم مدى الحياة. 3) تحقيق القدوة في التعليم المستمر على مستوى الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع، حيث يتمثل الآباء والمعلمون وأساتذة الجامعات أمام الأجيال بطلب العلم دون انقطاع أو توقف. 4) إلغاء شرط الجامعات بتحديد العمر للطلاب الراغبين في استمرار تعليمهم، وكذلك إلغاء شرط تاريخ الحصول على الشهادة الثانوية، فكثير من خريجي التعليم الثانوي مضى على تخرجهم أكثر من عشر سنوات، وترفض الجامعات قبولهم في برامج الانتساب التي تعد من أنواع التعليم المستمر، فيتوقفون عن تطوير قدراتهم ،5) دعوة موجهة لجميع مؤسسات المجتمع التربوية والتعليمية الى تضمين برامجها موجهات تخدم التعليم المستمر مدى الحياة لتحقيق التنمية المستدامة.6) دعم مؤسسات إنتاج المعرفة ووحداتها من خلال تحفيز البحث العلمي، ومجالات الإبداع والتميز، و زيلت الباحثة البحث بالمصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية: التعليم المستمر ـ الكتاب والسنة ـ المستقبل ـ التربية

Continuing education in light of the Qur'an and the Sunnah of the Prophet: a future vision

Abstract:

The study of continuing education in the study and the Sunnah of the Prophet to a future vision and identifying its objectives and deducing them from the various sources of Islamic legislation, and the researcher followed the descriptive analytical approach analyzing the Qur'anic verses, the hadiths of the Prophet, the sayings and the press, and the importance came that education while looking at the introduction and its characteristics and patterns, the second topic is continuing education from Through the Holy Qur'an, and the third topic is continuous education through the Prophet's Sunnah, and the results were as follows:

(-1The names of continuing education differ, as there are those who use the term (continuing education), and some of them call the term (continuing education), and others call the term (lifelong education), and with the different terminology, the researcher found that the

definitions are close, and the concepts are similar.- 2) The highest goals of continuing education in the perspective of Sharia is faith in God, achieving servitude to Him, reconstructing this universe, and interacting with the changes of the age.- 3) Continuing education in Sharia is characterized by its comprehensiveness for all stages of life, as well as its inclusiveness for male and female, the old and the young, the rich and the poor. Knowledge fulfills what was stated in the Sharia and based on these previous results, the researcher reached a number of recommendations, the most important of which are: 1) Spreading the culture of continuous education through the various means of education, such as school, university, society, media, and the mosque.. 2) Encouraging individuals to participate in Continuous education by all means of material and moral reward and stimulation provided by the state to individuals, in order to continue developing their abilities for life. 3) Achieving an example in continuing education at the level of the family, school, university and society, where parents, teachers and university professors are before generations to seek knowledge without interruption or interruption. 4) Cancellation of the universities' requirement of specifying the age for students wishing to continue their education, as well as the cancellation of the requirement of the date of obtaining the secondary certificate, as many secondary education graduates have passed their graduation for more than ten years, and universities refuse to accept them in affiliation programs that are considered a type of continuing education, so they stop attending develop their abilities,An invitation to all educational and educational institutions of society to include in their programs the directives of continuing education and continuing education in continuing education.،Establish production institutions and their units by stimulating scientific research, creativity and excellence،The researcher concluded the search with sources and references.

Keyswords: Continuing education - Quran and Sunnah - future - education

المقدمة :

بسم الله والحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم وأصلي وأسلم على خير من تعلم وعمل وعلم سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم وبعد:

فان دراسة الفكر التربوي بأصوله وتاريخه يعد ضرورة لا غنى عنها ، وتزداد الحاجة اليه في ضوء ما يواجه العالم المعاصر من تحديات لها انعكاستها على العالم الإسلامي ويعد الفكر التربوي أحد الجوانب الضرورية ، لما لها من تأثير على توجيه حركة التربية الإسلامية ومساراتها الناتجة منها ومتسقة معها .

الأمة الإسلامية في واقعها الملموس في أشد الحوجة الى العودة الى الأصول ودراسة كتب التراث وعلى وجه الخصوص كتب التربية على ما فيها من أفكار تربوية تخدم الأمة .

إنّ التعليم المستمر هو السبيل إلى التنمية الذاتية وهو طريق المستقبل للمجتمعات. فهو يطلق العنان لشتى الفرص ويحدّ من أوجه اللاّ مساواة. وهو حجر الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات المستنيرة والمتسامِحة والمحرك الرئيسي للتنمية المستدامة .

أسئلة الدراسة:

1- ما مفهوم التعليم المستمر؟
2- ما التأصيل للتعليم المستمر في القرآن الكريم ؟
3- ما التأصيل للتعليم المستمر في السنة النبوية؟
4- هل التعليم المستمر يساعد في الإثراء المعرفي لدى الإنسان على امتداد حياته؟
5- هل يحقق ديمقراطية التعليم للجميع ؟
6- هل يعمل التعليم المستمر على تعزيز التعلم الذاتي ؟

1- أهداف الدراسة : تهدف الدراسة إلى :

2- بيان مفهوم التعليم المستمر.

3- توضيح الأدلة والنصوص من خلال القرآن الكريم .

4- توضيح الأدلة والنصوص من خلال السنة النبوية .

5- ابراز الإثراء المعلوماتي والمعرفي للإنسان على طول حياته .

6- تحقيق ديمقراطية التعليم للجميع وفق الإمكانيات والطموح.

7- تعزيز التعلم الذاتي على مستوى الفرد والجماعة .

أهمية الدراسة :

تظهر أهمية الدراسة في الإشارة إلى أهمية التعليم المستمر و إلى بيان عناية القرآن والسنة النبوية بهذا المعنى ليكون ذلك مدعاة إلى زيادة الاهتمام به لسد حاجة الأفراد والمجتمعات من المعرفة ومواكبة التطورات .

من الدراسات السابقة :

1-رؤية تربوية مقترحة لتطوير برنامج تعليم الكبار والتعليم المستمر ، د.عارف محمد علي مصلح محي الدين ، كلية التربية جامعة(إب) ،هدف هذه الدراسة تقديم رؤية مقترحة لفتح دبلوم تأهيلي لمعلمي محو الأمية وتعليم الكبار لتأهيل المعلم في كافة التخصصات بما يتلاءم مع سوق العمل والمستجدات التربوية .

2- رؤية مستقبلية لتطوير نظام تعليم الكبار والتعليم المستمر في السعودية في ضوء خبرة كندا ،إعداد الأستاذة /منيرة بنت مسفر الحصف والاستاذة هيفاء بنت فهد مبيريك ، جامعة الملك سعود بالسعودية هدفت الدراسة الى التعرف على واقع تعليم الكبار في كندا كنموذج مثالي متطور وسعت أيضا للكشف عن

الخبرات الناجحة في مجال تعليم الكبار في السعودية، استخدم المنهج الوصفي المقارن للتعرف على واقع تعليم الكبار والتعليم المستمر في كل من كندا والمملكة العربية السعودية .

3- صيغة مقترحة لتفعيل التعليم المستمر مدى الحياة كأحد متطلبات مجتمع المعرفة، اعداد الدكتور محمد ماهر محمود ،كلية التربية جامعة بورسعيد مصر، هدفت الدراسة لإقتراح اليآت لتطبيق جامعة العمر الثالث لتفعيل التعليم المستمر مدى الحياة كأحد متطلبات مجتمع المعرفة .

وجه الشبه بين هذه الدراسات ودراستي بأنها جميعها تسعى لتفعيل وتطوير التعليم المستمر، أم وجه الاختلاف دراستي تحدثت من الناحية التأصيلية من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية .

منهج الدراسة :

أتبع الباحث في دراسته المنهج التحليلي الاستقرائي حيث يتم تتبع النصوص الواردة في القرآن والسنة النبوية وتحليلها للوصول الى دلالات واضحة ذات صلة بموضوع الدراسة .

حدود الدراسة :

تركز الدراسة على بيان التأصيل في القرآن والسنة النبوية من خلال النصوص الواردة في هذا المفهوم.

خطة الدراسة :

تشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث تحتها مطالب وخاتمة وفهرس مصادر ومراجع ، بالتفصيل كالآتي:

المقدمة وتشمل مشكلة البحث ، وأهدافه وأهميته ، ومنهج الدراسة وحدودها.

المبحث الأول : فضل العلم وخصائص التعليم المستمر وأنماطه تحته ثلاثة مطالب.
المطلب الأول : فضل العلم وأهميته.
المطلب الثاني : خصائص التعليم المستمر.
المطلب الثالث : أنماط التعليم المستمر.
المبحث الثاني : التعليم المستمر في القرآن الكريم.

المبحث الثالث : التعليم المستمر في السنة النبوية.

خاتمة : تحتوي على نتائج وأهم التوصيات.

التمهيد: مفهوم التعليم المستمر.

1 - التَّعَلُّمُ لُغَةً: مَصْدَرُ تَعَلَّمَ. وَالتَّعَلُّمُ مُطَاوِعُ التَّعْلِيمِ، يُقَال: عَلَّمْتُهُ الْعِلْمَ فَتَعَلَّمَهُ. وَالتَّعْلِيمُ مَصْدَرُ عَلَّمَ: يُقَال: عَلَّمَهُ إِذَا عَرَّفَهُ، وَعَلَّمَهُ وَأَعْلَمَهُ إِيَّاهُ فَتَعَلَّمَهُ، وَعَلِمَ الأْمْرَ وَتَعَلَّمَهُ: أَتْقَنَهُ. وَالْعِلْمُ نَقِيضُ الْجَهْل.

وَالْعِلْمُ أَيْضًا: هُوَ اعْتِقَادُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ عَلَى سَبِيل الثِّقَةِ. وَجَاءَ بِمَعْنَى: الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا . قَال الرَّاغِبُ: التَّعْلِيمُ وَالإْعْلاَمُ فِي الأْصْل وَاحِدٌ، إِلاَّ أَنَّ الإْعْلاَمَ اخْتَصَّ بِمَا كَانَ بِإِخْبَارٍ سَرِيعٍ، وَالتَّعْلِيمُ اخْتَصَّ بِمَا يَكُونُ بِتَكْرِيرٍ وَتَكْثِيرٍ، حَتَّى يَحْصُل مِنْهُ أَثَرٌ فِي نَفْسِ الْمُتَعَلِّمِ. رُبَّمَا اسْتُعْمِل التَّعْلِيمُ بِمَعْنَى الإْعْلاَمِ إِذَا كَانَ فِيهِ تَكْرِيرٌ نَحْوُ ﴿أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ . وَلاَ يَخْرُجُ الْمَعْنَى الاِصْطِلاَحِيُّ لِلتَّعْلِيمِ عَمَّا ذُكِرَ.(1)

المستمر لغة :

لم يتوقف أو ينقطع(2)

• استمرَّ الشَّيءُ أو الشَّخصُ: مضى على طريقة واحدة، دام وثبت، بقي ستمرَّ على الشَّيء: مضَى به(3)

معنى التعليم المستمر:

يقصد بالتعليم المستمر، ذلك النوع من التعليم الذي يهدف إلى مساعدة الفرد في مواجهة المتغيرات الحضارية .الإجتماعية والتقنية .سواء في مجال العمل أو المجتمع، تحقيقاً للتكامل والترابط بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها، وصولاً إلى النهوض بها عن طريق حشد الطاقات البشرية وإنمائها، وحشد طاقات البيئة والاستفادة منها وذلك طبقا لخطط وإجراءات تنظيمية، تقوم بدور الوسيط بين هذه الطاقات كمدخلات، وبين المخرجات المستهدفة كنتائج متوخاة.(4)

1- د. أحمد مختار عبد الحميد عمر ،معجم اللغة العربية المعاصرة (المتوفى: 1424هـ) 2085/3

2- رينهارت بيتر آن دُوزِي تكملة المعاجم العربية (المتوفى: 1300هـ) 72/10

4- الراوي. مسارع، التكامل بين مجالات محو الأمية والتعليم النظامي في إطار التعليم المستمر مدى الحياة، مؤتمر بغداد لمحو الأمية الإلزامي،1976، ص 262.

ويأخذ التعليم المستمر عند بعض المفكرين معنى التدريب من أجل التغيير، وتعزيز التعلم الذاتي على مستوى كل من الفرد والجماعة، ولا يعني وصفه بمستمر، أنه ليس له حد يقف عنده، فهو قد يتوقف، ولكنه لا يلبث حتى يبدأ مجددا نظراً لحاجة تطرأ، سواء أكانت ممثلة في ظروف البيئة والمجتمع أم مستجدات الحضارة، لاسيما التقنيات التي يتوصل إليها العقل البشري من حين لآخر، مما يستدعي استمرار التدريب والتعايش معها، كي لا تستبد بالمجتمع الحاجة ولكي يتمكن من مواكبة العصر.(1)

1- بيتر فورتر، المخطط والتعليم مدى الحياة، ترجمة ك. بطوورس، مجلة التربية الجديدة. العدد 15 سنة 1987، ص 129. 130.

المبحث الأول : فضل العلم وخصائص التعليم المستمر و أنماطه وفيه مطلبان

المطلب الأول: فضل العلم

أولاً: معرفة الله وخشيته

طلب العلم والسعي للاستزادة منه هو بابٌ لمعرفة الله وخشيته، فلا سبيل لمعرفة الله ومراده ودلالات كتابه وسنّة نبيه إلّا بالعلم، ولا بدَّ للمسلم أن يستزيد من علمه؛ لأنّ العلم مع العمل يزيد الإيمان ويزيد اليقين، كما أنه السبيل الوحيد لمعرفة صلاح العمل وفساده(1) ومن ذلك كان العلماء هم أكثر النّاس خشية لله؛ لكثرة علمهم، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾،(2) ودلّ ذلك على: "إنما يخشاه حق خشيته العلماءُ العارفون به؛ لأنّه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر"، وقال سعيد بن جبير: "الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عزّ وجلّ"، فعلم العالم يمنعه من معصية الله عزّ وجلّ؛ لمعرفته بالله حقّ المعرفة.(3)

ثانياً: طلبُ العلم فريضةٌ

على المسلم أن يحرص على طلب العلم، ويستزيد منه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا قال رسول الله: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، ....) (4) أن طلب بعض العلوم واجب؛ لحاجة المسلم إليها في عبادته لله تعالى، ومعاملاته مع غيره من النّاس، ولأن الله عزَّ و جلَّ حكم ببقاء شريعته إلى يوم القيامة، دليل لذلك اقتضى على المسلم أن يحرص على تعلّم أمور دينه، وقيل: إن طلب العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم، ومعنى ذلك أن المسلم يجب أن يعلم ما يتعلّق بأفعاله. قال محمد بن الحسن الشيباني: "إنّ مَا يحْتَاج الْمَرْء فِي الْحَال لأَدَاء

1-مجموعة من المؤلفين، كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية، صفحة 343. بتصرّف.

2-فاطر (28)

3- مجموعة من المؤلفين، أرشيف ملتقى أهل التفسير، صفحة 12. بتصرّف.

4- ابن ماجه 81/1 ح224

مَا لزمَه يفترض عَلَيْهِ عينًا علمه، كالطهارة لأَدَاء الصَّلَاة، فَإِن أَرَادَ التِّجَارَة يفترض عَلَيْهِ تعلّم مَا يحرز بِهِ عَن الرِّبَا والعقود الْفَاسِدَة والى اخره.....(1)

ثالثاً: تطور الأمّة ورفع الجهل عنها

إنّ أعظم دعامةٍ للأمم هي العلم، فعندما اهتمَّ المسلمون الأوائل بالعلم سادوا الأمم، فلا بدّ لتطور الأمة أن تولي العلم كلّ الاهتمام.(2) ومما يدل على أهمية العلم والعلماء ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتَّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا).(3) وهنا تكون أهمية تعلّم العلم الشرعي؛ فبِه يزول الجهل، وبالابتعاد عنه يسود الجهل والضلال والابتعاد عن الحق، لذلك يجب أن يحرص المسلم على تعلّم أمور دينه؛ لأنّ خطورة الجهل تكمن في أن اجاهل يستكبر عن سماع الحقّ، ويستثقله فيبتعد عن الحق.(4)

رابعاً: الوصول إلى رضا الله ودخول الجنة

إن غاية المسلم في الدنيا هي رضا الله ودخول جنته، والطريق لذلك يكون بطلب العلم، وإنّ الله سبحانه وتعالى يرفع مقام الذين أوتوا العلم، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.(5) وقال تعالى " قل هل يستوي..." و جاء في الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: («مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي

1 - محمد بن حسن الشيباني ، الكسب، صفحة 66. بتصرّف.

2- راغب السرجاني، كيف أصبح عالما، صفحة 1. بتصرّف.

3- البخاري 31/1ح100

4- حمود الزحيلي، المنهج الصحيح و أثره بالدعوة إلى الله، صفحة 176. بتصرّف.

5- المجادلة (11)

السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(1) فيُجازي الله طالب العلم بتمهيد طريقه للجنة، وذلك بتسهيل سبيل الهداية والطاعة الموصلة إلى الجنة.(2)

خامساً: محاربة الأفكار الهدّامة والغلو في الدين

العلم مفتاحٌ لكلِّ خير، به يُعرف الحقُّ من الباطل، وهو وسيلةٌ لأداء ما أوجب الله و ترك ما حرّم، وبه تصحّحُ المفاهيم، وبه يُعبد الله، ويُنشرُ دينه، وتُحاربُ الأفكار الهدّامة والدعواتُ المضلّلة والأنشطة المنحرفة فكل دعوة باطلة، وكل فكرة منحرفة إنما تنتشر وتجد مؤيدين لها في المجتمعات التي انتشر فيها الجهل وغاب العلم، فإن قام بينهم عالمًا بدينه مخلصًا نيته لله، سيكون أثره واضحًا، وسينتشر نور الحقيقة بين عباده بإذن الله تعالى.(3) (" إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، ... "(4) (فسدّدوا) بالمهملة من السداد وهو التوسط في العمل أي الزموا السداد من غير إفراط ولا تفريط (وقاربوا) في العبادة وهو بالموحدة أي إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه (وأبشروا) بقطع الهمزة من الإبشار، وفي لغة بضم الشين من البشرى بمعنى الإبشار أي أبشروا بالثواب على العمل(5).

1- أبو داود 317/3 ح3641

2-الطوفي، التعيين في شرح الأربعين، صفحة 310. بتصرّف.

3- محاضرة ألقاها سماحة الشيخ في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في شهر ربيع الثاني عام 1402هـ (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز: 4/ 59)

4- البخاري 16/1ح39

5- القسطلاني ، ارشاد الساري124/1

سادساً: الدعوة إلى الله:

إنَّ آثارِ العِلْمِ عَلَى الدَّعوةِ إلى اللهِ نَافعةٌ حميدةٌ؛ مِثْلما هُو الغيثُ المباركُ يَعُمُّ نَفْعُهُ البلادَ والعبادَ؛ كما قَالَ النَّبيُّ - صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ - : ((مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا...))(1).

والعِلمُ صِمامُ أَمانٍ -بإذنِ اللهِ- للدَّعوةِ إلى اللهِ مِنْ وقوعِ الفسادِ فِيها، وجَريانِ الانحرافِ والضَّلالِ عَليها؛ كَمَا قال تعالى في شأنِ مَنْ يَتَّبعونَ الهوى المصادمَ للعلمِ :﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: 119]، وقَال تعالى :﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾]الروم: 29.

وأيضا العِلمُ عِصمةٌ للدَّعوةِ مِنَ الوقوعِ في الزَّيغِ والفتنةِ؛ كَمَا قال تعالى

:﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾ (2)(3)

أعلى مراتب الأخلاق طلب العلم، وتأتي أهميته الكبيرة لأنّه شرط لقبول العمل، لأنّ العلم مصححٌ للنّية المصحّحة للعمل، قال سبحانه في كتابه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾(4)فقدّم سبحانه العلم أولًا (فاعلم أنّه لا إله الله)، ثمّ العمل، ثم أعقبه (واستغفر لذنبك)، فدلَّ ذلك على أنّ العلم مقدمٌ على العمل. وللعالم مقام ممدوح في كتاب الله لا وجه

1- البخاري 42/1/ح79).

2-" مجموع الفتاوى.(17/136) :"

3- آل عمران: 7.

4- محمد (19)

لمقارنته بمن دعا إلى الله بلا علم ولا بينة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾،(1) وليكون الداعية مؤثرًا ومقنعًا فلا بد أن يكون عالمًا ومتعمقًا بكل ما يدعو إليه من علوم الدين وعلوم الدنيا.[١٣] قال الله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾،(2) وجدير بالذكر أن العلم الشرعي تعلمًا وتعليمًا له أهميتة خاصة لتعلقه بعبادات المسلم وعلاقته مع ربه، قال صلى الله عليه وسلم: (مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ).[١٦](3) كل هذه الفضائل والأهمية تدل على الاستزادة من العلم والاستمرار في طلبه.

المطلب الثاني : خصائص التعليم المستمر و أنواعه. وفيه فرعان

الفرع الأول :خصائص التعليم المستمر.

أهم خصائص يمتاز بها التعليم المستمر، وهي:

1. الكلية والشمولية :وتشمل: جميع المراحل ، وتعني توفير جميع أساليب التعليم والتربية المختلفة، من اجل الوصول الى فكرة التربية المستدامة.

2. التكامل : وذلك حيث تتضافر فيه أنظمة التعليم المختلفة وحيث تشترك فيه المؤسسات التربوية المختلفة من البيت إلى المدرسة إلى المجتمع المحلي وغيرها.

3. المرونة : وذلك حيث إن التعليم المستمر يتيح الفرصة لـ:تلقي المواد التعليمية المناسبة للحاجات المتغيرة باستمرار، استخدام الأنماط البديلة للتعليم التقليدية، تعدد أنماط محتويات التعليم وأدواته ووسائل تقويمه وتوقيته، تغير نمط حياة الفرد ومستواها من خلال عمليات التعليم الجديدة بعد فترة التعليم التقليدي.

1- الزمر (9)

2- النحل (125)

3- سعيد بن وهف القحطاني، الخلق الحسن في ضوء الكتاب و السنة، صفحة 57. بتصرّف.

4. الديمقراطية (ديمقراطية التعليم) : وذلك من حيث إن التعليم المستمر يمكّن جميع الناس من الاستفادة من فرص التعليم، بغض النظر عن مستوياتهم وظروفهم.

5. الإشباع الذاتي (رضا النفس) :وذلك بما يمكّن الفرد من القدرة على التكيف مع مستجدات الحياة في الظروف المختلفة وعلى الإفادة العملية من القدرات الإبداعية، مما يسهم في تحقيق الذات، ويمكّن الفرد من تطوير خصوصياته والإبراز عن المواهب التي يؤنسها في نفسه، مما يجهله الآخرون ولم تتمكن المدرسة من اكتشافها وتنميتها.(1)

6. من خصائص التعليم المستمر الإثراء المعرفي الذي يتزايد مع مرور الأيام وتسارع الخطى في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وعالم التقنية على حد سواء .

الفرع الثاني :أنماط التعليم المستمر.

إن التعليم التقليدي (أو النظامي أو الشكلي أو المدرسي أو الرسمي) يعتبر أحد أشكال التعليم المستمر، ولكن أبرز أشكاله هو التعليم غير النظامي ، ويقصد به ما يقدم للكبار من البرامج والمساقات التي توازي في طبيعتها ما يقدم للدارسين في المراحل النظامية المختلفة، من ابتدائية فإعدادية وثانوية فجامعية، ومن مؤسسات هذا النمط مراكز محو الأمية والمدارس الشعبية والجامعات المفتوحة.

وينضوي تحت التعليم النظامي مهمات التدريب التي تنظمها المؤسسات السالفة الذكر، كتأهيل المدرسين أثناء الخدمة، وتدريب المهنيين كالأطباء، والمهندسين، والفنيين في المجالآت المختلفة.

ومن أنماط التعليم المستمر ، ما يمكن أن نسميه التعليم الحر غير المحدود بشكل أو إطار، وهو ضرب من التعليم يكتسب بالتجربة ومعاركة الحياة كجزء منها، ومن مؤسسات هذا النمط، المكتبات والمساجد

1- خوري، أنطوان. التربية المستمرة، مجلة التربية الجديدة، العدد4، بيروت سنة 1974، ص58. من كتاب م/ فاطمة عبد العباس مهدي / كلية التربية ، الجامعة المستنصرية بغداد ص4

والنوادي ووسائل الاتصال الجماهيري والمواقع الأثرية وغير ذلك مما يمكن أن نطلق عليه اسم الثقافة العامة، ويمكن إجمال أبرز أنماط التعليم المستمر السائدة في ما يلي:

1. دورات التأهيل والتدريب، سواء أكانت أثناء مراحل (نظامية أو غير ذلك) أو كانت عقبها أثناء الخدمة.
2. التعليم المفتوح أو التعليم عن بعد، ومن أنماطه.

ـ الجامعة التلفزيونية، كتلك التي في الصين، وجامعة انديرا غاندي في الهند اعتبارا من سنة 1984.

ـ الجامعة المفتوحة، كالجامعة العربية المفتوحة بالسعودية وجامعة القدس المفتوحة، والجامعة البريطانية وجامعة العلّامة محمد إقبال في الباكستان، وجامعة تايلاند.

ـ التعليم بالمراسلة، كما هي الحال في بعض الجامعات البريطانية، والتعليم بالانتساب، كالجامعات السعودية الحكومية وجامعة بيروت العربية، وبالانتساب الموجه كما هي الحال في جامعة الإمارات العربية المتحدة.

. الجامعة (بلا جدران) وتتمثل في التجربة التي قام بها عام 1971 معلمون من اتحاد الجامعات التجريبية .

3. المدارس الليلية وبرامج محو الأمية وتعليم الكبار.(1)

1- جبر، يحيى. الترجمة والتعريب ضرورة قومية ملحة، مجلة التعريب، العدد الخامس، دمشق 1993، ص30، عن إسحق الفرحان.

المبحث الثاني: التعليم المستمر في القرآن الكريم

ان نزول القرآن مفرقاً يؤكد مبدأ التعليم المستمر وحسن الفهم والاستيعاب قال تعالى {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} (1)فهو ما يزال يتنزَّل بمعانيه مفرقاً على مكوث عمر أمّة الإسلام بحركة تنزيل مستمر. وهذه دلالة التفريق والإستمرار والتنزيل هو منهجيَّة اتصال القرآن بالواقع بعد اكتمال النزول (2)فمن مقاصد نزول القرآن مفرقاً مسايرة الحوادث المستجدة والنوازل الواقعة، فقد كان القرآن ينزل على الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمواكبة الوقائع الجديدة وبيان أحكامها قال تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ» (3) منوهًا بأن كثيرًا من الآيات القرآنية نزلت على سبب أو أكثر ، نزول القرآن مفرقاً توجيها واضحاً وهدف من أهداف التعليم المستمر هو الإهتمام بالنوعية والكيفية التي تثبت بها المعلومات في العقول لا مجرد الجمع المعرفي لكمية المعلومات ، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم الهدف من استمرار التعلم حثه المسلمين على قراءة القرآن ومدارسته وفهمه قال صلى الله عليه وسلم (وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده) (4) أن الإجتماع يكون على القراءة، ولعل المعنى أوسع من ذلك، والله تعالى أعلم، إذ يدخل فيه الإجتماع على القراءة من باب التعليم، كما يدخل فيه أيضًا الإجتماع على المدارسة؛ لتفهم معانيه وتدبره وتعقله واستخراج هداياته وأحكامه وكنوزه ومعارفه، فإن هذا من مدارسة القرآن، بل هو من أجل مدارسته وأعظمها، والقرآن إنما أنزله الله لا لمجرد التلاوة، كما هو معلوم، وإنما من أجل لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ، هذا الحديث: استحباب الإجتماع على القراءة لما فيه

1-الإسراء: 106

2- الباحث محمد النوباني/https://islamonline.net

3- النحل: 89

4/ - مسلم 3074/4 ح38

من تعظيم القرآن، وإظهار شعاره بتكثير مجالسه، وخصوصًا المساجد، لأنها أفضل المواضع وأشرفها وهذه دلالة واضحة لاستمرارية التعليم.(1)

ومن النصوص القرآنية التي تشير إلى مبدأ التعليم المستمر قوله تعالى (وقل ربي زدني علما)(2) أي أمر ربنا عز وجل نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يسأله الزيادة في العلم، والأمر لنبيّنا هو أمر لنا كذلك؛ فإن الخطاب وُجّه إليه صلى الله عليه وسلم لأنه هو القدوة والأسوة للأمة بأكملها، ومعلوم أن الخطاب للقدوة خطاب لأتباعه من حيث الأصل(3)، إلا ما خصّه الدليل به دون غيره .

فقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وقل يا محمد: ربِّ زدني علماً إلى ما علمتني، أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم(4).

فأمره تعالى بزيادة في العلم، وأهمّها علم كتابه الكريم؛ فإنه الموصل إلى الترقّي في العلوم والمعارف والمنافع في الدنيا والآخرة، و لم يأمره سبحانه وتعالى بطلب الزيادة في الشيء إلا في العلم دلالة واضحة على فضيلة العلم، وأنه أفضل الأعمال، ((فلم يزل صلى الله عليه وسلم في الزيادة والترقي في العلم حتى توفّاه اللّه تعالى))(5).

وهذا المطلب كان من مطالب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فكان من دعاء عبداللّه بن مسعود رضى الله عنه : ((اللَّهُمَّ زِدْنِي إِيمَانًا وَيَقِينًا وَفَهْمًا, أَوْ قَالَ: وَعِلْمًا))(6) . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الزيادة في

1- تطريز رياض الصالحين للنجدي 599/1

2- طه،: 114.

3- قواعد التفسير، 2/ 579.

4- تفسير الطبري، 5/ 325.

5- تفسير ابن كثير، 3/ 230.

6- الطبراني في المعجم الكبير، 9/ 105/ ح8549، والبيهقي في شعب الإيمان، 1/ 149 ح45

العلم باستمرار ويدعو (اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال) (1) وهذا تعليم للنبي لأمته عامة ولأهل العلم خاصة أن يطلبوا دائماً زيادة العلم وبذلك يكون النصي القرآني في قوله (ربي زدني علماً) مؤكد بالحديث الشريف (وزدني علماً) إشارة واضحة لمبدأ التعليم المستمر ودعوة للاستزادة من العلم والمعرفة وتراكمها حتى روي عنه قوله ': (اذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم) (2).ولأهمية التعليم المستمر كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الدعاة للذين يدخلون الإسلام لتعليمهم القرآن حفظاً وتلاوة واقتداء بسنة الخلفاء الراشدون ومن بعدهم يرسلون الدعاة لتعليم القرآن، أول من سن التعليم ، ومنذ ذلك العهد وتعليم العلم مستمر وخاصة القرآن .

وقد كرم القرآن الإنسان بالعلم والتعلم المستمر وكان أول مستقبل لهذا العلم الرباني هو أبو البشر سيدنا أدم عليه السلام (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ33) .

ومن تكريمه عز وجل للإنسان عامة والمسلمين خاصة تعليمهم القرآن قال تعالى: (آلرَّحْمَٰنُ خَلَقَ الْإِنْسانَ.عَلَّمَهُ الْبَيانَ)(3) ، وأكد القرآن اهتمامه بالعلم وذلك بكثرت ورود كلمة العلم نكره ومعرفة وذلك دلالة لا نهاية للعلم مما يستدعي التعليم المستمر مدى الحياة ،عدد المرات التي جاءت فيها كلمة (العلم)

1-سنن الترمذي ،578/5 ح3599.

2- كنز العمال، المتقي الهندي 28687.

3- الرحمن :(1،2،3،4)

بمشتقاتها المختلفة في كتاب الله ؛ تجد-بلا مبالغة- قد بلغت 779 مرَّة. وقوله تعالى : { يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ }(1)

1- المجادلة :11

المبحث الثالث: التعليم المستمر في السُنة النبوية.

تحدث المبحث السابق عن تأصيل الآيات القرآنية في استمرارية التعليم والتعلم في القرآن وهذا ليس ببعيد عن هذا المبحث فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء معلماً ومرشداً عن الله سبحان وتعالى وهو لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى بعثه الله عز وجل مبشرًا ونذيرًا، ومعلمًا وميسرًا، ومربيًا ومزكيًا، قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا *وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (1)، وقال سبحانه :﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (2)عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال)) :إن الله لم يبعثني معنِّتًا ولا متعنِّتًا، ولكن بعثني معلمًا وميسرًا(3)

بعثه الله تعالى في أمة سيطر عليها الجهل والضلالة، واستولت عليها البدع والخرافة، فصنع - بإذن الله - منها أمةً حاملةً لرسالة العلم والتعليم. فوضعها على طريق النهضة من خلال حثه الدائم على استمرارية التعليم لدى المسلمين في كافة جوانب الحياة فهدي النبي صلى الله عليه وسلم خير هدي من عمل به وتمسك به وسار على دربه نال خيرا كثيرا في الدينا وبعد الممات .

ومن الأمور المعلومة من سيرته صلى الله عليه وسلم اهتمامه بالتربية والتعليم، وسيرته العطِرة زاخرة بالأساليب التربوية والتعليمية الصالحة لكل زمان ومكان، فقد أُوتِيَ صلى الله عليه وسلم جوامع الكَلِمِ، وأُعْطِيَ حكمة وعلمًا لا يدانيه فيهما أحد من الناس، قال الله تعالى :﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾. (4)

1-لأحزاب:(45، 46)

2- الجمعة:2

3- مسلم 1104/2ح29

4- النساء:113

ولقد قضى صلى الله عليه وسلم ما عليه، وبلَّغ ما عُهد إليه، وما مات صلى الله عليه وسلم حتى علَّم الناسَ كُلَّ شيءٍ، فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال" :لقد تركنا محمد صلى الله عليه وسلم وما يحرِّك طائرٌ جناحيه في السماء إلا ذكر لنا عنه عِلمًا"؛ (1)، وعن مسروقٍ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت" :مَن حدَّثك أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا من الوحي فقد كذِب"؛ (2) دل فقه الحديث على أن من شهادة أن محمداً رسول - صلى الله عليه وسلم - الإيمان بأنه - صلى الله عليه وسلم - قد أدى الأمانة وبلّغ الرسالة، ولم يترك شيئاً من الوحي إلاّ بلغه لأمته امتثالاً لأمر ربه حيث أمره الله تعالى بذلك في قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ (3)، ويقول العباس" :والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ترك السبيل نهجًا واضحًا، وأحلَّ الحلال، وحرَّم الحرام، ونكح وطلَّق، وحارب وسالم(4)، وقال بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم)) :تركتكم على بيضاءَ نقيةٍ، ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالكٌ(5)،،إن التعليمَ التطبيقيَّ أرسخُ من التعليم النظري، وهذا من معالم هديه صلى الله عليه وسلم في التعليم، يقولُ عمرُ بن أبي سَلَمَةَ رضي الله عنه: "كنتُ غلامًا في حِجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تَطيشُ في الصَحْفَةِ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :يا غلام، سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك(6)وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ ثَلَاثِ سُنَنٍ مِنْ سُنَنِ الْأَكْلِ وَهِيَ التَّسْمِيَةُ وَالْأَكْلُ بِالْيَمِينِ وَقَدْ سبق بيانهما والثالثة الأكل ممايليه لِأَنَّ أَكْلَهُ مِنْ مَوْضِعِ يَدِ صَاحِبِهِ سُوءُ عشرة وترك مروءة فقد يتقذره صاحبه لاسيما فِي الْأَمْرَاقِ وَشِبْهِهَا وَهَذَا فِي الثَّرِيدِ وَالْأَمْرَاقِ وَشِبْهِهَا فَإِنْ كَانَ تَمْرًا أَوْ أَجْنَاسًا فَقَدْ نَقَلُوا إِبَاحَةَ اخْتِلَافِ الْأَيْدِي فِي الطَّبَقِ وَنَحْوِهِ وَالَّذِي يَنْبَغِي تَعْمِيمُ النَّهْيِ حَمْلًا

1-البخاري 155/9ح7531

2- البخاري 155/9

3- منار القارئ شرح مختصر البخاري 47/6

4- الدارمي في المقدمة 220/1 ح84

5- ابن ماجه 16/1 ح43

6- البخاري 68/7 ح 5376رابط الموضوعhttps://www.alukah.net

لِلنَّهْيِ عَلَى عُمُومِهِ حَتَّى يَثْبُتَ دَلِيلٌ مُخَصِّصٌ(1) لقد بدأت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بأول وأعظم عنوان للعلم والمعرفة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، (2) أمة خاطبها ربها بهذا الخطاب القرآني أمة لن تفارق العلم ولن تفرط فيه وقد جاءت أحاديث متنوعة تحث على هذا المطلب العظيم وهو استمرار التعلم وحث الشاهد يبلغ الغائب فقال (لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»(3) ويدل هذا الحديث أيضا لتقييد العلم وكتابته قال العظيم ابادي في عون المعبود (فَإِذَا لَمْ يُقَيِّدُوا مَا يَسْمَعُونَهُ مِنْهُ تَعَذَّرَ التَّبْلِيغُ وَلَمْ يُؤْمَنْ ذَهَابُ الْعِلْمِ وَأَنْ يَسْقُطَ أَكْثَرُ الْحَدِيثِ فَلَا يَبْلُغُ آخِرَ الْقُرُونِ مِنَ الْأُمَّةِ وَلَمْ يُنْكِرْهَا أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى جَوَازِ كِتَابَةِ الْحَدِيثِ وَالْعِلْمِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ (4))، وحث أيضا إلى التريث والتثبت في نقل هذا العلم فهو أيضا يدل على الاستمرارية فقال (نضر الله وجه امرئ سمع منا شيئ فبلغه كما سمعه ..)، فكان من أدعيته صلى الله عليه وسلم ((اللَّهُمَّ انْفَعَنِي بِمَا عَلَّمْتِنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا))(5) أي: علمًا ينفعني، فيه أنه لا يطلب من العلم إلا النافع والنافع ما يتعلق بأمر الدين والدنيا، وزدني علمًا) مضافًا إلى ما علمتنيه طلب أولاً النفع بما رزق من العلم وهو العمل بمقتضاه ثم توخى علمًا زائدًا عليه ليترقى منه إلى عمل زائد على ذلك، وفيه إشارة إلى أن من عمل بما علم ورثه الله علمًا لا يعلم ومن ثم قيل: ما أمر الله ورسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم بقوله تعالى: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}.(6)

وفي لفظ: ((اللهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وارْزُقْنِي عِلْماً تَنْفَعُنِي بِهِ))(7).

1- شرح النووي على مسلم 193/13

2- العلق: 1-5

3- البخاري 24/1 ح67

4- شرح المعبود للعظيم أبادي58/10

5- سنن الترمذي، 3599، وسنن ابن ماجه، المقدمة، 251،

6- المباركفوري ، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 260/8ح 2517

7-سنن النسائي، 4/ 444، برقم 7808

وقد استنبط بعض العلماء ((الأدب في تلقي العلم أن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنَّى، ويصبر حتى يفرغ المُملي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض))(1) .

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَةً، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا) (2)

قال النبي صلى الله عليه وسلم («لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ»(3) . والحديث يدل على أن المؤمن الحريص على طلب العلم يموت على الإيمان.(4).

فالعلم من الخير، لا يشبع من العلم العالم بل يزداد في طلب العلم حتى يموت، هكذا طالب العلم لا يشبع بل يلزم طلب العلم ويتفقه في الدين حتى يلتحق بالله لأن العلم ليس له نهاية، مهما علمت فيفوتك أشياء غير ذلك، وهكذا حديث :فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، وإن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى الدابة في جحرها ليصلون على معلم الناس الخير) فهذه أشياء توجب للمؤمن الحرص والرغبة في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله ونفع الناس به بعد أن ينتفع، وينفع، يبدأ بالعلم ويجتهد في العمل وينفع الناس بتوجيههم وإرشادهم وتعليمهم يريد ما عند الله جل وعلا، لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»(5)

1-تفسير ابن سعدي، 5/ 194.

2- النسائي 319/9 ح 10635

3- الترمذي 50/5ح 2686

4- مرعاة المفاتيح سبق ذكره 324/1ح 223

5- البخاري 18/5 ح 3701

كما قال النبي ﷺ لعلي، كونه يهتدي على يديه واحد أو جماعة خير عظيم، «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» (1)، فالمؤمن يبذل وسعه يحرص على التفقه في الدين والتعلم، وعلى بذل العلم، والنصيحة للناس، وتوجيه الناس إلى الخير أينما كانوا، يريد ثواب الله، يريد أجره، يريد رضاه أينما كان.

ويقول (عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنْ قَامَت السَّاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ (2) فَإِنْ استَطاعَ أنْ لَا تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَليَغرِسْهَا)(3) في هذا الحديث درس عظيم عن الإيجابية والمشاركة ولو في اخر لحظة في الحياة .

ومن الأحاديث أيضاً : «فَلَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَإِنْ ثَلَاثٌ فَثَلَاثٌ مِثْلُ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»

ذكر بن بطال في شرح هذا الحديث عن كعب الأحبار أن فى التوراة أن الفتى إذا تعلم القرآن وهو حديث السن وعمل به وحرص عليه وتابعه؛ خلطه الله بلحمه ودمه وكتبه عنده من السفرة الكرام البررة ، المتابعة تعني الاستمرارية.

من هنا لم يكن الأمر من باب المبالغة حين أشار الرسول في حديثه إلى أن الدنيا بكاملها لا قيمة لها -بل هي ملعونة- إلا إذا ازدانت بالعلم وذِكْر الله، فقد قال رسول الله : ((الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ: ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالاَهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا))(4) في شرح هذا الحديث فَالدُّنْيَا وَكُلُّ مَا فِيهَا مَلْعُونَةٌ، أَيْ مَبْعَدَةٌ عَنِ اللَّهِ، لِأَنَّهَا تَشْغَلُ عَنْهُ، إِلَّا الْعِلْمَ النَّافِعَ الدَّالَّ عَلَى اللَّهِ، وَعَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَطَلَبِ قُرْبِهِ وَرِضَاهُ، وَذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ مِمَّا يُقَرِّبُ

1- مسلم 1506/3 ح133

2- فسيلة تعني النخلة الصغيرة(نشوان الحميري شمس العلوم 5184/8

3-البخاري في الأدب المفرد 242/1ح479

4- الترمذي 139/4 ح2322

مِنَ اللَّهِ، فَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَمَرَ عِبَادَهُ بِأَنْ يَتَّقُوهُ وَيُطِيعُوهُ، وَلَازِمُ ذَلِكَ دَوَامُ ذِكْرِهِ، أي استمر على ذلك (1)

«كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ، هَؤُلَاءِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا» فَجَلَسَ مَعَهُمْ)(2) قال السندي في الشرح وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا إِشْعَارٌ بِأَنَّهُمْ مِنْهُ وَهُوَ مِنْهُمْ وَمِنْ ثَمَّةَ جَلَسَ فِيهِمْ ، في هذا الحديث يتبين فضل التعليم والتعلم (3)

عن أبي هريره رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار))(4)، والمعنى أن الملجم لسانه عن قول الحق والاخبار عن العلم والاظهار له يعاقب في الآخرة بلجام من نار.(5)

1- زين الدين بن رجب الدمشقي ،جامع العلوم والحكم 199/2

2- ابن ماجه 83/1ح229

3- حاشية السندي 101/1

4- ابن ماجه 97/1ح 264

5- معالم السنن لأبو سليمان البستي الخطابي 185/4

الخاتمة: النتائج وأهم التوصيات

أولاً: من أهم النتائج

1- تختلف مسميات التعليم المستمر ، فهناك من يطلق مصطلح (التعليم المستمر)، ومنهم من يطلق مصطلح (التربية المستمرة)، وآخرون يطلقون مصطلح (التربية مدى الحياة)، ومع اختلاف المصطلحات فقد وجد الباحث أن التعاريف متقاربة، والمفاهيم متشابهة.

2- أسمى أهداف التعليم المستمر في منظور الشرع هو الإيمان بالله، وتحقيق العبودية له، وتعمير هذا الكون، والتفاعل مع متغيرات العصر.

3- يتسم التعليم المستمر في الشرع بشموليته لكل مراحل العمر، وكذلك شموليته للذكر والأنثى، والكبير والصغير، والغني والفقير..

4- يتميز التعليم المستمر بالمرونة، والانفتاح على كل علم ومعرفة ينتفع بها الإنسان، مهما كان نوعها أو مصدرها

5- من خصائص التعليم المستمر ديمقراطية التعليم حيث يمكّن جميع الناس من الاستفادة من فرص التعليم.

و الإشباع الذاتي حيث يمكّن الفرد من القدرة على التكيف مع مستجدات الحياة في الظروف المختلفة

6- ان نزول القرآن مفرقاً يؤكد مبدأ التعليم والمستمر دلالة التفريق والاستمرار والتنزيل هو منهجيَّة اتصال القرآن بالواقع بعد اكتمال النزول

7- من النصوص القرآنية التي تشير إلى مبدأ التعليم المستمر قوله تعالى (وقل ربي زدني علما)

8- أن النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الدعاة للذين يدخلون الإسلام لتعليمهم القرآن الكريم

9- ظهرت أهمية العلم والتعلم جلياً في القران وذلك بذكر لفظ العلم بكافة مشتقاته .

من أهم التوصيات :

1- نشر ثقافة التعليم المستمر عبر مؤسسات التربية والتعليم المختلفة، كالمدرسة، والجامعة، والمجتمع، والإعلام، والمسجد..

2- ترغيب الأفراد في التعليم المستمر بكل وسائل التحفيز المادي والمعنوي من قبل الجهات المختصة ، من أجل استمرار تطوير قدراتهم مدى الحياة.

3- تحقيق القدوة في التعليم المستمر على مستوى الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع، أمام الأجيال بطلب العلم دون انقطاع أو توقف.

4- توجيه جميع مؤسسات المجتمع التربوية والتعليمية الى تفعيل برامج التعليم المستمر مدى الحياة لتحقيق التنمية المستدامة.

5- دعم مؤسسات إنتاج المعرفة من خلال تحفيز البحث العلمي، ومجالات الإبداع والتميز

المصادروالمراجع:

1-القرآن الكريم

2- معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر ، (المتوفى: 1424هـ) الطبعة: الأولى، 1429 هـ 2008 م 2085/3

3- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: 1300هـ) 72/10

4- التكامل بين مجالات محو الأمية والتعليم النظامي في إطار التعليم المستمر مدى الحياة، المؤلف :مسارع ،مؤتمر بغداد لمحو الأمية الإلزامي،1976، ص .262

5- المخطط والتعليم مدى الحياة، بيتر فورتر، بيتر فورتر، ترجمة ك. بطوورس، مجلة التربية الجديدة . العدد 15 سنة 1987، ص 129 ..130

6- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة من المؤلفين، .https://dorar.net/

7- أرشيف ملتقى أهل التفسير، مجموعة من المؤلفين، https://mtafsir.net/ .

8- سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي عدد الأجزاء: 2

9 - الكسب، محمد بن حسن الشيباني ، الناشر :دار البشائر الإسلامية، رجمة، تحقيق :عبد الفتاح أبو غدة، طبعة1 :

10- كيف أصبح عالما، راغب السرجاني، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ٩ دروس،http://www.islamweb.net

11- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر:

دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،الطبعة: الأولى، 1422هـ،عدد الأجزاء: 9

12- المنهج الصحيح و أثره بالدعوة إلى الله، حمود الزحيلي، صفحة 176. بتصرّف.

13-سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)،المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عدد الأجزاء: 4

14- التعيين في شرح الأربعين، الطوفي، صفحة 310. بتصرّف.

15- محاضرة ألقاها سماحة الشيخ في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في شهر ربيع الثاني عام 1402هـ (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز: 4/ 59)

16-ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)،الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ، عدد الأجزاء: 10

17-" مجموع الفتاوى.(17/136) :"

18- الخُلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، عدد الصفحات: ٢٠٥,

19- التربية المستمرة، مجلة التربية الجديدة،- خوري، أنطوان ، العدد4، بيروت سنة 1974، ص58. من كتاب م/ فاطمة عبد العباس مهدي / كلية التربية ، الجامعة المستنصرية بغداد ص4

20- الترجمة والتعريب ضرورة قومية ملحة، مجلة التعريب، جبر، يحيى .العدد الخامس، دمشق 1993، ص30، عن إسحق الفرحان.

21- الباحث محمد النوباني/https://islamonline.net

22- تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: 1376هـ)،المحقق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002 م، عدد الأجزاء: 1

23- مختصر في قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار ابن القيم- دار ابن عفان، الطبعة: الأولى 1426هـ/ 2005،عدد الأجزاء:1.

24- تفسير الطبري ،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م

25- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)،المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 8

26- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)،المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية عدد الأجزاء:.25

27-السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)،المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م

28- الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)،المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: 1998 م، عدد الأجزاء: .6

29- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ)،المحقق: بكري حياني – صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م.

30- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: 5.

31- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1410 هـ - 1990 م، عدد الأجزاء: 5.

32- مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ)،تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 2000 م، عدد الأجزاء: 4.

33- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392،عدد الأجزاء: 18 (في 9 مجلدات.

34- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته

المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1415 هـ

35- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: 1414هـ)،الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - 1404 هـ، 1984 م

36- المجتبى من السنن ، السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)،تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، 1406 – 1986،عدد الأجزاء: 9 (8 ومجلد للفهارس).

37- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)

المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م، عدد الأجزاء:1

38- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: 573هـ)

المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)،الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م

39- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)،المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م

40- حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: 1138هـ)،الناشر: دار الجيل - بيروت، بدون طبعة (نفس صفحات دار الفكر، الطبعة - الثانية)

41- عالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ)،الناشر: المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى 1351 هـ - 1932 م

أدب المفتي والمستفتي في الإعلام الافتراضي

في ظل عالم متغير

الدكتورة فاطمة عيسى محمد

دولة الإمارات العربية المتحدة

alhoor15a@gmail.com

ملخص البحث:

مع تطور وسائل الإعلام الافتراضي، وانتشار وسائل الإعلام الجديد، أصبح الإعلام الافتراضي يفرض نفسه في مختلف المجالات، وتجرأ الكثير من الناس على مواقع التواصل الاجتماعي على خوضها طلباً للشهرة أو المنفعة العامة، وتنوعت مجالات المنفعة الاجتماعية والثقافية والدينية؛ حيث أصبح بمقدور الناس الحصول على المعلومة والفائدة بضغطة زر، وتم توظيف الإعلام الجديد في مجال الدين والدعوة إلي الله والإفتاء، من خلال المحتوى الرقمي بلا قيود.

أسئلة البحث: ما الفرق بين الإعلام الرقمي والإعلام التقليدي؟ وما مظاهر توظيف الإعلام الرقمي في الإفتاء؟

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في كيفية الاستفادة من التغير في عصر الرقمنة في خدمة الإفتاء، وإبراز سلبيات وايجابيات الإفتاء الرقمي.

أهداف البحث: ويهدف البحث إلي بيان أهم آداب الإفتاء الشرعي، ومدى تأثير الرقمنة والعالم الافتراضي على الإفتاء.

منهج البحث: وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي لأنه أفضل المناهج في عرض هذه النوعية من البحوث النظرية.

أهمية البحث: وتتمثل أهمية البحث في إبراز العلاقة بين العالم الافتراضي والإفتاء الشرعي، وآداب الإفتاء في عالم متغير.

محاور البحث : المحور الأول: تعريف المصطلحات، المحور الثاني: آداب الفتوى في عالم متغير، المحور الثالث : العلاقة بين الإفتاء والإعلام الرقمي إيجابيات وسلبيات.

الخاتمة وأهم التوصيات: خلص البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات، منها:

ضرورة مراعاة المرونة في الفتوى في ظل عالم متغير، وتطبيق العقوبة على المفتي المتساهل، الاستعانة بالمختصين في عرض الفتوى، وتوظيف العالم الافتراضي في مجال الفتوى بقيود، الالتزام بآداب الفتوى الشرعية. وختم البحث بقائمة بأهم المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الفتوى – الإعلام – العالم الافتراضي - الميتافيرس

The literature of the mufti and the questioner in virtual media

In a changing world

Abstract:

With the development of virtual media, and the proliferation of new media, virtual media has become imposing itself in various fields, and many people have dared to engage in social networking sites seeking fame or public benefit, and the areas of social, cultural and religious benefit have varied; As it became possible for people to obtain information and interest with the click of a button, and the new media was employed in the field of religion, calling to God and issuing fatwas, through digital content without restrictions.

Research questions: What is the difference between digital media and traditional media? What are the aspects of employing digital media in issuing fatwas? Research problem: The research problem lies in how to take advantage of the change in the era of digitization in the service of fatwa, and to highlight the pros and cons of digital fatwa.

Research Objectives: The research aims to clarify the most important legal fatwa etiquette, and the extent of the impact of digitization and the virtual world on fatwa.

Research Methodology: I followed the analytical descriptive approach because it is the best approach in presenting this type of theoretical research.

The importance of the research: The importance of the research is to highlight the relationship between the virtual world and legal fatwa, and the ethics of fatwa in a changing world.

Research axes: The first axis: definition of terms, the second axis: fatwa ethics in a changing world, the third axis: the relationship between fatwas and digital media, pros and cons.

Conclusion and most important recommendations: The research concluded a number of results and recommendations, including:

The need to take into account the flexibility in the fatwa in light of a changing world, and the application of punishment to the lenient mufti, the use of specialists in the presentation of the fatwa, and the employment of the virtual world in the field of fatwa with restrictions, adherence to the ethics of the legal fatwa. The research concluded with a list of the most important sources and references

Keywords: fatwa - media - virtual world - metaverse

المقدمة :

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله

يعد الإعلام من أبرز المؤثرات، وقد فرض الإعلام الافتراضي نفسه في ظل التطور التقني الحديث، حتى أصبح يمثل دوراً فاعلاً في حياة المجتمعات، وسهّل التواصل الاجتماعي في عالم واحد، حتى أصبح في متناول الجميع، وأضحى أكثر انتشاراً من الإعلام التقليدي، لذا اتجه العالم إلى بلورة كل الخدمات لتصبح خدمات رقمية تنافسية.

وظهر من هذه الخدمات، خدمة الإفتاء الرقمي، وتأثر الإفتاء في ظل هذه المتغيرات بعدة عوامل؛ لذا كان اختيار مسمى البحث موسوماً بأدب المفتي والمستفتي في الإعلام الافتراضي في ظل عالم متغير.

كان اختيار البحث للرد على التساؤلات حول ماهية الإعلام الافتراضي ، وهل يمثل تحدياً لتجديد الخطاب الديني ،وما مظاهر توظيف الإعلام الافتراضي في الإفتاء؟ وتكمن مشكلة البحث في كيفية الاستفادة من التغير في عصر الرقمنة لخدمة الإفتاء، وإبراز سلبيات وايجابيات الإفتاء الافتراضي، كما تتمثل أهداف البحث في بيان أهم آداب الإفتاء الشرعي، ومدى تأثير الرقمنة والعالم الافتراضي على الإفتاء، أما عن منهج البحث فقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي لأنه أفضل المناهج في عرض هذه النوعية من البحوث النظرية.

وتشكلت أهمية البحث في إبراز العلاقة بين العالم الافتراضي والإفتاء الشرعي، وآداب الإفتاء في عالم متغير.

أما محاور البحث فقد قسمت البحث إلى ثلاثة محاور، المحور الأول: تعريف المصطلحات، والمحور الثاني: آداب الفتوى ، أما المحور الثالث : الإفتاء الافتراضي في عالم متغير إيجابيات وسلبيات.

اعتمدت على مصادر التراث الإسلامي والمراجع الحديثة والمواقع الرقمية في عرض البحث ، وقسمت خطة البحث إلى أربعة مباحث، ويتفرع منها عدة مطالب ، ختمته بأهم النتائج والتوصيات ، ثم فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول : تعريف المصطلحات

تتمثل أركان الفتوى فيما يأتي:

الفتوي، والمفتي، والمستفتي، لذا نبدأ بتعريف هذه الأركان:

المطلب الأول : تعريف الفتوى

الفتوى لغة: أفتاه في الأمر أي أبان له، وأفتى الرجل في المسألة واستفتيته فيها فأفتاني إفتاء، و يقال أفتيت فلاناً رؤيا إذا عبرتها له، و أفتيته في مسألة إذا أجبته عنها،1 والفتوى ما أفتي به الفقيه. 2

قال تعالى : {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ} (النساء: 127)

ومنها قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ} (يوسف: 43)

الفتوى اصطلاحاً: والمعنى الاصطلاحي للإفتاء هو المعنى اللغوي لهذه الكلمة وما تتضمنه من وجود مستفتٍ ومفتٍ وإفتاء وفتوى، ولكن بقيد واحد هو أن المسألة التي وقع السؤال عن حكمها تعتبر من المسائل الشرعية، وأن حكمها المراد معرفته هو حكم شرعي.3

ومن ذلك نستخلص أن الفتوى تكون في المسائل الشرعية التي لها حكم شرعي فقط ، أما السؤال في المسائل غير المختصة بالأحكام الشرعية لاتعد من مصطلح الفتوى.

المطلب الثاني: تعريف المفتي

عرَّف العلماء المفتي بعدة تعريفات نذكر منها :

(المفتي هو القائم في الأمة مقام النبي صلى الله عليه وسلم)4

وقيل: (هو المتمكن من معرفة أحكام الوقائع شرعًا بالدليل مع حفظه لأكثر الفقه)1

1- ابن منظور ، لسان العرب، باب الفاء، (23/7)

2- الخطاب ، مواهب الجليل (1/32)

3- زيدان، عبد الكريم أصول الدعوة ص 130

4- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات (253/5)

وقيل : (المفتي هو المخبر عن حكم الله غير منفذ) 2

ولذا قال ابن الصّلاح أن الفتوى توقيع عن الله تبارك وتعالى، و ذكر قول ابن الهمام : إن المفتي هو المجتهد وهو الفقيه، وقول المحلاوي : إن المفتي عند الأصوليين هو المجتهد المطلق، وقول الشوكاني : إن المفتي هو المجتهد3 ...وغيره من الأقوال.

ونلاحظ أن أغلب أقوال الأصوليين أجمعت على أن المفتي هو المجتهد، والاجتهاد كما ذكروا (بذل الوسع لنيل حكم شرعي بطريق الاستنباط)4 فالمفتي يبذل الجهد في استنباط الأحكام الشرعية لإيصال الفتوى للعباد.

وللمفتي شروط ذكرها ابن الصلاح في كتابه منها:

أن يكون المفتي مسلماً ثقة، مأموناً، متنزهاً من أسباب الفسق ومسقطات المروءة، ويكون فقيه النفس، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرف والاستنباط، مستيقظاً.

وقد قسم الأصوليون المفتين إلى قسمين:

المفتي(المستقل) وهو المفتي المجتهد الذى تتوفر فيه شروط الاجتهاد ، والمفتي (غير المستقل) وهو المفتي المقلد الذى يحفظ أقوال المفتي المجتهد ويذكرها في فتواه ، فهو لم يجتهد في فتواه بل نقلها من مفت مستقل ، واعتبروا فتواه فتوى مجازاً ، وقد أجاز العلماء الأخذ بفتوى المفتي المقلد في زمن قلة المجتهدين ، أو انعدامهم ،5 أما فيما يتعلق بأحكام النوازل فلابد فيها من الاعتماد على فتوي العلماء المجتهدين.

1- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أدب المفتي والمستفتي، ص24.

2- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي، إعلام الموقعين (122/5)

3- ابن الصلاح، أدب المفتي والمستفتي، ص27

4- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، البحر المحيط (3/218)

5- ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار (47/1)

المطلب الثالث: تعريف المستفتي

مستفتي: اسم فاعل من استفتى، واستفتاه، أي: طلب رأيه في مسألة، فالاستفتاء في اللغة يعني السؤال عن أمر أو عن حكم مسألة، والسائل يسمى المستفتي.1

والاستفتاء طلب الجواب في الأمر المشكل، ومنها قوله تعالى:

{فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا} (الصافات :11)

أوجب الله تعالى علينا طلب العلم والفتوى فيما نجهله من أحكام الدين فقال سبحانه:

" فاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ" (النحل : 43)

المطلب الرابع : تعريف الإعلام الافتراضي

في ظل ما نعيشه من تطورات متلاحقة في مجال التكنولوجيا ، والتواصل الالكتروني بالعالم ، أصبح استخدام وسائل الإعلام الجديدة والذكاء الاصطناعي في مجالات الحياة ضرورة ملحة، وبدأت وسائل الاعلام باستخدام الإعلام الافتراضي ثلاثي الأبعاد، أو ما يطلق عليه (الميتافيرس) ، وهو مصطلح لوصف العالم الافتراضي، فهو عالم يمكن للمستخدمين أو السكان أن يختاروا لأنفسهم ما يطلق عليها الشخصية الافتراضية، أو المعادل الافتراضي أو الرمزي أو المجسد الذي يطلق عليه بالإنجليزية(Avatar) ، فمن خلال شخصية الأفتار يمكن للمستخدم التفاعل مع البيئة الافتراضية المحيطة به، ومع شخصيات المستخدمين الآخرين، حيث يتحكم المستخدم في مظهر أفتاره، وتحركاته، وأنشطته وعلاقاته مع الآخرين بدون حدود .2

1- ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، ص23.

2- عباس مصطفى – مقال الإعلام والميتافيرس- موقع جهاز إذاعة وتلفزيون الخليج https://gcc-grt.org - 30-3-2022

المبحث الثاني: أدب المفتي والمستفتي في الشريعة

المطلب الأول : فضل الإفتاء وخطورته

إن للإفتاء آداب ذكرها المتقدمون، من أشهرهم أبو القاسم الصيمري صاحب الحاوي، وابن الصلاح أبو عمرو بن عثمان، والخطيب البغدادي، ولخص الإمام النووي ما كتبه الثلاثة في كتابه أداب الفتوى والمفتي والمستفتي، وقد اهتم المتقدمون والمحدثون بالكتابة في هذا المجال نظراً لعظيم الفضل؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء، وكذلك لعظيم الخطر لأن المفتي كما ذكروا مُوقِع عن الله تعالى.

وروي عَن عبد الرَّحْمَن ابْن أبي ليلى، قَالَ: أدركتُ عشْرين ومئة من الْأَنْصَار من أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يُسأل أحدهم عَن الْمَسْأَلَة فيردها هَذَا إِلَى هَذَا وَهَذَا إِلَى هَذَا حَتَّى ترجع إِلَى الأول، وذكر عن ابْن مَسْعُود وَابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُم: مَنْ أفتى فِي كلِّ مَا يسْأَل فَهُوَ مَجْنُون، وَعَن سُفْيَان بن عُيَيْنَة وَسَحْنُون قال : أجسر النَّاس على الْفتيا أقلهم علماً ، وَعَن مَالك أَيْضا أَنه رُبمَا كَانَ يسْأَل عَن خمسين مَسْأَلَة فَلَا يُجيب فِي وَاحِدَة مِنْهَا وَكَانَ يَقُول من أجَاب فِي مَسْأَلَة فَيَنْبَغِي قبل الْجَواب أَن يعرض نَفسه على الْجنَّة وَالنَّار وَكَيف خلاصه ثمَّ يُجيب.1

وقال الخطيب: من حرص على الْفتيا وسابق إِلَيْهَا وثابر عَلَيْهَا إِلَّا قلَّ توفيقُه واضطرب فِي أمره وَإِن كَانَ كَارِهًا لذَلِك غير موثر لَهُ مَا وجد عَنهُ مندوحة وأحال الْأَمر فِيهِ على غَيره كَانَت المعونة لَهُ من الله أَكثر وَالصَّلَاح فِي جَوَابه أغلب.2

المطلب الثاني: أدب المفتي والمستفتي

أولاً : آداب المفتي

ذكر أهل العلم آداب المفتي وهي:

1- النووي ، أدب الفتوى والمفتي والمستفتي(ص15-14)

2- البغدادي، الفقيه والمتفقه (2/350)

- أن يكون حسن المظهر والسيرة مراعيًا في ذلك الشريعة الإسلامية .
- أن يكون صالح السريرة وصالح النية.
- أن يكون عاملاً بما يفتي به من الخير ومنتهياً عما يفتي به من المحرمات ليتطابق قوله بفعله.
- ألا يفتى في حال انشغال قلبه بفرح شديد، أو غضب، أو جوع، أو عطش، أو نعاس، أو مرض؛ لأنها قد تفسد صحة الفكر، واستقامة الحكم. 1
- أن يراعي أدب الخلاف بين المذاهب ، وعدم التشنيع على المخالف.
- أن يشاور من يثق في علمهم ومشورتهم، لقوله تعالى " وَشَاوِرْهُم فِي الأَمرِ" (آل عمران:159) اقتداءً برسول الله والخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم من بعده.
- أن يحفظ أسرار المستفتي فلا يفشيها، لأنه يطلع على مالم يطلع عليه غيره.
- مراعاة حال المستفتي من حيث السن، والفهم، والاستيعاب، والصبر عليهم والترفق بهم .
- أن يبين للمستفتي البدائل الشرعية في حال الإفتاء بالمنع، ويشرع أن يقدم لهم المزيد من النصح والإرشاد، وتوضيح الأحكام الشرعية، كفتوى الإمام أبي حنيفة عندما قال له المستفتي: حلفت أني أَطأُ امرأتي في رمضان، ولا أكفر ولا أعصي، فقال له: سافر بها.
- البعد عن الإفتاء لصاحب القال والقيل وكثرة السؤال عما لا ينفع، قَال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ إِلاَّ عَمَّا يَنْفَعُهُمْ وَقَال ابْنُ عَبَّاسٍ لِعِكْرِمَةَ: مَنْ سَأَلَكَ عَمَّا لاَ يَعْنِيهِ فَلاَ تُفْتِهِ)2

1- ابن القيم ، إعلام الموقعين 4/227

2- الشاطبي ، الموافقات (4/286)

- ترك الجواب في حال خاف المفتي غائلة الفتيا، أي إذا أراد المستفتي من فتواه هلاكاً أو فساداً، أو فتنة يدبرها، قال ابن عابدين: (إنْ خَافَ الْغَائِلَةَ فَلَهُ تَرْكُ الْجَوَابِ وَكَذَا لَهُ أَنْ يَتْرُكَ الْفُتْيَا إنْ خَافَ أَنْ يَسْتَغِلَّهَا الظَّلَمَةُ أَوْ أَهْل الْفُجُورِ لِمَآرِبِهِمْ)1
- أن يفصل الفتوى للسائل في حال وجود تفصيل في الفتوى إن استدعي الأمر التفصيل.
- أن يذكر الدليل على الفتوى سواء بآية أو حديث أو قول أو موقف، ويذكر حجة الحكم، كحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:" نَهَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُزَوَّجَ الْمَرْأَةُ عَلَى الْعَمَّةِ وَالْخَالَةِ وَقَالَ: إِنَّكُنَّ إِذَا فَعَلْتُنَّ ذَلِكَ قَطَعْتُنَّ أَرْحَامَكُنَّ" وقال الصيمري لا يذكر إن كان المستفتي عامياً، وقَال الْمَاوَرْدِيُّ : لاَ يَذْكُرُ الْحُجَّةَ لِئَلاَّ يَخْرُجَ مِنَ الْفَتْوَى إِلَى التَّصْنِيفِ2.
- الإيجاز في الفتوى، قَال الْقَرَافِيُّ :(إلاَّ فِي نَازِلَةٍ عَظِيمَةٍ تَتَعَلَّقُ بِوُلاَةِ الأُمُورِ، وَلَهَا صِلَةٌ بِالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ، فَيَحْسُنُ الإِطْنَابُ بِالْحَثِّ وَالإِيضَاحِ وَالاِسْتِدْلاَل، وَبَيَانِ الْحِكَمِ وَالْعَوَاقِبِ، لِيَحْصُل الاِمْتِثَال التَّامُّ)3
- أن لا يفتي بما لا يعلم، وإنما يقول لا أدري، سئل الإمام مالك (رحمه الله) إمام دار الهجرة عن أربعين مسألة جاء بها رجل قادم عليه مسافر إليه يسأله عنها فأجاب عن ست مسائل وقال عن البقية لا أدري، مالك قال لا أدري قال الرجل جئتك من كذا وكذا وتقول لا أدري! قال نعم، اركب راحلتك وارجع وقل للناس سألت مالكًا وقال لا أدري.
- كذلك لا يفتي السائل بغير الحق، وهو يعلم الحق من أجل هوى، أو التماس رغبة السائل، أو من أجل طمع دنيوي فلا يجيب السائل بغير العلم الصحيح الذي يعلمه، قال سبحانه وتعالى :

1- ا بن عابدين، حاشية رد المحتار (3/264)

2- النووي ، المجموع (1/52)

3- الإحكام، ص364

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ*أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ}.(البقرة:١٧٤)

ثانياً: آداب المستفتي

كل من لم يبلغ درجة المفتي فيما يسأل عنه من الأحكام الشرعية، فهو مستفتي، وذكر العلماء آداباً للمستفتي ، منها:

- ضرورة البحث عن أهلية من يستفتيه، والبحث عن من هو أكثر ورعاً وثقة، وقد أجمع أهل العلم على ذلك، ولا يستفتي من يشاء،[1]لشهرته في الإعلام مثلاً، أو الواعظ ممن ليس أهلاً للفتوى.
- أن يتأدب مع المفتي بالقول والفعل، فيسأل بلطف، ولا يطيل عليه بالسؤال.
- أن يسأل عالماً ثقة، ولا يكرر السؤال على فلان وفلان لينشر تضارب أقوال العلماء.
- إذا لم يجد المستفتي إلا مفتي واحد في البلد الذي هو فيه لزمه الأخذ بفتواه، وإن وجد بعدها مفتٍ آخر يأخذ بفتوى الأكثر ثقة وورعاً منهما.
- إذا استفتى في واقعة، ثم وقعت له مرة أخرى، لا يلزمه تجديد السؤال، وعليه الأخذ بالحكم الأول، فالأصل استمرار المفتي عليه، إلا إذا تغيرت الأحوال كموت المفتي، وغيره فيلزمه السؤال، وفي ذلك خلاف.[2]
- أن لا يُشَهِر بأحد في استفتائه، أو يكشف عورات الناس، أو يقول فلان أفتاني بكذا ، أو يشهر بالناس بذكرهم في فتواه.

1- النووي، أدب الفتوى والمفتي والمستفتى، ص94

2- المصدر نفسه ، ص81.

المطلب الثالث: عقوبة المفتى المتساهل في فتواه

نص أهل العلم على أنه لا يجوز للمفتي أن يتساهل في الفتوى ، أو يفتى بغير علم، وسماه بعضهم (المفتي الماجن) ومن عرف بذلك لم يجز أن يستفتى، وذلك قد يكون بأن لا يتثبت ويسرع بالفتوى قبل استيفاء حقها من النظر والفكر وربما يحمله على ذلك توهمه أن الإسراع براعة والإبطاء عجز ومنقصة، وذلك جهل ولأن يبطئ ولا يخطئ أجمل به من أن يعجل فيضل ويضل.1

قال النووي : من التساهل أن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحرمة أو المكروهة ، و التمسُّكِ بالشبه طلباً للترخيص لمن يروم نفعَه أو التغليظَ على من يريد ضُرَّه.

قال ابن جماعة:

(واعلم أن قول المسئول لا أدري لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة، بل يرفعه لأنه دليل عظيم على عظم محله، وقوة دينه، وتقوى ربه، وطهارة قلبه، وكمال معرفته، وحسن تثبته، وقد روينا معنى ذلك عن جماعة من السلف وإنما يأنف من قول لا أدري من ضعفت ديانته وقلت معرفته؛ لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين، وهذه جهالة ورقة دين وربما يشهر خطؤه بين الناس فيقع فيما فر منه ويتصف عندهم بما احترز عنه، وقد أدب الله تعالى العلماء بقصة موسى مع الخضر عليهما السلام، حين لم يرد موسى عليه الصلاة والسلام العلم إلى الله تعالى لما سئل هل أحد في الأرض أعلم منك)2.

وقد حدد الفقهاء شروطاً وضوابط معينة لمن يصدر الفتوى؛3حتى لا يتجرأ الجهال على أحكام الشرع بالفتوى بدون علم، فقد حذر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ذلك بقوله : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا " (متفق عليه)

1- الموسوعة الفقهية الكويتية (32/41)

- 2تذكرة السامع والمتكلم في أدب العلم والمتعلم ، ص43

3- انظر: البغدادي، الفقيه والمتفقه (156/2) وابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين (36/1)

وقال عليه الصلاة والسلام : "ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه ؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم مكر الله، ولم يترك القرآن إلى غيره ولاخير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في فقه ليس فيه تفهم ، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر" .1

فعلى الحاكم أن يبحث في أحوال المفتين ويحسن اختيارهم، فمن لم يكن منهم من أهل الفتوى منع منها، وعوقب إن لم ينته عنها ويجبره على تركها، ويحول بينه وبين التصدر لذلك، ونص المالكية على مشروعية حبس وتأديب المتجرئ على الفتوى إذا لم يكن أهلاً لها، ونقل مالك عن شيخه ربيعة أنه قال : لبعض من يفتي هاهنا أحق بالسجن من السُّرّاق.2

وسئل أحد الفقهاء عن رجل يقول بأن الاستمرار في شرب الدخان أشد من الزنى فماذا يلزمه؟ فأجاب : يلزمه التأديب اللائق بحاله كالضرب أو السجن لتجرئه على الأحكام الشرعية وتغييره لها، ولأن حرمة الزنى قطعية إجماعيه ، وفي حرمة الدخان خلاف.3

لوحظ في الآونة الأخيرة ظهور بعض الفتاوى الشاذة التي تخالف ماعليه جمهور الفقهاء ، والصادرة بصورة فردية من بعض الفقهاء ممن يشهد لهم بالعلم والصلاح كفتوى الرضاعة للكبير، وجواز الغناء ، وجواز إمامة المرأة للرجل في الصلاة ، مما أثار حفيظة الكثير من الفقهاء والعامة؛ علماً بأن فقهاء المذاهب الأربعة قالوا بإبطال الفتوى بالأقوال الغريبة والشاذة وسجن المُصِرّ على فتواه ولو اشتهر بالعلم والصلاح.

وأثناء إعدادي لأطروحة الماجستير في أحكام السجن في الفقه والقانون، لم أقف على شيء من ذلك في قانون العقوبات الاتحادي، مع أنه يجدر بنا الاهتمام بهذه القضية نظراً لاستفحالها وقيام الكثيرين بالفتوى بدون علم، وكذلك تساهل بعض أهل العلم في الفتاوى عملاً بفقه الواقع كما يزعم البعض حتى أن الناس بدأوا

1 - السيوطي، جامع الاسانيد والمراسيل، مسند علي (108/16)

2- الماوردي، الأحكام السلطانية، ص248 وابن عبد البر، التمهيد (5/3)

3- انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية(304/16)

يتجهون إلى فقهاء معينين معروفين بالتساهل في الفتوى؛ لتساير الفتوى أهواءهم ورغباتهم، فلابد من التعزير إن لم ينتهوا عن التساهل في الفتوى أو الإفتاء بغير علم.

والدعوة إلى ضرورة وجود عقوبة للمفتي المتساهل المنتشر في وسائل الإعلام ، حيث أن خطورة المفتي المتساهل تتعدى المفتي نفسه إلى خطورته على الفرد المستفتى وعلى المجتمع ، بل قد يتعدى الأمة بأكملها.

يقول عبدالشكور : فكم من فتوى آثمة مضللة، دفعت بعض الحمقى إلى العدوان على الآخرين على نحو يهدد أمن المجتمع واستقرار الأوضاع فيه، إ ن خطر الإفتاء يتعدى المجتمع الواحد ليشمل الأمة بأسرها، فالفتوى الآثمة المضللة ربما أدت إلى بذر بذور الفرقة والشحناء بين المجتمعات التي تنضوي في عموم الأمة الإسلامية، فتكون ثمرتها الخبيثة: إشعال نار الفتنة العمياء التي تفرق بين أقطار العالم الإسلامي، وتؤجج نيران الكراهية بين بعض شعوب الأمة الواحدة1.

1- عبدالشكور ، محمد ،مقال حكم الفتوى بغير علم ،24/8/2013م ، https://alwafd.news/

المبحث الثالث: الفتوى في عالم متغير

بما أن العالم من حولنا أصبح عالماً افتراضياً، فقد أصبح الإعلام الافتراضي يفرض نفسه في شتى المجالات، ومنها مجال الفتاوى، فهل يمكن أن يمثل الميتافيرس تحدياً لتجديد الخطاب الديني، وهل يصلح ذلك لأن يكون مجالاً للإفتاء.

لاشك أن ظهور هذه النوازل في عالم الإفتاء تحتاج إلي إعادة النظر في بعض المسائل الفقهية التي ستطرأ بعد تطبيق الإفتاء الافتراضي .

المطلب الأول : مركز الإفتاء في دولة الإمارات

في ظل انتشار الإعلام الافتراضي ، واتجاه المجتمعات نحو تسهيل المعاملات ، بدأت خدمة الإفتاء عن طريق الهاتف بالرقم المجاني 2007م، ثم تم إنشاء تدشين مركز للإفتاء في أبوظبي العاصمة عام 2008م، تم تحديد أهدافه ، وهي:

- ضبط الفتوى في المجتمع وتوحيد مرجعيتها.
- سد الباب أمام الفتاوى الشخصية والارتجالية.
- التواصل المباشر بين المجتمع بكل شرائحه مع أهل العلم والاختصاص الشرعي.
- تنمية الوعي الديني ونشر فكر الاعتدال والوسطية والتسامح.
- معرفة حاجات المجتمع والعمل على توجيهه نحو التصرف الشرعي الصحيح، والمساعدة في حل مشكلاته.

تم تطوير الخدمات الافتراضية لمركز الإفتاء، وأصبح الموقع يقدم خدمات متنوعة هي:

1- خدمة الهاتف المجاني التي طورت لتشمل الفتاوي بعدة لغات منها: العربية والإنجليزية، والأوردو، نظراً لتعدد الجنسيات في الإمارات ، لتسهيل الخدمة علي المتلقين، وتشمل قضايا العبادات، والمعاملات، والقضايا الأسرية.

2- خدمة الرسائل النصية بإرسال الفتوى عن طريق الهاتف الجوال ، ويتم الرد عليها مباشرة خلال أو قات العمل الرسمية .

3- خدمة المرشد الأمين عن طريق الموقع الالكتروني الخاص بالشؤون الإسلامية، وتكون على مدار الساعة، خدمات كتابية ومباشرة.

4- تم تطوير الخدمات باستخدام الميتافيرس، وتعيين (أفتار) شخصية افتراضية هي شخصية المساعد الافتراضي للرد على الاستفسارات وإحالة الفتاوى للمختصين.

المطلب الثاني : ضوابط العمل في الإفتاء الافتراضي

وتم تحديد ضوابط للعمل في مركز الإفتاء الافتراضي علي النحو الآتي:

- الحرص على ما يحقق الخير والنفع لدولة الإمارات العربية المتحدة، وقيادتها الرشيدة، ومواطنيها، والمقيمين عليها.
- التقيد التام بتعليمات الهيئة واستخدام البرنامج الإلكتروني المخصص للفتوى، وتدوين ملخص السؤال والجواب، والعمل على تحقيق رؤيتها ورسالتها.
- الإفتاء بموجب المذهب المالكي في العبادات المذهب الرسمي للدولة، ومراعاة تقديمه في المسائل الأخرى بحسب حال السائل.
- اعتماد فتاوى المجامع الفقهية في القضايا المعاصرة.
- التيسير في الفتاوى والبعد عن الغلو والتشدد.
- الابتعاد عن الخلافات المذهبية والطائفية والقضايا السياسية.
- التحلي بالأخلاق الكريمة والصفات الحميدة واستشعار القدوة في المجتمع.
- الاهتمام بالمظهر العام والتزام الزي الرسمي خلال أوقات الدوام.
- الشعور بأهمية الرسالة التي يؤديها المفتي والقيام بها بأحسن صورة.

- الحرص والتشجيع على تطوير الذات وتنمية المهارات والزيادة في العلوم والمعرفة، والالتزام بالدورات والندوات والمحاضرات التي يقيمها المركز الرسمي للإفتاء[1].

1- https://www.awqaf.gov.ae/ar موقع الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف، مركز الإفتاء.التصفح 10/3/2023

المبحث الرابع: الإفتاء والإعلام الافتراضي إيجابيات وسلبيات

المطلب الأول: الإفتاء الافتراضي

مر الإفتاء بعدة مراحل هي: الإفتاء الشفهي المباشر، ثم مرحلة الإفتاء المكتوب، ومرحلة الإفتاء المسموع، مرحلة الإفتاء المرئي، مروراً بمرحلة الإفتاء الإلكتروني وصولاً إلى مرحلة الإفتاء الافتراضي.

تُعد مبادرة الإفتاء الافتراضي التي طبقتها الشؤون الإسلامية في دبي في معرض(دبي X10) في 2019م، هي المبادرة الأولى من نوعها على مستوى العالم الإسلامي، حيث يقدم المشروع خدمات الإفتاء للسائلين باستخدام تقنيات متطورة تشمل الذكاء الاصطناعي والتفاعل الافتراضي والمعزز والتحليل الصوتي والمحادثة الصوتية وتحليل النصوص والتحاور من خلال الكتابة، وغيرها من الأدوات التقنية المتقدمة.

ويأتي ذلك في إطار حرص مؤسسة دبى للمستقبل ، لتنفيذ رؤية دبي للمستقبل ، باستخدام الذكاء الاصطناعي في عدة مجالات منها مجال الإفتاء.

وللسير قدماً نحو تحقيق المستقبل بمواكبة المتغيرات المستقبلية ، والسعي للابتكار في مجال الإفتاء، لتحقيق أهداف استراتيجية دبي للذكاء الاصطناعي .

وتم تأسيس منصة عالمية للإفتاء تحوي قاعدة بيانات ضخمة من الفتاوى والأحكام الشرعية لخدمة المتلقي، ويأتي ذلك تماشياً مع انتشار الإعلام الافتراضي لتقديم الفتاوى بلغات عالمية، وبسرعة ودقة، وكذلك تخزين عدد كبير من المراجع الشرعية الخاصة بالفتاوى ليتمكن المستفتي، أو طالب العلم من الرجوع إليها.1

1- صحيفة الإمارات اليوم العدد الصادر في 25/9/2019 https://www.emaratalyoum.com/local-section، التصفح 23-2/3/11م

ولمواكبة كل جديد في الإعلام الافتراضي ، تم تنفيذ ملتقى دبي للميتافيرس ، الذى تنضمة مؤسسة دبي للمستقبل ، وسيتم عقد الدورة الثانية من الملتقى في دبي في الفترة من -12-11أكتوبر القادم 2023م ، في متحف المستقبل المبنى الأجمل في العالم .

المطلب الثاني: مخرجات ملتقى الميتافيرس الأول

كانت من مخرجات الملتقي الأول : ديسمبر 2022م ، أنه يجب أن تركز الحكومات والشركات على أربع مجالات لتحقيق النجاح في عالم الميتافيرس:

- تعزيز التعاون والشراكات بين القطاعين الحكومي والخاص.
- تطوير التشريعات واللوائح المتعلقة بحماية البيانات والخصوصية ومخاطر الأمن السيبراني.
- تحديد أدوار ومسؤوليات واضحة لجميع المشاركين في هذه الرحلة التحويلية.
- إحداث تحول في مجال الانفتاح على تسريع تبني التقنيات الحديثة، وتبادل الخبرات والممارسات الناجحة في مجالات التطوير واكتشاف الفرص المستقبلية.[1]

المطلب الثالث: إيجابيات ،سلبيات استخدام الميتافيرس في الإفتاء

أولاً : الإيجابيات

لاشك أن استخدام العالم الافتراضي في المعاملات المختلفة تحقق الكثير من الفوائد والايجابيات ، والتي منها:

- سهولة تنفيذ المعاملات.
- الدقة والسرعة في الحصول على المعلومة.
- تقديم الخدمة لأكبر قدر ممكن من الناس .

1- مجلة نبض العدد الصادر يوم 1-1-2023 https://nabd.com/s/113037465-30aaef/

- توفير الجهد والوقت في الإنجاز.
- توصيل الخدمة لتكون عالمية يستفيد منها الناس حول العالم.
- مواكبة التطور لتحسين الخدمات في المستقبل.

وهذا يتطلب توفير العوامل التي تساعدنا على تحقيق النجاح في العالم الافتراضي ، منها:

- تطوير الكوادر وتدريبهم لصقل مهاراتهم في المجال التقنى.
- وجود لجان لدراسة الفتاوي الجديدة التي قد تطرأ في العالم الافتراضي.
- وضع استراتيجيات للمشكلات والتحديات الناتجة عن الإفتاء الافتراضي.
- تحديث نظم التعليم ، وتطعيم الجامعات بالتخصصات التقنية الحديثة .
- تعيين كوادر فنية متخصصة لمعالجة المشكلات الفنية لبرامج الإعلام الافتراضي.

ثانياً: سلبيات الإعلام الافتراضي

بالرغم من أهمية التطور التقني واستخدام الإعلام الافتراضي ، إلا أن استخدامه في مجال الإفتاء له بعض السلبيات التي تم التوصل إليها:

- استخدام التصاوير في الأفتار مما يناقض بعض الأحكام الشرعية بشأنها.
- كشف بيانات المتعاملين وتسهيل الابتزاز.
- استهداف الشباب بنشر الأفكار الإرهابية، وخطاب الكراهية.
- ستشكل مزيداً من الانعزال عن الواقع والبعد عن التعامل مع البشر الحقيقيين.
- تقليل فرص العمل للشباب بعد أن يحل عالم الميتافيرس محلهم.
- تقليل هيبة العالم ، وازدراء المفتين من أهل العلم.
- أن الإدمان على استخدام هذه التقنية، قد تعرض الأشخاص لكثير الضرر منها الأمراض النفسية.

المطلب الرابع : حكم استخدام الإعلام الافتراضي

ذكر بعض الفقهاء المعاصرين بأن ما يحدث في العالم الافتراضي ليس له حكم لأنه وهم وخيال، ولأن الحكم على الحلال والحرام لا يتعلق بالأدوات، وإنما يتعلق بالأخلاق والصفات .

وقال آخرون إن تقنية "ميتافيرس" ما زالت في بدايتها، وما زال الكثير من الغموض يحيط بها، ولذلك "لا يمكن أن أقول إننا مع التقنية في المطلق، أو ضدها في المطلق"، مؤكدًا أنه يمكن استخدامها؛ لكن مع وضع الضوابط والشروط.

ومازالت المسألة تحت الدراسة والتمحيص والاستنباط لأنها نازله من النوازل الحديثة ليتم بيان الحكم الشرعي فيها .

أن الألعاب الالكترونية الافتراضية مثل فورتنايت وغيرها ماهي إلا النسخة البدائية لتقنية الميتافيرس فهي تمثل تكييف أولي لعقولنا لكيفية العيش داخل هذا العالم الافتراضي، وزن أبرع من سيعيش في هذا العالم هم المبدعين في مثل هذه الألعاب ، فهو عالم بلا حدود قد يمثل تنافساً قوياً؛ بل حرباً بين الشركات كما هو الواقع حالياً في التنافس للاستثمار في المجال التقني ، فظهور بعض الابتكارات في الذكاء الصناعي كالتوصيل بالطائرات المسيرة ، والسيارات ذاتية القيادة ، وأبحاث الرعاية الصحية ، والتخزين السحابي ، والمعاملات المالية الرقمية ، ماهي إلا نماذج مصغرة للتغيرات الجوهرية التي تقودها شركات التقنيات الرقمية للتحكم في العالم، والتهيئة للعيش في عالم ماوراء الميتافيرس.[1]

وهذا يتطلب من هيئة كبار العلماء في العالم الإسلامي و المجمع الفقهي ، الاستعداد لدراسة هذه النوازل المستقبلية سريعة التطور لبيان الأحكام الفقهية في التعامل معها ، والعيش من خلالها لأنها ستصبح واقعاً لا مفر منه.

1- زيدان ،أشرف والسويدي، سيف، العالم ما وراء التقليدي – الميتافيرس ،ص٦٥ ومابعدها

التوصيات:

في ختام البحث بعد نوصي بعدد من التوصيات :

1- ضرورة مراعاة المرونة وعدم التشدد في الفتوى في ظل عالم متغير.

2- تطبيق العقوبة على المفتي المتساهل، ومدعى الإفتاء من العامة والوعاظ.

3- ضرورة الاستعانة بالمختصين من العلماء في عرض الفتوى.

4- توظيف العالم الافتراضي في مجال الفتوى بقيود معينة.

5- الالتزام بآداب الفتوى الشرعية، وأخلاقيات المفتي والمستفتي.

6- الاهتمام بالمخزون من التراث الإسلامي من كتب المتقدمين.

7- التوعية بالتربية الاعلامية، وأخلاقيات الإعلام الافتراضي.

8- نشر الثقافة الإعلامية التربوية.

9- إيجاد أحكام قانونية تتعلق بسوء استخدام الميتافيرس لأنه لا توجد عقوبة واضحة.

10- الاجتهاد في توعية المجتمع بالأحكام الشرعية لاستخدام الميتافيرس.

11- إبراز أهمية الوعي بالمسؤولية المجتمعية.

12- تدريب الفقهاء والعلماء على العالم الافتراضي وتعريفهم به وبالمعاملات التي تتم عن طريق هذه التقنية لبيان الحكم الشرعي.

المصادروالمراجع:

- ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن ، تحقيق موفق عبدالله عبدالقادر، أدب المفتي والمستفتي، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، الطبعة الثانية 2002م.
- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي ،تحقيق محي الدين عبدالحميد، إعلام الموقعين، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى 2003م .
- ابن جماعة ، بدر الدين بن إسحاق الكناني ، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العلم والمتعلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1354هـ.
- ابن عابدين ، محمد أمين ، حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة: 1966م
- ابن عبد البر ، يوسف بن عبدالله بن محمد، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت 2010م.
- ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار الحديث، القاهرة ، طبعة 2003م.
- الخطاب ، شمس الدين أبو عبدالله محمد الطرابلسي، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، دار الفكر ، بيروت، الطبعة: الثالثة 1992.
- الخطيب، أبوبكر أحمد بن على بن ثابت البغدادي ، الفقيه والمتفقه، تحقيق عادل الغرازي، دار ابن الجوزي ، السعودية ، الطبعة: 1421هـ .
- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، البحر المحيط ، دار الكتب ، بيروت، الطبعة: الأولى 1994م
- زيدان ،أشرف والسويدي، سيف، العالم ما وراء التقليدي – الميتافيرس، دار الأصالة ، تركيا 2022م
- زيدان، عبدالكريم، أصول الدعوة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: التاسعة ،2001 م

السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال، جامع الأسانيد والمراسيل، دار الفكر ، بيروت 1994م.

- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: السادسة،2004م

- القرافي ، شهاب الدين أحمد بن إدريس المصري، الإحكام في تمييز الفتاوى، دار البشائر الإسلامية، بيروت ، الطبعة: الثانية 1995م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث ، القاهرة (د.ت)
- الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الكويت، الطبعة: الثالثة 2003م
- النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف، آداب الفتوى والمفتي والمستفتي المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، 1988 م .

المجلات والصحف الالكترونية:

- صحيفة الإمارات اليوم العدد الصادر في 25/9/2019 ، التصفح 23-2/3/11م

https://www.emaratalyoum.com/local-section

- عباس مصطفى – مقال الإعلام والميتافيرس- موقع جهاز إذاعة وتلفزيون الخليج، org . 2022-3-30 - https://gcc-grt
- عبدالشكور، محمد، مقال حكم الفتوى بغير علم،24/8/2013م، https://alwafd.news
- مجلة نبض العدد الصادر يوم 2023-1-1 https://nabd.com/s/113037465-30aaef/
- 10/3/2023موقع الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف، مركز الإفتاء، تاريخ التصفح https://www.awqaf.gov.ae/ar -

النظام الفقهي بين الأمة والدولة الحديثة

دار الإسلام ودار الكفر نموذجاً

الدكتور إحسان دلال

عضو الهيئة التدريسية في جامعة شَيهْ أَدِبْ علي | تركيا

ihsan.dalal@gmail.com

ملخص البحث:

أدَّى الإعلانُ الرسمي لسقوط الخلافة العثمانية عام 1923م إلى نشوء الدولة الوطنية في العالم الإسلامي، وبالتالي حلَّ مفهوم «الدولة الوطنية» محلَّ مفهوم «الأمَّة» في البلاد الإسلامية من الناحية السياسية.

ويواجه المسلمون اليوم تحدّي التوفيق بين قضيتين: الأولى هي الوجود الحقيقي للدولة، وحضورها القوي الذي لا يمكن إنكاره، والثانية ضرورةُ استعادة شكلٍ من أشكالِ حكم الشريعة في هذه الدولة.

من خلال إلقاء النظر على تلكمُ القضيتين يحاول هذا البحث أن يجيب عن السؤال الآتي: هل يمكن أن يتأثر الاستدلال الفقهي نتيجة تغير شكل الدولة؟

ويخلُص إلى أنَّ طبيعة الاستدلال الفقهي ليست واحدةً من جميع جوانبها في مرحلة الأمة، ومرحلة الدولة الحديثة. وإنْ لم يلاحظ الفقيه اعتباراتِ تغيُّرِ البيئةِ التي تُطبَّق فيها كثيرٌ من الأحكامِ الشرعية بين هاتين المرحلتين؛ فقد يصل إلى أحكامٍ غيرِ دقيقةٍ، ولا تراعي الواقعَ الحالي الذي يعيشه المسلون اليوم، بل ربما كانت هذه الأحكامُ نفسُها، أحدَ الأسباب في عدم اقتناعِ كثير من الناس اليوم بحكم الشريعة.

وسيتخذ البحث من الأحكام الشرعية بين مفهومي دار الإسلام ودار الكفر في الفقه الإسلامي مجالاً تطبيقياً له.

الكلمات المفتاحية: الأمة، الدولة الحديثة، النظام الفقهي، دار الإسلام، دار الكفر.

The legal System Between the Ummah and the National state: Dar al-Islam and Dar al-Kufr as a case study

Abstract:

The official announcement of the fall of the Ottoman Caliphate in 1923 led to the emergence of the national state in the Islamic world. As a result, the concept of the " national state " replaced the concept of the "ummah" (nation) in Islamic countries from a political perspective.

Muslims today face the challenge of reconciling two issues: the first is the real existence of a state with strong presence that cannot be denied, and the second is the need to restore some form of Sharia Islamic law in this same state.

Through examining these two issues, this research attempts to answer the following question: Can jurisprudential reasoning of Fiqh be affected by the change in the form of the state?

It is concluded that the jurisprudential reasoning of Fiqh is not the same in all its aspects in the era of the ummah and the era of the modern state. If the “Faqih” (jurist) does not take into account the considerations of the changing environment in which many of the Islamic rulings are applied between these two periods, he may reach inaccurate rulings that do not take into account the current reality that Muslims live in today. In fact, these very rulings may be one of the reasons why many people today do not accept the rule of Sharia Islamic law.

The research will adopt the Sharia legal rulings between the concepts of the dar al-Islam and the dar al-kufr in Sharia Islamic law as an application area.

Keywords: ummah, national state, legal system, dar al-Islam, dar al-kufr.

مدخل:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين؛

بعد سقوط الخلافة العثمانية عام 1923م بدأت الدولة الحديثة في التشكُّلِ في البلاد الإسلامية، وحلَّ مفهوم «الدولة الوطنية» محلَّ مفهوم «الأمَّة» في هذه البلاد، وأثناء ذلك بدأت الاتجاهات القومية والعلمانية بالظهور في هذه الدول الناشئة، ووجدت الدول الإسلامية نفسَها في عالَمٍ جديدٍ ومتغيرٍ تسود فيه قِيَمُ «الدولة الحديثة» التي تشكّلت في أوربا بعد الثورة الفرنسية.

وفي حينِ استطاعت الكنيسة المسيحية في أوربا أن تجد لها مخرجاً تتأقلم فيه مع الدولة الحديثة، وذلك من خلال فكرةِ فصْلِ الدِّين عن الدولة؛ إلا أنَّ هذا الأمر لم يكن يسيراً عند الشعوب الإسلامية، بسبب طبيعة الشريعة، وعدم إمكانية فصلها عن الحياة.

إنّ هذه الظروف أدَّتْ في نهاية المطاف إلى وقوع فكرة (الدولة) في البلاد الإسلامية في مأزقٍ صعبٍ له جانبان:

- داخلي: يتمثَّلَ في الصراعات بين الاتجاهات العلمانية والإسلامية داخل هذه البلاد حول طبيعة الدولة، ودستورها وقانونها الذي يحكمها.

- خارجي: يتمثَّل في ضرورة أن تتأقلم الدولة الوطنية في البلاد الإسلامية مع طبيعة الوضع الدولي الجديد، الذي تسود فيه قيم الدولة الحديثة.

وهكذا يواجه المسلمون اليوم تحدّي التوفيق بين قضيتين: الأولى هي الوجود الحقيقي للدولة، وحضورها القوي الذي لا يمكن إنكاره، والثانية هي الحقيقةُ المتمثلة في ضرورةِ استعادة شكلٍ من أشكالِ حكم الشريعة، ولا شكَّ أن معالجةَ هذا التحدّي أمرٌ من الأهمية بمكانٍ، وهو بحاجةٍ إلى سلسلةٍ من البحوث العلمية المتخصصة، يتداخل فيها الجانب السياسي والفقهي التشريعي.

وسيحاول هذا البحث أولاً أن يوضِّح الفروق الأساسية بين النظام التشريعي في مرحلتي: (ما قبل الدولة الحديثة)، و(الدولة الحديثة)، والتي سيصطلح على تسميتهما بمرحلتي: (الأمة) و(الدولة).

وثانياً سيبين أنَّ طبيعة الاستدلال الفقهي ليست واحدةً من جميع جوانبها في مرحلة الأمة، ومرحلة الدولة الحديثة، ولابد من أن يراعيَ الفقيهُ اعتباراتِ تغيُّرِ البيئةِ التي تُطبَّق فيها كثيرٌ من الأحكامِ الشرعية بين هاتين المرحلتين.

ثم سيتخذ البحث من أحكام العلاقات الدولية بين دار الإسلام ودار الكفر في الفقه الإسلامي نموذجاً تطبيقياً لهذه الفرضية.

ولابد من التأكيد على ملاحظة في غاية الأهمية هنا؛ وهي أن هذا البحث غير معني بتقديم اجتهاداتٍ وفتاوى فقهية لقضايا معينةٍ بحدِّ ذاتها، بقدر ما يحاول التأكيد على أن الاستدلال الفقهي في الوقت الحاضر لابد أن يأخذ في النظر تغير شكل الدولة.

الدولة الحديثة:

تأتي كلمة الدَّولة من حيث الجذر اللغوي في اللغة العربية، بمعنى التَّغيُّرِ وانقلابِ الزمانِ من حالٍ إلى حالٍ، أو بمعنى النَّوبَةِ في المال والحرب، وهي بفتح الدَّال (دَولة)، وبضمِّهَا (دُولة).

ويرى بعضُ اللغويين أن الدُّولة بالضم تكون في المال وبين الأغنياء، تعبيراً عن دورة المالِ فيما بينهم، ومنه قوله تعالى: ﴿كي لا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم﴾ [الحشر: 7]، أمَّا الدَّولة بالفتح فتكون في الحرب عندما تكون الغلبة لأحدِ الجيشينِ على الآخر، ومنه قوله تعالى في شأنِ غزوة أحدٌ: ﴿وتلك الأيامُ نُداوِلُها بين الناس﴾ [آل عمران: 140]، بينما يذهب فريق آخر من اللغويين إلى أنهما مترادفان.1

1 محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، 28: 506.

أما من حيث الاصطلاح فبسبب الاختلاف الكبير بين الباحثين حولَ مفهومِ الدولة الحديثة؛ فإنَّه يصعب الوصول إلى تعريفٍ مُجْمَعٍ عليه لها؛ ومن أشهر التعريفات لمفهومِ الدولة تعريفُ المفكر الألماني ماكس فيبر Max Weber (192-1864) بأنها: «منظمةٌ سياسيةٌ إلزاميةٌ، مع حكومةٍ مركزيةٍ، تحافظ على الاستخدام الشرعي للقوةِ، في إطار معين من الأراضي».

وعرَّفت موسوعة لاروس - Larousse الفرنسية الدولة بأنها: «مجموعةٌ من الأفراد الذين يعيشون على أرضٍ محددة، ويخضعون لسلطةٍ معينة».

في حين رأى العديد من فقهاء القانون الدستوري أنَّ الدولة: «كيانٌ إقليميٌّ يمتلك السيادةَ داخلَ الحدودِ وخارجَها، ويحتكر قوى وأدوات الإكراه».

وثمةَ تعريفٌ آخر مقبولٌ عموماً للدولة هو التعريف الواردُ في اتفاقية مونتيفيديو Montevideo بشأن حقوق وواجبات الدول في عام 1933، وقد عرَّفَتْ الدولة بأنها: «مساحة من الأرض تمتلك سكاناً دائمينَ، ضمن إقليمٍ محدَّدٍ، وحكومةٍ قادرةٍ على المحافظة والسيطرة الفعَّالة على أراضيها، وإجراءِ العلاقات الدولية مع الدول الأخرى».1

أهم خصائص الدولة الحديثة:

- الدولة الحديثة دولة ديمقراطية، ونظامها خاضع للمراقبة الشعبية عن طريق النظام الانتخابي البرلماني، واتباع النظام اللامركزي الذي يعتمد على مبدأ تفويض السلطات والوظائف _ التي لا تتعارض مع مبدأ سيادة الدولة _ بعيداً عن السلطة المركزية.2

---

1 ينظر التعريفات السابقة: فيصل براء ومتين المرعشلي، مفهوم الدولة **The Concept of State**، الموسوعة السياسية، **https://cutt.us/Z8h7E**.

2 محمود حيدر، الدولة فلسفتها وتاريخها من الإغريق إلى ما بعد الحداثة، (المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، 1439هـ.2018م)، 92.

- احتكار استخدام القوة: فالدولة هي الفاعل الأعلى في تشريع العنف الذي يطبق على الخارجين عن إرادتها، وهي صاحبة الحق الحصري في ممارسته.1
- تتمثل قوة الدولة من خلال قدرتها على تنظيم المجتمع، والسيطرة عليه ثقافياً، ولذلك لا تقبل الدول وجود أي كيانات مستقلة ضمن حدوها، لأن ذلك سيؤثر على ولاء الفرد للدولة2، ولذلك كان من أهداف التنظيمات العثمانية، تقويةُ الدولة في مواجهة الدول الأوربية التي كانت تحاول استغلال الجماعات المستقلة ضمن حدود الدولة، لخدمة مصالحها الاستعمارية.3
- الحكم الدستوري: يعتبر الدستور من أهم خصائص الدولة الحديثة، ويمثل مبدأ سيادة الشعب، وهو عبارة عن المبادئ العامة، التي تحدد شكل الدولة (ملكية أو رئاسية أو برلمانية ..)، ويشمل القواعد العامة التي لا يمكن تجاوزها أثناء عملية صياغة القوانين، كما ينظم العلاقة بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية في الدولة.4
- الوعي بالمواطنة: فالدولة الحديثة تعتبر الأشخاص الذين يسكنون ضمن حدودها المحددة بدقة، وينتمون إلى نفس الأمة؛ مواطنين متساويين في الحقوق والواجبات والمسؤوليات والسلطات، دون أن يميز بينهم أي اعتبار آخر.5

---

1 Cem Kotan, Modern Dünya Sistemi Teorisi Bağlamında Modern Devletin Özellikleri, Uluslararası Politik Araştırmalar Dergisi, 2016, Yıl:2, Cilt:2, Sayı:1, s. 11 - 25.

ووائل حلاق، الدولة المستحيلة، الإسلام والدولة ومأزق الحداثة الأخلاقي، ترجمة عمرو عثمان، (الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2014م)، 63.

2 محمود حيدر، الدولة فلسفتها وتاريخها من الإغريق إلى ما بعد الحداثة، 92، وعبد الله العروي، مفهوم الحرية، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط5، 2012م)، 36.

3 وائل حلاق، الدولة المستحيلة، 63.

4 Cem Kotan, Modern Dünya Sistemi Teorisi Bağlamında Modern Devletin Özellikleri.

5 المرجع السابق.

الأمة:

تأسَّسَ مفهوم الأمة الإسلامية على المبادئ التي حدَّدَها القرآن والسنة، فلا توجد أهميةٌ تُذكَرُ للفوارق بين الشعوب على أساس الجغرافية، أو العِرْق، أو اللغة، أو الثقافة ..، بل هي مبادئ القرآن التي أعلنها بقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52]، فالتقوى وإعلان العبودية لله سبحانه وتعالى هي أساس الأمة، ومَقْصِدُ الاختلافاتِ الجغرافية أو العرقية أو اللغوية هو التَّعارَف والتعاون فيما بينها، وميزان التفاضل هو التقوى؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

وفي وقتٍ مبكرٍ من تاريخ المسلمين قرَّرتْ السنة المطهرة لهذا المفهوم للأمة معانيَ سياسيةً؛ من ذلك قولُه صلى الله عليه وسلم: «ذِمَّةُ المسلمينَ واحدةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ مسلماً فعليهِ لعنةُ الله والملائكةِ والنَّاسِ أجمعينَ، لا يُقْبَلُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ».1

وعلى هذا الأساس عَقَدَ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تحالفاته ومعاهداته في الجزيرة العربية، فعلى سبيل المثال جاء في المعاهدة التي عقدها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة: «المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أمة واحدة من دون الناس».2

ومما يُلاحظ هنا أنَّ أمَّة الإسلام ليستْ دينيةً على الطريقة الثيوقراطية الكَنَسِيَّةِ التي حكم فيها رجال الدين أوربا في عصر ما قبل النهضة، بل هي أمَّةٌ تستوعب كلَّ من أعلن الولاء لها، مع ضمان كامل حقوقهم،

1 أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق زهير الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، رقم (1870)، ومسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، رقم (1370).

2 محمد سعيد رَمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، (دمشق: دار الفكر، ط25، 1426هـ)، 151.

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوثيقة السابقة: «يهود بني عوف أمةٌ مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم».1

وهي أمةٌ يتَرأَّسُها رجالُ الدولة ويحكمها نظام الحكم الإسلامي، الذي يعتمد على أسس أخلاقية وقانونية وسياسية واجتماعية وميتافيزيقية مختلفة بشكل جذري عن الأسس التي تقوم عليها الدولة الحديثة، فالأمة تحلُّ محلَّ الشعب في الدولة القومية الحديثة، والشريعة هي القانون النموذجي الذي يُعتَبر الإقليمُ الذي يخضع له دارَ إسلام، وما سواه دارَ كفر أو حرب، وهو قانون مبني أساساً على المبادئ الأخلاقية، أما صاحبُ السيادة في الأمة هو الله وحده، لأنه مالك كل شيء بالمعنى الحرفي، ملكيةً حقيقيةً لا مجازيةً، وسلطة القرار التي يملكها كبار الفقهاء والقضاة محكومةٌ بقواعد أخلاقية صارمة، لأنهم يمثلون للعامة الأسوة الحسنة في التقوى والاستقامة والعلم، وهم قادةٌ مدنيون وجدوا أنفسهم، بحكم طبيعة «مهنتهم» كحماةٍ للدين وخبراء في الشريعة، مشاركين في الإدارة اليومية للحياة المدنية.2

وبالرغم من أوقات الضعف التي أصيبت بها الأمة من الناحية السياسية والاقتصادية خلال القرون الماضية؛ إلا أن الشريعة بطبيعتها القانونية الأخلاقية، كانت دوماً هي الحاكمة على المجتمع والأمة، وعلى سبيل المثال كان من المعتاد أن يكون الشخص العادي مُلِمَّاً بالأحكام الشرعية الأساسية، في عباداته، ومعاملاته اليومية، وأحكام الأحوال الشخصية، دون الحاجة إلى الرجوع إلى المفتي أو إلى الموسوعات الفقهية، وهكذا كانت الشريعةُ حاضرةً بقوةٍ في ضميرِ الرّعية، واستمرت هي المرجعيةَ الوحيدة في المجتمعِ، حتى العصر الحديث الذي صارت فيه الدولة الحديثة هي المنهج النموذجي لإدارة الدولة والمجتمع.

1 المرجع السابق.

2 وائل حلاق، الدولة المستحيلة، 105 _ 113.

النظام الفقهي:

اشتملت الشريعة الإسلامية على جملةٍ من البِنَى الفكرية كعلم أصول الفقه والنظريات الفقهية والقواعد الفقهية والأصولية ومقاصد الشريعة؛ ولكلِّ واحدةٍ من هذه البنى أصولُها العلمية وقواعدها الأساسية وفروعها المتشعبة التي تكاد تجعلها علماً مستقلاً بحدِّ ذاته، لكنها في الوقت ذاته ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، وتعمل معاً ضمن منهجية علمية بالغة الدقة؛ من أجل تحقيق هدفٍ واحدٍ هو الوصول إلى حكم الله تعالى، ولا بد من التذكير هنا أن لهذا الهدف قدسيةً خاصة ضمن نظرية المعرفة الإسلامية؛ لأنَّ الله وحده هو صاحبُ السيادة في الأمة، وهو مالك كل شيء بالمعنى الحقيقي لا المجازي، ولذلك فإن الوصول إلى حكمه يشكل حجر الزاوية من وجود الإنسان على ظهر الأرض كما سبق بيانه.

وبهذه الطريقة أنتجت هذه المنهجية العلمية ميراثاً ضخماً، وغيرَ مسبوقٍ في تاريخ الإنسانية، من الأحكام الشرعية التي تُعرف بالفقه الإسلامي تدور أحكامُه حول الحقوق الثلاثية: حق الله، وحق العبد، والحقوق المشتركة بين الله والعباد.

إن النظام الفقهي في الحقيقة عبارةٌ عن كل ما سبق من تقنيات ومنهجيات علمية وبنى فكرية، وفي الدراسات المعاصرة قلَّ أنْ نجد مَن يتناول النظام الفقهي بهذا المعنى على اعتباره أنَّه مصطلحٌ خاصٌ، وربما يرجع ذلك إلى أنَّ معناه حاضرٌ في نفس الفقيه المتبحر في الشريعة فقد لا يجد حاجةً إلى إفراده بالبحثِ، وربما يذهب البعض إلى أنَّه داخلٌ ضمن علم أصول الفقه.

ومن بين هذه الدراسات المتعلقة بالنظام الفقهي؛ «ندوةُ تطور العلوم الفقهية في عُمان»، وهي الندوة الفقهية المتخصصة التي تقيمها سنوياً وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عُمان؛ قد جعلت عنوان دورتها الثانية عشرة: «النظرية الفقهية والنظام الفقهي».1

1 أقيمت في سلطنة عُمان بتاريخ 07-10 .04 .2012.

شارك في الندوة مجموعة كبيرة من الباحثين والمتخصصين من أنحاء مختلفة من العالم، وقُدِّم فيها نحو (65) بحثاً حول النظريات الفقهية وتاريخها وقواعدها .. لكنَّ الأهمَّ من ذلك أنَّ ذلك كلَّه جاء في سياق كونها جزءاً من النظام الفقهي الذي نتحدث عنه هنا.

وفي كلمته حول هذه الندوة عرَّف د. معتز الخطيب النظام الفقهي بأنَّه:

«البنى الفكرية والمنهجية العلمية التي نشأ عليها الفقه الإسلامي، وانتظم عطاؤه وإنتاجه المعرفي من خلالها، حتى أصبح يشكل نظاماً معرفيا له بنياته ونظرياته وأنساقه».1

إنَّ الذي جعل الباحث يرجح هنا مصطلح (النظام الفقهي) على (الفقه الإسلامي) أو (علم أصول الفقه) مثلاً، هو أن المقصود هنا ليس الأحكام الشرعية أو قواعد أصول الفقه بحد ذاتها، بقدر التنبيه على العقلية والمنهجية الفكرية التي أدت إلى الوصول إلى هذه الأحكام، وما إذا كانت هذه المنهجية قادرة على إدراك الواقع بهدف الوصول إلى معالجة صحيحة له، وهذا ما يستلزم أن تتآلف كل البنى السابقة (الفقه والأصول والنظريات والقواعد الفقهية والأصولية ومقاصد الشريعة ..) ضمن سياق واحد بهدف ضبط مصالح الأفراد والمجتمع.

ولأنَّ إدراكَ عملية التحول من مرحلة الأمة إلى الدولة الحديثة من الناحية الفقهية لا يكفي فيه الإلمامُ بالقواعد الأصولية أو بمقاصد الشريعة فقط على سبيل المثال، بل لا بد لذلك من تلك المنهجية المتكاملة التي يقوم عليها النظام الفقهي الإسلامي، ومن خلال هذه المنهجية فقط يستطيع الفقيه إدراكَ الواقع، وكيفيةَ التعامل معه، ومن ثمَّ العمل على تغييره بهدف الوصول إلى حكم الله تعالى.

1 معتز الخطيب، النظرية الفقهية والنظام الفقهي، وقائع الندوة الفقهية السنوية في سلطنة عمان، مجلة التفاهم، عدد 35، 2012، منشورة على موقع Academia، https://cutt.us/b7cyU .

بل ربما دخل في هذه المنهجية المتكاملة المباحثُ الكلامية، ومباحث علم التفسير والحديث، لأن من وظيفتها أن تحدِّدَ وظيفة الإنسان في الحياة وطبيعة تعامله مع الكون الذي يحيط به، الأمر الذي له يلعب دوراً مهماً في فهم طبيعة الحكم الفقهي.

النظام الفقهي بين مرحلتي: ما قبل الدولة (الأمة)، والدولة الحديثة

إن إدراك الفقيه المعاصر لكيفية انتقال البلاد الإسلامية من مفهوم الأمة إلى الدولة الوطنية من الناحية التشريعية والفقهية؛ أمرٌ على قدْرٍ كبيرٍ من الأهمية، لأنَّ فهمَ الواقع بشكلٍ صحيحٍ هو جزءٌ أساسي من كيفية الوصول إلى حلولٍ لمشكلاته الحالية.

وعلى سبيل المثال؛ أدَّى عدمُ إدراك هذه القضية في سوريا والعراق إلى ظهور شكل مشوَّه للدولة هو داعش. وفي أفغانستان نحن اليوم على أبواب إمارة إسلامية جديدة، ولا ندري كيف تنظر هذه الإمارة إلى نفسها وإلى العالم، ولا نعرف على وجه التحديد شكل الدولة الذي سيتشكل في تلك المنطقة.

ومن المهم جداً هنا التنبيه إلى أنَّ هدف البحث لا يتمثل في الدعوة إلى تكييف التشريع حسب مقتضيات الدولة الحديثة، لأنها في كثيرٍ من جوانبها تتناقض مع حكم الشريعة، فعلى سبيل المثال؛ السيادةُ في الدولة للشعب بمعنى أنَّه صاحب الحق في وضع القوانين، بينما هي في الأمة لله على اعتبار أنَّه المالك الحقيقي لكل شيء، وهذا يعني أنَّ التشريع لا بد أن يكون مستنبطاً من المصادر الإلهية.

ومن هنا فإنَّ طبيعة الاستدلال الفقهي ليست واحدةً من جميع جوانبها في مرحلة الأمة ومرحلة الدولة الحديثة، وإنْ لم يلاحظ الفقيه اعتباراتِ تغيُّرِ البيئةِ التي تُطبَّق فيها كثيرٌ من الأحكامِ الشرعية بين هاتين المرحلتين، فلن يصل إلى أحكامٍ دقيقة تراعي الواقع الحالي الذي يعيشه المسلون اليوم، وتكون منهجاً من مناهج التدرج نحو الوصول إلى الحكم الإسلامي المنشود، بل على العكس ربما كانت هذه الأحكام الشرعية نفسها، أحدَ الأسباب في الابتعاد عن هذه الحكم.

ويمكن هنا أن نتخذ من أحكام العلاقات الدولية بين دار الإسلام ودار الكفر في الفقه الإسلامي كنموذجٍ تطبيقيٍّ لهذه المسألة.

إذا نظرنا إلى مجمل الأحكام الشرعية المتعلقة بالعلاقات الدولية في الفقه الإسلامي؛ فإننا نجد أن هذه الأحكام كُتبت في مرحلةٍ سبقت نشوء الدولة الحديثة، لكن التغيرات الجذرية التي طرأت على طبيعة العلاقات بين الدول في العصر الحالي، وخصوصاً بعد التوقيع على مواثيق الأمم المتحدة، تدعو لإعادة النظر في كثيرٍ من هذه الأحكام الشرعية التي كُتبت في العصور الكلاسيكية.

فقد تأسست العلاقات الدولية في الإسلام على مفاهيم (دار الحرب) و(دار الإسلام)؛ فدار الإسلام هي كل أرض تظهر فيها أحكام الإسلام، أو يسكنها المسلمون وإن كان معهم فيها أهل ذمة، أو فتحها المسلمون وأقرُّوهَا بيد الكفار، أو كانوا يسكنونها ثمَّ أجلاهم الكفار عنها.1

أما دار الحرب فهي كل بقعة تكون فيها أحكام الكفر ظاهرة، بمعنى أن هذه الدولة لا تتوافق في إدارتها ونظامها القانوني مع مبادئ الإسلام، وبالتالي تكون خارج حدود الهيمنة السياسية الإسلامية.2

إنَّ المفاهيم الفقهية كمفهوم (دار الإسلام) و(دار الكفر)، والأحكامَ الشرعيَّةَ المتعلِّقةَ بها، هي عبارةٌ عن جملةٍ من المفاهيم والأحكام التي نشأتْ في ظلِّ نظامٍ فقهيٍّ قديمٍ، يقوم على أمرين رئيسيين:

الأول: أنَّ الرَّابطة بين البشر هي (رابطةٌ دينيةٌ)، فالناسُ في هذا النظامِ الفقهيِّ إمَّا مسلمون أو كفار، والمسلمون يحكمُهم نظامُ الإسلام، في حين أنَّ الكفّارَ يحكمُهم قوانينُهم وشرائعُهم الخاصَّة بهم.

الثاني: أنَّ الأصل في العلاقة بين الدول هو الحرب لا السِّلْم، وَفْقَ منطقِ العالم القديم، ولذلك كانتْ دارُ الكفرِ هي دارَ الحرب، والأحكام التي تنشأ بين الدولة الإسلامية وغيرها كالصلح أو إلزام دفع الجزية، ما هو إلا نتيجة لهذا الأساس، ولهذا السبب كانت دولتا بيزنطة وفرنسا تدفعان الجزية للمسلمين.1

---

1 محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1414هـ.1993م)، 80.

2 المرجع السابق.

لكن هذه الحقيقة انقلبت كلياً في عصر الدولة الحديثة، بعد توقيع جميع دول العالم على مواثيق الأمم المتحدة، وبناءً على ذلك صار السلم هو الأصل في العلاقات الدولية والحرب طارئة.

ويمكن هنا أن نعطي بعض الأمثلة التطبيقية لاختلاف الحكم بين الزمن القديم والزمن الحاضر بسبب اختلاف شكل الدولة:

تشريع الجهاد:

ذهب الشافعي إلى أن علة الجهاد الكفر لا الحرابة2، وقد كان الفكر السائد في ذلك العصر يرى أنَّ دار الكفر هي دار الحرب من حيث الأصل، أما اليوم في عصر الدولة الحديثة فقد صارت دار الكفر دار سِلْم، ولم يعد وارداً مطالبة الدول الكافرة في العالم الحديث في أمريكا وأوروبا أن تدفع الجزية أو أن تكون تابعة لدولة الإسلام، سيما وأن الدول الإسلامية كانت من أوائل الدول التي وقّعتْ على اتفاقيات الأمم المتحدة التي تنص على منع العدوان، وهذا إلزام قانوني لا يمكن دفعه.

الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنَّ الهجرةَ مِن دار الكفر إلى دار الإسلام؛ قد تكون واجبةً على القادر عليها، لكنه لا يستطيع إظهارَ دينِه، وإقامةَ واجباتِهِ بين ظهرانَي الكفّار، وقد تكون مستحبةً للقادر عليها المتمكن من إظهار دينه، وإقامة واجباته، في حين أنَّ العاجز لمرضٍ أو إكراهٍ ونحو ذلك فلا هجرةَ عليه.3

لكنَّ متقدّمي الفقهاء لم ينشغلوا كثيراً بأحكام الإقامة الدائمة في بلاد الكفار، أو بما يمكن أن نطلق عليه "الهجرة من دار الإسلام إلى دار الكفر"، وهذا ما يبدو منسجماً مع النظام الفقهي في العصور

---

1 Cem Kotan, Modern Dünya Sistemi Teorisi Bağlamında Modern Devletin Özellikleri.

2 محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه، 94.

3 عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، المغني، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة)، 8: 457، ويحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1975م)، 10: 282، وأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، مصورة عن المطبعة السلفية بمصر)، 6: 190.

الكلاسيكية، حيث كانت الأمة الإسلامية تتبوأ مركز الصدارة الحضارية في العالم، فل يوجد ما يشجع المسلم على مثل هذه الإقامة الدائمة.

ولكننا في الزمن الحاضر نجدُ أنَّ هذا التصوَّرَ قد انقلبَ كليًّا؛ فالرابطة بين البشر تحوَّلتْ إلى رابطةٍ مدنية/مواطنة، بعد أنْ كانت رابطةً دينيةً، وينظِّمُها دستورٌ وقوانين قُطرية، تخضعُ لميثاق حقوقِ الإنسان الأممي، وهذا الأمر نتجَ عنه أنْ تكون حقوق الإنسان مكفولةً للجميع في الدولة، دون تفريقٍ بين المسلمين وغيرهم، بما في ذلك حرية العبادة، وإقامة الشعائر الدينية، وأصبح الأمْر متعلِّقاً بمدى احترام الدولة لهذه القوانين بغضِّ النظر عما إذا كانت هذه الدولةُ دارَ كفرٍ أو إسلامٍ.1

كما أنَّ العلاقة بين الدول أصبحتْ قائمةً على السلم في الأصلِ اِستنادًا إلى مواثيق الأمم المتحدة التي تنظّم العلاقة بين الدول، وهذا يرسِّخُ أيضاً نظام الحماية وعدم العدوان على المسلم أو غير المسلم.2

وهكذا فإنَّنا أمام انقلابٍ كليٍّ في نظامِ العالم، ما يعني أنَّ النظامَ الفقهيَّ القديمَ لم يَعد ملائمًا للواقعِ الجديدِ من جميع الجوانب.

ومن هنا كان لا بد من إعادة النظر في كثيرٍ من الأحكام المتعلقة بالإقامة الدائمة في بلاد الكفر، واكتساب جنسية "الدولة الكافرة"، فكثيرٌ من الدول اليوم، والتي نطلقُ عليها في عُرْفِنَا الفقهي (دارَ كفر)، هي أكثر احتراماً للإنسان وحقوقه في قوانينها المحلية من الغالبية العُظمى للدول التي نطلق عليها لفظ (دار الإسلام)، حيث تنتشرُ معتقلاتُ التعذيب، ويُحاكَمُ الناسُ في محاكمَ عسكريةٍ لمجرد مطالبتهمْ بأدْنَى حقوقِهِمْ الإنسانية.3

---

1 عبد الله بن يوسف الجديع، تقسيم المعمورة في الفقه الإسلامي وأثره في الواقع، (دبلن: المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، 2007م)، 125.

2 المرجع السابق.

3 ذهب كثيرٌ من الفقهاء المعاصرون إلى حرمة هذه الإقامة، وشدّدوا التحريم في مسألة اكتساب جنسية الدولة الكافرة، واستندوا في ذلك بشكلٍ رئيسيٍّ على قاعدة الولاء والبراء.

ينظر: عبد الله بن باز، الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز، **https://cutt.us/abVJL** .

أثر اختلاف الدارين في أحكام المواريث:

إنَّ اختلاف الدارين حكما فقط، كالذميِّ والمستأمنِ في دار الإسلام، أو حكماً وحقيقةً، كأن يكون الوارث حربياً في دار الكفر، والموروث ذمياً في دار الإسلام؛ هو أحد موانع التوارث عند الحنفية، فلا يرث الذميُّ حربياً ولا مستأمناً، ولا الحربيُّ والمستأمنُ ذمياً ولو اتفق دينهما، ولا يرث الحربيُّ حربياً إن اختلفتْ داراهما. أما إذا اتحدت الدار حكماً فيثبت التوارثُ كالتوارثِ بين مستأمنين في دارنا إن كانا مِن دارٍ واحدة، وبين مستأمن في دارنا وحربيٍّ في دارهم.1

وهذا الحكم في الزمن القديم لا مشكلة فيه، لكن في هذا الزمن يوجد في كل دولة قوانين تحمي ملكية كل شخص دون النظر إلى دينه أو بلده، فهل يمكن أن نقول في هذا العصر: إن الألماني الذي يسكن في تركيا لا يحق له أن يرث أباه الذي مات في ألمانيا، لأن الولد يعيش في دار الإسلام (تركيا)، والأب مات في دار الكفر (ألمانيا)؟!

وهناك أمثلةٌ أخرى يختلف الحكم فيها بين الزمن القديم والزمن الحاضر لأن العلاقة بين الدول قديماً كانت علاقة حرب، أما العلاقة بين الدول حالياً فهي علاقة قوانين، ويمكن لأي محامٍ أن يأخذ الحق لصاحبه بواسطة القوانين، وفي أحيان كثيرة فإنَّ الحقوق في دار الكفر في الوقت الحالي ربما تكون محفوظة أكثر من الحقوق في دار الإسلام.

هيئة الشام الإسلامية، فتاوى الثورة السورية، حكم هجرة السوريين إلى بلاد غير المسلمين والتجنس بجنسيتها، رقم الفتوى 71، 2015، **https://islamicsham.org/fatawa/2441** .

منيرة بنت فراج العقلا، الإقامة في بلاد الكفار دراسة عقدية، مصر، جامعة المنوفية، مجلة بحوث كلية الآداب، المجلد: 30، العدد: 119، 2019م، 754.

محمد سعيد رمضان البوطي، قضايا فقهية معاصرة، (دمشق: مكتبة الفارابي، ط1، 1412هـ.1991م)، 189.

1 محمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار المعروف بـ حاشية ابن عابدين، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1386هـ)، 6: 768، وعثمان بن علي الزيلعي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، (بيروت: دار الفكر، ط2، معادة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق بمصر سنة 1313هـ)، 6: 240.

التفرقة بين الزوجين عند اختلاف الدار:

يرى الحنفية أنَّ اختلاف دارَي الزوجين حقيقةً وحكماً موجب للفرقةِ بينهما. فإذا كان أحد الزوجين في دار الإسلام، وكان ذمياً مقيماً إقامةً مؤبدة، أو مستأمناً مقيماً بها إقامةً مؤقتةً، فأسلم دون زوجه الذي في دار الكفر، أو كان مقيماً في دار الكفر، فأسلم ثم هاجر إلى دار الإسلام وزوجه الآخر في دار الكفر؛ انفسخ النكاح في هذه الحالات، لاختلاف الدارين حقيقةً وحكماً.1

واحتج الحنفية بأنه مع تباين الدارين حقيقة وحكما لا تنتظم المصالح، والنكاح شرع لمصالحه لا لعينه، فلا يبقى عند عدمها، كالمحرمية إذا اعترضت عليه. وهذا لأن أهل الحرب كالموتى - أي بالنسبة إلى أهل دار الإسلام - فلا يشرع النكاح بين الحي والميت.2

الوصية:

ذهب الحنفية إلى عدم صحة وصية المسلم أو الذمي للحربي، إذا كان الموصي في دار الإسلام والموصَى له حربيٌّ في دار الحرب، وهو المعتمد عند المالكية، ووجهٌ للشافعية.3

ودليل مَن منع الوصية لهم أن التبرع لهم بتمليكهم المال إعانة لهم على حرب المسلمين. وأيضا نحن قد أمرنا بقتل الحربي وأخذ ماله، فلا معنى للوصية له. ومن أجل هذا صرح الحنفية بعدم جواز هذه الوصية ولو أجازها الورثة، ولو جاء الحربي لدار الإسلام لأخذ وصيته لم يكن له ذلك.4

القصاص:

---

1 محمد بن أحمد السرخسي، المبسوط، (بيروت: دار المعرفة، ط3، 1398هـ)، 5: 51، وأبو بكر بن مسعود الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1402هـ)، 2: 338.

2 الموسوعة الفقهية الكويتية، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار السلاسل، ط2)، 2: 306.

3 الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، 7: 341، وأحمد محمد الدردير، الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي، (بيروت: دار الفكر)، 4: 426، ومحمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.1994م)، 4: 72.

4 الموسوعة الفقهية الكويتية، 2: 307.

ذهب الحنفية إلى أنه لا قصاص على المسلمِ إذا ارتكب جريمة قتلٍ في دار الكفر ولو كان المقتول مسلماً؛ والسبب في ذلك أن القتيل لا يخلو من أن يكون حربياً ثم أسلم في دار الكفر، ولم يهاجر إلى دار الإسلام، أو أن القاتل والمقتول دخلا دار الحرب مستأمِنَين فلا قصاص على القاتل، أو أن القتيل أسيرٌ في دار الحرب قتلَه أسيرٌ مثله، فلا قصاص في هذه الحالة أيضاً، وإنما تجب الكفارة.1

وإذا كان القاتل ذمياً والمقتول مستأمناً؛ فلا قصاص عند الحنفية أيضاً، قال صاحب البدائع: لأنَّ عصمة المستأمن ما ثبتتْ مطلقةً، بل هي موقوتة إلى غاية مقامه بدار الإسلام؛ لأنَّ المستأمن من أهل دار الحرب، وإنما دخل دار الإسلام لا لقصد الإقامة، بل لحاجة يقضيها ثم يعود إلى وطنه الأصلي. فكان في عصمته شبهة العدم.2

1 تبيين الحقائق، 6: 112.

2 بدائع الصنائع، 7: 236.

خاتمة:

بدأت الدولة الحديثة في التشكُّلِ في البلاد الإسلامية، بعد سقوط الخلافة العثمانية عام 1923م، وبدلاً من مفهوم «الأمة» حلَّ مفهوم «الدولة الوطنية» الذي يحمل تبعات قانونية ودستورية تعود مرجعيتها إلى الأسس التي نشأت عليها الدولة الحديثة في عصر التنوير في أوربا، وأثناء ذلك بدأت الاتجاهات القومية والعلمانية بالظهور في هذه الدول الناشئة، ووجدت الدول الإسلامية نفسَها في عالَمٍ جديدٍ ومتغيرٍ تسود فيه قِيَمُ «الدولة الحديثة» التي تشكّلت في أوربا بعد الثورة الفرنسية.

إن هذا التغير فرض نفسه على طبيعة الاستدلال الفقهي في مجالات مختلفة كأحكام الجهاد والعلاقات الدولية بين الدول الإسلامية وباقي دول العالم، وأحكام الاقتصاد الإسلامي المرتبط ارتباطاً عضوياً بالمنظومة الاقتصادية العالمية التي لا تراعي الأصول الشرعية في تعاملاتها، وكأحكام منح الجنسية وغيرها من الأحكام التي تجعل الاستدلال الفقهي متأثراً بشكل مباشر بتغير شكل الدولة وانتقالها من مرحلة الأمة إلى مرحلة الدولة الحديثة.

المصادروالمراجع:

- أبو بكر بن مسعود الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1402هـ).
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، مصورة عن المطبعة السلفية بمصر).
- أحمد محمد الدردير، الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي، (بيروت: دار الفكر).
- عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، المغني، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة).
- عبد الله بن باز، الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز، https://cutt.us/abVJL .
- عبد الله العروي، مفهوم الحرية، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط5، 2012م).
- عبد الله بن يوسف الجديع، تقسيم المعمورة في الفقه الإسلامي وأثره في الواقع، (دبلن: المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، 2007م).
- عثمان بن علي الزيلعي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، (بيروت: دار الفكر، ط2، معادة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق بمصر سنة 1313هـ).
- فيصل براء ومتين المرعشلي، مفهوم الدولة The Concept of State، الموسوعة السياسية، https://cutt.us/Z8h7E .
- محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.1994م).
- محمد بن أحمد السرخسي، المبسوط، (بيروت: دار المعرفة، ط3، 1398هـ).

- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق زهير الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ).
- محمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار المعروف بـ حاشية ابن عابدين، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1386هـ).
- محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1414 هـ.1993م).
- محمد سعيد رَمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، (دمشق: دار الفكر، ط25، 1426هـ).
- محمد سعيد رمضان البوطي، قضايا فقهية معاصرة، (دمشق: مكتبة الفارابي، ط1، 1412هـ . 1991م).
- محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية).
- محمود حيدر، الدولة فلسفتها وتاريخها من الإغريق إلى ما بعد الحداثة، (المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، 1439هـ.2018م).
- مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- معتز الخطيب، النظرية الفقهية والنظام الفقهي، وقائع الندوة الفقهية السنوية في سلطنة عمان، مجلة التفاهم، عدد 35، 2012، منشورة على موقع Academia، https://cutt.us/b7cyU .
- منيرة بنت فراج العقلا، الإقامة في بلاد الكفار دراسة عقدية، مصر، جامعة المنوفية، مجلة بحوث كلية الآداب، المجلد: 30، العدد: 119، 2019م.

- الموسوعة الفقهية الكويتية، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار السلاسل، ط2).
- هيئة الشام الإسلامية، فتاوى الثورة السورية، حكم هجرة السوريين إلى بلاد غير المسلمين والتجنس بجنسيتها، رقم الفتوى 71، 2015، https://islamicsham.org/fatawa/2441 .
- وائل حلاق، الدولة المستحيلة، الإسلام والدولة ومأزق الحداثة الأخلاقي، ترجمة عمرو عثمان، (الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2014م).
- يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1975م).
- Cem Kotan, Modern Dünya Sistemi Teorisi Bağlamında Modern Devletin Özellikleri, Uluslararası Politik Araştırmalar Dergisi, 2016, Yıl:2, Cilt:2, Sayı:1.

المراكز البحثية في المجتمعات الإسلامية

تحدّيات ريادة النهضة الإسلامية

الدكتور عبد النور منصوري

جامعة محمّد بوضياف المسيلة الجزائر

abdennourmansouri@gmail.com

ملخّص البحث:

تحتلّ المراكز البحثية الغربية صدارة الترتيب العالمي في الإنتاج المعرفي والتأثير في صناعة السياسات القومية والدولية، وهي تمكّن المجتمع عبر خبرائه ونخبه المثقّفة من عقلنة القرار المتعلّق بالشأن العامّ، وابتكار الحلول الإبداعية في مختلف المجالات، ممّا يشكّل مصدراً أساسياً من مصادر القوّة الليّنة الغربية، وهي بذلك تجربة جديرة بالاستنساخ في المنظومة الإسلامية، مع اختلاف الأهداف في السياقين. ومن جهة أخرى، تعرف الكثير من المجتمعات الإسلامية اختلالات اقتصادية واجتماعية وسياسية كبرى تحتاج إلى مواجهة سريعة في ظلّ تغيّرات عالمية غير مسبوقة تكرّس واقع الضعف، مواجهة لا يمكن بلورة معالمها باجتهادات فردية معزولة، فالنهضة الإسلامية التي تنشدها الشعوب الإسلامية في حاجة إلى قاطرة فكرية فعّالة تسندها إرادات سياسية واجتماعية مصمّمة. تحاول الورقة بداية إلقاء الضوء على دور المراكز البحثية في الغرب وعلاقتها بصنّاع السياسات لفهم البيئة الغربية التي ازدهرت فيها المراكز البحثية، وانطلاقاً من فرضية وجود مراكز بحثية في المنظومة الإسلامية، ستعمل الورقة على تحليل واقعها وبيئتها وتحدّياتها، وذلك سعياً للإجابة على الإشكالية التالية: ما هي التحدّيات التي تواجه المراكز الإسلامية في المجتمعات الإسلامية وتحدّ من فعاليتها في تحقيق النهضة الإسلامية؟

الكلمات المفتاحية: المراكز البحثية الغربية، القوّة الليّنة، المراكز البحثية الإسلامية، السياسات العامّة، النهضة الإسلامية.

Think Tanks in Islamic Communities: Challenges of Islamic Renaissance Leadership

Abstract :

Occidental think tanks are at the forefront of the world's ranking of knowledge production and influence in national and international policymaking. They enable society through its experts and elites to rationalize decision-making on public affairs and innovate creative solutions in various fields, which is an essential source of occident soft power, an experience worthy of reproduction in the Islamic sphere. However, context must be taken into account. On the other hand, many Muslim societies know major economic, social and political imbalances that need to be quickly confronted under unprecedented global changes that perpetuate the reality of vulnerability that cannot be shaped by isolated individual efforts. In this context the Islamic renaissance sought by Islamic peoples needs an effective intellectual driving force that is backed by determined political and social action. This paper attempts to shed light on the role of occidental think tanks and their relationship with policymakers to understand the environment in which they have flourished. Based on the assumption of having think tanks in the Islamic sphere, the paper will analyze their reality, environment and challenges in order to respond to the following problem: What challenges do Islamic think tanks face in Islamic Communities and limit their effectiveness in achieving Islamic renaissance?

Keywords: Occidental think tanks, Soft Power, Islamic think tanks, Public Policies, Islamic Renaissance.

مقدّمة:

يسود المنظومة الإسلامية تصوّرات سلبية فكرية وسلوكية مؤدّاها أنّ الخروج من حالة التخلّف والضعف لن تكون إلّا على يد زعيم مخلّص، يحصر دور الأمّة في الدعاء إلى الله للتعجيل بظهور الزعيم المنتظر ليأخذ بيدها إلى القوّة والمنعة، وفي انتظار الفرج لها أن تستمتع بلذّة الركون إلى الدنيا تحت جناح الاستسلام.

إنّ هذا التصوّر مخالف لسنن التغيير الإلهية التي لا تحابي أحداً، فقد أمر الله المسلمين بالإعداد لمواجهة أيّ تهديد مهما كان مصدره قائلاً عزّ وجلّ: "وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة"(الأنفال، 60)، فيما لم تخصّص الآية أيّ قوّة بعينها، بل أمرت باستجماع كلّ أسبابها. إنّ منهج الإعداد يوجب على الأمّة صياغة مشروع يعيدها إلى دائرة التأثير، ويخرجها من دور "حلبة الصراع" بين القوى الكبرى، ويتطلّب ذلك تكاتف القوى الإسلامية لتحقيقه، وهو ما يحيل إلى مساءلة دور أهل العلم في صناعة نهضة الأمّة بناءً على منطق التخصّص الوارد في الآية الكريمة "فلو لا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون"(التوبة، 122)، فحالة الضعف الحضاري في حاجة إلى استنهاض كلّ عوامل القوّة ونبذ الفرقة والانقسام.

إنّ الهدف من هذه الدراسة هو لفت الانتباه إلى دور المراكز البحثية في العالم اليوم، باعتبارها مؤسّسات تسهم في قراءة العالم والتطوّرات المتسارعة التي يشهدها، وصياغة الخطط لمواجهة التحدّيات والاستفادة من الفرص المتاحة، وهو ما يعني في السياق الإسلامي ضرورة الاستفادة من تجربتها، بما يخدم النهضة الإسلامية. لذلك تحاول الدراسة رصد التحدّيات التي تواجه المراكز البحثية الإسلامية، للدفع بكلّ الجهود الرامية إلى التغيير نحو الأفضل، سواءً كانت حكومية أو مجتمعية، بما يشكّل مدخلاً لصياغة أجندة

عمل تعتمد مقاربة تشاركية/توافقية تجمع طيفاً واسعاً من القوى الحيّة في المجتمعات المسلمة، وتحقيق أرضية عمل إسلامية مشتركة تهدف إلى الازدهار وخدمة مصلحة المجتمعات المسلمة بما يدعم كيان الأمّة.

ومن جهة أخرى، تحيل الدراسة إلى الاهتمام بالمراكز البحثية الأجنبية المهتمّة بالمجتمعات والدول الإسلامية، باعتبارها مراكز منافسة، كمعهد مركز الدراسات العربية المعاصرة التابع لجامعة جورج تاون الأمريكية، بوصفه "المركز الأكاديمي الوحيد في الولايات المتّحدة الذي يركّز حصريًا على العالم العربي،" وهو "يفعل ذلك بامتياز منذ عام 1975؛"[1] ومركز لايبنيز للشرق الحديث zmo في برلين المهتمّ بما يسمّيه "العوالم الإسلامية،"[2] وهذا ما يبيّن بوضوح اختلاف المنطلقات والأهداف بين رؤية تسعى للمحافظة على وحدة العالم/الأمّة الإسلامية، وأخرى تعمل على تكريس الفرقة والانقسام، حتّى وإن كانت تبدو متّسمة بالطابع العلمي والموضوعي.

اعتمدت الورقة مجموعة من الدراسات السابقة حول الموضوع، من أهمّها الدراسات التي يصدرها برنامج المراكز البحثية والمجتمعات المدنية (TTCSP) التابع لمعهد لودر بجامعة بنسيلفانيا بالولايات المتّحدة الأمريكية، الذي يتابع ظاهرة المراكز البحثية في العالم، برئاسة جيمس ماك غين، ونذكر منها:

- James G. McGann 2020, Global Go To Think Tank Index Report, 2021.

الدراسة هي عبارة عن تقرير/تصنيف سنوي للمراكز البحثية في العالم صدر في 2021، وهي تتابع تطوّر المراكز البحثية في العالم، وتصنّفها وفقاً لعدّة مؤشّرات من حيث الإنتاج، والتأثير، والتسيير وتنوّع ميادين العمل. وهو يعطي صورة عن خارطة المراكز البحثية عالمياً والتوجّهات التي تحكمها.

---

[1] أنظر موقع المركز على الرابط: **https://shorturl.at/CFKM4**

[2] أنظر رسالة المركز على الرابط:

https://www.zmo.de/en/about-us/mission-statement

- James G. McGann, The Fifth Estate: Think Tanks, Public Policy, and Governance, 2016.

وهي دراسة جديرة بالاهتمام لأنّها تنطلق من فكرة أنّ المراكز البحثية هي المكوّن الاجتماعي الخامس للمجتمع الأمريكي، كما هو وارد في عنوانها، قياساً على التقسيم الاجتماعي في أوروبا في القرن الثامن عشر المشكّل حينها من الكنيسة، والنبلاء، وعمّال المدينة، وفلّاحي الريف والصحافة. وتعتبر الدراسة المراكز البحثية منظّمات توضّح وتحدّد المصلحة العامّة بأفق أوسع من المكوّنات الثلاثة الأولى، وبشكل أعمق من المكوّن الرابع. بيّنت الدراسة كيف كانت المراكز البحثية في الولايات المتّحدة نواة مجتمع مدني شكّل باستمرار مصدراً للأفكار الجديدة والتفكير النقدي، وزوّد صنّاع السياسات في الوقت المناسب بالمعطيات والتحاليل المتعلّقة بالقرارات التي يتّخذونها يومياً. واستعرضت الدراسة تاريخ المراكز البحثية في الولايات المتّحدة ومساهمة المؤسّسات السياسية والقطاع الخاصّ في تطوّرها. كما أبرزت من خلال حالات دراسية دور المراكز البحثية في السياسات المحلّية والدولية للولايات المتّحدة. بهذا المحتوى، تعتبر الدراسة مهمّة لمعرفة سياق نشأة وتطوّر المراكز البحثية، ممّا يساهم في تشكيل بيئة مساعدة على تطوّرها في سياقات أخرى.

وفي السياق الإسلامي المباشر، نشير إلى:

- دراسة مصطفى بن أحمد الحكيم، رئيس مؤسّسة منارات الفكر الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، بعنوان "الشخصية الرسالية للمراكز البحثية الإسلامية: معالمها ووظائفها محاولة في التأسيس والتقعيد."

وقد أشار فيها إلى معالم الشخصية الرسالية كربّانية المصدر وأصالة المقاربة، وإعادة الاعتبار لأخلاق العلم في الممارسات البحثية. وقد دعا من خلالها إلى دراسة عناصر القوّة والضعف، واستلهام أصول العمل، وآليات النجاح والتأثير، ومقوّمات التنظيم والتأطير لدى المراكز البحثية المتطوّرة.

ستحاول الورقة الإجابة على الإشكالية الأساسية التالية: ما هي التحدّيات التي تواجهها المراكز البحثية في المجتمعات المسلمة؟ وذلك بالاعتماد على منهج تحليل خطاب المراكز المدروسة من خلال الرجوع إلى وثائقها الأصلية، دون الاستعانة بالوسائط، سواءً المراكز البحثية الغربية أو الإسلامية. وقد قسّمت الدراسة إلى فصلين، يتناول الفصل الأوّل الجانب النظري المتعلّق بالمراكز البحثية في العالم عامّة، والإسلامية خاصّة؛ فيما يتناول الفصل الثاني تحدّيات المراكز البحثية الإسلامية بنوعيها المعرفية والعملية.

الفصل الأوّل: مراكز البحوث في المجتمعات الإسلامية: الإطار النظري

المبحث الأوّل: المراكز البحثية: المفاهيم والأدوار

المراكز البحثية Think tanks * هي منظّمات نشطة في مجال التحليل وأبحاث السياسة العامّة، تنتج البحوث والتحليلات والاستشارات التي تعنى بالسياسات المحلّية والدولية، وتمكّن واضعي السياسات والجمهور من اتّخاذ قرارات واعية بشأن السياسة العامّة.1 وهي بمثابة الجسر بين الحقل الأكاديمي وصنّاع السياسات، وبين الدولة والمجتمع المدني، وهي تعمل على خدمة المصلحة العامّة كصوت مستقلّ يترجم الأبحاث التطبيقية والأساسية إلى لغة مفهومة وموثوقة ومتاحة لواضعي السياسات والجمهور.

وبشكل متزايد، تعدّ المراكز البحثية ظاهرة عالمية لأنّها تلعب دورًا حاسمًا في دعم الحكومات والمجتمعات المدنية في جميع أنحاء العالم من خلال ربطها بين المعرفة أو الوسط الأكاديمي، والسلطة أو صنّاع السياسات الذين يبحثون عن معلومات مفهومة وموثوقة ويمكن الوصول إليها ومفيدة عن مجتمعاتهم، وهم أيضًا بحاجة إلى تقييم السياسات الحالية، ودراسة البدائل الممكنة وتكاليفها وعواقبها المحتملة، كما أنّهم في حاجة إلى المشاركة في مسألة تقدير الصالح "العامّ."

يأخذ مفهوم المراكز البحثية حيويّته ضمن هذا المنظور، فهو ليس مؤسّسة بحثية صرفة تنتج المادّة المعرفية كالبحوث العلمية الجامعية، بل هو الجسر الذي ينشر الممارسة العلمية بما يساهم في ترقية تسيير الشأن العامّ، من خلال تقديم الاستشارات لصنّاع السياسات. كما يتيح المفهوم مشاركة

* بما أنّ الممارسة الغربية هي التي أنتجت ظاهرة **Think Tanks**، وحيث أنّه لا يوجد مقابل دقيق في اللّغة العربية فقد اعتمدنا مصطلح المراكز البحثية، وحتّى في سياق اللّغة الفرنسية فقد فشل مصطلح مختبر الأفكار **laboratoire d'idées** كبديل، واعتمد المصطلح في صيغته الإنجليزية.

1 James G. McGann 2020, Global Go To Think Tank Index Report, University of Pennsylvania, 2021, p 13.

المجتمع المدني في صنع السياسات العامّة، وهو ما تحتاج إليه المجتمعات المسلمة لتخرج من دور المتأثّر إلى دور المؤثّر.

أصبحت المراكز البحثية كمنتج للمعرفة هي ذاتها موضوعاً معرفياً، يحاول تتبّع نشاطها وتأثيرها في السياسات الدولية والمحلّية. فمنذ 1989، رسم معهد لودر بجامعة بنسيلفانيا بالولايات المتّحدة الأمريكية برنامج المراكز البحثية والمجتمعات المدنية (TTCSP)،*لدراسة الدور المتزايد للمؤسّسات البحثية في السياسات العامّة، في مجالات متنوّعة كالسلم والأمن العالميين، والعولمة والحوكمة، والاقتصاد العالمي، والبيئة، والإعلام والمجتمع، والفقر والصحّة العالمية، بهدف إنشاء شبكات إقليمية ودولية من معاهد السياسات والهيئات التي تدعم التطوّر في تلك المجالات، وتمكين المجتمعات المدنية دولياً. ويصدر البرنامج تصنيفاً دورياً للمراكز البحثية في العالم، بناءً على عمل استقصائي مستمرّ ومنتظم، وقد أصدر آخر تصنيف له لسنة 2020 نشر سنة 1.2021

وفي مشروع مشابه في الإطار الإسلامي، يدرس مركز أركان للدراسات والأبحاث والنشر المراكز البحثية الإسلامية ضمن ثلاثة مشاريع بحثية، هي: تجارب الحكم الإسلامي في أروقة الدولة الحديثة؛ ومعجم التراث الإسلامي في الفكر الاقتصادي؛ ومراكز البحوث في العالم الإسلامي ودورها في صناعة السياسات. حيث يسعى المشروع الأخير إلى معرفة مدى تأثير التجربة الغربية على مراكز الأبحاث في العالم الإسلامي، وعلاقتها بالسلطة السياسية، ومخرجاتها في السياسات العامّة، ومن ثمّ تأثيرها على المصالح العامّة للمجتمعات،2

* The Think Tanks and Civil Societies Program (TTCSP).

1 McGann, op cit.

2 مركز أركان، "مراكز البحوث في العالم الإسلامي ودورها في صناعة السياسات،" موقع مركز أركان، على الرابط: http://www.arkan-srp.com/2020/12/24/researchcenter/ تمّ الدخول في 22 أفريل 2023.

وهو مشروع في حاجة إلى عمل بحثي كبير، وستكون مخرجاته لا محالة إضافة قيّمة في مجال التعرّف على واقع المراكز البحثية الإسلامية.

ولكي نفهم خطورة دور المراكز البحثية لا بدّ من إدراك اللّحظة التاريخية التي يعيشها العالم اليوم، فهو يشهد تحوّلاً استراتيجياً عميقاً في هيكلية النظام الدولي، والخروج من القطب الأحادي الغربي بزعامة الولايات المتّحدة، إلى نظام دولي ثنائي/متعدّد الأقطاب ببروز قوى صاعدة كالصين والهند وروسيا، وهو ما يطلق عليه حلف الشمال الأطلسي الناتو "تهديد التنافس الاستراتيجي،"1ومن مظاهر هذا التغيّر الجيوستراتيجي تزايد عدد المراكز البحثية الآسيوية، والصينية خاصّة، مقابل استقرار عدد الأمريكية منها في العشرين سنة الأخيرة. حيث يبلغ عدد المراكز البحثية في الولايات المتّحدة الأمريكية 2203، في مقابل الصين بـ 1413 مركزاً، والهند بـ 612 مركزاً، وروسيا بـ 143 مركزاً،2 وهو ما يسمح بإمكانية اعتماد عدد المراكز البحثية كمؤشّر على القوّة، فكلّما زاد عددها زادت قوّة الدولة. إنّ تصاعد القوّة اللّينة الصينية في العالم مع تزايد عدد المراكز البحثية فيها يدعو لبحث العلاقة بين المؤشّرين، ومحاولة استنساخه في الحالة الإسلامية.

المبحث الثاني: المراكز البحثية في السياق الإسلامي

اعتمدت الدراسة مفهوم المجتمعات الإسلامية أو المسلمة بدلاً عن الدول الإسلامية، تماماً كما استعمل أنور غيتسيتش حين تحدث عن دور المؤتمرات الفكرية في رفع مستوى الفكر وإغناء المنظومة

---

1 أنظر التقرير الاستراتيجي لحلف الناتو 2022:

NATO 2022 Strategic Concept: Adopted by Heads of State and Government at the NATO Summit in Madrid 29 June 2022.

2 McGann, op cit, p 44.

الفكرية في المجتمعات المسلمة.1 فمفهوم المجتمعات المسلمة شامل يسمح بإعادة رسم ملامح كيان الأمّة الإسلامية وجمع شتاتها، فهو يضمّ في الوقت نفسه الدول ذات الغالبية المسلمة، والأقلّيات المسلمة ومسلمي المهجر. كما يتيح كذلك المجال لملاحظة التنوّع في طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع، بين سياق يتّسم بالتوافق بين الجانبين، ويدعم دور المراكز البحثية كرافد للقوّة الفكرية والعملية؛ وسياق يغلب عليه التنافر في ظلّ غياب حياة ديمقراطية سليمة وحقوق مدنية قوية، وهو وضع يحمّل المجتمعات المسلمة بنخبها، ومثقّفيها ومجتمعها المدني مسؤولية النهوض بالأدوار الغائبة وتغيير الحال عملاً بالقاعدة القرآنية "إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم"(الرعد، 11).

إنّ الاهتمام بالمراكز البحثية في المجتمعات الإسلامية يحمل طابعاً استشرافياً استعجالياً لسبل انتقال الأمّة من الضعف إلى النهضة الإسلامية الشاملة، باعتبارها طليعة الأمّة الإسلامية في التفكير والتخطيط الاستراتيجي. كما أنّ التحدّيات التي تواجه المراكز الإسلامية هي نفسها التي تواجه الأمّة أصلاً، لذلك فالحلول التي تقدّمها تلك المراكز ستكون بدايات لحلول أشمل للأمّة الإسلامية.

إضافة إلى الأدوار التقليدية للمراكز البحثية العالمية، يمكن للمراكز الإسلامية أن تلعب أدواراً شرعية، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال رصد السياسات العامّة وعرضها على القيم الإسلامية تجسيداً للآية الكريمة: "كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر؛"(آل عمران، 110)؛ وإقامة النصيحة في المجال العامّ كما جاء في الحديث "الدين النصيحة ... لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم؛" وتحقيق مبدأ الشورى في القضايا العامّة "وأمرهم شورى بينهم" (الشورى، 38)؛كما يمكن أن تمثّل جهة للحلّ والعقد في مسائل متخصّصة تحتاج إلى رؤية استراتيجية.

1أنور غيتسيتش، "كلمة أنور غيتسيتش عميد كلّية الدراسات الإسلامية بصربيا" في كتاب المؤتمر العالمي: العلوم الإنسانية والشرعية، قضايا ومناهج وآفاق، نوفي بازار، صربيا، 28-29 جويلية 2021، ص 13.

وقد مارس هذا الدور في التاريخ الإسلامي العلماء، وأرباب الصناعات، وأصحاب الخبرات في لحظات فارقة من التاريخ الإسلامي، كغزوة بدر التي سأل فيها الحباب بن المنذر النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم: "أهذا منزل أنزلكه الله أم هي الحرب والمكيدة؟" في شكل استشارة عسكرية استراتيجية؛ وبيت الحكمة في عهد المأمون ورعايته لحركة الترجمة كسياسة رسمية للدولة؛ وفي صناعة البارود وأدوات الحرب بما تقتضيه حاجات الأمّة. حيث أنّ الحضارة في المنظور الإسلامي ترتكز على الدعائم المادّية والروحية على حدّ سواء، وعليه وجب الاعتناء بكليهما.

وقد ورد في القرآن إشارات ينبغي الوقوف عليها، فقد بيّنت سورة الروم المكّية في بدايتها* ضرورة الاهتمام بمتابعة التطوّرات الجيوستراتيجية الدولية، لأنّ تقلّباتها من سنن الله الكونية، وذلك رغم حالة الضعف في الفترة المكّية من البعثة النبوية، كما أنّها إعداد للمسلمين ليصبحوا فاعلاً مؤثّراً في المسرح الدولي، وهو ما ثبت في القرون اللّاحقة. وقياساً على ذلك يبرز الاهتمام بمراكز البحثية التي تقترح تحاليل وتصوّرات وبرامج عمل تساير التطوّرات الدولية المتسارعة، وهي بذلك تمثّل ضرورة شرعية أو فرض كفاية رغم الضعف العامّ في الأمّة الإسلامية، أو فرض عين إذا لم يوجد من يقوم بهذا الدور.

وفي نطاق هاته الدراسة وجب التمييز بين المراكز البحثية في المجتمعات المسلمة في مقابل المراكز البحثية الإسلامية، فهل هناك فرق بين المفهومين؟ بالتأكيد هناك فرق جوهري، رغم أنّهما يبدوان للوهلة الأولى متطابقين. فالمراكز البحثية الإسلامية قد تعني المراكز ذات التوجّه الإسلامي التي تقوم بالنشاط الدعوي. بينما تحمل المراكز البحثية في المجتمعات المسلمة، أينما وجدت، بعداً أشمل وأبعد، سواءً في الدول ذات الغالبية المسلمة أو الأقلّيات المسلمة المنتشرة في العالم، وهو ما نحاول التنويه إليه. لأنّ تركيزنا على المجتمعات المسلمة، يمكّن ملاحظة التنوّع الموجود، إلى درجة التناقض، بين توجّهات المراكز

*"غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من غلبهم سيغلبون."

البحثية وعلاقتها بمشروع النهضة الإسلامية. فهي تشمل كلّ التوجهات الفكرية والسياسية، والمراكز الحكومية وغير الحكومية والحزبية، وتمتدّ إلى المراكز الناشطة لدى الأقلّيات المسلمة (كمعهد أيان ومنارات الفكر في بريطانيا). ولهذا السبب استثنت الدراسة المراكز الإسلامية الدعوية التي لا تطمح في التأثير المباشر في السياسات العامّة، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- مركز تفسير للدراسات القرآنية tafsircenter@، وهو مركز بحوث ودراسات غير ربحي، يُعنى بخدمة القرآن الكريم وعلومه، علمياً وبحثياً وتعليمياً وتقنياً وإعلامياً مقرّه بالسعودية؛1
- ومركز رواسخ rawasekh@، وهو مركز معرفي غير ربحي مختصّ ومهتمّ في الحوار مع الاتّجاهات الفكرية المختلفة والردّ على الطعون والشبهات المثارة حول الإسلام والإجابة على تساؤلات الشباب الشكّية؛2
- ومركز بيّنات bayyenat_q8@، هو مركز شرعي مستقلّ يُعنى بتعزيز اليقين بأصول الإسلام ونقض شبهات خصومه؛
- ومركز دلائل Dalailcentre@ الذي يسعى لمواجهة الإشكالات المستجدّة المتعلّقة بقطعيات الإسلام ونصوص الدين، عبر بناء التصوّرات الشرعية الصحيحة، بحُجج عقلية ونقلية تعزّز الإيمان، وتجيب عن الأسئلة الاعتقادية المُشكلة لدى الشباب بلغة علمية مُيسرة ووسائل عصرية مُنتشرة.3

1 https://www.linktr.ee/tafsir.net

2 https://www.linktr.ee/rawaeskh

3 https://www.dalail.center

الفصل الثاني: التحدّيات المعرفية والعملية للمراكز البحثية في المجتمعات الإسلامية

أشار جيمس ماكغين إلى تحدّيات المراكز البحثية عالمياً، وأوجزها في أربع تحدّيات هي: الرسالة؛ والسوق؛ والموارد البشرية؛ والمال.* فرسالة المركز هي التي تصنع هويته وتميّزه في مقابل المراكز الأخرى؛ وتحدّي السوق هو التحدّي الاقتصادي بما يعني مواجهة الضغوطات وتحقيق النجاعة بالمنطق الاقتصادي؛ وتحدّي الموارد البشرية باعتبارها محور العملية البحثية ومصدر تنافسيتها؛ أمّا التحدّي المالي فهو ما يسهّل أو يعيق تحقيق البرامج والأهداف.

في السياق العامّ، تواجه المراكز البحثية التحدّيات المعروضة، لكن وانسجاماً مع السياق الإسلامي للدراسة، نقترح تصنيفاً مغايراً يضمّ التحدّيات المعرفية والعملية، وذلك قياساً على شروط قبول العمل بالمنطق القرآني، الذي يجمع بين شَرطي العلم والعمل ليكون العمل صالحاً، أي الجمع بين صلاح العلم وصلاح العمل، فقد أمر الله تعالى نبيّه الكريم قائلاً: "فاعلم أنّه لا إله إلا الله،" (محمد، 19)ومنه دوّن العلماء باب العلم قبل العمل؛ فيما نهى الله تعالى المؤمنين عن القول بلا عمل قائلاً: "يا أيّها الذين آمنوا لمَ تقولون ما لا تفعلون، كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"(الصفّ، 3).

وبذلك يكون من دور المراكز البحثية هو الحرص على الجمع بين فضيلتي العلم الصحيح في مجال الاستشارة العلمية المتميّزة، والعمل الصحيح بما يوافق انتماءها الإسلامي، فهي تشترك مع المراكز الغربية في كونها مراكز بحثية تسعى لهدف التأثير في السياسات العامّة، وتختلف عنها من حيث الهدف والوسيلة، لأنّ الغربية بطابعها البراغماتي تسعى لخدمة أجندات مصلحية لا تخضع لأيّ التزام أخلاقي.

* 4 Ms : Mission, Market, Manpower, Money.

المبحث الأوّل: التحدّيات المعرفية

يندرج ضمن التحدّيات المعرفية التي تتقاطع مع تحدّي الرسالة وفق ماكغين. فبغرض بلورة الخطّة الاستراتيجية تحتاج المنظّمات إلى تحديد رسالتها، ورسم الإضافة المفترضة في مجال نشاطها. والمراكز البحثية في المجتمعات الإسلامية لا تخرج عن هذه القاعدة، فهي مطالبة بصياغة حلول معرفية في مستواها النظري لتحقيق لمستها المتميّزة.

1- تحدّي التعريف والدور

تعرّف المؤسّسات نفسها عادة في مواقعها الإلكترونية في خانة "من نحن؟"، حيث أنّ دقّة الإجابة تسهّل عمل المركز وتحدّد دوره وموقعه في الساحة، وهو جزء من رسالة المركز وفق الخطّة الاستراتيجية المفترضة. فإذا اكتفى المركز الإسلامي بالعمل البحثي والأكاديمي فقد حصر نفسه في زاوية ضيّقة، حيث يفتقر إلى محدّد التأثير في صنع السياسات العامّة وفواعلها المتعدّدة والمتشابكة وطنياً ودولياً، وقد يكون المركز بذلك مجرّد مركز للدراسات النظرية التي تنتج عادة في الجامعة، ويبعده عن مجال التأثير في السياسات التي تحكم المجتمعات المسلمة.

وتعريف المركز يحمل تبعات عملية، تحدّد أهدافه وأدواته، فكيف تعرّف المراكز البحثية الرائدة نفسها؟ فمؤسّسة راند الأمريكية RAND مثلاً تعرّف نفسها بأنّها "منظّمة بحثية تطوّر الحلول في مواجهة تحدّيات السياسة العامّة للمساعدة على جعل المجتمعات المحليّة في جميع أنحاء العالم أكثر وأمناً وصحّة وازدهاراً."[1] ما يعني أنّها تستهدف التأثير في السياسات العامّة، ليس فقط في الداخل الأمريكي، بل في العالم بأسره، وهي نموذج جدير بالدراسة في مجال الانتشار والتأثير.

1 RAND Corporation, "About the RAND Corporation," https://www.rand.org/about.html, accessed on 6/25/2023.

2- تحدّي الشعوروالانتماء

يقع على المراكز البحثية في المجتمعات المسلمة إعادة بعث شعور الوحدة الإسلامية وتحديث مفهوم الأمّة الإسلامية وفق التوجيه الربّاني في القرآن الكريم: "إنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربّكم فاعبدون" (الأنبياء، 92)، والعمل على تحويل هذه الحقيقة القرآنية للوحدة الإسلامية المغيّبة إلى واقع معاش.

تعود نشأة العالم الإسلامي إلى بداية الوحي وظهور الرسالة المحمّدية في غار حراء، ثمّ عرف الكيان الإسلامي توسّعاً ومراحل تاريخية مختلفة، بدأت بفترة النبوّة، ثمّ الخلافة الراشدة، فالأموية، فالعبّاسية، فالحروب الصليبية التي كانت مقدّمة لحالة التراجع والتشتّت والاستعمار، وتمزيق العالم الإسلامي. ثمّ نشأ نظام الأوروبي للدول القومية ليمزّق العالم الإسلامي في شكل دول تنسب إلى انتمائها الجغرافي: شرق آسيا، وإفريقيا جنوب الصحراء، وشمال إفريقيا والشرق الأوسط؛ فيما عزلت الأقلّيات المسلمة عن انتماءها الحضاري وأُلحقت بالدول التي حكمتها. أخضع هذا الواقع المجتمعات المسلمة لسياسات مختلفة تعمّق باستمرار واقع الانقسام، فقد تمّ تجاوز مقوّمات الوحدة الإسلامية عبر تكريس التمايز اللّغوي، والثقافي، والسياسي والاقتصادي والدفع نحو اعتناق القيم والمذاهب الغربية. وصار الحديث عن كيان الأمّة الإسلامية الواحدة ضرباً من الخيال الحالم.

بالنسبة لمعهد أيان، يواجه العالم الإسلامي أزمة وجودية، فهو منقسم إلى ثلاثة وخمسين دولة ذات أغلبية مسلمة وأقلّيات مسلمة وجاليات المهجر. وهو يعتمد بشكل دائم على القوى الخارجية، وغير قادر على السير في مسارات سياسية واقتصادية مستقلّة. وتواجه بعض دوله، كالسودان، والعراق، ولبنان، وسوريا واليمن مخاطر الانقسام العرقي أو الطائفي. فيما تعاني المجتمعات الإسلامية الأمّية، والفقر، والظلم، والقمع، والموت والدمار، والاستهداف المباشر في مناطق مختلفة كتركستان الشرقية، وكشمير،

والهند، وفلسطين، والروهينجا.1وبذلك، فالمسلمون غائبون عن صياغة رؤية متجدّدة لازدهار حضاري في عالم معقّد وسريع التغيّر، ناهيك عن وضع استراتيجية لمواجهة التحدّيات المفروضة عليهم.2

ووعياً بهذا الوضع، أنشئ معهد أيان في 2021، كمركز أبحاث مقرّه لندن، يعمل من أجل تحسين حال الأمّة الإسلامية نحو عالم إسلامي موحّد، ومستقلّ، وقويّ، ومزدهر، وخالٍ من الحروب والصراعات وقادر على حلّ قضاياه.3 وقد وضع في صميم هذه الرؤية التحدّي المتمثّل في تعزيز شعور الأمّة والتضامن بما يتجاوز الخطابة بإنتاج المعرفة، والفهم، وتحديد العقبات، والتفكير في التدابير العملية لمعالجة المشاكل.4

وقد أصدر المعهد خمسة تقارير رئيسية، إلى جانب تقارير أخرى، مثل التّحدي المتمثّل في صعود أيديولوجية هندوتفا، وهي المدّ الهندوسي المتعصّب في الهند. ففي أوّل تقرير صدر في 2021، "نحو حضارة جديدة للإسلام" كتب باللغة الإنجليزية تناول فيه الدور الذي يمكن أن تقوم به مجتمعات الأقلّيات المسلمة في تحقيق الوحدة والازدهار والترابط مع الأغلبية المسلمة.

وفي 2022، أصدر المعهد تقريراً حول الأقلّيات الإسلامية، أحصى فيه 22 في المائة من المسلمين في العالم الذين يعيشون كأقلّيات دينية، منها إحدى وثلاثين أقلّية تتجاوز نسبة المليون نسمة، في حين يعيش 213 مليون مسلم في الهند كأقلّية دينية.5

1 The Ayaan Institute, "Our Vision," https://ayaaninstitute.com/Our-vision/ accessed on 23/5/2023.

2 Jahangir Mohammed, "Forward," in Yahia Birt, Ummah at The Margines, The Past, Present, and Future of Muslim Minorities, The Ayaan Institute, London, 2022.

3 The Ayaan Institute, "Our Vision," op cit.

4 Ibid.

5 Birt, op cit.

تساهم مثل هذه التقارير معرفياً في ربط مكوّنات الأمّة الإسلامية في التصوّر، بما يكرّس معنى الحديث النبوي الشريف "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً،" وينتج عملياً الاهتمام بالأقلّية المسلمة أينما كانت، والعمل على حماية حقوقها، باعتبارها جزءاً لا يتجزّأ من الأمّة الإسلامية. ويضع هذا الواقع المسؤولية على المراكز البحثية للتفكير خارج الصندوق، أو داخل المنطق الإسلامي، والعمل على تجسير الهوّة بين شعور الأمّة الواحدة وواقع الفرقة والتمزّق الذي يحكم العالم الإسلامي، من خلال برامج تربوية وثقافية تعنى بتكوين الشباب والباحثين المؤمنين بمبدأ الوحدة الإسلامية.

3- تحدّي الخطاب

يقع على عاتق المراكز البحثية في المجتمعات المسلمة مسؤولية صياغة خطاب يرقى إلى مستوى الرهانات الواقعة على المجتمعات الإسلامية، بما يتماشى مع التحوّلات الدولية وتداعياتها الثقافية، والاجتماعية والاقتصادية والاستراتيجية. فالمراكز البحثية مطالبة بالحضور والمساهمة في النقاشات العالمية التي تقام في كبرى المنتديات العالمية المؤثّرة في البيئة الدولية، كالمنتدى العالمي بدافوس السويسرية، وذلك من خلال طرح يجيب عن التساؤلات الإنسانية بهوية إسلامية. فالعالم اليوم يحاول إيجاد أجوبة لأزمات خانقة، ويتطلّع إلى مقاربات إبداعية بديلة، كما كانت أزمة النظام الاقتصادي العالمي سبباً مهمّاً في إثراء نظرية الاقتصاد الإسلامي وتطبيقاته المستجدّة.

4- تحدّي تصحيح الصور النمطية السلبية

تصنّف المجتمعات الإسلامية عادة في خانة التخلّف والاستبداد في شكل برامج تعليمية ونظريات تكتسي بالطابع العلمي، ما ولّد نخباً إسلامية منهزمة عاطفياً مقتنعة بهذه التوصيفات باعتبارها حقائق علمية، أخذت تبتعد شعورياً وعملياً عن الانتماء إلى الأمّة الإسلامية، ولم تعد تدرك حجم الموارد والإمكانيات المادّية، والثقافية، والروحية والبشرية المعطّلة في الأمّة، بما يخدم في النهاية حالة التبعية للقوى المهيمنة.

فمركز ZMO الألماني مثلاً، المهتمّ بالعوالم الإسلامية يشير إلى أنّ باحثيه غالباً من يتلقّون أسئلة من قبيل: كيف يمكن إجراء البحوث في مناطق الأزمات أو الصراع العنيف أو في ظلّ الحكومة الاستبدادية؟1

وفي هذا المجال مثلاً، يعكف مركز "وعي للعلاقات لتطوير العلاقات العربية الغربية،" وهو منظّمة غير ربحية وغير حكومية وغير سياسية تعمل على دعم علاقات إيجابية وبنّاءة بين الغربيين والعرب، من خلال تنظيم الأنشطة الاجتماعية والخدمات الإعلامية ذات الصلة بالثقافة العربية والإسلامية.2يعمل المركز على التواصل المباشر بين الغربيين والعرب من خلال نشاطاته، وهو بذلك يعمل على كسر الصور النمطية المنتشرة في المخيال الغربي عن كلّ ما هو عربي أو مسلم.

المبحث الثاني: التحدّيات العملية

1- تحدّي معوّقات البيئة الوطنية

نشأت المراكز البحثية الغربية في ظلّ بيئة مشبعة بقيم النظرية اللّيبرالية المؤسّسية التي تقوم على مبدأ الفصل بين السلطات وتوزيعها في مؤسّسات متنافسة وتشجيع التفاوض بينها؛ على خلاف البيئة الإسلامية المتّسمة في غالبها بممارسات تسلّطية تقوم على تركيز السلطة واحتكارها، وترفض الاعتراف بالحاجة إلى الغير. ويكمن التحدّي في مواجهة هاته البيئة في عالم غاية في التعقيد والتغيير، والعمل على تغيير ذهنيات الهيئات الحكومية في اتّجاه الانفتاح على كلّ القوى الفعّالة في شكل شراكات وطنية.

2- تحدّي الكمّ والنوع

تشير التوجّهات العالمية الحالية لتطوّر المراكز البحثية إلى:

- انخفاض معدّل إنشاء مراكز الفكر على مدار الإثني عشر عامًا الماضية في الولايات المتّحدة وأوروبا؛

1 Heike Liebau, The Predicament of Positioning , Discussions Continue, orient-bulletin Nr. 41, 2022, p 1.

2 The Ayaan Institute, "Our Vision," op cit.

- توسّع عدد ونوعية المراكز البحثية المنشأة في كلّ من آسيا، وأمريكا اللّاتينية، وإفريقيا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا؛
- النموّ المتسارع لعدد المراكز البحثية في آسيا منذ منتصف الألفينيات؛
- أنّ النسبة الأكبر من المراكز الجديدة تابعة للأحزاب السياسية والشركات أو قطاع الأعمال، وهي تستهدف الشركات والأثرياء لدعم عملياتها وبرامجها الأساسية وتمويلها. 1

إنّ هذه الدينامية المتسارعة في تأسيس المراكز البحثية تنطبق على جغرافية العالم الإسلامي، وهو ما يعني أنّ هناك وعياً متزايداً بأهمّية المراكز البحثية في هذه المناطق، ممّا يعتبر فرصة تاريخية وجب اغتنامها، وذلك لمواجهة الهيمنة الغربية التقليدية في المجال، حيث أنّ عدد المراكز في كلّ من أمريكا الشمالية وأوروبا يمثّل 47 في المائة من عدد المراكز عالمياً(أنظر الجدول).

الجدول رقم 1: توزيع عدد المراكز البحثية على القارّات

المنطقة	عدد المراكز
آسيا	3389
أوروبا	2932
أمريكا الشمالية	2397
أمريكا الوسطى والجنوبية	1179
إفريقيا جنوب الصحراء	679
الشرق الأوسط وشمال إفريقيا	599
المجموع	11175

المصدر: McGann, op cit, p 15

1 McGann, op cit, p 15.

إنّ ربح معركة الكمّ بالنسبة للمراكز البحثية الإسلامية برفع عددها، سيؤدّي بفعل تراكم الخبرة في مرحلة ثانية إلى ربح معركة التنوّع. حيث أنّ المراكز البحثية عالمياً تتوزّع على عدّة أنواع، ممّا يؤدّي إلى اختلاف أهدافها وطبيعة مخرجاتها. لذلك سنستعرض فيما يلي أنواع المراكز، ثمّ نسقطها على السياق الإسلامي ودور المراكز الإسلامية تجاهها.

الجدول رقم 2: أنواع المراكز البحثية ودور المراكز الإسلامية تجاهها

أنواع المراكز	طبيعة المركز	دور المراكز الإسلامية
المراكز المستقلّة	تحظى هذه المراكز باستقلال كبير عن أي تأثير لشخص أو جماعة أو جهة مانحة، وهي مستقلّة في تسييرها وتمويلها عن الحكومة	وذلك يستدعي اغتنام فرص التعامل مع هذه المؤسسات
المراكز شبه المستقلّة	مراكز مستقلّة عن الحكومة، ولكنّها تخضع لجماعات المصالح، أو المانحين، أو الوكالة المتعاقدة التي توفّر معظم التمويل الذي يؤثّر بشكل كبير على نشاط مركز الأبحاث	ويتطلّب ذلك معرفة الجهة المؤثّرة وتحديد الموقف منها
المراكز الحكومية	المراكز الملحقة بصفة رسمية في هيكل الحكومة	على حسب الحالة يجدر العمل على التواصل وفتح الحوار معها في إطار برامج تخدم أهداف مشتركة، كالتنمية ومكافحة الفساد وبعض البرامج الدولية في مختلف المجالات
المراكز شبه الحكومية	المراكز المموّلة حصرياً من الحكومة، لكنّها ليست جزءاً من الهيكلة الحكومية	حيث يمكن التواصل مع الحكومات عبرها
المراكز الجامعية	المراكز الملحقة بالجامعة، وهي في العادة أكثر انفتاحاً في توجّهاتها	تتيح إمكانية التواصل مع الجامعات والباحثين والتباحث حول الاهتمامات المشتركة
المراكز الحزبية	المراكز الملحقة بحزب سياسي	يمكن التعامل معها على حسب الحالة، والقوى الإسلامية مدعوّة للاستثمار في إنشاء المراكز لخدمة المجتمع بصفة عامّة
المراكز الربحية	المراكز التي تهدف إلى تحقيق الربح من خلال تقديم الخدمات	من المفيد التعامل مع الرائدة منها لاكتساب الخبرة والتجربة والتمكّن من أدوات التأثير

المصدر: McGann, op.cit, p 14. بتصرّف مع ما يوافق السياق الإسلامي

3- التحدّي الاجتماعي

يقع على المراكز الإسلامية البحث عن نواة للمؤمنين بالوحدة الإسلامية من الجمعيات، والأحزاب، والأفراد ذوي التأثير، والعائلات وربط التواصل بينهم، وكذا تقديم مضامين سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية عملية للعالم الإسلامي، كمنظّمة الموصياد التركية(وإن لم تكن مركزا بحثياً) التي أصبحت تشكّل تكتّلاً لرجال الأعمال المسلمين، فقد نجحت بسبب محافظتها على مسافة بين الاقتصاد والسياسة، أبقتها في مأمن من تقلّبات السياسة التركية، رغم ما تعرّضت له الحركات الإسلامية من مضايقات من المؤسّسة العسكرية في عقد التسعينيات، وما صاحب ذلك من تجميد وحلّ أحزاب إسلامية مثل حزب الرفاه ثمّ حزب الفضيلة.1وهي تجربة تبيّن إمكانية تجاوز الخلاف السياسي عبر التوافق الاقتصادي.

4- تحدّي المنافسة والتأثير

ويعني تحدّي المنافسة والتأثير كيفية الانتقال من مراكز فكرية/شرعية أو فقهية دعوية إلى مؤسّسات اقتصادية، تبحث عن الجمهور والعملاء والزبائن وفق معايير الجودة من خلال منطق اقتصادي تنافسي يسعى للتقارب مع المحيط، وتأهيلها لتدخل غمار المنافسة مع المراكز العالمية واسعة التأثير، كمؤسّسة راند الأمريكية التي تبيّن دراستها حجم الجهد المطلوب لدخول المنافسة، بميزانية سنوية تقدّر بـ 346 مليون دولار أمريكي، وشركاء بحجم وزارة الدفاع الأمريكية والجيش الأمريكي كما توضحه الشكل أدناه.

الشكل رقم 1: مساهمة الفواعل في الميزانية السنوية لمؤسّسة راند الأمريكية

---

1 تضمّ المنظمة أكثر من 10 آلاف رجل أعمال و60 ألف شركة، أنظر: زاهر البيك، "موصياد".. جسر تركيا الاقتصادي مع العالم، 19 ديسمبر 2021، موقع الجزيرة نت، على الرابط: **https://shorturl.at/bktP4**

المصدر: RAND Corporation Annual Report 2021, p 93

خاتمة:

سعت الدراسة إلى لفت الانتباه إلى الدور المتزايد للمراكز البحثية في العالم، باعتبارها حلقة وصل بين المجتمع الأكاديمي وصنّاع السياسات، ممّا يستدعي ضرورة الاستفادة من تجربتها في السياق الإسلامي. حيث أنّ المراكز البحثية في المجتمعات الإسلامية يمكنها أن تكون القاطرة في مشروع النهضة الإسلامية، من خلال صياغتها لخطط استراتيجية في شتّى المجالات، تجمع القوى الحيّة في المجتمعات المسلمة وبما يدعم كيان الأمّة الإسلامية.

بيّنت الدراسة وجود مراكز بحثية إسلامية كمركز أيان، ومركز أركان، ومعهد أيان ومنارات الفكر، وأنّها في حاجة إلى دعم رسمي ومجتمعي لأداء الدور المنوط بها بكلّ نجاعة لمواجهة التحدّيات التي تعترضها. وقد ميّزت الدراسة بين التحدّيات المعرفية والعملية، فالتحدّيات المعرفية تشمل تحدّي التعريف والدور المتعلّق بهوية المركز واعتماده أساليب عمل المراكز البحثية وعدم الانزواء في زاوية الإنتاج المعرفي المحض؛ وتحدّي الشعور والانتماء المتعلّق بصبّ جهود المركز في اتّجاه تعزيز الهوية الإسلامية فكرياً وعملياً؛ وتحدّي الخطاب الذي يُعنى بالاهتمام بالخطاب الذي يُفترض صياغته في مواجهة واقع الأمّة الإسلامية اليوم بما يتماشى وروح العصر؛ وتحدّي تصحيح الصور النمطية السلبية التي تحتاج إلى جهد كبير من أجل إزالتها عبر تقديم صور مشرقة من نماذج النهضة الإسلامية.

أمّا التحدّيات العملية فقد شملت تحدّي معوّقات البيئة الوطنية التي تختلف جوهرياً عن البيئة التي أنشأت المراكز البحثية في المنظومة الغربية؛ وتحدّي الكمّ والنوع الذي يعني العمل على تنمية عدد المراكز البحثية وتنوّعها لتشمل كلّ مناحي التطوير في المجتمعات الإسلامية؛ والتحدّي الاجتماعي المتعلّق بتشبيك الجهود بين المؤمنين بمشروع النهضة الإسلامية الشاملة؛ وذلك للتمكّن أخيراً من مواجهة تحدّي المنافسة والتأثير مع أكبر المراكز انتشاراً وتأثيراً في العالم.

وكحوصلة لهذه الدراسة يمكن رفع بعض التوصيات لكلّ القوى الحيّة في المجتمعات الإسلامية:

- رفع الوعي بأهمّية المراكز البحثية.
- العمل على الاستفادة من الدينامية التي تشهدها الفضاءات غير الغربية في مجال إنشاء وترقية عمل المراكز البحثية الإسلامية.
- تعزيز الهوية الإسلامية في عمل المراكز.
- إعداد قاعدة بيانات حول المراكز الإسلامية.
- تشبيك العلاقات بين المراكز الإسلامية.
- عقد شراكات بين المراكز الإسلامية في شكل برامج عمل.
- الاهتمام بالتواصل مع صنّاع السياسات والمجتمع المدني على المستويين القطري والدولي.

المصادر والمراجع:

باللّغة العربية:

- القرآن الكريم
- غيتسيتش، أنور، "كلمة أنور غيتسيتش عميد كلّية الدراسات الإسلامية بصربيا" في كتاب المؤتمر العالمي: العلوم الإنسانية والشرعية، قضايا ومناهج وآفاق، نوفي بازار، صربيا، 28-29 جويلية 2021.
- البيك، زاهر، "موصياد: جسر تركيا الاقتصادي مع العالم،" 19 ديسمبر 2021، موقع الجزيرة نت.

باللّغات الأجنبية:

- North Atlantic Treaty Organization, NATO 2022 Strategic Concept: Adopted by Heads of State and Government at the NATO Summit in Madrid 29 June 2022.
- McGann, James G. 2020, Global Go To Think Tank Index Report, University of Pennsylvania, 2021.
- Jahangir, Mohammed, “Forward,” in Yahia Birt, Ummah at The Margines, The Past, Present, and Future of Muslim Minorities, The Ayaan Institute, London, 2022.
- Liebau, Heike. “The Predicament of Positioning, Discussions Continue,” Orient-bulletin Nr. 41, 2022.

المو اقع الإلكترونية للمراكز البحثية المعروضة في الدراسة:

- مركز الدراسات العربية المعاصرة جامعة جورج تاون: https://www.ccas.georgetown.edu
- مركز لايبنيز للشرق المعاصر برلين ألمانيا: https://www.zmo.de/en
- مركز أركان: http://www.arkan-srp.com

- مؤسّسة راند الأمريكية: https://www.rand.org
- معهد أيان ببريطانيا: https://www.ayaaninstitute.com
- مركز تفسير للدراسات القرآنية: https://www.linktr.ee/tafsir.net
- مركز رواسخ: https://www.linktr.ee/rawaeskh
- مركز دلائل: https://www.dalail.center

الحرية الجسدية للمرأة بين الرفض والتأييد

الإجهاض الاختياري نموذجا

الدكتورة جوهر قوادري صامت

الأستاذ المشارك بكلية الحقوق والعلوم السياسية

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف I الجزائر

d.kouadrisamet@univ-chlef.dz

ملخص البحث:

برزت في الآونة الأخيرة جمعيات وحركات نسوية كثيرة عبر العالم تنادي بحق المرأة في إجهاض حملها متى أرادت، بغض النظر عن الأسباب التي تدفعها لذلك، ما دامت الغاية منه ليست علاجية تهدف إلى إنقاذ حياتها من خطر الحمل الذي يهددها. وهو ما اصطلح على تسميته بـ "الإجهاض الاختياري". وقد استند هذا الاتجاه المؤيد للإجهاض الاختياري على جملة من الحجج في مقدمتها، حرية المرأة في التصرف بجسدها كيف ما تشاء، كتعبير عن حريتها الشخصية. وقد جاءت ورقتنا البحثية لتسليط الضوء على ظاهرة الإجهاض الاختياري من خلال تحديد مفهومه، وكذا تحديد مفهوم الحرية الجسدية، ومناقشة مدى حرية المرأة في التصرف بجسدها عن طريق إسقاط حملها إراديا، وذلك من خلال التطرق إلى أسانيد الاتجاهين الفكريين اللذين تجاذبا الجدل حول هذا الموضوع، بين التأييد والرفض، ومناقشتها وتحديد موقفنا منها.

الكلمات المفتاحية: الإجهاض الاختياري- الحرية الجسدية- استقلالية المرأة –إنهاء الحمل- الحق في الحياة.

The physical freedom of women: A debate between rejection and acceptance - Elective abortion as a model

Abstract:

Recently, numerous feminist associations and movements have emerged worldwide, advocating for a woman's right to terminate her pregnancy at will, irrespective of the background reasons, as long as the purpose behind it is not therapeutic and meant to save them from pregnancy-related risks. This is commonly referred to as "elective abortion". Our research paper aims to address the phenomenon of elective abortion by defining the term, as well as defining the concept of physical freedom, as well as addressing the limits to a woman's freedom to terminate her pregnancy intentionally. This will be done by examining the arguments for and against elective abortion, and determining our position on the matter.

Keywords: elective abortion- physical freedom- woman's independence-termination of pregnancy-right to life.

مقدمة:

تعد الحرية مطلبا أصيلا وطبيعيا على مر العصور، فهي نقيض العبودية والتبعية. وتعني التحرر من القيود التي تكبل طاقات الإنسان وإنتاجه، سواء كانت القيود مادية أو معنوية. غير أنه وإن اختلف في ضبط مفهومها بين المذاهب الفكرية، إلا أن الاعتراف بها قائم لا شك فيه جسدته مختلف الاتفاقيات والمعاهدات الدولية والإعلانات العالمية لحقوق الإنسان، وكذا دساتير الدول وتشريعاتها الداخلية، وهو ما يؤكد تأثير ما تعيشه المجتمعات على صياغة القوانين بداخلها. غير أن مسيرة التحرر لم تتوقف عند الاعتراف بتلك الحقوق والحريات كحرية الرأي والتعبير، وحرية العقيدة وغيرها، والتي أصبحت حسب طائفة من المتحررين حريات نمطية لا بد من تحديثها، لتطفو بذلك على الساحة الدولية في العقود الأخيرة الدعوة إلى إقرار جملة من الحريات الفردية المستحدثة، واللصيقة بالشخصية الإنسانية متحدية كل القيود القمعية والزجرية، قانونية كانت أو دينية أو حتى أخلاقية واجتماعية، معتبرة أن الحرية لا قيود تحدها، إذ هي مطلقة ولا سبيل للنسبية إليها مادامت حرية شخصية. ومن قبيل هذه الحريات الحرية الجسدية والحرية الجنسية سواء بين الجنسين خارج إطار الزواج، أي حرية إقامة العلاقات الجنسية الرضائية، أو حتى بين الجنس الواحد في إطار ما يسمى بالمثلية الجنسية، وحرية تغيير الجنس أو التحول الجنسي.

في الإطار ذاته، برز تجاهر واضح في الآونة الأخيرة ينادي بحرية الإجهاض، أو الإجهاض الاختياري بغض النظر عن السبب المؤدي إليه، مادامت الأم الحامل ترغب في ذلك. وقد استند دعاة حرية الإجهاض للمطالبة بتشريع هذا الأخير وإباحته باعتبار أن الأمر يتعلق بجسد المرأة الحامل لا غيرها، لذلك لها كامل الحرية في التصرف فيه.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في تأثيره السلبي على قواعد القانون والأخلاق داخل المجتمعات، من خلال تمكن أنصاره من كسب تعاطف الكثيرين معهم واعتراف عدة دول بمطالبهم، مما زرع الثقة لدى الحركات التحررية والجمعيات النسوية المنادية بحقوق المرأة عبر أنحاء العالم، بما فيها الدول العربية، وعزز من قدرتها على

رفع التحدي لكسر حاجز "الموضوع الطابو"، الذي يخيم على موضوع الإجهاض في هذه المجتمعات، وتغيير تلك النظرة النمطية -حسبهم- بأنه موضوع يحرم الخوض فيه، وإن تم الخوض فيه فعلى استحياء كبير، لما له من علاقة وثيقة بعادات مجتمعاتهم وتقاليدها وقواعد الأخلاق فيها.

تتمثل مشكلة دراستنا في مدى حرية المرأة في اللجوء إلى الإجهاض الاختياري استنادا إلى حريتها في التصرف بجسدها، واعتدائها على حق الجنين في الحياة. ومن ثم تهدف ورقتنا البحثية إلى تحديد مفهوم كل من الحرية الجسدية والإجهاض الاختياري- تمييزا له عن مفهوم الإجهاض عموما- والوقوف على حجج كل من الرأي المؤيد والرافض له، ومناقشتها وتحديد موقفنا منها.

ومن أهم الدراسات السابقة في هذا الموضوع، مقالين مهمين، أولهما للمؤلف ميشال نجم، بعنوان "الإجهاض وحرية المرأة" منشور في كتاب جماعي من إعداد مركز الدراسات والأبحاث الإسلامية والمسيحية بعنوان "الإجهاض بين الإسلام والمسيحية والطب والقانون"، وقد ركز المؤلف في بحثه على التطور التاريخي للإجهاض منذ العصور القديمة، وتطرق إلى موقف الكتاب المقدس منه وكذلك موقف آباء الكنيسة، وصولا إلى العصر الحديث، بعد ذلك تناول المؤلف ادعاءات مؤيدي حرية الأم في إسقاط جنينها والرد عليها، ويعد هذا الأخير الجزء المشترك بين بحثينا، غير أننا حصرنا دراستنا في الإجهاض الاختياري لا الإجهاض بشكل عام، وربطنا جزئياتها من بدايتها بالحرية الجسدية للمرأة وفقا لما اقتضاه عنوان البحث، دون التطرق لجانبه التاريخي.

الدراسة الثانية، للكاتب محمد حنين مقال بعنوان "الحركة النسوية وعسر التحول الديمقراطي بالمغرب، جدل الإجهاض نموذجا-"، تناول فيه اتجاهات الجدل حول تقنين الإجهاض ودور الجمعيات والحركات النسوية فيه، مع التركيز على النقاش داخل المغرب من قبل هذه الأخيرة، مشيرا إلى نماذج من موقف الاتجاهين المؤيد والرافض للإجهاض، في حين أننا ركزنا في دراستنا على تحديد ماهية الإجهاض الاختياري كما

ذكرنا أعلاه، والحجج التي ساقها كلا الفريقين، بشكل عام -دون التركيز في دراسة الموضوع على دولة أو فئة معينة- وحللنا جزئياتها وأبدينا موقفنا منها.

وفقا لما سبق، يمكننا طرح الإشكاليات التالية: ما المقصود بالحرية الجسدية؟ وما هو مفهوم الإجهاض الاختياري؟ وما مدى حرية المرأة في اللجوء إليه استنادا لحقها في امتلاك جسدها؟

سنحاول الإجابة على هذه التساؤلات، معتمدين على المنهج الوصفي في تحديد المفاهيم الأساسية للدراسة، وكذا المنهج التحليلي لتحليل حجج المؤيدين لحرية المرأة في إجهاض جنينها وحجج الرافضين له، منهين دراستنا بجملة من النتائج والتوصيات.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي لمصطلحات البحث

ينطلق موضوع الحرية الجسدية للمرأة من فكرة أزلية هي فكرة الحرية، التي تعني "تعاطي الفرد فرديته، لا تعاطيه مشاركته الآخرين الوجود"(1)، وهي "التحرر من القيود التي تكبل طاقات الإنسان وإنتاجه، سواء كانت القيود مادية أو معنوية".

وحتى تكون دراستنا لهذا الموضوع دراسة منهجية، لابد لنا من الوقوف على تحديد مدلول الكلمات المفتاحية لعنوانه، والتي تتجسد بالخصوص في "الحرية الجسدية" و"الإجهاض الاختياري"، وهذا ما سنتولاه في العنصرين المواليين.

أولا: مفهوم الحرية الجسدية

لتحديد مفهوم الحرية الجسدية، ارتأينا ضرورة تعريف كل من"الحرية الشخصية" و"الحق في الحياة الخاصة" التي تعد حسب اعتقادنا المصدر الذي تم استنباط مصطلح الحرية الجسدية منه.

أ- تعريف الحرية الشخصية

هناك من يعرف الحرية الشخصية بأنها "تمكين الفرد من اتخاذ القرارات الذاتية دون أن يكره عليها"(2)، إذ تعتبر حرية الفرد جزءا من حرية المجتمع لا تتحقق إلا باحترام حريات الغير(3). وهناك من يعرفها بأنها "الاستقلالية المطلقة للإنسان في اختيار طريقة حياته وعيشها حسب ما يجده مناسبا بما لا يضر مصالح الآخرين". وهي "امتلاكه أيضا الحق في أن يقوم بجميع الأشياء التي لا تلحق الأذى بالآخرين"، وتسمى أيضا بالحرية الاجتماعية(4).

(1) كتاب جماعي بعنوان "الإجهاض بين الإسلام والمسيحية والطب والقانون"، إعداد مركز الدراسات والأبحاث الإسلامية المسيحية، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، 2005، ، ص 7.

(2) مقال "الحرية والمجتمع" منشور على الانترنت على الموقع التالي: www.feedo.net، تاريخ التصفح 28/03/2023 الساعة 11:29 صباحا.

(3) مقال "الحرية والمجتمع"، المرجع السابق.

(4) مقال "الحرية الشخصية: مفهومها وفوائدها"، منشور على الانترنت بتاريخ 02 جانفي2023، الموقع https://ila.ia.io/8147G ، تاريخ التصفح 28/03/2023، الساعة: 10:00 صباحا.

ب- تعريف الحق في الحياة الخاصة

يعرف الحق في الحياة الخاصة حسب مجتمعنا العربي الإسلامي بأنه "حق الشخص في أن يحترم الغير كل ما يعد من خصوصياته مادية كانت أو معنوية، أو تعلقت بحريته، على أن يتحدد ذلك بمعيار الشخص العادي وفقا للعادات والتقاليد والنظام القائم في المجتمع ومبادئ الشريعة الإسلامية، فخصوصيته تنبني على حقه في الاختيار الشخصي فيما يريد مقاسمته مع الآخرين من أفكاره وعواطفه، والحقائق المتعلقة بحياته الشخصية"(1)، وكذا حقه في أن يقرر بنفسه إلى أي حد يمكن أن يطلع الغير على شؤونه الخاصة(2).

ومن خلال اطلاعنا على التعريفات العديدة التي قدمت بخصوص الحق في الحياة الخاصة، نستنتج أنها كلها تصب في المعنى ذاته، غير أنها تختلف في النطاق الذي يمكن اعتباره حياة خاصة من عدمه، ذلك أن عناصر هذا الحق غير محصورة نظرا لما تقتضيه من تغيرات في الزمان والمكان وكذا العادات والتقاليد التي تميز مجتمع عن آخر، فضلا عن التقدم التكنولوجي والمعلوماتي الذي يصل إليه كل مجتمع.

وتعد حرمة الحياة الصحية للفرد من أهم مظاهر حرية الحياة الخاصة وعناصرها(3)، والتي تتضمن بدورها حرمة الجسد، ويسميها البعض الخصوصية الجسدية وهي التي تتعلق بالحماية الجسدية للأفراد تجاه أية إجراءات ماسة بالنواحي المادية لأجسامهم كفحص المخدرات أو الجينات مثلا(4).

---

(1) نواره حسين، آليات تنظيم المشرع الجزائري لجريمة الاعتداء على الحق في الحياة الخاصة إلكترونيا، سلسلة كتاب أعمال الملتقى الوطني "آليات مكافحة الجرائم الإلكترونية في التشريع الجزائري، 29 مارس 2017، مركز جيل البحث العلمي، ص 110.

(2) بن قارة مصطفى عائشة، الحق في الخصوصية المعلوماتية بين تحديات التقنية وواقع الحماية القانونية، مجلة الفقه والقانون، مجلة إلكترونية شهرية، المغرب، العدد 42، ابريل 2016، ص 73.

(3) عودة يوسف سلمان، الجرائم الماسة بحرمة الحياة الخاصة التي تقع عبر وسائل تقنية المعلومات الحديثة، مجلة الحقوق، كلية القانون، الجامعة المستنصرية، العراق، المجلد 1، الإصدار 29-30، السنة 2017، ص 6.

(4) هانيا محمد علي فقيه، حماية الحق في الخصوصية المعلوماتية، دراسة تحليلية لواقع الحماية وتحديات العصر، منشور على الموقع التالي: http://www.legallaw.ul.edu.lb/researchesView.aspx?opt&RulID=57&TYPE=PRINT

تاريخ الاطلاع: 12 أفريل 2023، على الساعة: 10:00.

ج- تحديد مدلول الحرية الجسدية

من خلال ما سبق ومن خلال تدرجنا في التطرق إلى المصطلحات المذكورة أعلاه (الحرية الشخصية، الحق في الحياة، الخصوصية الجسدية) يمكننا طرح التساؤل التالي: ما المقصود بالحرية الجسدية؟ وهل للإنسان حرية التصرف في جسده كيف ما يشاء؟

تعرف الحرية الجسدية بأنها "تمكين الفرد من الحرية في التصرف كيف ما يشاء في جسده، باعتبار الجسم ملكية خاصة له يفعل به ما يشاء، والدولة ليس لها دخل في ذلك، وعليها استبدال تلك القوانين التي تحد من حرية الجسد"(1)، أي أن هذه الأخيرة تقوم على مبدأ مفاده أن ملكية الجسد تعود لصاحبها فقط، لذلك له كامل الحرية في التصرف به كيف ما شاء دون أي قيود(2).

ما يمكننا ملاحظته على تعريف الحرية الجسدية بهذا الشكل، هو أنه تعريف يفتقر لأي ضابط أو قيد، على عكس ما جاء به تعريفات الحرية الشخصية في قولها (..بما لا يضر مصالح الآخرين)، والحق في الحياة الخاصة (..على أن يتحدد ذلك بمعيار الشخص العادي وفقا للعادات والتقاليد والنظام القائم في المجتمع ومبادئ الشريعة الإسلامية)(3). فمادامت حرية الفرد هي جزء من حرية المجتمع، ولا تتحقق إلا باحترام حريات الغير، لابد لها إذن من ضوابط وقيود تفرض عليها بمختلف صورها بما فيها حرية الجسد، وذلك حتى لا تتعرض هذه الحرية للانتهاك بواسطة الآخرين من جهة، أو تتعارض مع حق الغير في أن يكون له حرية مثل حريته التي يتمتع بها(4)، أي تحقيق المساواة بين الأفراد في التمتع بالحريات.

---

(1) بلقاسم حمدان العربي الإدريسي، حرية الجسد أم حرية تدمير أسس المجتمعات؟ مقال منشور على الانترنت بتاريخ 06/ 2020/08، على موقع دنيا الوطن، https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/531807.html
تاريخ التصفح: 2023/03/28 على الساعة 11:00.

(2) جاسر الحربش، هل لك حرية التصرف في جسدك؟ مقال منشور على الانترنت بتاريخ 20 ديسمبر 2017، على الموقع التالي: https://www.al-jazirah.com/2017/20171220/lp6.htm تاريخ التصفح 25 /2023/03 الساعة 9:30.

(3) راجع عنصر تعريف الحرية الشخصية والحق في الحياة الخاصة من هذا البحث.

(4) مقال الحرية والمجتمع، المرجع السابق.

إذن حرية التصرف في الجسد تعد أحد عناصر الحرية الشخصية، مثلها مثل باقي الحريات والحقوق الأخرى المعترف بها قانونا، لكن وفقا لشروط وضوابط قانونية ووفقا للنظام العام في كل دولة.

وللخوض في موضوع الحرية الجسدية، وقع اختيارنا على دراسة جزئية منه تخص المرأة، تتعلق بالإجهاض الاختياري، فما هو مفهوم الإجهاض الاختياري؟

ثانيا: مفهوم الإجهاض الاختياري

إن الحديث عن الإجهاض الاختياري يوجب علينا بداية التطرق إلى تعريف الإجهاض والإشارة إلى أنواعه وصوره بإيجاز، وصولا إلى تحديد مدلول الإجهاض الاختياري.

أ- تعريف الإجهاض وصوره

تركت التشريعات –كعادتها- مسألة تعريف الإجهاض بشكل عام للفقه والقضاء، ونظرا لارتباطه بالجانب الطبي أيضا، فإن الأطباء المختصين لم يتوانوا في صياغة تعريف له وفقا لما تقتضيه المهنة، وفيما يلي سنحاول الإشارة إلى تعريف الإجهاض في الفقه والقضاء والطب.

عرف بعض فقهاء القانون الإجهاض بأنه "إنهاء حق الجنين في الحياة المستقبلية"، وهو "إخراجه عمدا من الرحم قبل الموعد الطبيعي لولادته باستعمال وسيله صناعية"(1).

وعرفه آخرون بأنه "إنهاء حالة الحمل بأي وسيلة من الوسائل، تتم عمدا سواء بإعدام الجنين داخل الرحم وبإخراجه منه ولو حيا قبل الموعد الطبيعي للولادة(2). وهو "إعدام الجنين في بطن أمه بهدف إنزاله بطريقة عمدية قبل موعد الوضع الطبيعي"(3).

(1) حسين فريجة، شرح قانون العقوبات الجزائري، جرائم الأشخاص، جرائم الأموال، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009 ، ص 123.

(2) محمود أحمد طه، الإنجاب بين المشروعية والتجريم، رفض الإنجاب، التلقيح الصناعي،الاستنساخ، تعديل الصفات الوراثية للجنين، دار الفكر والقانون، مصر، 2015، ص 41، هامش رقم 1.

(3) مريم بوزار زقار، جريمة إجهاض الحامل لنفسها في التشريع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 50، ديسمبر، مجلد ب، 2018، ص 363.

أما في الفقه الإسلامي فهو "إسقاط المرأة جنينها بفعل عن طريق دواء أو بغيره أو بفعل من غيرها"، وهو "إنزال الحمل من أول العلوق بالرحم إلى ما قبل الولادة بساعة"(1).

وقد عرفته محكمة النقض المصرية بأنه "تعمد إنهاء حالة الحمل قبل الأوان"(2).

في حين عرف من الناحية الطبية بأنه "خروج محتويات الحمل قبل 22 أسبوعا أو 28 أسبوعا من آخر حيضة حاضتها المرأة، أو 20 عشرون أسبوعا من لحظه تلقيح البويضة بالحيوان المنوي"(3).

وللإجهاض أنواع ثلاثة: إجهاض تلقائي ويسمى أيضا طبيعي، وهو الذي يحصل بغير إرادة المرأة، حيث يعمل الرحم على طرد جنين لا يمكن أن تكتمل له عناصر الحياة، وقد يحدث بسبب خلل في جهاز المرأة التناسلي، أو بسبب خطأ ارتكبته كحمل شيء ثقيل، أو توتر نفسي، أو شربها لدواء مضر بالحمل والجنين(4). وإجهاض طبي أو علاجي يقوم به الطبيب لإنقاذ حياة الأم، لكن بشروط خاصة(5)، وذلك في حالة ما إذا كان في استمرار الحمل خطر يهدد حياتها، وأن مخاطر الإجهاض أقل من مخاطر استمرار الحمل. وإجهاض جنائي يتم فيه انفصال الجنين عن الرحم وخروجه أو تدميره وإنهاء حياته حتى ولو ظل في الرحم، ويتم انفصاله في غير موعده الطبيعي عمدا ودون ضرورة لذلك(6).

ب- تعريف الإجهاض الاختياري:

بالرجوع إلى صور الإجهاض المشار إليها أعلاه، نجد أن الإجهاض الجنائي نوعان، إجهاض جنائي بدون إرادة المرأة الحامل، وهو إجهاض يرتكبه الغير ضدها -هذا النوع لا يدخل في مجال دراستنا- وإجهاض جنائي

(1) أميرة عدلي أمير عيسى خالد، الحماية الجنائية للجنين، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الإسكندرية، 2004، ص 296.
(2) ميادة مصطفى محمد المحروقي، الإجهاض بين الإباحة والتجريم، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2014، ص 20، 21.
(3) أميرة عدلي أمير عيسى خالد، المرجع السابق، ص 296.
(4) فريدة زوزو، الإجهاض، دراسة فقهية مقاصدية، الطبعة الأولى، رابطة العلماء السوريين، تركيا، 2015، ص 11.
(5) ليندة بغدادي، حق الإنسان في التصرف بجسده بين القانون الوضعي والتقدم العلمي، مذكرة ماجستير في القانون الدولي لحقوق الإنسان، كلية الحقوق والعلوم التجارية، جامعة بومرداس، 2006 ص 63.
(6) أميرة عدلي أمير عيسى خالد، المرجع السابق، ص 297.

بإرادة المرأة الحامل تقوم به بنفسها، أو يرتكبه الغير بناء على موافقتها ورضاها، وهو ما أسميناه "بالإجهاض الاختياري أو الإرادي"، فما مفهومه؟

الإجهاض الاختياري هو "ذلك الإجهاض الذي تلجأ إليه الأم اعتقادا منها بأن الجنين هو مجرد امتداد لجسدها أو تورم لا حياة فيه، أو تخفيفا من أعباء تنشئة إنسان جديد، أو اجتنابا للفضيحة والعار"(1).

أما نحن فقد خلصنا إلى تعريفه بأنه "ذلك الإجهاض الذي يتم بسبب رفض المرأة الحامل لاستمرار حملها إراديا، باختيارها إنهاء حياة الجنين عمدا داخل رحمها، أو بإخراجه أو فصله عنها في غير موعده الطبيعي، إما بنفسها أو عن طريق الغير، دون أي ضرورة لذلك، ودون أن يشكل هذا الحمل خطرا يهدد صحتها أو حياتها استنادا إلى مبررات اجتماعية، أو استنادا إلى سلطتها على جسدها وحريتها في التصرف به حسب زعمها".

وأيا كانت الطريقة المتبعة في هذا الإجهاض، ومهما كانت الدوافع والأسباب التي تستند إليها المرأة في تبرير إجهاضها لجنينها، إلا أن الإشكال الذي يطرح في هذه المسألة هو مدى حرية لجوئها إلى الإجهاض -بمحض إرادتها- بغض النظر عن الدوافع الحقيقية لذلك. هذا ما سنناقشه في المحور الموالي.

(1) ميشال نجم، حرية الأم أم حياة الجنين، مقال منشور في كتاب جماعي بعنوان "الإجهاض بين الإسلام والمسيحية والطب والقانون"، إعداد مركز الدراسات والأبحاث الإسلامية المسيحية، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، 2005، ص 214.

المحور الثاني: مدى حرية المرأة في التصرف بجسدها عن طريق الإجهاض الاختياري

يثير عنوان هذا المحور إشكالية عامة مهمة تتعلق بمدى حرية المرأة في التصرف بجسدها، وإشكالية جزئية لا تقل عنها أهمية تتعلق بمدى حريتها في الإجهاض الاختياري لجنينها، لأن الإشكالية الثانية إنما تمثل جزءا من الكل، لذلك منهجيتنا في الدراسة ستكون بإسقاط كل ما يتعلق بمدى حرية المرأة في التصرف بجسدها، على مدى حريتها في الإجهاض الاختياري.

وما لاحظناه خلال بحثنا في هذه المسألة أن هذا الموضوع قد تجاذبه تياران فكريان يدوران حول التأييد والرفض، كل له حججه ومبرراته. وما سنقوم به في هذا المقام هو عرض لأفكار هذين التيارين ومناقشتها مبرزين رأينا منها.

أولا: تأييد حرية المرأة في التصرف بجسدها عن طريق الإجهاض الاختياري

علت أصوات عديدة عبر كامل أرجاء العالم تدعوا إلى الحرية الشخصية كمفهوم خاص للقيم الكونية وحقوق الإنسان، تشمل هذه الحرية تأخير الزواج، وحرية الممارسة الجنسية خارج إطاره وتقنين الدعارة(1)، وإن نتج عن هذه الممارسات حمل، فإن للمرأة كامل الحرية في التعامل معه وتحديد مصيره. وتمثل هذه الأصوات "حركة أنصار حرية الاختيار" (pro- choice movement).

هذا وقد أعلن الرئيس الأمريكي السابق "بيل كلينتون" تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لحق الاختيار بشأن الإجهاض في جميع أنحاء العالم، وذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للسكان والتنمية للأمم المتحدة بالقاهرة من 5 إلى 13 سبتمبر1994، وأضاف أن "هذا الإجراء ينبغي أن يكون اختيارا شخصيا وليس فرضا عاما"(2)، وقد كان هذا المؤتمر، بالإضافة إلى المؤتمر الدولي للأمم المتحدة للنساء ببكين سنة 2015، من

(1) امحمد الهلالي، الإجهاض بين الحق في التصرف في الجسد والحق في الحياة، مقال منشور على الانترنت بتاريخ: 06 أكتوبر 2012، https://www.hespress.com/writers/63994.html، بتاريخ 2023/04/14 على الساعة 19:21

(2) يوسف عمرو، الإجهاض، مقال منشور في كتاب جماعي بعنوان "الإجهاض بين الإسلام والمسيحية والطب والقانون المرجع السابق، ص 179.

أهم الملتقيات الدولية التي أسست المرجعية الدولية لحقوق النساء في الإجهاض(1). وقد استند أنصار هذا الرأي لعدة حجج هي:

أ- الإجهاض حرية شخصية: تعتبر هذه الحجة، أهم حجة استند عليها "أنصار حرية الاختيار" لتبرير الإجهاض، حيث يرون أن المرأة لها حرية التصرف في حملها بإرادتها المنفردة انطلاقا من حريتها المطلقة فيما يتعلق بها، فالجنين بالنسبة لهم يعد جزءا لا يتجزأ عن أمه، ومن ثم لها الحرية الكاملة في التصرف فيه كيف ما تشاء، وإجبارها على استمرار حملها غير المرغوب فيه يمثل اعتداء على حقها في الحرية الشخصية وفي شؤونها الخاصة(2)، وأن القوانين التي تحرم الإجهاض تتنافى وحقوق المرأة في أن تفعل ما تشاء في جسدها(3)، فحقوق الإنسان لا تكتمل حسبهم إلا برفع جميع القيود القانونية والثقافية على حق المرأة في إسقاط حملها غير المرغوب فيه، كنتيجة لازمة لحقها في الاختيار والتصرف بحرية في جسدها، أي أن الإجهاض هو حرية فردية أساسية ملازمة لتحرير العلاقات الجنسية(4).

وتجسيدا لما سبق، أكد المجلس الأوروبي على حق جميع البشر، ولاسيما النساء، في احترام سلامتهم الجسدية وحرية التصرف في أجسادهم، ودعا إلى عدم تحريم الإجهاض خلال حدود معقولة للحمل، إن لم تكن قد قامت بذلك فعلا. والسماح للنساء بحرية الاختيار...."(5). وفي قضية أبطلت فيها محكمة صقلية قرار طبيب بإجهاض فتاة معاقة ذهنيا في 13 من عمرها في ديسمبر 1999، حملت من صديقها المعاق ذهنيا أيضا، والبالغ من العمر 14 عاما، قامت جمعيات الحق في الاختيار المؤيدة للإجهاض باتهام المحكمة أنها

(1) محمد حنين، الحركة النسوية وعسر التحول الديمقراطي بالمغرب، جدل الإجهاض نموذجا، مجلة إنسانيات، مجلة الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، الجزائر، عدد 74، أكتوبر- ديسمبر 2016، ص 3.

(2) ميادة مصطفى محمد المحروقي، المرجع السابق، ص 70، 71.

(3) ميشال نجم، المرجع السابق، ص224 .

(4) امحمد الهلالي، الإجهاض بين الحق في التصرف في الجسد والحق في الحياة، المرجع السابق.

(5) ميادة مصطفى المحروقي، المرجع السابق، ص 73 .

أذعنت لضغوط نشطاء الجمعيات المناهضة للإجهاض، وقالت أن بحملتهم المطالبة بإكمال الفتاة لحملها قد خرقوا قوانين الحرية الشخصية(1).

ب- **الجنين ليس إنسانا:** هي حجة بيولوجية استند إليها مؤيدو إباحة الإجهاض، إذ لا يعتبر الجنين بالنسبة لهم إنسانا وإنما هو مجرد تورم لحمي، أو نفاية بروتوبلازمية، أو مواد مشيجية تنتمي إلى الأم(2)، لاسيما في الأشهر الأولى من الحمل، وقد أكد الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة(3) في دليله المتعلق بتحليل قوانين الإجهاض والعقبات التي تقف في طريقه، أنه وإن كان من الممكن تضارب حقوق المرأة وحقوق جنينها، فإنه لابد من الانتباه إلى أنه لا يوجد معايير دولية تماثل بين حقوق الجنين وحقوق الشخص، إذ لا يمكن إنكار حقوق النساء في الحياة وفي الصحة وفي عدم التمييز في اتخاذ قرار ذاتي في الإنجاب، ولا يمكن مقارنتها مع الأجنة، ذلك أنه وإن كانت جميع أشكال الحياة لها قيمة (حتى غير البشرية منها)، لكن فقط الأشخاص بما فيهم النساء لهم حقوق. فغالبا ما تؤكد دراسة القوانين في جميع أنحاء العالم على أن الجنين ليس كائنا بشريا بعد، ولذلك ليس له حقا محددا للحياة، حيث رفضت اللجان الإفريقية والمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان والعديد من المحاكم الوطنية في جميع أنحاء العالم أن تعلن بشكل قاطع أن الجنين هو مبحث للحق في الحياة(4)، فهو لا يتمتع بالشخصية القانونية التي تكفل له الحماية طالما لم يولد بعد، لأن جميع الاتفاقيات

(1) قضايا الصحة الإنجابية، مختارات مترجمة من مجلة (Reproductive health matters) مركز دراسات المرأة الجديدة، الإجهاض قضية للنقاش، العدد الخامس، ص 88.

(2) ميشال نجم، المرجع السابق، ص 223.

(3) الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة IPPF، هو مقدم خدمات عالمي، وداعية وقيادي من أجل الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية للجميع، وحركة من المنظمات الوطنية العاملة مع ومن أجل المجتمعات والأفراد في جميع أنحاء العالم.

(4) الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة IPPF، الوصول إلى الإجهاض السليم، أداة لتقييم العقبات القانونية وغيرها من العقبات، لندن، أيلول، 2008، ص 15.

الدولية قصدت الشخص بعد ميلاده(1)، ومن ثم فإن الحق في الحياة للجنين غير مطلق، ففي عام 2004رفضت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان تمديد حق الحياة ليشمل الأجنة(2).

ج- إباحة الإجهاض وسيلة للتخلص من بعض المشاكل: يرى المطالبون بإباحة الإجهاض أن عدم تقنينه يؤدي إلى مشاكل جمة، كالتخلي عن الأطفال وقتل الرضع، والأطفال المشردين، والإجهاض السري(3)، فضلا عن الأثر السلبي الذي يلحق بسيكولوجية الأهل نتيجة ولادة أولاد غير مرغوب في وجودهم. وللحفاظ على حياة الأم، وتفاديا لكل هذه المشاكل وللحد منها، يرون أنه من الضروري الإقرار بمشروعية حرية المرأة في اللجوء إلى الإجهاض بطريقة آمنة متى رغبت فيه، وللتقليص أيضا من عدد وفيات الأمهات التي تنتج عن مضاعفات الإجهاض، والتي تنتج بدورها عن إجراءات الإجهاض غير الآمن، حيث قدرتها منظمة الصحة العالمية بـ13%، أو ما يقارب 80000 حالة وفاة سنويا(4).

كما يرون وجوب إباحة الإجهاض في الحالات التي يكون فيها الجنين ناتجا عن زنا أو اغتصاب، ذلك أن وصمة العار تلحق بالأمهات، وتتأثر نفسياتهن مما قد يدفعهن إلى الانتحار، فإباحة الإجهاض في هذه الحالة وتقنينه يضع – حسب اعتقادهم- حدا لمشاكل الأمهات العازبات وحتى خادمات البيوت.

ويلاحظ أن هذه النداءات قد نجحت نسبيا في الوصول إلى مبتغاها، حيث توجت على المستوى الإفريقي بتبني الجمعية العامة لرؤساء دول وحركات الاتحاد الإفريقي، للبروتوكول الخاص بحقوق المرأة في إفريقيا، الملحق بالميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، وذلك في11 يوليو/ تموز 2003 (بروتوكول مابوتو)، إذ نص في المادة 14 منه فقرة 2، البند الأخير(ج)، والذي جاء تحت عنوان "الحقوق الصحية والإنجابية" نص على ما يلي: "ج- حماية الحقوق الإنجابية للمرأة بالسماح رسميا بالإجهاض الطبي في حالات الاعتداء الجنسي

(1) ميادة مصطفى محمد المحروقي، المرجع السابق، ص 72.
(2) الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة، المرجع السابق، ص 16.
(3) امحمد الهلالي، المرجع السابق.
(4) قضايا الصحة الإنجابية، المرجع السابق، ص 4.

والاغتصاب وسفاح الأقارب، وحيث يشكل استمرار الحمل خطرا على الصحة العقلية والبدنية للأم، أو يشكل تهديدا لحماية حياتها وحياة جنينها"(1).

د- الإجهاض وسيلة للحد من التزايد السكاني: شكل التطور المخيف في نسبية الولادات البشرية، أزمة سكانية حقيقية أثرت على كافة ميادين الحياة كالاقتصاد والصحة والتعليم والعمل وغيرها، وأصبحت الموارد الطبيعية والمرافق – حسب حركة أنصار حرية الاختيار- غير كافية لإعالة كل هذه البشرية المتكاثرة، مما دفع المسؤولين إلى البحث عن حلول لمجابهة هذه الأزمة، والإعلان عن تحديد الولادات بشتى الوسائل(2)، الأمر الذي استغله مؤيدو الحق في الإجهاض لتمرير مطالبهم والدعوة إلى إباحة الإجهاض كوسيلة فعالة للحد من التزايد السكاني(3).

و- الإجهاض تعصرن وتقدم: يأخذ دعاة التعصرن والتمدن بمبدأ الإجهاض(4) احتراما للحقوق الجنسية والإنجابية للمرأة، واحترام رغبتها في عدم استمرار الحمل إن وقع، والإيقاف الطبي له، لأنها وحدها من لها الحق في تقرير ذلك، وهو ما يجسد احترام الحقوق الإنسانية للمرأة وعلى رأسها الحق في الإجهاض، وأن هذا الأخير حرية فردية أساسية ملازمة لتحرير العلاقات الجنسية، إذ يرون أن مقاصد هذه الأخيرة - ومنها الزواج- لا تقتصر على مجرد الإنجاب والتناسل والتكاثر، بل تتعداها إلى المتعة، ومن ثم فإن المرأة لها كامل الحرية في إقامة علاقة جنسية داخل إطار الزواج أو خارجه لمجرد المتعة لا غير، ومتى نتج حمل، لها أن تمارس الإجهاض بكل حرية متى أملت عليها رغبتها ذلك(5).

---

(1) منظمة العفو الدولية، البروتوكول الخاص بحقوق المرأة في إفريقيا، تقوية عملية تعزيز الحقوق الإنسانية للمرأة، وحمايتها في إفريقيا، رقم الوثيقة IOR 63/005/2004، يونيو/ حزيران 2004، ص7، ص 14.

(2) ميشال نجم، المرجع السابق، ص224، بيان مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك بلبنان حول الإجهاض، منشور في كتاب جماعي بعنوان "الإجهاض بين الإسلام والمسيحية والقانون والطب"، المرجع السابق، ص 235، 236.

(3) ميادة مصطفى محمد المحروقي، المرجع السابق، ص 78.

(4) بيان مجلس البطاركة والأساقفة، المرجع السابق، ص236.

(5) امحمد الهلالي، المرجع السابق.

وأمام هذه المبررات والحجج التي ساقها أنصار دعاة إباحة الإجهاض، رد عليهم تيار آخر يدعو إلى رفض الإجهاض الاختياري وعدم الإقرار بمشروعيته، استنادا إلى جملة من الحجج التي نسوقها في العنصر الموالي.

ثانيا: رفض حرية المرأة في التصرف بجسدها عن طريق الإجهاض الاختياري

على نقيض حركة أنصار حرية الاختيار، يسمى التيار الرافض للإجهاض بحركة أنصار الحياة (pro-life movement) أو(pro-vie) (من أجل الحق في الحياة)، حيث يرى أنصاره أن حق الجنين في الحياة هو الأصل، وأن الإجهاض إجراء استثنائي يلجأ إليه في حالات استثنائية فقط، كأن تكون حياة الأم في خطر(1). وقد تمثلت ردودهم على التيار المؤيد للإجهاض فيما يلي:

أ-الحرية ليست مبررا لارتكاب الإجهاض: يرى أنصار الحق في الحياة أن الحرية هي الوسيلة التي نتحرر بها من الإثم، ولا ينبغي أبدا أن تكون مبررا لارتكابه(2)، فالحرية الفردية الخالصة تتمحور حول وظيفة المرء في الحفاظ على بقائه فقط(3).

ومن ثم فإننا نرى أن ادعاء المرأة بأن جسدها حريتها، وأنه لا دخل للمجتمع في قراراتها هو أمر مناقض تماما للمعايير والقوانين التي تقوم عليها المجتمعات. فالإنسان السوي ملزم باحترام عادات وتقاليد المجتمع وإن لم يحب بعض العادات فيه، إذ أن دعاوى التحرر التام وإطلاق الجسد والفكر والممارسة بلا قيد تجافي المنطق تماما، وتناقض التعريفات المحددة للحرية الشخصية والحق في الحياة الخاصة كما أشرنا إليه في بداية هذه الدراسة. فالحرية الشخصية ومنها الحرية الجسدية يجب أن تمارس وفقا لضوابط قانونية، وتحترم النظام العام والعادات والتقاليد في المجتمع، وذلك درءا لأي مفسدة أو ضرر قد يلحق بحقوق وحريات الآخرين.

(1) محمد حنين، المرجع السابق، ص50.

(2) ميشال نجم، المرجع السابق، ص 286.

(3) مقال منشور على الانترنت على الموقع التالي: https://1.a1072.azureedge.net

والأصل أن الحديث عن الجسد، هو حديث عن حرمته لا حريته، على النقيض من ذلك فإن حرمة الجسد هي حق أصيل من الحقوق اللصيقة بالشخصية، المعترف به قانونا وشرعا وأخلاقا منذ الأزل، وهو في أبسط معانيه الحماية القانونية من الاعتداء على جسد الإنسان بطريقه غير مشروعة خارج القانون، ومن ثم فإننا نرى أن الجسد أولى بالحماية من اعتداء صاحبه عليه إراديا، قبل اعتداء الغير عليه، لأن رضا المجني عليه ليس سببا من أسباب الإباحة، فضلا أنه لا يوجد اتحاد بين حياة المرأة الحامل -التي لا تستحق أن يطلق عليها وصف أم- وبين حياة الجنين كما سنرى في العنصر التالي.

ب- الإجهاض الاختياري اعتداء على حق الجنين في الحياة: إن الطب يؤكد أن الجنين هو إنسان بشري حي يتميز عن أمه قبل الولادة وبعدها منذ تكوينه في الرحم حتى مغادرته للحياة، طوال هذه المدة يكون استمرار الحياة فيه علامة لاستمرار الشخصية(1)، فالكائن البشري له قيمة وجودية وكونية منذ نفخ الروح، ويرتب له الشرع حقوقا لصيقة بإنسانيته، أولها الحق في الحياة الذي لا يكتمل إلا بما يجب على الأم والمجتمع برمته أن يوفره من شروط صحية واجتماعية وأسرية(2). إذن لا شك أن الجنين المجهض هو نفس إنسانية إما بالقوة أو بالفعل، إذ لولا بداية تكوُن الجنين لما وصل إلى كماله الخلقي، وإسقاطه يكون بمثابة المانع من تدرجه التكويني الخلقي، وعدم إسقاطه وإجهاضه يكون بمثابة سير التكوين وفقا لمقتضاه، وبالتالي إلى التكون السليم(3). فهو أيضا له الحق أن يولد ويعيش ولا يجوز حرمانه من هذا الحق أو التعدي عليه باستثناء الحالة التي يكون فيها الحمل مصدر خطر على الأم، إذ يجوز إجهاضه في هذه الحالة حفاظا على صحتها(4).

ج- الإجهاض الاختياري ليس حلا للمشاكل الاجتماعية وغيرها: إن الربط بين مطلب تقنين الإجهاض وبين حل المشاكل المترتبة عن الاغتصاب وزنا المحارم في حالة حدوث حمل، وقتل الرضع والتخلي عن الأطفال

(1) بيان مجلس البطاركة والأساقفة، المرجع السابق، ص 235.

(2) امحمد الهلالي، المرجع السابق.

(3) الشيخ توفيق علوية العاملي، الإجهاض وما يترتب عليه، مقال منشور في كتاب جماعي بعنوان "الإجهاض بين الإسلام والمسيحية والطب والقانون"، المرجع السابق، ص 169.

(4) ميادة محمد مصطفى المحروقي ، المرجع السابق، ص 73.

وتشردهم، وارتفاع نسبة وفيات الإجهاض السري، هو ربط غير منطقي، لأن هذه الحالات - ويضاف إليها حالة إجهاض الأم الذي يهدد صحتها وحياتها خطر، أو التشوهات الخلقية المحتملة للجنين- هي في الواقع حالات استثنائية لا تمثل سوى 2% من نسبة الإجهاض بشكل عام، وبالتالي تركيز دعاة تحرير الإجهاض على هذه الاستثناءات يعتبر من الأبواب التي يراد فتحها قصد التلاعب بالشرع والقانون. لأن المشكل الحقيقي في الإجهاض يتجلى في 98% من الحالات المتبقية والتي يريد البعض أن يصوغ لها استثناءات فضفاضة ومطاطة أصلها مثبت في القانون(1). وقد ذهب البعض إلى أبعد من ذلك، حيث يرفضون الإجهاض العلاجي الذي يراد به الإبقاء على حياة الأم، غلقا لأي باب، ويبررون رأيهم بأنهم لا يستطيعون التذرع بعلم الطب حتى يثبتون للأم حق الأفضلية في الوجود على حياة الجنين، إذ أن الطب لا يفرق بين كائن حي وكائن حي آخر، بل على النقيض هو يحاول إسعاف الاثنين، عندئذ يتساوى موقف الطب وموقف الضمير(2).

وبشأن كثرة جرائم الإجهاض التي تتم في الخفاء مثلما تشير إليه بعض الأرقام، فهي ليست مبررا أبدا لشرعنة الإجهاض، أو قتل الأجنة(3). إذ لا ينبغي أن تعالج جريمة (الاغتصاب, زنا المحارم، قتل الرضع، تشرد الأطفال) بجريمة أخرى (إجهاض الأجنة)، كما لا يجب التساهل مع هذه المشاكل الاجتماعية باقتراح الإجهاض كحل لها، لأن ذلك لن يساهم في حلها وإنما يزيد من تفاقمها وتعقيدها(4).

وفي هذا الصدد رفضت محكمة بصقلية توصية طبيب بإجهاض فتاة معاقة ذهنيا حملت من صديقها المعاق ذهنيا أيضا، بدعوى أن عمرها العقلي لا يتعدى 6 سنوات، وأنها لا تستطيع أن تفرق بين الرضيع والدمية حسب ما التمسه والداها من هيئة المحكمة(5).

(1) محمد حنين، المرجع السابق ص 52، 53.
(2) بيان مجلس البطاركة والأساقفة، المرجع السابق، ص 236.
(3) امحمد الهلالي، المرجع السابق.
(4) محمد حنين، المرجع السابق، ص 52.
(5) قضايا الصحة الإنجابية، المرجع السابق ص 88.

د-الإجهاض الاختياري سبب في إحداث خلل في الهرم السكاني: تعد الدعوة إلى تقنين الإجهاض الاختياري كوسيلة فاعلة للحد من التزايد السكاني، قمة الاستهتار واللامبالاة واللامسؤولية من أصحاب هذا الرأي، وذلك بالنظر إلى الإخلال الجسيم الذي يحدثه إجهاض الأجنة بالهرم السكاني في أي مجتمع، حيث يؤثر على تحوله تجاه توسيع قمته لفائدة الشيوخ، وتقليص قاعدته على حساب الشباب والفئة النشطة في المجتمع(1). ولا ينبغي إغفال الآثار السلبية لظاهرة شيخوخة السكان على كافة ميادين الحياة لاسيما الاقتصاد، فضلا عن مساهمة الإجهاض - في حالة تأييده- في انقطاع النسل البشري وانقراضه(2) على المدى البعيد.

هذا وقد لقي اقتراح اللجوء إلى الإجهاض كوسيلة لتحديد النسل، معارضة في المؤتمر العالمي للتنمية والسكان الذي عقد في مصر في الفترة ما بين 5-13 سبتمبر 1994، حيث جاء في الفصل الثامن المتعلق بالصحة ومعدلات الاعتلال والوفيات أنه "لا يجوز الدعوة إلى الإجهاض كوسيلة من وسائل تنظيم الأسرة"(3).

و- إباحة الإجهاض قمة التخلف والعبثية: إن إباحة الإجهاض وتحريره من كل ضابط أو قيد، يؤدي إلى تكوين علاقات جنسية عبثية وفاسدة، قوامها المتعة وقضاء الوطر الذي سرعان ما يورث الملل، بعيدا عن غاية تكوين عائلة(4) مستقرة، مقصدها الإنجاب والتكاثر والتناسل. حيث يكون الإجهاض في حالة حمل المرأة هو الطريقة المباشرة للتخلص منه دون أي عوائق، وإن مثل هذه العلاقات، ومثل هذه التصرفات في حقيقة الأمر هي قمة التخلف والانحطاط، ولا نرى فرقا بين عالم من يعيشونها وبين عالم الحيوان، الذي يشفع لتصرفاته غياب العقل لديه. وإن التعامل مع الحمل بإجهاضه وفقا لأهواء الطرفين أو أحدهما لمجرد عدم الرغبة فيه، هو استخفاف لامتناهي بالحياة التي لا يملك إعطاءها أو سلبها إلا الله عز وجل. وهو في

(1) محمد حنين، المرجع السابق، ص 56.
(2) توفيق العلوية، المرجع السابق، ص170.
(3) ميادة محمد مصطفى المحروقي، المرجع السابق، ص 79.
(4) توفيق علوية، المرجع السابق، ص 171.

الوقت ذاته -الإجهاض- التعبير الأبعد خطورة عن العنف(1)، فكيف لدعاة التقدم والتمدن والعصرنة أن يدافعوا عن حقوق المرأة وحرية تصرفها بجسدها، ونبذ كل تمييز وكره وعداء وعنف ضدها، كيف لهم أن يمارسوا السلوكيات ذاتها على الجنين، وهو أضعف الكائنات وأحوج ما يكون إلى الحماية والدفاع عنه؟

(1) بيان مجلس البطاركة والأساقفة، المرجع السابق، ص 236.

الخاتمة:

الأصل أن الحديث عن الجسد، هو حديث عن حرمته لا حريته، فحرية الجسد مصطلح ابتدعته فئة من الأفراد والجمعيات التي تسمي نفسها حقوقية والتي نشأت على فكرة الحرية المطلقة. ومن ثم يعتبر الإجهاض من أخطر الأفعال التي تلجأ إليها المرأة للاعتداء على حق الجنين في الحياة استنادا إلى حرية جسدها، في حين أن الأمر لا علاقة له بالحرية الجسدية ولا الحرية الشخصية. ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع توصلنا إلى مجموعة من النتائج تتمثل في:

- الإجهاض الاختياري هو ذلك الإجهاض الذي يتم بسبب رفض المرأة الحامل لاستمرار حملها إراديا، وذلك باختيارها إنهاء حياة الجنين عمدا داخل رحمها، أو بإخراجه أو فصله عنها في غير موعده الطبيعي، إما بنفسها أو عن طريق الغير، دون أي ضرورة لذلك، ودون أن يشكل هذا الحمل خطرا يهدد صحتها أو حياتها استنادا إلى مبررات اجتماعية، أو استنادا إلى سلطتها على جسدها وحريتها في التصرف به حسب زعمها".

- تشريع الإجهاض هو خرق للمقاييس الدينية والأخلاقية.

- لا توجد حرية جسدية، وإنما حرمة جسد يتصرف فيه صاحبه وفق المعايير الاجتماعية والدينية.

- حرية الجسد إذا كانت مرتبطة باختيارات المرأة فإنها غالبا ما ترتبط بالانحلال الأخلاقي.

- لا علاقة لاستقلالية المرأة بحرية الجسد، ولا علاقة لحرية الجسد بالإجهاض الاختياري للجنين.

- العدالة تفترض حماية المستضعفين، ورفض إجهاض الأجنة هو تحرير للمرأة من العنف الممارس ضدها، وهو تحرير لجسدها من العنف الممارس ضده.

وفقا لدراستنا لهذا الموضوع، واستنادا لما تم التوصل إليه من نتائج، يمكننا تقديم التوصيات التالية:

- ضرورة ضبط القوانين داخل الدول لاسيما الإسلامية منها، وعدم تركها فضفاضة ومرنة، فضلا عن ضرورة عدم التساهل مع مخالفيها بداعي الحرية والتحرر.

- الاستثمار الإيجابي في الإنسان عبر مختلف مراحله العمرية، وعلى اختلاف جنسه ومكانته في المجتمع، وعدم تركه عرضة للتحولات اللاأخلاقية التي عصفت بالعالم كافة، وذلك من خلال دورات تحسيسية ومؤتمرات وغيرها.

- ضرورة التمسك بتعاليم ديننا الإسلامي، وتعليمها ونشرها للأجيال القادمة، لاسيما في ظل التغيرات المخيفة والخطيرة التي تندرج ضمن ما يسمى بالحداثة السائلة.

- ضرورة العمل على الحفاظ على ثبات المساحة بين الأخلاق والدين والقانون، وعدم السماح باتساع الهوة بينهم.

المصادروالمراجع:

أولا: الكتب.

- حسين فريجة، شرح قانون العقوبات الجزائري، جرائم الأشخاص، جرائم الأموال، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

- ثابت بن عزة مليكة، جريمة الإجهاض بين الشريعة الإسلامية والتشريع الجنائي الجزائري، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2013.

- محمود أحمد طه، الإنجاب بين المشروعية والتجريم، رفض الإنجاب، التلقيح الصناعي، الاستنساخ، تعديل الصفات الوراثية للجنين، دار الفكر والقانون، مصر، 2015.

- ميادة مصطفى محمد المحروقي، الإجهاض بين الإباحة والتجريم، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2014.

- فريدة زوزو، الإجهاض، دراسة فقهية مقاصدية، الطبعة الأولى، رابطة العلماء السوريين، تركيا، 2015.

- نواره حسين، آليات تنظيم المشرع الجزائري لجريمة الاعتداء على الحق في الحياة الخاصة إلكترونيا، سلسلة كتاب أعمال الملتقى الوطني "آليات مكافحة الجرائم الإلكترونية في التشريع الجزائري، 29 مارس 2017، مركز جيل البحث العلمي.

- الشيخ توفيق علوية العاملي، الإجهاض وما يترتب عليه، مقال منشور في كتاب جماعي بعنوان "الإجهاض بين الإسلام والمسيحية والطب والقانون، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، 2005".

- ميشال نجم، حرية الأم أم حياة الجنين، مقال منشور في كتاب جماعي بعنوان "الإجهاض بين الإسلام والمسيحية والطب والقانون، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، 2005".

- يوسف عمرو، الإجهاض، مقال منشور في كتاب جماعي بعنوان "الإجهاض بين الإسلام والمسيحية والطب والقانون، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، 2005".

- بيان مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك بلبنان حول الإجهاض، منشور في كتاب جماعي بعنوان "الإجهاض بين الإسلام والمسيحية والطب والقانون، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، 2005".

ثانيا: رسائل الدكتوراه والماجستير.

- أميرة عدلي أمير عيسى خالد، الحماية الجنائية للجنين، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الإسكندرية، 2004.

- ليندة بغدادي، حق الإنسان في التصرف بجسده بين القانون الوضعي والتقدم العلمي، مذكرة ماجستير في القانون الدولي لحقوق الإنسان، كلية الحقوق والعلوم التجارية، جامعة بومرداس، 2006.

ثالثا: المجلات.

- بن قارة مصطفى عائشة، الحق في الخصوصية المعلوماتية بين تحديات التقنية وواقع الحماية القانونية، مجلة الفقه والقانون، مجلة إلكترونية شهرية، المغرب، العدد 42، أبريل 2016.

- عودة يوسف سلمان، الجرائم الماسة بحرمة الحياة الخاصة التي تقع عبر وسائل تقنية المعلومات الحديثة، مجلة الحقوق، كلية القانون، الجامعة المستنصرية، العراق، المجلد 1، الإصدار 29-30، السنة 2017.

- محمد حنين، الحركة النسوية وعسر التحول الديمقراطي بالمغرب، جدل الإجهاض نموذجا، مجلة إنسانيات، مجلة الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، الجزائر، عدد 74، أكتوبر- ديسمبر 2016.

- مريم بوزار زقار، جريمة إجهاض الحامل لنفسها في التشريع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 50 ، ديسمبر 2018 مجلد ب.

- قضايا الصحة الإنجابية، مختارات مترجمة من مجلة:

(Reproductive health matters)، مركز دراسات المرأة الجديدة، الإجهاض قضية للنقاش، العدد الخامس.

رابعا: المقالات المنشورة على الأنترنت.

- امحمد الهلالي، الإجهاض بين الحق في التصرف في الجسد والحق في الحياة، مقال منشور على الأنترنت بتاريخ: 06 أكتوبر 2012، على الموقع التالي:

https://www.hespress.com/writers/63994.html، بتاريخ 2023/04/14 على الساعة 19:21.

- بلقاسم حمدان العربي الإدريسي، حرية الجسد أم حرية تدمير أسس المجتمعات؟ مقال منشور على الانترنت بتاريخ 06/ 2020/08، على موقع دنيا الوطن، https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/531807.html

تاريخ التصفح: 2023/03/28 على الساعة 11:00.

- جاسر الحربش، هل لك حرية التصرف في جسدك؟ مقال منشور على الانترنت بتاريخ 20 ديسمبر 2017، على الموقع التالي:

https://www.al-jazirah.com/2017/20171220/lp6.htm

تاريخ التصفح 25 /2023/03 الساعة 9:30.

- هانيا محمد علي فقيه، حماية الحق في الخصوصية المعلوماتية، دراسة تحليلية لواقع الحماية وتحديات العصر، مقال منشور على الموقع التالي:

http://legallaw.ul.edu.lb/researchesView.aspx?opt&RullD=57&TYPE=PRINT

تاريخ الاطلاع: أبريل 2023، على الساعة: 10:00.

- مقال "الحرية والمجتمع" منشور على الانترنت على الموقع التالي: www.feedo.net، تاريخ التصفح 28/03/2023 الساعة 11:29 صباحا.

- مقال "الحرية الشخصية: مفهومها وفوائدها"، منشور على الانترنت بتاريخ 02 جانفي 2023، الموقع https://ila.ia.io/8147G ، تاريخ التصفح 28/03/2023، الساعة: 10:00 صباحا.

- مقال منشور على الموقع التالي: https://1.a1072.azureedge.net

خامسا: وثائق دولية للمنظمات.

- الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة IPPF، الوصول إلى الإجهاض السليم، أداة لتقييم العقبات القانونية وغيرها من العقبات، لندن، أيلول، 2008 .

- منظمة العفو الدولية، البروتوكول الخاص بحقوق المرأة في إفريقيا، تقوية عملية تعزيز الحقوق الإنسانية للمرأة، وحمايتها في إفريقيا، رقم الوثيقة IOR 63/005/2004، يونيو/ حزيران2004.

العلاقات الأسرية و أثرها على مستقبل الأبناء في ضوء السنة النبوية

الدكتورة إشراقة إبراهيم محمد أحمد

أستاذ مشارك بجامعة القصيم

المملكة العربية السعودية

eshragaebrahim@hotmail.com

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث العلاقات بين الزوجين وأثرها في بناء شخصية الأبناء، ويهدف البحث إلى إبراز المنهج النبوي في تربية الأبناء وبناء شخصياتهم للمستقبل، كما يهدف إلى بيان العلاقات الإيجابية بين الزوجين وكيفية تلافي الخلافات ومدى تأثيرها على مستقبل الأبناء، وقد انتهجت الباحثة المنهج الاستقرائي والتحليلي من خلال استقراء الأحاديث المتعلقة بالموضوع وتحليلها والإشارة إلى مدلولاتها، ووفقها توصلت الباحثة إلى نتائج البحث والتي من أهمها: أن العلاقات الإيجابية بين الزوجين تؤسس لبناء شخصية سوية وقوية للأبناء، ويجب أن تكون الخلافات الزوجية بعيدة عن مرأى ومسامع الأبناء، كذلك من النتائج أن الالتزام بأحكام الشرع وآدابه يؤدي إلى بناء أسرة مستقرة ومتزنة. ومما أوصت به الباحثة الباحثين والمهتمين بالمنهج النبوي تتبع كافة الجوانب التربوية وما يتعلق بالأسرة والأبناء في جميع مراحلهم العمرية من خلال المواقف النبوية المتمثلة في السنة القولية والفعلية.

الكلمات الافتتاحية: العلاقات الإيجابية ـ الأبناء ـ الزوجية ـ السنة النبوية ـ الأسرة.

Family relationships and their impact on the future of children

"In light of the Prophet's Sunnah"

Abstract:

This research deals with the relationships between spouses and their impact on building children's personalities. The research aims to highlight the prophetic approach in raising children and building their personalities for the future. It also aims to explain the positive relationships between spouses and how to avoid disagreements and the extent of their impact on the future of children.. The researcher adopted the inductive and analytical approach by Extrapolating the hadiths related to the subject, analyzing them, and pointing out their meanings, according to them, the researcher reached the results, the most important of which are: that positive relations between spouses establish the foundation for building a healthy and strong personality for the children, and marital disputes must be far from the sight and hearing of the children. Also among the results is that adherence to the provisions of Sharia law and its etiquette leads to building a stable and balanced family. The researcher recommended that researchers and those interested in the Prophetic approach follow all educational aspects and what is related to the family and children at all stages of their life through the Prophetic positions represented in the verbal and actual Sunnah.

Keywords: Positive relationships - children - marital - the Sunnah of the Prophet - family.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد:

فقد أولى الإسلام الأسرة عناية خاصة ومنحها أهمية كبيرة, واسترعاها مسؤوليات عظيمة تتمثل في تربية أفرادها على المنهج القويم الذي ينبغي أن تقوم عليه رعايتهم وتؤسس لبناء مستقبلهم ، فالأسرة هي الركيزة الأولى في بناء المجتمع والأساس الذي يُبنى عليه ، فبمقدار تماسكها وترابطها وقوتها يكون تماسك المجتمع ، حيث تقوم برفد المجتمع بالرجال والنساء الصالحين ، الذين يكونون لبنات قوية له ، وزاداً طيباً لأمتهم ، وكلما كانت الأسرة ضعيفة الإيمان قليلة التماسك بين أفرادها ؛ كان أبناؤها عالة على المجتمع ومعول هدم في بنائه ؛لذلك اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً عظيماً ، يتضح ذلك من أحكام الأسرة الكثيرة والمفصلة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والحث على أن تكون العلاقات بين أفرادها مبنية على أساس الشرع الحنيف ، ومن هنا كان اختياري لهذا الموضوع الهام تحت عنوان "العلاقات الأسرية وأثرها على مستقبل الأبناء في ضوء السنة النبوية"

مشكلة البحث:

يمكن صياغة مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

1. ما مفهوم الأسرة وما مدى أهميتها في الإسلام؟
2. هل العلاقات الإيجابية بين الزوجين تؤدي إلى البناء السليم للأبناء؟
3. ما مدى تأثير الخلافات الزوجية على مستقبل الأبناء؟
4. هل مراعاة الحقوق الزوجية بين الزوجين تؤثر إيجاباً على مستقبل الأبناء؟
5. ما الأساليب الخاطئة في التربية، والتي تؤثر على بناء شخصية الأبناء؟
6. كيف أثرت وسائل التقنية الحديثة على مسار تربية الأبناء؟

أهمية البحث:

ترجع أهمية الموضوع لأمور كثيرة منها:

1ـ أن الأسرة هي أساس استقرار المجتمع، وقلعة من قلاع الإسلام، وحصن من حصونه، إذا صلحت صلح المجتمع بأسره، وإن فسدت فسد المجتمع كله.

2. أن الأسرة هي مهد الطفل ومرعاه الأول ومنها تنطلق مسيرته لبناء شخصيته في جميع مراحل عمره، وفي رحابها يكتسب أخلاقه وعقيدته وتربيته.

3. كثرة النصوص الواردة بشأن الأسرة في الكتاب والسنة تدل على أهميتها في الإسلام.

أهداف البحث:

1. بيان مفهوم الأسرة وأهميتها في الإسلام.

2. بيان أن العلاقات الإيجابية بين الزوجين تُؤدي إلى بناء جيل قوي متماسك.

3. توضيح مدى تأثير الخلافات بيت الزوجين على مستقبل الأبناء.

4. بيان أن مراعاة كل من الزوجين لحقوق الآخر تسهم في حياة طيبة للأبناء.

5. بيان بعض الأساليب الخاطئة التي تؤثر على بناء شخصية الأبناء في المستقبل.

6. بيان أثر وسائل التقنية الحديثة على تربية الأبناء.

الدراسات السابقة:

1. مسؤولية الأسرة المسلمة في تربية الأولاد على الاستقامة ، وهاب بوقرن ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، 1428.1429هـ

2. الخلافات الزوجية وأثرها على تربية الأولاد "دراسة معاصرة" ، براءة علي اليوسف ، جامعة اليرموك ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،2018م.

3. الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة ـ د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني .

منهج البحث:

المنهج المتبع في البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي والذي يتم من خلاله التأمل في النصوص الشرعية والشواهد التي تتصل بموضوع البحث، واستخراج الدلالات الشرعية والقيمية المتعلقة بموضوع البحث.

إجراءات البحث:

1. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني وتوثيقها في الهامش.

2. تخريج الحديث من مصدر واحد، إن كان في الصحيحين أو غيرهما، مع توضيح درجة الحديث إن كان خارج الصحيحين.

3. توثيق النصوص من مصادرها الأصلية.

خطة البحث:

يشتمل البحث على تمهيد وخمسة مباحث وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع، اشتملت المقدمة على مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: مفهوم الأسرة وأهميتها في الإسلام.

المبحث الأول: الزواج والحقوق المترتبة عليه، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: حث الإسلام على الزواج.

المطلب الثاني: أسس اختيار الزوجة الصالحة.

المطلب الثالث: الحقوق المشتركة بين الزوجين.

المطلب الرابع: حقوق الزوج على زوجته.

المطلب الخامس:حقوق الزوجة على زوجها.

المطلب السادس: حقوق الأبناء.

المبحث الثاني: العلاقات الإيجابية بين أفراد الأسرة وأثرها على تربية الأبناء:

المبحث الثالث: الخلافات الزوجية وأثرها في بناء شخصية الأبناء وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المشاكل الاقتصادية:

المطلب الثاني: الكفاءة واختلاف الثقافات.

المطلب الثالث: العصبية الزائدة عند الزوجين أو أحدهما.

المطلب الرابع: أثر الخلافات بين الزوجين على مستقبل الأبناء:

المبحث الرابع: الأساليب الخاطئة في تربية الأبناء وأثرها على شخصياتهم:

المبحث الخامس: أثر وسائل التقنية الحديثة في بناء شخصية الأبناء.

الخاتمة: وتشمل أهم نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد: مفهوم الأسرة وأهميتها في الإسلام

أولاً: الأسرة لغة واصطلاحاً

الأسرة لغة هي: الدرْع الحصينة وَأهل الرجل وعشيرته وَالْجَمَاعَة يربطها أَمر مُشْتَرك[1] "وأسرة الرجل ، رهطه"[2] والأسرة في نظر الشرع هي: الجماعة التي ارتبط ركناها بالزواج الشرعي ، والتزمت بالحقوق والواجبات فيما بينها ، ويدخل في ذلك المسؤولية تجاه الذرية والأقارب"[3]

ثانياً: أهمية الأسرة ومكانتها في الإسلام

الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع فبنجاحها يعلو المجتمع ويرتفع قيماً وخلقاً ،ولقد اهتم الإسلام بالأسرة وحرص على استمرارها قوية متماسكة ، وتبرز أهمية الأسرة ومكانتها في أنها تحقق النمو الجسدي والعاطفي ، وذلك بإشباع النزعات الفطرية والميول الغريزية ، وتلبية المطالب النفسية والروحية والجسدية باعتدال ووسطية "[4] كما انها تحقق السكن النفسي والطمأنينة للزوجين كما قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5] أي "الدالة على رحمته وعنايته بعباده وحكمته العظيمة وعلمه المحيط، {أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} تناسبكم وتناسبونهن وتشاكلكم وتشاكلونهن {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} يُعملون أفكارهم ويتدبرون آيات الله وينتقلون من شيء إلى شيء[6]، ومما يدل على أهمية الأسرة

---

1 المعجم الوسيط، 17/1، لسان العرب 20/4.

2 المصباح المنير 14/1.

3 الثقافة الإسلامية ، د. هشام بن سعيد أزهر وآخرون ص20

4 الأسرة المسلمة في العالم المعاصر ، د. وهبة الزحيلي، ص21.

5 سورة الروم ، آية 21.

6 تفسير السعدي ، ص 639.

ومكانتها في الإسلام " أن الأسرة هي الطريق الوحيد لإنجاب الأولاد الشرعيين ، وتربيتهم وتحقيق عاطفة الأبوة والبنوة ، وحفظ الأنساب "[1] وتُعد الأسرة مؤسسة للتدريب على تحمل المسؤوليات ، وإبراز الطاقات ، إذ يحاول كل من الزوجين بذل الوسع للقيام بواجباته ، وإثبات جدارته لتحقيق سعادة الأسرة ، كما تُعد الأسرة هي الخلية الأولى واللبنة الأساس في بناء المجتمع ، الذي يتكون من مجموع الأُسر"[2] وقد اعتبر الإسلام إنجاب الذرية من نعم الله وآياته التي يستحق بها الشكر ، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[3]كما اعتبر الذرية والمال زينة الحياة ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[4] وكان من دعاء الرسل أن يهبهم الله الذرية الصالحة، فهذا إبراهيم عليه السلام يقول ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[5]وهذا زكريا عليه السلام يقول ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ[6]﴾ وعباد الرحمن ،يحدثنا القرآن أن من دعائهم ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ[7]﴾ فاستمرار الحياة الإنسانية على الأرض مقصد من مقاصد الإسلام ولا يتم ذلك على الوجه الأكمل إلا بقيام الأسرة.

1 الإسلام وبناء المجتمع ، د. حسن عبد الغني أبو غدة وآخرون ، ص 108.
2 المرجع السابق ص108.
3 سورة النحل ، آية 72.
4 سورة الكهف، آية 46.
5 سورة الصافات، آية 100.
6 سورة آل عمران ، آية 38.
7 سورة الفرقان ، آية 74.

المبحث الأول: الزواج والحقوق المترتبة عليه وفيه سبعة مطالب

المطلب الأول: حث الإسلام على الزواج

لقد شرع الله - تبارك وتعالى - الزواج للحفاظ على الأخلاق والنسل؛ لكي لا تختلط الأنساب وتُنتهك الأعراض؛ فإن الزواج أفضل طريق لاستنفاد طاقة الإنسان الجنسية المتجددة، ووسيلة لتنظيم الفطرة والغريزة، التي أودعها الله في الإنسان، حتى يحقق غاية استخلافه في الأرض، والسير بالحياة في مجال الخير والإصلاح[1] فجعل الله الزواج من سنن المرسلين، وجعله واجباً على من خاف على نفسه من الوقوع في الزنا، فقد جاء في الحديث ((يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ من اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ[2] فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فإنَّه أغضُّ للبَصَرِ وأحْصَنُ للفَرْجِ، وَمَنْ لم يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فإنه له وِجَاءٌ))[3] فهنا حث رسول الله صلى الله عليه وسلم شباب الأمة على الزواج لأنه "يساعد على غض البصر، وعلى حصانة الفرج، ومن لم يستطع الزواج فعليه بالصوم، فإن الصوم يساعد على ضعف الشهوة"[4]"ووجه الخطاب للشباب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح، فهم مظنة شهوة النساء، ولا ينفكون عنها غالباً، بخلاف الشيوخ، وإن كان المعنى معتبراً إذا وجد السبب في الشيوخ والكهول أيضاً "[5] وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التبتل والبعد عن النساء من أجل العبادة ؛كما جاء في الحديث «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ

1 الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة ، سعيد القحطاني ص37.
2 الباءة : النكاح والتزويج ، لسان العرب 36/1.
3 صحيح البخاري 3/7ح 5065
4 فتح المنعم شرح صحيح مسلم 476/5.
5 المرجع السابق 478/5.

عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.»[1] "فهؤلاء القوم حَصَلَ عندهم أنَّ الانقطاعَ عن ملاذِّ الدُّنيا من النساء والطَّيِّب من الطَّعام والنوم، والتَّفرغ لاستغراق الأزمان بالعبادات أولى، فلما سألوا عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبادته، لم يدركوا من عبادته ما وقع لهم أبدَوا فارقًا بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم: بأنَّه مغفورٌ له. ثمَّ أخبر كلّ واحد منهم بما عَزَمَ على فعله، فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم أجابهم بأن ألغى الفارق بقوله: (إني أخشاكم لله) وتَقريرُ ذلك: إني وإن كنت مغفورًا لي فخشية الله وخوفه يحملني على الاجتهاد وملازمة العبادة، لكن طريق العبادة ما أنا عليه، فمن رغب عنه وتركه؛ فليس على طريقي في العبادة"[2]

المطلب الثاني: أسس اختيار الزوجة الصالحة

اختيار الزوجة هو الخطوة الأولى في طريق تكوين الأسرة المسلمة فلا بد أن يتم وفق معايير محددة تؤدي إلى استمرار الحياة الزوجية ، وتحقيق مقاصد الزواج ؛ "واختيار الأم الصالحة مطلب إسلامي ؛ لأن فيه تحقيق الهدف الأسمى من الزواج وهو إعداد الجيل الصالح الذي به يتحقق رُقي الأمة وتقدمها"[3] لذلك اهتمت السنة النبوية ببيان صفاة الزوجة الصالحة وطريقة اختيارها فقد جاء في الحديث «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ.»[4] "فقوله "تنكح المرأة لأربع" أي لأجل أربع ،لمالها ولحسبها، أي شرفها والحسب في الأصل الشرف بالآباء وبالأقارب مأخوذ من الحساب لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدوا مناقبهم ومآثر آبائهم وقومهم وحسبوها فيحكم لمن زاد عدده على غيره، وقيل المراد بالحسب هنا الفعال الحسنة فالشريف النسيب يستحب له أن يتزوج نسيبة ،إلا أن تعارض نسيبة غير دَيّنة وغير نسيبة دَيّنة ؛ فتقدم ذات الدين ،وهكذا في كل الصفات ،وقوله وجمالها يؤخذ منه استحباب تزوج

1 صحيح البخاري 2/7ح5063.
2 المفهم لمل اشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي86/4.
3 حقوق الإنسان في الإسلام ، د. عبد اللطيف بن سعيد الغامدي ،ص 214.
4 صحيح البخاري7/7ح5090.

الجميلة إلا أن تعارض الجميلة الغير دَيّنة والغير جميلة الدَيّنة ،نعم لو تساوتا في الدين فالجميلة أولى ،ويلتحق بالحسنة الذات الحسنة الصفات ؛ومن ذلك أن تكون خفيفة الصداق ،"قوله فاظفر بذات الدين" فعليك بذات الدين والمعنى أن اللائق بذي الدين والمروءة ،أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء لا سيما فيما تطول صحبته، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية ،قوله تربت يداك: أي لصقتا بالتراب وهي كناية عن الفقر ،قال القرطبي: معنى الحديث أن هذه الخصال الأربع هي التي يرغب في نكاح المرأة لأجلها ،فهو خبر عما في الوجود من ذلك ،لا أنه وقع الأمر بذلك بل ظاهره إباحة النكاح لقصد كل من ذلك لكن قصد الدين أولى"[1] "فالمراة التي ينبغي نكاحها هي التي يتحقق فيها استكمال هذين الغرضين وهي التي اتصفت بالجمال الحسي والمعنوي، فالجمال الحسي: كمال الخلقة لان المرأة كلما كانت جميلة المنظر عذبة المنطق قرت العين بالنظر إليها وأصغت الإذن إلي منطقها فينفتح إليها القلب وينشرح إليها الصدر وتسكن إليها النفس ويتحقق فيها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[2] والجمال المعنوي: كمال الدين والخلق فكلما كانت المرأة أدين وأكمل خلقا كانت أحب إلي النفس وأسلم عاقبة ؛فالمرأة ذات الدين قائمة بأمر الله حافظة لحقوق زوجها وفراشه وأولاده وماله، معينه له على طاعة الله تعالى، إن غفل ذكرته وأن تثاقل نشطته وأن غضب أرضته، والمرأة الأدبية تتودد إلي زوجها وتحترمه ولا تتأخر عن شيء يحب أن تتقدم فيه ولا تتقدم في شيء يحب أن تتأخر فيه"[3] وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن سعادة الدنيا تكمن في اختيار الزوجة الصالحة كما جاء في الحديث «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»[4]أي أن الدنيا كلها متاع ومتعة زائلة وفانية وخير ما فيها من متعة ،الزوجة الصالحة ؛لأنها تسعد زوجها في الدنيا وتعينه على أمر الآخرة ، كما أنها

1 فتح الباري لابن حجر ، 9/135،136.
2 سورة الروم ، آية 21.
3 الزواج، ابن عثيمين ، ص 20.
4 صحيح مسلم 2/1090ح1467.

تسعى على تربية أولادها على البر والتقوى كما أمر الله تعالى، وكذلك جاء في حديث آخر " سَعَادَةٌ لِابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ، وَشَقَاوَةٌ لِابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ، فَمِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ: الْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ"[1] "فالزوجة الصالحة فيض من السعادة، يغمر البيت ويملؤه سروراً وبهجة ،فهي خير كنز للإنسان المسلم، وهي أغلى من كنوز الذهب والفضة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله، وإذا أقسم عليها أبرته"[2]كما جاء في الحديث" خَيْرُ النِّساء مَن إذَا نَظَرْتَ إلَيْهَا سَرَّتْكَ، وإذَا أَمَرْتَهَا أطَاعَتْكَ، وإذا أقْسَمْتَ عليْهَا أبَرَّتْكَ، وإذَا غِبْتَ عَنْها حَفِظَتْكَ في نَفْسِها ومالِك"[3] والزوجة الصالحة هي سكن للزوج وحرث له، وهي شريكة حياته وربة بيته وأم أولاده، عنها يأخذون صفاتهم وطبائعهم ، إن صلحت صلح الأولاد، وإن فسدت فسدوا ؛لذلك حثت السنة النبوية على حسن اختيارها لتسعد الأسرة بذلك جميعاً.

المطلب الثالث: اختيار الزوج الصالح

كما حث الإسلام على اختيار الزوجة الصالحة للزوج، ندب إلى تزويج المرأة الصالحة بالزوج الصالح ذو الخلق والدين ، فهما قطبا الأسرة وأساسها ، فلابد أن يكونا على أساس واحد أو متقارب من الصفات الأساسية مثل الدين والخلق ، حتى تتوحد الرؤى والأفكار في تربية الأولاد وتقل الخلافات في طريقة التربية والتوجيه لهم، لذلك جاء الخطاب لأولياء الأمور في قوله صلى الله عليه وسلم «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ، فَأَنْكِحُوهُ، أَلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»[4] أي "طلب منكم أن تزوجوه امرأة من أولادكم وأقاربكم (من ترضون) أي: تستحسنون (دينه) أي: ديانته (وخلقه) أي: معاشرته (فزوجوه) أي: إياها (إن لا تفعلوه) أي: لا تزوجوه (تكن) أي: تقع («فتنة في الأرض وفساد عريض») أي: ذو عرض أي كثير، لأنكم

1 المستدرك على الصحيحين للحاكم 157/2ح2640، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي صحيح,

2 الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة ص 39.

3 أخرجه النسائي في الكبرى 184/8ح 8912، والحاكم في المستدرك 175/2ح 2682 وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

4 أخرجه الحاكم في المستدرك 179/2ح 2695 عن أبي هريرة، وقال صحيح ولم يخرجاه، وقال الألباني حديث حسن ، وله شاهد عن أبي حاتم المزني ، قال الترمذي حسن غريب وقال الألباني حسن لغيره.

إن لم تزوجوها إلا من ذي مال أو جاه ؛ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج وأكثر رجالكم بلا نساء، فيكثر الافتتان بالزنا، وربما يلحق الأولياء عار ؛ فتهيج الفتن والفساد، ويترتب عليه قطع النسب وقلة الصلاح والعفة."[1]

المطلب الرابع: الحقوق المشتركة بين الزوجين

من أولى وأهم الحقوق المشتركة بين الزوجين والذي تقوم عليه الحياة الزوجية؛ هو حسن المعاشرة بين الزوجين كما قال تعالى "وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ"[2] والمعروف هو: ما عرفه الشرع واجباً أو مندوباً أو مباحاً.والمعاشرة بالمعروف تكون " على ما أمر الله به من حسن المعاشرة. والخطاب للجميع، إذ لكل أحد عشرة، زوجا كان أو وليا، ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج، وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون منطلقا في القول لا فظا ولا غليظا ولا مظهرا ميلا إلى غيرها. والعشرة: المخالطة والممازجة. فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أدمة[3] ما بينهم وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش."[4] "وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال"[5] "ويقع على الزوج عبء المعاشرة بالمعروف أكثر من الزوجة لسببين : أحدهما أن الزوج هو الركن الأول في الحياة الزوجية ، فهو مطالب برعايتها وإكرامها وصونها والحفاظ عليها ، وبذل كل جهده في سبيل ذلك، ثانيهما : أن النساء خلقن من ضلع أعوج ؛ ومقتضى ذلك أن يكون للزوج من الحكمة والكياسة والمرونة وسعة الصدر ما يكبح به جماح الغضب ، حتى لا يذهب مذهب الشطط ، ولذلك

1 مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 2047/5.
2 سورة النساء، آية 19.
3 أدمة أي خلطة، لسان العرب 9/12.
4 تفسير القرطبي 97/5.
5 تفسير السعدى ، 172/1.

حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على توجيه الزوج إلى المنهج السوي في معاشرة المرأة"[1] كما جاء في الحديث "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ"[2] وقال صلى الله عليه وسلم "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ"[3].فإنه إذا كان أحسن خلقاً مع امرأته ،فسيكون أحسن خلقاً مع غيرها من الناس ، وكثيراً ما يقع الناس في هذه المخالفة ، فترى الرجل إذا قابل أهله كان أسوأ الناس أخلاقاً ، وإذا لقي غيرهم لانت عريكته وانبسطت أخلاقه وجادت نفسه وكثر خيره وهذا من حرمان التوفيق"[4] ومن الحقوق المشتركة بين الزوجين حق الاستمتاع وإعفاف كل منهما للآخر كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾[5] ومن الحقوق المشتركة بين الزوجين التعاون على طاعة الله وعلى البر والتقوى في أمور الدين والدنيا ، فعلى الزوج تعليم زوجته أمور دينها إن كانت تحتاج لذلك كما أن الزوجة قد تعلم الزوج إن كانت أكثر منه علماً وفقهاً ، هذا بالإضافة لما يثبت للزوجين من نسب الولد والإرث بينهما.

المطلب الخامس: حقوق الزوج على زوجته

والمقصود بها واجبات الزوجة تجاه زوجها ومن أهمها: الطاعة بالمعروف ، وهي الطاعة في غير معصية الله كما جاء في الحديث «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»[6] فإذا أمرها زوجها بترك واجب أو فعل محرم فلا طاعة له ، إنما تطيعه فيما أمرها الله به مثل : "حفظ ماله وصون عرضه، فلا تخرج من بيته إلا بإذنه، وأن لا تدخل في بيته إلا من يرضاه ولا تنفق من ماله إلا برضاه ، ولا تصوم غير الفريضة إلا

1 الإسلام وبناء المجتمع ، د. حسن أبو غدة وآخرون ، ص 194.
2 صحيح البخاري 133/4ح3331.
3 سنن الترمذي 457/2ح1162، وقال حديث حسن صحيح.
4 الإسلام وبناء المجتمع ، د. حسن أبو غدة وآخرون ص 195.
5 سورة المؤمنون، آية 6.5.
6 صحيح مسلم ، 1469/3ح1840.

برضاه كما جاء في الحديث «لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدَّى إِلَيْهِ شَطْرُهُ»[1]وعليها أن تطيعة وتلبي رغبته إذا طلبها ورغب فيها ؛لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ، لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»[2]"ومعنى الحديث أن اللعنة تستمر عليها حتى تزول المعصية بطلوع الفجر والاستغناء عنها أو بتوبتها ورجوعها إلى الفراش"[3]وقد حث الإسلام على تزوج المرأة الودود ؛ لأن هذا الود يدعم العلاقة الزوجية الإيجابية ويقويها فتتودد المرأة إلى زوجها وتحنو على ابنها فتكسبه السواء النفسي الذي يمده بالقوة في مستقبل حياته فقد جاء في الحديث «نِسَاءُ قُرَيْشٍ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ، أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلٍ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»[4]

المطلب السادس: حقوق الزوجة على زوجها

فرض الله على الأزواج حقوقاً تجاه زوجاتهم، هذه الحقوق من حفظها وحافظ عليها وأداها على وجهها فقد حفظ وصية النبي صلى الله عليه وسلم في أهله، قال صلى الله عليه وسلم:"اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا" [5]، ومن حفظ هذه الحقوق وحافظ عليها فإنه من خيار عباد الله المؤمنين، كما قال صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي"[6] ، فهي الحقوق العظيمة التي فرضها الله على زوجٍ يخافه ويتقيه، ويعلم علم اليقين أنه محاسبه ومجازيه، هذه الحقوق إذا قام الأزواج بها على وجهها كانت السعادة والطمأنينة، وشعرت المرأة بفضل الزوج، وأنه مؤمن قائم لله عز وجل بحقه وحقوق عباده، وإذا رأت المرأة من زوجها الاستهانة والاستخفاف بحقوقها تنكد

1 صحيح البخاري ، 30/7ح 5195.
2 صحيح البخاري ، 30/7ح5193.
3 شرح النووي على مسلم 8/10.
4 صحيح البخاري164/4ح3434.
5 سبق تخريجه ص 9.
6 سنن الترمذي ، 709/5ح3895.

عيشها وتنغصت حياتها، حتى أنها ربما لا تستطيع أن تقوم بعبادتها على وجهها؛ بسبب ما ينتابها من الوساوس والخطرات، وبما تحسه من الظلم والاضطهاد والأذية[1]ومن أهم هذه الحقوق:المهر، وهو حق للزوجة يثبت لها بمجرد عقد الزوجية أوجبه الشرع على الزوج كما في قوله تعالى ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[2] وكما جاء في الحديث «اذْهَبْ فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»[3]، ومن حقوق الزوجة على زوجها ، النفقة عليها ،وتشمل الحاجات الضرورية مثل المسكن والمأكل والمشرب ، وتقدر بحسب يسار الزوج وإعساره كما جاء في قوله تعالى ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[4] والنفقة على الزوجة حق ثابت واجب على الزوج وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم لهند بنت عتبة الأخذ من مال زوجها بغير علمه عندما علم أنه لم يعطها ما يكفيها وبنيها كما جاء في الحديث «أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، فَقَالَ: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ، بِالْمَعْرُوفِ»[5] وكذلك من حقوق الزوجة تعليمها أمور دينها وتوجيهها إلى الخير والفلاح ، سواء بنفسه إذا كان ذا علم ، أو يسهل لها طريق العلم وتحصيله ، ؛ لأن الزوجة إذا تعلمت أمور دينها قامت بواجبها على أكمل وجه وحرصت على تربية أولادها كما بين الشرع الحنيف وبذلك يكون الزوج قد نال خيري الدنيا والآخرة وعمل بمقتضى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[6]

1 فقه الأسرة محمد مختار الشنقيطي 2/1.
2 سورة النساء ، آية4
3 صحيح البخاري 156/7ح5871.
4 سورة الطلاق ، آية7 .
5 صحيح البخاري65/7ح5364.
6 سورة التحريم آية 6

المطلب السابع: حقوق الأبناء

من أهم حقوق الطفل أن يعيش في أسرة متماسكة ، الأم فيها صالحة أحسن الأب اختيارها والأب ذو خلق ودين ؛ لينشأ نشأة سوية خالية من المشاكل النفسية والاجتماعية وغيرها ، لذلك ألقى الإسلام الدور الأكبر على الوالدين في تهيئة الطفل وتربيته وتشكيله بالطريقة السليمة التي تجعل منه فردا صالحا لنفسه ولمجتمعه قال صلى الله عليه وسلم «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[1]والمعنى " أن كل مولود يولد متهيئا للإسلام فمن كان أبواه أو أحدهما مسلما استمر على الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا وإن كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما في أحكام الدنيا وهذا معنى يهودانه وينصرانه ويمجسانه أي يحكم له بحكمهما في الدنيا فإن بلغ استمر عليه حكم الكفر ودينهما فإن كانت سبقت له سعادة أسلم وإلا مات على كفره"[2] "فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء

وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال يا أبت إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا"[3] "ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حرد وغضب ولجاج وعجلة وخفة مع هواه وطيش وحدة وجشع فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوما ما ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها وكذلك يجب أن يتجنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر وعز على وليه استنقاذه منه فتغيير العوائد من أصعب الأمور يحتاج صاحبه إلى

1 صحيح البخاري 95/2ح1359.
2 شرح النووي على مسلم208/16.
3 تحفة المودود بأحكام المولود ، ابن القيم الجوزية 229/1.

استجداد طبيعة ثانية والخروج عن حكم الطبيعة عسر جدا وينبغي لوليه أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب فإنه متى اعتاد الأخذ صار له طبيعة ونشأ بأن يأخذ لا بأن يعطي ويعوده البذل والإعطاء وإذا أراد الولي أن يعطي شيئا أعطاه إياه على يده ليذوق حلاوة الإعطاء ويجنبه الكذب والخيانة أعظم مما يجنبه السم الناقع فإنه متى سهل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة وحرمه كل خير"[1] ومن حقوق الطفل تربيته تربية إيمانية وتعليمه أمور دينه ومتابعته وتوجيه سلوكه فيما يتعلق بالعبادات مثل الصلاة والمحافظة على الأذكار وتلاوة القرآن وغيرها مما يستقيم به حال الابن وينشأ على الهدى والتقوى والصلاح. ومن حقوق الطفل على والديه ومن دواعي البناء الإيجابي لشخصية الابن اختيار الاسم الحسن له من قبل والديه، لأن الاسماء تشحذ الهمم على التأسي بالقدوة فيجب تسميته باسم حسن له معنىً طيب لا يقلل من شأنه في المجتمع ولا يستحي منه بين أقرانه ، ، فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»[2] على اسم أبيه ابراهيم الخليل تيمنا وتبركا، وفي آخر «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»[3] "أي إن أرضى أسمائكم عند الله تعالى هذان الاسمان؛ لأن في الأول اعترافًا بالعبودية والتذلل والخضوع وفي الثاني اعترافًا بالرحمة العامة الشاملة لكل مخلوق ،برها وفاجرها علويها وسفليها، دنيويها، وأخرويها، وأيضًا في الأول تفاؤل بأن يكون المسمى عابدًا له تعالى، وفي الثاني مظهرًا للرحمة الإلهية"[4] ولما كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن، ويدعو إليه، ويكره التشاؤم وينهى عنه، ويحذر منه، دعا إلى التسمية بالأسماء الحسنة، والتي توحي بالفأل الحسن، وكان إذا رأى صاحب الاسم الحسن تفاءل واستبشر به خيرا فقد استبشر النبي صلى الله عليه وسلم بسهيل بن عمرو

1 تحفة المودود بأحكام المولود ، ابن القيم الجوزية 241/1
2 صحيح مسلم 1807/4 ح 2315
3 صحيح مسلم 1682/3ح 2132
4 الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 10/22

عندما جاء مقبلا يوم الحديبية فقال" لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ"[1] ونهى عن التسمية بالأسماء القبيحة، والتي توحي بالتشاؤم، ولم يكتف بهذه الدعوة، بل كان إذا جاءه صاحب اسم مكروه غيره إلى محبوب، وإذا جاءه صاحب اسم قبيح حوله إلى حسن، فقد جاء في الحديث "عَنِ ابْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ» قَالَ: حَزْنٌ، قَالَ: «أَنْتَ سَهْلٌ» قَالَ: لاَ أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي قَالَ ابْنُ المُسَيِّبِ: «فَمَا زَالَتِ الحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ"[2] "قال بن التين :معنى قول بن المسيب فما زالت فينا الحزونة يريد اتساع التسهيل فيما يريدونه، وقال الداودي يريد الصعوبة في أخلاقهم"[3] ومن حقوق الطفل على والديه حق العناية الصحية فيجب عليهما تربيته على النظافة الحسية والمعنوية وتعليمه خصال الفطرة التي وردت في الحديث " الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ "[4] والاهتمام بأكله وشربه فيُعود على ما صح وحل منه ، وهذا من الأمور المهمة خاصة في هذا الزمان حيث كثر الأكل غير الصحي والذي يضر بصحة الطفل ،كما يجب تعويد الطفل وتوجيهه إلى عدم الإكثار من الأكل استنادا لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[5] ومن حقوق الطفل على والديه التلطف معه والحنو عليه والعمل على إسعاده والتقرب منه بالقول والعمل وقدوتنا في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حيث جاء عنه عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ: «عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ»[6] وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الأطفال ويحنو عليهم حتى اثناء عبادته فقد يصلي وهو يحمل أمامة بنت بنته زينب رضي الله عنها كما ورد في الحديث «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

1 صحيح البخاري 193/3ح2731.
2 صحيح البخاري 43/8 ح 6190
3 فتح الباري لابن حجر 575/10
4 صحيح البخاري160/7ح5889.
5 سنن الترمذي590/4ح2380 ، وقال حديث حسن صحيح.
6 صحيح البخاري 26/1 ح 77.

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِأَبِي العَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا»[1] "ولقد ضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - المثل الأعلى في الرفق في تربية الأطفال، وعلاج أخطائهم، بروح الشفقة والرأفة، والعطف، والرحمة، ومعرفة البواعث التي أدت إلى هفواتهم، والعمل على تداركها ولم يقر النبي - صلى الله عليه وسلم - الشدة والعنف في معاملة الأولاد، واعتبر الغلظة والجفاء في معاملة الأولاد نوعاً من فقد الرحمة في القلب، وهدد المتصف بها، بأنه عرضة لعدم حصوله على الرحمة"[2] فقد جاء في الحديث أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، أَبْصَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ»[3]

1 صحيح البخاري109/1ح516.

2 الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة ، سعيد القحطاني ص93.

3 صحيح مسلم 1808/4ح2318.

المبحث الثاني: العلاقات الإيجابية بين أفراد الأسرة و أثرها على تربية الأبناء

إذا حسن اختيار الزوجة وكان الزوج ذو خلق ودين ، وأدى كل منهما ما عليه من واجبات تجاه الآخر كما أمره الشرع ؛ استقرت الأسرة وسعدت وسادت العلاقات الإيجابية بين أفرادها ، وأول مستفيد من هذه العلاقة هم الأبناء الذين ينشؤون في هذا الجو الهادئ والحياة السعيدة التي يسودها الحب والاحترام ، فيجب حث كل واحد من الزوجين على إحسان العلاقة بالآخر والقيام بواجبه تجاهه مما يقلل فرص الشقاق ويزرع الحب والمودة في قلب كل واحد منهما تجاه الآخر، وحتى تستمر هذه العلاقة الطيبة بين الزوجين وتنعكس ايجاباً على الأبناء لابد من مراعاة بعض الأمور منها:

الاحترام المتبادل بين الزوجين ، فيجب على الزوجة احترام زوجها وعدم التعالي عليه أو الصراخ ورفع الصوت عند مناقشته في أمر ما ، وألا يكن ذلك بحضرة الأبناء .وعلى الزوج احترام زوجته وعدم استغلال القوامة في ظلمها أو اضطهادها ،قال صلى الله عليه وسلم «اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ»[1] وقال في حديث آخر «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خيركم لأهلي»[2] ويدخل في الاحترام عدم الإساءة بالألفاظ من الشتم واللعن والسخرية وغيرها فقد جاء في الحديث «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[3] وجاء في حديث آخر«إِنَّ أَثْقَلَ مَا وُضِعَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ، وَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»[4]وكما جاء في حديث عائشة "أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ - أَوْ بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ -» فَلَمَّا دَخَلَ أَلاَنَ لَهُ الكَلاَمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي القَوْلِ؟ فَقَالَ: «أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ - أَوْ وَدَعَهُ

1 صحيح مسلم 886/2ح1218.
2 سبق تخريجه ص 10.
3 صحيح البخاري15/8ح6044.
4 صحيح ابن حبان 508/12ح5695. صحيح

النَّاسُ - اتِّقَاءَ فُحْشِهِ» "[1]ومعنى الحديث أن سب المسلم بغير حق حرام بإجماع الأمة وفاعله فاسق كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وأما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفرا يخرج به من الملة ؛ إلا إذا استحله فإذا تقرر هذا فقيل في تأويل الحديث أقوال أحدها أنه في المستحل والثاني أن المراد كفر الاحسان والنعمة وأخوة الاسلام لا كفر الجحود والثالث أنه يؤول إلى الكفر بشؤمه والرابع أنه كفعل الكفار والله أعلم ثم إن الظاهر من قتاله المقاتلة المعروفة قال القاضي ويجوز أن يكون المراد المشارة والمدافعة"[2]

ومما ينمي العلاقات الإيجابية بين الزوجين، صبر كل واحد منهما على ما يلاقيه من الآخر ما دام ذلك ممكنا وما دام سبيلا لاستمرار هذه العلاقة بما يرضي الله تعالى ، فالعشرة بالمعروف تتطلب الصبر على المكاره والتغافل عن الأمور البسيطة فالخطأ والتقصير من طبيعة البشر ، قال تعالى﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3] "أي: ينبغي لكم -أيها الأزواج- أن تمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن، فإن في ذلك خيرا كثيرا. من ذلك امتثال أمر الله، وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة، ومنها أن إجباره نفسه -مع عدم محبته لها- فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة. وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك. وربما رزق منها ولدا صالحا نفع والديه في الدنيا والآخرة. وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور"[4] "وقوله تعالى ﴿وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أمر للأزواج بعشرة نسائهم بالمعروف ومن المعروف أن يوفيها حقها من المهر والنفقة والقسم وترك أذاها بالكلام الغليظ والإعراض عنها والميل إلى غيرها وترك العبوس والقطوب في وجهها بغير ذنب "[5] فهذه الآية الكريمة تحث على الصبر على ما يحدث من تجاوزات من قبل الزوجة ، فقد تكون نتيجة الصبر ابناً صالحاً

1 صحيح مسلم 2002/4ح2591.
2 شرح النووي على مسلم54/2.
3 سورة النساء آية19.
4 تفسير السعدي ه/172.
5 أحكام القرآن للجصاص 47/3.

يسعد الأسرة فيزول ما كان بينهما من شقاق . وقد جاء في الحديث «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»[1] "أي ينبغي أن لا يبغضها لأنه إن وجد فيها خلقا يكره وجد فيها خلقا مرضيا بأن تكون شرسة الخلق لكنها دينة أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به أو نحو ذلك"[2] ""وفيه إشارة إلى أن الصاحب لا يوجد بدون عيب فإن أراد الشخص بريئا من العيب يبقى بلا صاحب ولا يخلو الإنسان سيما المؤمن عن بعض خصال حميدة فينبغي أن يراعيها ويستر ما بقيها"[3]من هنا كانت وصية الرجال أن يترفقوا بنسائهم، وأن يضعوا بين أعينهم طبيعة المرأة وخلقتها، وأن يصبروا على ما يقع منهن من اعوجاج، فإن ما فيهن من شر، له فيهن ما يقابله من خير"[4]وهذا منهج سديد يدعوا إلى النظر إلى الإيجابيات والتغافل عن السلبيات ما أمكن ، ومما يقوي العلاقة الإيجابية بين الزوجين حفظ أسرار الزوجية وعدم نقلها إلى خارج الأسرة وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»[5] "فالنساء لرجالهن ساترات كما يستر اللباس، والرجال لنسائهم ساترون كما يستر اللباس، كما قال تعالى "أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ"[6] ومن أقبح القبائح أن يتحول المقتضى مانعاً، ويتحول الحامي إلى الحرامي، ويتحول الساتر إلى كاشف وفاضح. من هنا كان من أكثر الناس شراً وعذاباً يوم القيامة الرجل الذي يصبح فينشر ما جرى بينه وبين زوجته عند قضاء شهوتهما من أحاديث أو أقوال أو أفعال، مما يخدش الحياء، أو يسيء إلى العفة، وقد جعل الله الكناية مخرجاً عند الحاجة إلى ذكر شيء من ذلك، وجعلت الشريعة ترفع اللسان وصيانته عن التصريح بما لا يليق من مكارم

1 صحيح مسلم 1090/2ح1469.
2 شرح النووي على مسلم 58/10.
3 مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح2118/5
4 فتح المنعم شرح صحيح مسلم 44/6.
5 صحيح مسلم 1060/2ح1437.
6 سورة البقرة، آية 187.

الأخلاق."[1] كذلك مما يقوي العلاقة الإيجابية بين الزوجين مساعدة الزوج لزوجته في أعمال البيت وتخفيف العبء عليها ولو بما قل من أنواع المساعدة ،كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان دائما في خدمة أهله كما ردت السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن ذلك في الحديث " مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ»[2] وعنها، أَنَّهَا سُئِلَتْ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ»[3] فالعمل داخل البيت لا يقلل من شأن الزوج بل هو من المروءة وحسن العشرة وفيه الاقتداء بسيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومما يقوي العلاقة الإيجابية بين أفراد الأسرة استشعار كل فرد منها بالمسؤولية الموكلة اليه فقد جاء في الحديث «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[4] "قال العلماء الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته"[5] " ومن الواضح أن هذه المسؤولية المزدوجة المشتركة بين الأبوين تقتضي التعاون والتآزر في سبيل إتمام حسن التربية ، وهذه نقطة هامة وجوهرية في منهج تربية الأبناء ، ومع هذا ؛ فكثيراً ما نرى الأم ـ وبفعل عاطفة خاطئة في غير محلها ـ تكتم عن الأب كثيرا من سيئات أولادها فلا تطلعه عليها ؛ خشية أن يعاقبهم أو يؤنبهم ، فتكون النتيجة أن يستمرئ الولد الخطأ ، ويستفحل المرض ، وتستعصي العلة ؛ فلا يصبح من السهل إصلاح الخطأ أو تقويم الانحراف"[6] فإذا التزم

1 فتح المنعم شرح صحيح مسلم 586/5.
2 صحيح البخاري،14/8ح6039..
3 صحيح ابن حبان 490/12ح5677، وهو حديث صحيح.
4 صحيح البخاري 120/3ح2409.
5 شرح النووي على مسلم 213/12.
6 كيف يربي المسلم ولده ، محمد سعيد مولوي،ص28.+

الزوج بما عليه من واجبات العشرة الحسنة مع زوجته والتوجيه المتزن مع أولاده ، والتزمت الزوجة بواجباتها تجاه زوجها بالطاعة وحسن العشرة وتجاه أولادها بحسن التربية ، كانت النتيجة سعادة الأسرة والنشأة السوية للأبناء . ومما يقوي العلاقة الإيجابية بين أفرد الأسرة مراعاة الزوج لمشاعر زوجته فلا يسيء إليها أو يقلل من شأنها أو مما تقوم به من عمل ـ خاصة أمام أولادها ـ لأن ذلك يكسر قلب الزوجة ويُنشئ المشاعر السلبية عند الأولاد تجاه والدهم، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام إذا ما اشتهاه ويتركه إذا كرهه من غير أن يسئ لصانعه أو مقدمه كما جاء في الحديث «مَا عَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ»1 "وعيب الطعام كقوله مالح قليل الملح حامض رقيق غليظ غير ناضج ونحو ذلك"2 بل كان صلى الله عليه وسلم يتعمد مدح الطعام تطييباً لخاطر الزوجة فقد جاء في الحديث عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ أَهْلَهُ الْأُدُمَ3، فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ، وَيَقُولُ: «نِعْمَ الْأُدُمُ الْخَلُّ، نِعْمَ الْأُدُمُ الْخَلُّ»4 وقد جاء عنه في الحديث عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟» فَقُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَإِنِّي إِذَنْ صَائِمٌ» ثُمَّ أَتَانَا يَوْمًا آخَرَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ5 فَقَالَ: «أَرِينِيهِ، فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا» فَأَكَلَ"6 ومما يقوي العلاقة الإيجابية بين أفراد الأسرة تبادل ألفاظ الود والتصريح بالكلام الطيب الإيجابي فإن ذلك يزيد من الترابط بينهما فالزوجة تحتاج إلى الكلمة الطيبة والتبسم في وجهها ليقلل ذلك من ضغوط الحياة وعناء العمل في المنزل والطفل يحتاج للتصرفات الحانية من القول والفعل وكذلك الزوج فقد كان صلى الله عليه وسلم يتبسم ويضحك ويمازح أهله فقد جاء في الحديث "عن عائشة قالت: قَدِمَ

1 صحيح البخاري 74/7ح5409.
2 شرح النووي على مسلم 36/14.
3 الأدم: ما يؤكل مع الخبز أي شيء كان، النهاية في غريب الحديث والأثر 31/1.
4 صحيح مسلم 1622/3ح2052
5 الحيس: الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن ، النهاية في غريب الحديث والأثر 467/1.
6 صحيح مسلم 102/3ح734.

رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- من غزوة تَبوكٍ، أو خيبرَ، وفي سَهْوتها سِتْرٌ، فهبَّت ريحٌ فكَشَفَتْ ناحية السَّتر عن بناتٍ لعائشة لُعبٍ، فقال: "ما هذا يا عائشة؟ " قالت: بناتي، ورأى بينهنَّ فرساً لها جناحانِ من رِقاع، فقال: "ما هذا الذي أرَى وَسْطَهُنَّ؟ " قالت: فرسٌ، قال: "وما هذا الذي عليه؟ " قالت: جناحَان: قال: "فرسٌ له جَناحَان؟! " قالت: أما سمعَت أن لسليمان خَيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجِذَه"[1] فالكلمة الطيبة صدقة وكذلك إدخال السرور على المسلم مما حثت عليه السنة النبوية فقد جاء في الحديث «كَانَ الحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ»[2] ومن باب التلطف في الكلام مع الزوجة ما جاء في الحديث«إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى» قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: " أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قُلْتِ: لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ " قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ»[3] ويدخل في الكلام الطيب دعاء الزوجين لبعضهما بالأدعية المأثورة والتي تشمل خيري الدنيا والآخرة، والدعاء لأبنائهما بالصلاح والتوفيق ،قال تعالى ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[4]كما دعت السنة إلى المبادرة إلى الكلام الطيب ونشر روح الحب والود في الأسرة فقد نهت عن النغيض من ذلك وهو الكلام الفاحش والسب واللعن فقد جاء في الحديث " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»[5] وفي آخر«سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[6] ومما يقوي العلاقات الإيجابية بين أفرد الأسرة الاجتماع على الطعام وتعليم

1 سنن أبي داود 292/7ح4932، وهو حديث صحيح.
2 صحيح البخاري28/7ح5190.
3 صحيح البخاري 36/7ح5228.
4 سورة الأحقاف ،آية 15.
5 صحيح البخاري 189/4ح3559.
6 سبق تخريجه ص 14.

الأبناء الصغار آدابه كما فعل صلى الله عليه وسلم مع ربيبه عمر بن أبي سلمة فقد جاء في الحديث قوله"كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ[1] فِي الصَّحْفَةِ[2]، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ"[3] ومما يقوي العلاقة بين أفرد الأسرة توجيه الزوجة بالكلمة الطيبة والحوار الهادئ كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في حواره مع السيدة عائشة فقد جاء في الحديث "دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ "[4] وخدمة المرأة لزوجها واعتناءها به من أهم ما يقوي العلاقة بينهما وينعكس ذلك إيجابا على الأبناء ،وقد ثبت ذلك كما جاء في الحديث عن عائشة" كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ"[5] وقالت رضي الله عنها «كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ، وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ»[6]ومما يقوي العلاقات الإيجابية بين أفراد الأسرة كرم الزوج على زوجته وأولاده في الانفاق عليهم إن كان ممن وسع الله عليهم من غير إسراف ولا تقتير فقد جاء في الحديث «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ»[7] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك»[8] "ولا خلاف في أن الصدقة النافلة جائزة ومثاب عليها إذا أعطيت لأقرب الناس إلى المتصدق، سواء كان أباً أو

1 تطيش: تخف وتتناول من كل جانب ، النهاية في غريب الحديث والأثر 153/3.
2 الصحفة: إناء كالقصعة المبسوطة ونحوها ، النهاية في غريب الحديث والأثر 13/3.
3 صحيح البخاري 68/7ح5376.
4 صحيح البخاري 57/8ح6256.
5 صحيح مسلم 513/1ح746.
6 صحيح البخاري 136/2ح1539.
7 صحيح مسلم 692/2ح996.
8 صحيح مسلم 82/7ح995.

أماً أو ابناً أو بنتاً أو أخاً أو أختاً أو زوجة إلى عامة الأقارب، حتى النفقة على النفس لها أجر، والشرط الوحيد أن يحتسب المنفق نفقته، أي أن يريد بها وجه الله.قال النووي: فلا يدخل فيه من أنفقها ذاهلاً، ولكن الذي يحتسب، وطريقه في الاحتساب أن يتذكر أنه يجب عليه الإنفاق على الزوجة وعلى أطفاله ومملوكه وغيرهم ممن تجب نفقته على حسب أحوالهم، فينفق بنية أداء ما أمر به"[1]

1 فتح المنعم شرح صحيح مسلم 378/4.

المبحث الثالث: الخلافات الزوجية و أثرها في بناء شخصية الأبناء وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: المشاكل الاقتصادية

تُعد المشاكل الاقتصادية من أسباب الخلافات بين الزوجين وتؤثر سلباً على استقرار الأسرة ، وتتمثل في قلة الانفاق أو عجز الزوج عن القيام بكل المتطلبات الأسرية كما يريد أفراد الأسرة ، إما لفقره أو لنزول جائحة أدت إلى فقره بعد غناه ، فتطالب الزوجة بكامل حقوقها ويطالب الأبناء بحقوقهم فيزيد العناء على الزوج وتكثر الخلافات ، وكان ينبغي أن تراعي الزوجة وضع زوجها المالي والرضا بما قسمه الله لهم من الرزق وتربي أولادها تربية إيمانية تُبنى على السعادة تكمن في القناعة والرضا فقد جاء في الحديث «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[1]

المطلب الثاني: الكفاءة واختلاف الثقافات

قد تؤدي اختلاف البيئات والثقافات إلى وجود بعض المشاكل بين الزوجين خاصة إذا لم يتفهم أحدهم ظروف الآخر وكذلك اختلاف الكفاءة في المال أو الحسب أو غيره وينبغي أن يكون الاعتبار هو كفاءة الدين كما نص عليه كثير من العلماء لما جاء في الحديث " تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ "[2]

المطلب الثالث: العصبية الزائدة عند الزوجين أو أحدهما

كثيرا ما تؤدي العصبية والحدة في الطبع عند الزوجين إلى تفاقم المشاكل بينهما لأنهم لا يملكون ثقافة الحوار الهادئ الذي يقود لنتائج إيجابية فترتفع الأصوات ويكثر الصراخ لأتفه الأسباب وأحقرها فتكثر الخسائر وقد يكون ذلك أمام الأبناء بل وعلى مسمع من الجيران ، ولقد نهى الشرع عن الغضب الذي يولد هذه الطباع كما جاء في الحديث

1 صحيح البخاري8/95ح6446.

2 سبق تخريجه ، ص 7.

أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»[1]

المطلب الرابع: أثر الخلافات بين الزوجين على مستقبل الأبناء

تؤدي الخلافات بين الزوجين إلى الكثير من الآثار السلبية في تربية الأبناء ومستقبل حياتهم، ومن هذه الآثار:

1ـ التعرف على رفقاء السوء، لأن الطفل يبحث عن البديل بعد أن يسأم من حياة المشاكل والخلافات داخل البيت.

2. تأثير الخلافات على سلوك الطفل، فقد يصبح عدوانيا عنيفا نتيجة ما يعيشه داخل البيت وما يراه ويسمعه من والديه من سباب أو شتائم أو عدم احترام.

3. تؤدي كثرة الخلافات بين الزوجين إلى عدم ثقة الطفل بنفسه وربما أدى ذلك إلى الانطواء والعزلة والشعور بالنقص.

4. الفشل الأسري، حيث يستمر أثر الخلافات مع الطفل إلى مستقبل أيامه إذا أراد أن يتزوج ربما مارس نفس الممارسات الخاطئة التي تعلمها من والديه.

5ـ تسبب الخلافات بين الزوجين في التأخر الدراسي للطفل حيث يقل التركيز ويبدأ التغيب عن المدرسة ويتوالى الرسوب والفشل.

وكل هذه الآثار السلبية وغيرها تقع مسؤولية تلافيها على الوالدين كما جاء في الحديث «كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[2] فعلى الوالدين استشعار عظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم وأن هؤلاء الأبناء هم أمانة في اعناقهم سيسألهم الله عنها يوم القيامة فعليهم تربيتهم تربية سليمة وإن وجد الخلاف فيكون بعيدا عن مرأى ومسمع الأبناء .

1 صحيح البخاري8/28ح6116.

2 سبق تخريجه ص 16..

المبحث الرابع: الأساليب الخاطئة في تربية الأبناء و أثرها على شخصياتهم

هناك كثير من الأساليب الخاطئة من قبل الوالدين في التعامل مع الأبناء، منها التفرقة بينهم في العطية وفي الحقوق وقد نهى الشرع الحنيف والسنة النبوية عن هذا الأمر؛ فقد جاء في الحديث "عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟» فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَارْجِعْهُ»[1] ويدل الحديث على أنه ينبغي أن يسوي بين أولاده في الهبة ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر ولا يفضل، ويسوي بين الذكر والأنثى على الصحيح المشهور"[2] والتسوية في العطية والهبة بين الأبناء هي من عدالة الإسلام ؛حيث تؤدي إلى بث روح التعاون والألفة بينهم كما تقود إلى مزيد من المحبة والاحترام للوالدين فالتفرقة بين الأولاد لها عواقب وخيمة منها غرس المشاعر السلبية تجاه الوالدين وتجاه اخوتهم ولأن الوالد يرجو البر من جميع أبنائه لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي النعمان «أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَلَا إِذًا»[3] فالتفرقة بين الأولاد في العطية أو الاهتمام يؤدي إلى توالد الحسد في قلوب الأبناء تجاه الابن المميز ويؤثر ذلك في شخصياتهم وفي تعاملهم مع الغير بصورة عامة فقد اثبت لنا القرآن ذلك في قصة يوسف مع أخوته عندما جاءهم الإحساس بحب أبيهم ليوسف امتلأت قلوبهم بالحسد نحوه ودعاهم للتخلص منه كما قال تعالى ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[4]

ومن الأساليب الخاطئة في التربية إهانة الطفل والتقليل من شأنه ، خاصة أمام رفاقه ومقارنته بغيره ،

1 صحيح مسلم 2141/3ح1623.
2 شرح النووي على مسلم 66/11.
3 صحيح مسلم 1243/3ح1623.
4 سورة يوسف ، آية 9.8.

كل هذه الأساليب تؤدي إلى انكسار نفسية الأبناء وبالتالي تؤثر سلبا على شخصياتهم في المستقبل ، فهناك ما يسمى بالفروق الفردية بين الأبناء ويجب مراعاتها من قبل الوالدين كما جاء في الحديث «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[1] ومن الأساليب الخاطئة التدليل الزائد ، والذي يؤدي إلى البناء الهش لشخصية الأبناء ، فيتعود الطفل على الأخذ دون العطاء فتنمي عنده صفة حب الذات وعد م الإيثار ومساندة الآخرين وبالتالي لا يكون فاعلا في مجتمعه بالصورة التي أرادها الشرع .ومن الأساليب الخاطئة في التربية تعويد الأبناء على الاسراف ، وتلبية احتياجاتهم مهما كلفت الأسرة ، فهذا يؤثر سلباً على مستقبل الأبناء ويؤدي إلى عدم تحمل المسؤولية وحب الذات وتحقيق مطالبهم وإن كان على حساب الآخرين ، وقد نهى الشرع عن الاسراف كما قال تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[2]فلابد من تعويد الطفل على الاعتدال والتوازن وعدم الاسراف ،ومن الأساليب الخاطئة التعنيف الزائد للطفل وزرع الخوف في نفسه ونزع الثقة منه ، فينشأ بشخصية ضعيفة لا يستطيع مجابهة ما تقابله من مشاكل وعثرات في مستقبل حياته، وقد أمر الشرع بالرحمة بالصغير ، كما جاء في الحديث «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا»[3] ومن الأساليب الخاطئة في التربية السب والشتم والتلفظ بالألفاظ البذيئة من قبل الوالدين فإن ذلك يؤثر في الطفل ويتعود لسانه على ما يسمع وقد نهى الشرع عن ذلك كما ورد في الحديث «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[4] وجاء في آخر «إِنَّ أَثْقَلَ مَا وُضِعَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ، وَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»[5]وكما جاء في حديث عائشة "أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ - أَوْ بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ -» فَلَمَّا دَخَلَ أَلاَنَ لَهُ الكَلاَمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي القَوْلِ؟ فَقَالَ: «أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ

1 صحيح البخاري 6/ 171ح4949.
2 سورة الأعراف ' آية 31.
3 سنن الترمذي ،322/4ح1920، وقال حديث حسن صحيح.
4 سبق تخريجه ص 14.
5 سبق تخريجه ص 14.

تَرَكَهُ - أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ - اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»[1] فإذا تربي الابن على البعد عن الكلام الفاحش والبذي ووجد ذلك معمولاً به عند والديه ؛ فلم يسمع تبادل الكلمات النابية بينهم ،بل وجد الاحترام والكلام الإيجابي الهادف ؛ تنزه لسانه هو الآخر عن السب والشتم وقبيح الكلام فالآباء هم القدوة للطفل فمنهم يأخذ ويحفظ ويتعلم كما جاء في الحديث «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ »[2]

1 سبق تخريجه ص 15.

2 سبق تخريجه ص 11.

المبحث الخامس: أثر وسائل التقنية الحديثة في بناء شخصية الأبناء

لا يشك أحد اننا في هذا العصر تواجهنا الكثير من التحديات والصعوبات في تربية أبناءنا ، ومن أهم هذه التحديات والتي تؤثر سلبا على التربية، التكنلوجيا والتقنية الحديثة ، وهي بالرغم من آثارها الإيجابية إلا أن لها الكثير من النواحي السالبة وخاصة على الأبناء ؛فمن آثارها السلبية عليهم انها تكسبهم التمرد والميل إلى العنف وذلك لكثرة ما يشاهدونه من أفلام وبرامج تدعوا للعنف وتمجد المنتصرين فيه ، ومن الآثار أن الطفل إذا أدمن الجلوس واللعب عليها يقوده ذلك إلى حب العزلة وربما التوحد والبعد عن مجتمعه وعن أفراد أسرته ، وكذلك من الآثار السلبية أن الانفتاح التام في وسائل التواصل والتقنية يؤدي إلى مشاهدة الطفل إلى كل ما يعرض فيها من الغث والثمين ؛ فيؤثر ذلك سلباً على أقواله وسلوكه، ومن الآثار السلبية الأضرار الصحية ؛ حيث أن جلوس الأطفال لساعات طويلة أمام الأجهزة والتركيز عليها قد يتسبب في ضعف النظر للطفل جراء التعرض للأشعة المنبعثة من هذه الأجهزة وقد يؤدي الاستخدام المفرط للأجهزة لفترات طويلة إلى السمنة وزيادة الوزن للأطفال نتيجة عدم الحركة والذي ينتج عنه الكثير من الأمراض هذا مع ما يصاحبه من الكسل والخمول لدى الطفل ؛ وذلك بعدم رغبته في مساعدة أهل بيته وتفاعله معهم ،مما ينعكس سلباً على حياته الاجتماعية والأسرية.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بحمد الله ومنه وفضله؛ تم الانتهاء من كتابة هذه الورقة العلمية تحت عنوان "العلاقات الأسرية وأثرها على مستقبل الأبناء في ضوء السنة النبوية" والتي أسأل الله عز وجل أن يجعله عملاً صالحاً نافعاً، ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1. اهتمام الشرع بالأسرة، وتشريع الأحكام التي تسهم في استقرارها باعتبارها النواة الأولى للمجتمع.
2. العلاقات الإيجابية بين الزوجين تؤسس لبناء شخصية سوية وقوية للأبناء.
3. يجب أن تكون الخلافات الزوجية بعيدة من مرآى ومسامع الأطفال.
4. الالتزام بأحكام الشرع وآدابه يؤدي إلى بناء أسرة مستقرة ومتماسكة.
5. وسائل التقنية الحديثة سلاح ذو حدين، يسهم في قوة الأسرة وتطورها كما يسهم في ضعفها وتفككها.

وتوصي الباحثة الباحثين والمهتمين بالمنهج النبوي تتبع كافة الجوانب التربوية وما يتعلق بالأسرة والأبناء في جميع مراحلهم العمرية من خلال المواقف النبوية المتمثلة في السنة القولية والفعلية.

قائمة المصادر والمراجع:

ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ـ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ) ـ الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.

ـ أحكام القرآن ـ أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ) ـ المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين ـ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م.

ـ الإسلام وبناء المجتمع، المؤلف: د/ حسن عبد الغني أبو غدة وآخرون، مكتبة الرشد، الطبعة السابعة 1442هـ ـ 2021م.

ـ تحفة المودود بأحكام المولود ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) المحقق: عبد القادر الأرناؤوط ـ الناشر: مكتبة دار البيان – دمشق، الطبعة: الأولى، 1391 – 1971.

ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ ـ المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ الطبعة: الأولى 1420هـ -2000م.

ـ الثقافة الإسلامية، المؤلف: د. فيصل بن سعيد بالعمش وآخرون، دار حافظ للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1433هـ ـ 2012م.

ـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

ـ الجامع الكبير - سنن الترمذي ـ محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) ـ المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: 1998 م.

ـ حقوق الإنسان في الإسلام المؤلف: د. عبد اللطيف بن سعيد الغامدي، أكاديمية نايف العربية

للعلوم الأمنية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الطبعة الأولى، الرياض 1321ـ2000م.

ـ الزواج ـ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) ـ الناشر: مدار الوطن، الطبعة: 1425هـ.

ـ سنن أبي داود ـ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

. السنن الكبرى. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) ـ حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي. الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379.

. فتح المنعم شرح صحيح مسلم. الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين. الناشر: دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، 1423 هـ - 2002 م.

. فقه الأسرة ـ محمد بن محمد المختار الشنقيطي.

ـ الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي الشافعي ـ الناشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

ـ لسان العرب ـ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.

. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ـ علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) ـ الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م.

. المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم

بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ـ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990.

ـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) ـ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير .أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) . الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة . إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

ـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ـ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (578 - 656 هـ) ـ حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) . الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.

ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ـ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)

الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392.

. الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة . د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني .

الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض . تاريخ النشر بالشاملة: ١٧ ذو القعدة ١٤٣٣.

تقييم الأداء التربوي لأساتذة العلوم الإسلامية في التعليم العالي على ضوء معايير جودة التعليم

دراسة في الجامعة الجزائرية

الدكتور محمد جرادي

جامعة أدرار | الجزائر

djerradimed@gmail.com

ملخص البحث:

ربما تكون الجودة بمفاهيمها الشاملة واحدة من أبرز سمات العصر في كل مناحي الحياة، لذلك نرى الجامعة العالمية عموماً والجامعة العربية خصوصاً والجزائرية بشكل أخص تخوض غمار التنافس تحقيقاً لمتطلبات معايير جودة التعليم، والتي على رأسها التكوين الجيد والملائم لهيئة التدريس.

هذا البحث محاولة لتقديم مقاربة تقييمية من خلال معالجة محورين:

- دراسة نظرية تُعنى بمفاهيم الأداء التربوي ومعايير جودة التعليم.

- دراسة تطبيقية تُعنى بتقييم الأداء التربوي لأساتذة العلوم الإسلامية في التعليم العالي في نظر طلابهم من خلال تحليل نتائج استبيان آراء عينة منهم.

باعتماد منهجي الوصف والتحليل للبيانات المجمعة تهدف الدراسة إلى الكشف عن جوانب القوة والقصور في أداء الفئة المستهدفة، وقد خلصت إلى أن مستوى استجابة أساتذة العلوم الإسلامية وتمثلهم لمعايير الجودة التدريسية يتراوح بين الحسن والجيد، لاسيما في المقومات الشخصية والسمات الخلقية، وأن أكثر ما يُنتقد عليهم رتابة الأداء وضعف في المهارة التقنية التي تحول دون التوظيف الواسع لوسائل وأدوات التعليم الحديثة.

الكلمات المفتاحية: التقييم، الأداء التربوي، جودة التعليم، الجامعة، العلوم الإسلامية.

Evaluation of the educational performance of teachers of Islamic sciences in higher education in the light of education quality standards - a study at the Algerian University-

Abstract :

Quality in its comprehensive concepts is one of the most prominent features of the era in all aspects of life . Therefore, we see the international university in general, the Arab university in particular, and the Algerian university in particular, engaged in competition in order to achieve the requirements of education quality standards, on top of which is the good and appropriate training of the teaching staff.

This research is an attempt to provide an evaluative approach by addressing two axes:

-A theoretical study concerned with the concepts of educational performance and standards of educational quality.

-An applied study concerned with evaluating the educational performance of teachers of Islamic sciences in higher education in the view of their students by analyzing the results of a questionnaire of the opinions of a sample of them.

Keywords: evaluation, educational performance, quality of education, university, Islamic sciences.

المقدمة:

وجدت علوم الإسلام ودراساته لها موقعاً بين ميادين ومساقات البحث العلمي التي فتحت لها الجامعات - في البلاد الإسلامية وخارجها- أقساماً، وخصصت لها برامج التكوين في أطوار التدرج وما بعد التدرج. وإذا كان وجود تخصص العلوم الإسلامية في الجامعات العربية قديمة كمصر أو المملكة المغربية، فإنه في الجامعة الجزائرية حديث نسبياً، حيث تعود بداياته إلى افتتاح جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري سنة 1982م، ثم نشأ لها ملاحق وفروعا في سنوات لاحقة إلى أن توسعت خريطة هذا الاختصاص بوجوده في اثني عشرة مؤسسة جامعية.

استعانت الجامعة الجزائرية لتأطير هذا الاختصاص في بداياته بأساتذة مشارقة أزهريين من مصر وسوريين وأردنيين، وبعض الجزائريين الذين تخرجوا من جامعات مشرقية، أما اليوم فقد تمكنت الجامعة من جزأرة هذا الاختصاص بضمان تأطيره الكامل بالكفاءات الجزائرية خريجة الجامعة الجزائرية.

لقد أصبحت الجودة بمفاهيمها الشاملة من أهم مطالب الحياة المعاصرة، ومن أوضح مظاهر التمدن والرقي في العصر الحديث، وباتت أولوية لاسيما في قطاع التعليم العالي ومؤسساته لكونه قاطرة التنمية الشاملة، وما من شك أن "الأستاذ" هو محور العملية التعليمية، ومؤشرها ترتفع بارتفاعه وتنخفض بانخفاضه، لذلك كانت جودة الأستاذ هي أهم معايير الجودة التعليمية.

هذا المعيار تتفاوت فيه الجامعات ويتفاوتُ تمثله في الجامعة الواحدة بين أطياف التخصصات العلمية المختلفة، وليس أساتذة العلوم الإسلامية في قطاع التعليم العالي بمنأى عن متطلبات جودة التعليم، بل لعلهم لاعتبارات دينية أو ثقافية في مقدمة المعنيين بها.

إشكالية الدراسة:

تثور حول المنظومة التعليمية عموماً والجامعية خصوصاً عديد التساؤلات من الأوساط الداخلية -من داخل المنظومة- ومن خارجها، من الأوساط الرسمية أو الإعلامية أو الشعبية، ومعظمها تدور حول نقد صريح تارة وضمني تارة أخرى لفاعلية هذه المؤسسات ونجاعتها واضطلاعها بكامل أدوارها.

ولأن المعلم والأستاذ هو قطب رحى العملية التعليمية فغالباً ما يكون هو الهدف الذي توجه نحوه الأصابع، ومن هنا وجدنا أن أكثر الدراسات العلمية التي تهتم بالجودة التعليمية والأداء التربوي تركز على العنصر البشري الذي هو أحد الأركان الثلاثة (المعلم والمتعلم والمنهاج).

ونظراً لاعتبارات ثقافية أو دينية في المجتمعات العربية والإسلامية فإن أستاذ المواد الدينية في كل المراحل التعليمية -بل في التعليمين الرسمي والشعبي- يحظى بنظرة مميزة من لدن الوسط التعليمي والوسط الشعبي، غير أن "هالة" الاحترام والتقدير لا تُعفيه من المساءلة، من جهة أخرى فقد أشارت بعض الدراسات إلى انخفاض الأداء التدريسي لمعلمي التربية الإسلامية في بعض البلاد العربية1.

وعليه هنا جاءت هذه الدراسة لتجيب عن إشكال رئيس:

كيف يُنظر إلى أداء أساتذة العلوم الإسلامية في الجامعة الجزائرية على ضوء معايير جودة التعليم العالي؟

أهمية الدراسة:

لا يخفى أن الجامعة الجزائرية -اختياراً أو اضطرارا- تتحرك بخطوات عملية متسارعة باتجاه تحقيق متطلبات الجودة، بما يؤهلها للاستجابة لمقتضيات التنمية الوطنية واحتياجات سوق العمل من جهة، وما يُرشحها للتنافس الدولي من جهة أخرى. هذه السياسة لم تعد نظرية تظهر في خطابات المسؤولين فحسب،

[1] انظر: عساف سعد العجمي، أداء معلمي التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية بدولة الكويت فى ضوء معايير الجودة الشاملة، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، المجلد2021، العدد62، إبريل 2021.

ولكن صحبتها إجراءات ميدانية على رأسها إصدار المرجع الوطني للجودة1 والذي أُتبع بتشكيل خلايا ضمان الجودة في كل مؤسسات العليم العالي .

وفي تفاصيل المرجع الوطني للجودة وخططه التشغيلية2 عديد البنود التي تهدف إلى الرفع من الكفاءة التعليمية للأستاذ في الشق السلوكي أو المهني، كتلك التي توصي بالتدريب على استعمال الأدوات السمعية البصرية والإعلام الآلي والملتيميديا في التعليم، أو الالتزام بالمواعيد أو العناية بمستوى التعبير وغيرها.

هذا وإن المتأمل في الميادين السبعة3 التي تناولها المرجع الوطني ليلحظ أنه كان من الأجدى تخصيص ميدان للأستاذ يُجمع فيه ما تفرق، وتبرز فيه السمات والمؤهلات التي ينبغي أن يتحلى بها الأستاذ في عالم ينشد الجودة في كل شيء.

فالأستاذ (يعتبر أهم مدخلات النظام التعليمى الذى يعتمد عليه بشكل أساسى فى تطبيق نظام الجودة في التعليم للوصول إلى تحقيق الجودة فى المخرج التعليمى فالتعليم ذو الجودة العالية مرتبط بالأستاذ الكفء الذى يمتلك الكفايات الشخصية والفنية والمهنية التي تجعله قادرًا على تقديم تعليم نوعي متميز، وتحتاج الجودة المطلوبة في أداء المعلم إلى معايير ومؤشرات لمراقبتها وضمان تحققها في هذا الأداء، فهي بمثابة المحك الذي يقاس في ضوئه مستوى أداء الأستاذ)4.

هذه الدراسة لا تستمد أهميتها من تعداد الفئة المستهدفة فيها، حيث أن أساتذة التعليم العالي الدائمين الذين يشتغلون في التكوين في حقل العلوم الإسلامية لا تزيد نسبة مجموعهم عن 1,5 ٪ من مجموع أساتذة

---

[1] اللجنة الوطنية لتطبيق ضمان الجودة في التعليم العالي CIAQES التي أنشئت بموجب مرسوم تنفيذي رقم 10-167 ، المرجع الوطني لضمان الجودة الداخلية في مؤسسات التعليم العالي الصادر في 2016.

[2] انظر: خلية ضمان الجودة بجامعة ادرار، الخطة التشغيلية لميدان التكوين 2018.

[3] الميادين السبعة هي: التكوين، البحث العلمي، الحكامة، الحياة الجامعية، الهياكل القاعدية، التعاون مع المحيط الاجتماعي والاقتصادي، العلاقة مع المحيط الاجتماعي والاقتصادي.

[4] عساف سعد العجمي ، مرجع سابق.

التعليم العالي في الجزائر1 ، وإنما تأتي أهميتها من طبيعة هذه الفئة ومركزيتها في نظر الطلبة وفي نظر الأساتذة أيضاً، وقبل ذلك كله تستمد أهميتها من الدور المحوري للأستاذ في العملية التعليمية.

أهداف الدراسة:

فضلا عما ذكر من أهمية الدراسة فإنها تهدف إلى تحقيق غرضين:

- تشخيص واقع أداء الفئة المستهدفة تبعا لمعايير الجودة.

- اقتراح الحلول والبدائل لمعالجة ما تُكشفه الدراسة من جوانب قصور.

الدراسات السابقة:

هذه الدراسة مسبوقة بعديد الدراسات التي عُنيت بالجودة الشاملة في التعليم العالي أو بتقييم أداء الأساتذة، نذكر منها تمثيلاً لا حصراً:

1. تقويم الأداء التدريسي للأستاذ الجامعي في ضوء معايير ضمان جودة التعليم من وجهة نظر الطلاب، سمير جوهاري2، وقد أجرى دراسته على أساتذة العلوم الاجتماعية بجامعة برج بوعريريج.- الجزائر.
2. مواصفات أساتذة الجامعة من وجهة نظر الطلبة- دراسة ميدانية بجامعة مستغانم- الجزائر، أحمد فلوح.
3. تقييم أداء الأستاذ الجامعي في ضوء جودة التعليم العالي من وجهة نظر الطلبة (دراسة ميدانية بجامعة تلمسان)، هواري أحلام وشويخي آمال3.

---

[1] انظر الملحق رقم 1.

[2] بحث منشور بمجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية الصادرة عن جامعة قسنطينة2، المجلد07، العدد02، جوان2021.

[3] بحث منشور بمجلة دراسات إنسانية واجتماعية الصادرة عن جامعة وهران2، المجلد11، ع03، جوان 2022.

4. الدراسة الوحيدة -حسب علمي- التي تلتقي مع هذه الدراسة وتقترب منها هي دراسة "أداء معلمي التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية بدولة الكويت فى ضوء معايير الجودة الشاملة"، عساف سعد العجمي، اتفقتا في الفئة (أساتذة العلوم الإسلامية)، واختلفتا في الطور حيث اتجهت السابقة لطور التعليم الثانوي وتتجه دراستنا لطور التعليم العالي.

منهج الدراسة:

بما أن الدراسة ميدانية فقد توزعت على محورين:

أ- دراسة نظرية تُعنى بمفاهيم الأداء التربوي ومعايير جودة التعليم.

ب- دراسة تطبيقية تُعنى بتقييم الأداء التربوي لأساتذة العلوم الإسلامية في التعليم العالي في نظر طلابهم من خلال تحليل نتائج استبيان آراء عينة منهم.

فقد ناسبها اعتماد منهجي الوصف لتشخيص الحال والتحليل لتقديم قراءة تستنطق البيانات المجمعة لتكشف عن جوانب القوة والقصور في أداء الفئة المستهدفة.

المطلب الأول- التعريف بمصطلحات البحث:

الفرع الأول- التعليم العالي:

التعليم بشكل عام هو واحدة من شامات الحضارة الإسلامية التي قامت من مبتدئها على العلم، فقد كان أول الوحي أمر بالقراءة التي هي أداة وطريق للتعلم، قال الله تعالى: (اقرأ وربك الأكرم)1. ومنه أولى المسلمون عناية فائقة بالمؤسسة التعليمية، لذلك عرفت نمواً وتطوراً وانتشاراً في فترة زمنية وجيزة.

لقد شكل المسجد الذي هو دار العبادة في الإسلام النواة الأولى للمدرسة يتلقى فيه المسلمون ضروريات دينهم وعلومهم الأولى -القرآن الكريم وأحاديث الرسول والفقه- وباتساع ونمو المعارف والعلوم الإسلامية أُنشئت الكتاتيب2 متصلة بالمساجد أو إلى جوارها، ثم بدأ هذا المرفق يتطور شيئا فشيئا في شكله ومضمونه، فانتشرت في بلاد المسلمين مشرقاً ومغرباً كقرطبة وبغداد ودمشق مدارس ذاع صيتها لما كانت تلقنه من علوم أو لشهرة شيوخها ومدرسيها، ولعل الطفرة الكبرى التي عرفتها المؤسسة التعليمية تلك التي تجلت في ثلاثة نماذج:

- جامع الزيتونة بإفريقية (تونس)3 الذي يرجع اختطاطه إلى أواخر القرن الأول (79هـ) على يد الأمير حسان بن النعمان الغساني، وقيل إلى أوائل القرن الثاني (114هـ) على يد الأمير عبيد الله بن الحبحاب.

-جامع القرويين بفاس (الذي أسسته أم البنين فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري القيرواني وكان الشروع فيه سنة 245هـ)4

---

[1] سورة العلق، الآية 1.

[2] انظر: مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار الصديقية، الجزائر، ص 183 وما بعدها.

[3] انظر: محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر العربي، 441/2.

[4] محمد مخلوف، المرجع نفسه، 441/1.

-جامع الأزهر بالقاهرة. الذي تأسس سنة 358هـ.

يمكننا تعريف التعليم العالي في مفهومه الحديث من أحد جانبين:

فإذا نظرنا إليه من الجانب الهيكلي هو عال باعتباره يمثل قمة هرم المؤسسة التعليمية في البلد، التي تشكل المؤسسة الابتدائية قاعدته ووسطه للتعليم المتوسط والثانوي.

وإذا نظرنا إليه من جهة المحتوى فهو عال لأن المتلقي تجاوز مرحلة مفاتيح العلوم وانتقل إلى تعميق المعارف والتخصص العلمي، وبلغ من النضج وامتلاك أدوات البحث ما يؤهله لأن يصير مشاركاً في إنتاج المعرفة بعد أن كان مجرد متلق لها.

ويؤدي التعليم العالي جملة من الوظائف:

1- يمثل التعليم العالي الركيزة الكبرى في التنمية البشرية، من خلال تكوين الكفاءات العلمية والفنية في مختلف مجالات المعرفة، وهي التي تدير وتحرك كل قطاعات التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وتحت هذا البند تندرج تلك الدعائم الأربعة الأساسية للتعليم حسب تقرير جاك ديلور: (تعلم المرء للمعرفة، تعلم المرء للعمل، تعلم المرء ليكون، التعلم للعيش مع الآخرين)1.

2- تطوير البحث العلمي، بما يمكن المجتمع من إيجاد حلول لمختلف أزماته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

3- فرز (نخل وغربلة) المادة العلمية، ففي ظل الانفجار التكنولوجي وانتشار وسائل الإعلام بمختلف أشكالها، أصبحت المادة العلمية مقدورا على الوصول إليها للجميع، وهذا الوضع رتب مسؤولية على الجامعة لفرز وغربلة يُميز فيها بين ما هو علم تسنده الأدلة والقواعد وبين ما هو مجرد أوهام وتخيلات.

[1] انظر: صبحي الطويل وماري كوجورو، إعادة النظر في التعلم: ذلك الكنز المكنون- تقييم تأثير تقرير ديلور لعام 1996، مقال على موقع اليونيسكو 2013 **https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000220050_ara** (تاريخ التصفح 2023/04/19).

الفرع الثاني- جودة التعليم:

الجودة في مدلولها اللغوي من جَاد الشيءُ يجود جُودة -بفتح الجيم وضمها- أي صار جيداً1، وأجاد أي أحسن وأتقن، والجيد من الأمور الحسن اللائق ضد الرديء. وقد صار للجودة في عصرنا مدلولاً عرفياً عاماً يُعبر عن التفوق والتميز.

أما الدلالة الاصطلاحية للجودة فإنها تختلف من مجال إلى آخر، ففي المجال الاقتصادي والتجاري تعرف (منظمة الإيزو العالمية -الجودة- بأنها الوفاء بجميع المتطلبات المتفق عليها، بحيث تنال رضا العميل، ويكون المنتج ذو جودة عالية وتكلفة اقتصادية معتدلة)2. أما الجودة التعليمية فهناك من ذهب لتعريفها ب(استخدام التكنولوجيا والوسائل الحديثة)3، وهو تضييق للجودة وحصرها في بعض جوانبها، وهو يبدو استصحاباً لمفهوم الجودة في المنتجات المادية. ويذهب فريق من الباحثين إلى أن التعليم الجيد هو الذي يوفر الأبعاد المعرفية والأخلاقية والثقافية للتعلم4.

والحقيقة أن الجودة التعليمية مفهوم واسع تتعدد أبعاده، فيتناول جودة الطلاب بقيمهم ومعارفهم ومهاراتهم القبلية، ويتناول جودة المعلم والأستاذ بسماته الشخصية ومؤهلاته العلمية، ويتناول جودة المرفق التعليمي، ويتناول جودة الإدارة التعليمية وتشريعاتها، وجودة البرامج والمناهج، كل ذلك يشترك

---

[1] محمد الرازي، مختار الصحاح، ضبط د. مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر، ط4، 1990، ص83.

[2] مسعودة عجال، مبادئ ومعايير جودة التعليم العالي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد07، العدد27، جوان 2018، ص821.

[3] انظر: أحلام هواري وشويخي آمال، تقييم أداء الأستاذ الجامعي في ضوء جودة التعليم العالي من وجهة نظر الطلبة، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد11، ع03، جوان2022، ص510.

[4] انظر: صبحي الطويل وماري كوجورو، مرجع سابق، موقع اليونيسكو
https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000220050_ara (تاريخ التصفح 2023/04/19)

ليعطي جودة في المخرجات، يتمثل في جيل متعلم يتمتع بالشخصية المتزنة الإيجابية المنتجة والكفاءة العالية والمهارة الفائقة.

إن الجودة بمعناها العام الدقة والإتقان والتميز ليست مفهوماً حديثاً، وإنما المستجد هو معايير جودة التعليم التي اختلفت فيها أنظار المتقدمين عن أنظار المعاصرين، فكان يُنظر إلى المعلم الجيد على أنه الذي شهد له الشيوخ، أو هو الرجل السمح المترفق بتلاميذه، أو ذلك الذي تتسع حلقته التعليمية ويكثر طلابه، من ذلك ما (يُذكر في تاريخ أبي القاسم البلخي أنه كان له كُتاب يتعلم به ثلاثة آلاف تلميذ، وكان كتابه فسيحاً جدا بحيث يحتاج على أن يركب حماراً ليتردد بين طلابه)[1]، وفي كتب تراجم الأعلام نجد عبارات وأوصافا يومئ بها المترجمون لمعنى الجودة، نحو قولهم: (المحقق)، (المشارك في العلوم)، (جيد الفقه)، (البارع)، (المتقن)، وغيرها. يقول صاحب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية في ترجمته للشيخ شمس الدين محمد بن عرفة الدسوقي الأزهري (ت1230هـ) : (تصدر للتدريس وأتى بكل نفيس، وأفاد وأجاد، كان فريدا في تسهيل المعاني وتبيين المباني، يفك كل مشكل بواضح تقريره ويفتح كل مغلق بفاتح تحريره، ودرسه مجمع أذكياء الطلاب والمهرة من ذوي الأفهام والألباب مع لين الجانب ودين متين وحسن خلق...)[2].

جاء التأكيد على أهمية التعليم الجيد[3] في لقاء لمنظمة اليونيسكو (باريس2003) أوضح أن للجودة خصائص في الدارس (طلبة أصحاء متحمسون)، وخصائص في الأنشطة (معلمون أكفاء يستخدمون أساليب تربوية فعالة)، وفي المضامين (مناهج دراسية ملائمة) وفي النظم (إدارة جيدة وتخصيص موارد مناسبة).

---

[1] مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص184.

[2] محمد مخاوف، مرجع سابق، 362/1.

[3] انظر: د. علي حميدوش ، ود. رابح فضيل، جودة التعليم العالي حالة التجربة الجزائرية، بحث منشور على الشبكة (**https://www.enssea.net/enssea/majalat/1907.pdf**)، ص02.

وفي ذات الاتجاه سارت منظمة اليونيسف حيث اعتبرت جودة التعليم بأنها (عملية التركيز على أساليب التعلم والتعليم الفعالة التي تدعم استمرار قدرات المتعلمين ومواهبهم المتنوعة لاكتساب المعرفة اللازمة والمهارات العملية والسلوك التطبيقي الناتج عن منظومة فكرية متطورة ملائمة مع احتياجات العصر وتحدياته)1.

إن أهداف جودة التعليم هي جودة مخرجاته سواء مخرجاته التكوينية (الطلاب)، أو مخرجاته البحثية (أبحاث وابتكارات)، فالتعليم الجيد هو الذي ينتج جيلا من الطلاب والخريجين مؤهلا علمياً متكامل سلوكياً ترسخت في شخصه قيم الإنسانية والمواطنة وتعزز لديه الحس الإبداعي والجمالي2 .

إذا كان المرجع الوطني -كما أشرنا سابقا- قد أغفل التنصيص على معايير الجودة لدى الأستاذ فقد جاءت الإشارة لبعضها صريحة في ميثاق الآداب والأخلاقيات الجامعية، حيث نص تحت بند التزامات الأستاذ على جملة من الصفات أو المعايير يمكن تصنيفها:

ففي الجانب الشخصي نصت على: (يجب أن يكون الأستاذ / الباحث مرجعًا من حيث الكفاءة والأخلاق والنزاهة والتسامح. كما يجب أن يُجسّد صورة جديرة بالجامعة والبحث العلمي)3.

ويجب عليه أثناء ممارسة وظيفته أن يتصرّف بحرص، واجتهاد، وكفاءة، ونزاهة، واستقلالية، وولاء وحسن نيّة، من أجل المصلحة العليا للمؤسّسات الجامعية والبحثية).

---

[1] د. عزالدين بشقة ود. أحمد جلول، كفاءة الأستاذ وعلاقتها بجودة العملية التعليمية-دراسة ميدانية لعينة من الطلبة بجامعة باتنة، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، مجلد4، (عدد1) 2020 ، ص73.

[2] استُحدثت بعض المعايير الدولية لتصنيف الجامعات وأشهرها: تصنيف كبو أس البريطاني، تصنيف جامعة جياو جونغ شنغهاي، تصنيف ويبومتركس الإسباني، وهذه التصنيفات بعضها يعتمد جودة التكوين، وبعضها يعتمد توظيف الخريجين، وبعضها يأخذ بعين الاعتبار الشهادات والجوائز الدولية المحصلة، وبعضها يعتمد الشفافية والمقروئية الإلكترونية.

[3] وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (الجزائر)، ميثاق الآداب والأخلاقيات الجامعية. على الرابط=
https://www.mesrs.dz/index.php/ethique-deontologie/charte-ethique-et-deontologie-ar

فجودة الأداء التدريسي والتربوي من مؤشرات الجودة التعليمية التي هي من مجالات الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم.

الفرع الثالث- الأداء التربوي:

يُعرف الأداء المهني أو الوظيفي بأنه قيام الموظف أو العامل بالأعباء والمسؤوليات المسندة إليه على أكمل وجه.

ويُعرف الأداء التدريسي بأنه: (كل ما يقوم به عضو هيئة التدريس من مهام ومسؤوليات داخل قاعات المحاضرات أو في أي موقف أو نشاط تعليمي ويراه أقرانه أو رؤساءه أو طلابه لإحداث تغيرات في شخصية طلابه على ضوء أهداف وتوقعات جامعته ومجتمعه)[1].

ويمكننا أن نعرف الأداء التدريسي بأنه: الجهد الذي يبذله المعلم لتوصيل المنهاج التربوي المعتمد من قبل وصايته إلى طلابه. وقد ملنا في هذا البحث لاختيار الأداء التربوي بدلا عن الأداء التدريسي، لأن العملية التعليمية هي عملية تربوية في المقام الأول، ولذلك نجد أكثر البلاد العربية تعتمد "التربية" في تسمية قطاعاتها.

إن القيمة الرمزية والأخلاقية التي يمثلها المعلم والأستاذ هي التي دفعت أمر الشعراء شوقي ليقول عنه: (... كاد المعلم أن يكون رسولاً)، إن عملية توصيل الأستاذ للمادة العلمية التي يحددها المنهاج التربوي إلى طلابه ليست عملية آلية ولكنها عملية إنسانية مقرونة بكثير من العواطف والمشاعر والقيم فتبني في المتلقي جوانبه الثقافية وفي الوقت نفسه تنمي فيه جوانبه الوجدانية، لذلك كان السمو الخلقي مشروطاً في المتصدي للعملية التعليمية.

[1] سمير جوهاري، مرجع سابق، ص367.

جاء في تقرير جاك ديلور1: (فالعالم متعطش، دون أن يشعر بذلك أو يعبر عنه، إلى مثل أعلى وإلى قيم نسميها هنا قيما أخلاقية، فيالها من مهمة نبيلة للتربية أن تحفز في كل فرد، ووفقا لتقاليده ومعتقداته، وفي احترام تام للتعددية، هذا التسامي للفكر والروح إلى مستوى العالمي وإلى نوع من التفوق على الذات وتجاوزها، فعلى ذلك - واللجنة هنا تزن كلماتها بعناية - يعتمد بقاء البشري)2.

والأداء التعليمي والتربوي قابل للقياس بعدة طرق:

أ- المراقبة الخارجية، كوجود هيئة رقابة إدارية أو هيئة تفتيش تتابع عمل الأستاذ، كما هو الشأن في الأطوار التعليمية الدنيا.

ب- النتائج، حيث تعتبر نتائج المتمدرسين والمتعلمين مؤشراً على أداء الأستاذ، غير أن هذا المؤشر لا يكون دقيقاً إلا حين تتسم تلك النتائج بالموضوعية والدقة المطلوبة,

ج- آراء وتقييمات المتعلمين، وغالباً ما تكون دلالتها على مستوى الأداء قوية.

الفرع الرابع- التقييم:

قوّم السلعة تقويماً أعطاها قيمة، وقوّم الشيء تقويماً فهو قويم أي: مستقيم3. يميل كثيرون إلى تبني مصطلح (التقويم) للدلالة على الحكم الذي هو إعطاء قيمة وما ينبني عليه من مراجعة وتصويب، أما (التقييم) فدلالته فقط على الحكم.

---

[1] جاك لوسيان جان ديلور (1925- ...) سياسي فرنسي شغل منصب وزير المالية من 81 حتى 84، وشغل منصب رئيس المفوضية الأوروبية 85 حتى 95 . (موقع ويكيبيديا) https://ar.wikipedia.org/wiki (22023/04/12).
اقترح التقرير المعنون: التعلم: ذلك الكنز المكنون، الذي نشرته اليونسكو في عام 1996 والمقدم إلى اليونسكو من اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين، برئاسة جاك ديلور، رئيس المفوضية الأوروبية السابق، رؤية متكاملة للتعليم. ويعتبر تقرير ديلور على نطاق واسع، مرجعا رئيسيا فيما يتعلق بالتصور المفاهيمي للتعليم والتعلم في جميع أنحاء العالم.

[2] موقع منظمة اليونيسكو. **https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000220050_ara**.

[3] محمد الرازي، مصدر سابق، 353.

ويُعرف التقييم (بأنه الحكم على مستوى الأداء التدريسي لدى عضو هيئة التدريس، بما يتلاءم ومعايير أنظمة الجودة المعتمدة لدى النظام الداخلي لضمان الجودة في المؤسسات التعليمية ومواصفاتها ومؤشراتها وفق الكفايات التدريسية المعتمدة)1.

جاء في ميثاق الآداب والأخلاقيات الجامعية: (تعتبر عمليات تقييم وتقدير أنشطة الأستاذ الباحث والباحث الدائم جزءا لا يتجزأ من مسار منظومة التعليم والبحث في إطار عملية ضمان الجودة. ولابد أن يقتصر التقييم على معايير التقدير الأكاديمية لنشاطات التعليم والبحث، والنشاطات الاحترافية ذات العلاقة بالمؤسسات الجامعية والبحثية)2.

قبل سنوات قليلة كانت النظرة السائدة لدى جمهور أساتذة التعليم العالي بمختلف تخصصاتهم العلمية غير ودية تجاه ما يُبديه طلابهم من أحكام أو تقييمات لأدائهم المهني، وظل الأستاذ يمارس بعض التعالي تجاه التقييم من أي جهته أتاه لاسيما إذا كان مصدره الطلاب.

لكن هذه النظرة تلاشت شيئا فشيئا ليحل محلها تقدير توقعات الطلاب وانطباعاتهم، لأنهم أكثر الناس احتكاكاً ودراية بالأستاذ وأكثرهم تأثرا به، لذلك أشارت بعض التقارير3 إلى أن 30٪ من الكليات والجامعات صارت تستطلع آراء الطلاب في تقييم الأداء التدريسي لأساتذتهم، وتُرتب على ذلك جزاءات، كما تُرتب على ذلك خطط وسياسات لمعالجة ما تكشفه تلك الاستطلاعات من اختلالات.

---

[1] سمير جوهاري، مرجع سابق، ص367.

[2] وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ميثاق الآداب والأخلاقيات الجامعية في الجزائر.

[3] سمير جوهاري، مرجع سابق، ص 363.

وعليها أيضاً صارت جل الأبحاث والدراسات التربوية تبني نتائجها وتوصياتها. وهذا التوجه له ما يُبرره في الفكر الإسلامي، فقد جعل القرآن الكريم الرقابة المجتمعية واحدة من مستويات الرقابة الخارجية على الأعمال، في قول الله تعالى: (فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)1.

[1] سورة التوبة، الآية 105

المطلب الثاني- الجانب التطبيقي للدراسة:

الفرع الأول- منهج الدراسة:

طبيعة الدراسة تحتم الأخذ بمنهجين، منهج الوصف السائد في دراسة الظواهر، ومنهج التحليل لتفسير الظاهرة وبناء نتائجها الكلية أو الجزئية.

الفرع الثاني- مجتمع وعينة الدراسة:

حيث أن دراستنا تنصب حول أساتذة فرع من فروع التكوين في الجامعة الجزائرية وهو فرع العلوم الإسلامية (باختصاصاته المختلفة) فإن مجتمع وعينة الدراسة تنحصر لزاماً في طلبتهم، ورغم أن فرع العلوم الإسلامية يوجد في الجامعة الجزائرية بثلاث مستويات هيكلية:

- المستوى الأول جامعة: يتمثل في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، وهي الجامعة الوحيدة المتخصصة في العلوم الإسلامية.

-المستوى الثاني كلية: وهي موجودة بخمس جامعات.

-المستوى الثالث قسم: وهو في ست جامعات.

فإن عينة الدارسة قدرت ب 72 طالبا ووزعت عشوائياً على اثنين من الأقسام: قسم العلوم الإسلامية بجامعة أدرار 41، وقسم العلوم الإسلامية بجامعة تلمسان 31.

وجاء توزيع العينة كما هو مبين في الجدول:

الجنس	العدد	النسبة المئوية
ذكور	27	37.5٪

إناث	45	62.5٪
المجموع	72	100٪

ولتأكيد صحة نتائج الدراسة أجرينا استطلاعاً آخر موجها لعينة عشوائية تتكون من 10 أساتذة للعلوم الإسلامية بجامعة أدرار[1].

الفرع الثالث- أداة الدراسة:

اعتمدت الدراسة على مقياس رباعي يتشكل من 30 فقرة صيغت بعبارات موجبة واضحة، موزعة على ثلاثة محاور:

المحور1 : السمات الشخصية لأساتذة العلوم الإسلامية ويضم 9 فقرات.

المحور2: الاتصال والتواصل لدى أساتذة العلوم الإسلامية، ويضم 6 فقرات.

المحور 3 : الكفاءات المهنية لأساتذة العلوم الإسلامية، ويضم 15 فقرة.

جدول يوضح توزيع التقييم

التقييم	كلهم	جلهم	بعضهم	القليل/النادر
الدرجة	4	3	2	1
التقدير	جيد	حسن	دون الوسط	ضعيف

[1] انظر: الملحق رقم 2.

المطلب الثالث- نتائج الدراسة وتحليلها:

الفرع الأول- عرض نتائج الدراسة:

جدول يبين المعالجة الإحصائية للاستبيان (النسبة٪)

المحور1: السمات الشخصية لأساتذة العلوم الإسلامية	كلهم	جلهم	بعضهم	القليل	المحور 3: الكفاءات المهنية لأساتذة العلوم الإسلامية	كلهم	جلهم	بعضهم	القليل
يتمتعون بشخصية قوية	36.6	25.3	18.3	8.4	متحمسون لوظيفتهم وتخصصهم	39.4	22.5	22.5	8.4
يهتمون بمظهرهم وهندامهم	56.3	22.5	11.2	8.4	يؤمنون بالرسالة التربوية للأستاذ الجامعي	32.3	22.5	18.3	5.6
يحظون باحترام طلابهم	56.3	18.3	21.1	2.8	متمكنون في اختصاصهم	36.6	38.02	19.7	4.2
يحظون باحترام زملائهم	53.5	28.1	12.6	1.4	يتقيدون بالمقرر العلمي لموادهم	36.6	40.8	15.4	4.2
منضبطون في الوقت والمواعيد	33.8	43.6	15.4	7.04	يُنجزون المقرر العلمي كاملاً	35.2	32.3	21.1	8.4
لهم نشاط وحضور في محيطهم الاجتماعي	18.3	29.5	22.5	7.04	طريقتهم في التوصيل والأداء جيدة	18.3	40.8	29.5	8.4
نشطون ومبادرون	28.1	28.1	32.3	7.04	يستعينون بالوسائل التقنية الحديثة في الشرح	7.04	16.9	29.5	39.4

متسامحون	32.3	35.2	19.7	12.6	يهتمون بسلوكيات طلابهم	21.1	32.3	25.3	15.4
لهم معرفة وإلمام بثقافة العصر	36.6	35.2	16.9	9.8	حريصون على تطوير أنفسهم وتحسين أدائهم	40.8	22.5	26.7	11.2
المحور 2: الاتصال والتواصل لدى أساتذة العلوم الإسلامية	كلهم	جلهم	بعضهم	القليل	يُحببون مقاييسهم لطلابهم	25.3	23.9	26.7	15.4
يُتقنون لغة التدريس والتخاطب(العربية)	50.7	30.9	12.6	7.04	يُشجعون الطلبة على المبادرة والبحث	36.6	22.5	28.1	9.8
يتقنون الحوار ويحترمون الرأي المخالف	42.2	33.8	22.5	4.2	لهم القدرة على فرض الانضباط في الحصص	35.2	33.8	18.3	5.6
يشجعون طلبتهم على النقاش وإبداء الرأي	32.3	29.5	30.9	7.04	امتحاناتهم في متناول طلابهم	25.3	28.1	28.1	16.9
طريقتهم في الأداء مشوقة	7.04	33.8	40.8	19.7	منصفون في تقييم أعمال الطلبة وامتحاناتهم	32.3	29.5	26.7	9.8
يحسنون التعامل مع طلابهم	38	29.5	21.1	11.2	يتابعون الطلبة الذين يشرفون عليهم	21.1	21.1	29.5	15.4
لهم القدرة على التأثير في سلوكات طلابهم	19.7	22.5	42.2	16.9					

أفرز الجدول النتائج الآتية:

أولاً: المحور1- السمات الشخصية:

- حظيت الفقرات التسعة من السمات الشخصية لأساتذة العلوم الإسلامية بتقدير يتراوح بين الجيد والحسن..

ثانياً: المحور2- الاتصال والتواصل:

يتشكل هذا المحور من ست فقرات حظيت أربعة منها بتقدير موجب وهي المتعلقة بالتحكم في لغة الخطاب وإدارة الحوار والتشجيع على إبداء الرأي واحترامه واللباقة في التعامل، بالمقابل حازت فقرتان على تقييم متدني وهما المتعلقتان بالأداء المشوق والقدرة على التأثير في سلوكيات الطلبة.

ثالثا: المحور3- الكفاءات المهنية.

هذا المحور يحوز على نسبة 50٪ من مجموع فقرات التقييم بمجموع 15 فقرة، وقد روعي فيها أن تغطي أربع كفاءات لدى الأستاذ:

- ✓ كفاءة التأهيل والتكوين العلمي لدى الأستاذ.
- ✓ كفاءة التحكم في تقنيات التواصل الحديثة.
- ✓ -كفاءة التقييم.
- ✓ -كفاءة المتابعة والإشراف العلمي.

حظيت اثني عشرة فقرة من هذا المحور بتقدير حسن، وثلاث فقرات حظيت بتقدير ضعيف وهي:

- الاستعانة بالوسائل التقنية الحديثة في الشرح. وهي الفقرة التي سجلت أعلى نسبة سالبة وصلت حد 68.9٪.
- امتحاناتهم في متناول طلابهم، رغم أن تقييمها موجب بنسبة 53.3٪، إلا أن نسبة التقييم السالب التي بلغت 45٪ تثير الانتباه.
- يتابعون الطلبة الذين يشرفون عليهم، 45٪ في مقابل 42٪ يمنحون تقييماً ضعيفاً لأدوار أساتذتهم في الإشراف والمتابعة على مذكراتهم وبحوث تخرجهم.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن متغيرات الجنس والمستوى ومؤسسة الانتماء لم يكن لها أثر يذكر في النتائج.

الفرع الثاني- تحليل نتائج الدراسة:

يستخلص من النتائج بصفة عامة أن مستوى استجابة أساتذة العلوم الإسلامية وتمثلهم لمعايير الجودة التدريسية يتراوح بين الحسن والجيد. لاسيما في المقومات الشخصية والسمات الخلقية، التي تؤهل الأستاذ ليحظى باحترام الطالب والزميل، وتمكنه من إدارة صفه الدراسي بشكل لائق. ولذلك تقل بل تكاد تنعدم الاحتكاكات غير الودية بين الأستاذ والطالب التي باتت تشهدها الجامعة بين الحين والآخر.

كما أظهرت النتائج مستوى جيد في مهارات التواصل وهو نتاج طبيعي لطول الخبرة التدريسية، حيث أظهر استطلاعنا أن قرابة 70٪ من أساتذة العلوم الإسلامية هم من ذوي المصف العالي (أساتذة تعليم عالي ومحاضرون).

أما النقائص الكبرى التي كشفتها الدراسة، وتأتي في قمتها تدني في مستوى المهارة التقنية وهو ما يحول بين الأستاذ وتوظيفه للوسائل السمعية البصرية رغم وفرتها في المؤسسات الجامعية، وهذه الملاحظة يؤكدها استطلاعنا لآراء عينة من أساتذة العلوم الإسلامية عبر خلاله 80٪ منهم على عدم اللجوء للتقنيات الحديثة في عمليات التوصيل والشرح.

وفي غياب الوسائل الحديثة معنى ذلك أن الوسيلة الشائعة هي الإلقاء الشفهي، وهي طريقة رتيبة مملة لا تتمتع - غالبا- بالجاذبية ولذلك لاحظ 60.5٪ من الطلبة أن طريقة أداء أساتذتهم غير مشوقة. وقد كشف استطلاعنا لعينة الأساتذة أن 60 ٪ منهم تفوق أقدميتهم الجامعية 15 سنة، مما يعني أنهم لم يستفيدوا في مراحل تكوينهم من تلك التقنيات.

وهذه المشكلة تبدو في طريقها إلى الحل بعدما أصبحت الجامعة الجزائرية تعتمد تكوينا لفائدة الأساتذة الجدد بمختلف اختصاصاتهم يركز على تداريب ومهارات من جملتها مهارة بناء المواضيع العلمية الموجهة للطالب في قالب تقني، فضلا على أن الجيل الجديد من الطلاب هو جيل تقني بامتياز.

كما أظهرت الدراسة فجوة في عملية تقييم مكتسبات الطلاب، حيث ظهر أن نسبة معتبرة من المستطلعة آراءهم يرون أن امتحانات أساتذتهم ليست في متناولهم، وهذه النتيجة حين مقارنتها بالمزاج العام للطالب الجامعي تبدو منطقية ليس في الجامعة الجزائرية فحسب بل في الجامعات الغربية أيضا، فقد أظهرت دراسة وليام ميلي لتحديد العادات المزعجة التي يلاحظها الطلاب في أساتذتهم والتي استطلع فيها آراء عينة من ثلاث جامعات أمريكية أن اعتماد أسلوب الإلقاء وانخفاض درجات الطلاب من العادات المزعجة[1].

ثمت مشكلة أخرى أحالتنا عليها هذه النتائج وهي أن بحوث الطلاب ومخرجاتهم العلمية لا تحظى بالإشراف الجدي والمتابعة الحقيقية من أساتذتهم، لتخليهم -إهمالاً تارة أو انشغالا بالتزامات إدارية تارة أخرى- عن القيام بالحق الكامل، وهو شرط في غيابه لا يمكن الحديث عن الجودة البحثية.

[1] انظر: أحمد فلوح، مواصفات أساتذة الجامعة من وجهة نظر الطلبة- دراسة ميدانية بجامعة مستغانم، مجلة دراسات نفسية وتربوية، عدد 9 ديسمبر 2012، ص63.

الخاتمة:

إن الجامعة بما تقدمه من وظائف في التفكير والتكوين والتأهيل تظل عصباً للتنمية الشاملة المستدامة، واعتمادها نظم الجودة ومعاييرها مؤشر إيجابي من مؤشرات الكفاءة والتكيف مع متطلبات العصرنة.

وختاما لهذه الدراسة نوثق أهم نتائجها:

1 لا يمكن التطلع للجودة التعليمية الشاملة دون وجود كفاءة وجودة في العنصر البشري المضطلع بالعملية التعليمية والتربوية.

2 تقييم الأداء التربوي لهيئات التدريس يمثل واحدة من ضمانات الجودة، لما يوفره من فرص الوقوف على عناصر القوة التي تثمن، ونقاط الضعف التي تُسطر لها خطط عاجلة ومتوسطة حسب الحالة لمحاصرتها ومعالجتها.

3 إن ما أفرزته هذه الدراسة مطمئن إلى حد كبير بالنظر إلى التقدير الكبير للسمات الشخصية لدى أستاذ العلوم الإسلامية بالنظر لما كشفته بعض الدراسات[1] عن تباين كبير بين صورة أستاذ الجامعة من وجهة نظر الطلاب قبل دخولهم للجامعة وبعد دخولهم في الجوانب الشخصية.

4 الخصائص الأكاديمية لأساتذة العلوم الإسلامية ظفرت بنسبة عامة تفوق 55٪ وهو مؤشر إيجابي إذا ما قورن بما انتهت إليه بعض الدراسات التي حصلت فيها الخصائص الأكاديمية على الرتب الأخيرة.

5 هناك جوانب في العملية التعليمية يتعين على أساتذة العلوم الإسلامية الالتفات إليها، لاسيما تلك المتعلقة بتقنيات التعليم الحديثة وتوظيف الوسائل المبتكرة لتطوير الأداء بما يواكب عصر التقنية، خاصة في ظل التوجه المتسارع للتعليم العالي نحو الرقمنة، والتعليم الإلكتروني.

[1] محمد سكران، الطالب والأستاذ الجامعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،**2001** .

الملحق رقم 1:

أقسام العلوم الإسلامية وتعداد أساتذتها بالجامعة الجزائرية

المؤسسة	تعداد الأساتذة
أساتذة التعليم العالي في الجزائر	57 ألف حسب تصريح الوزير في 22/7/11
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة	300
كلية أصول الدين- جامعة الجزائر	141
كلية العلوم الإسلامية جامعة الحاج لخضر- باتنة	104
كلية الحضارة والعلوم الإسلامية- جامعة وهران	97
كلية العلوم الإسلامية جامعة ادرار	40
كلية العلوم الإسلامية جامعة الوادي	58
قسم العلوم إسلامية جامعة تلمسان	25
قسم العلوم إسلامية جامعة المسيلة	28
قسم العلوم الإسلامية جامعة غرداية	29
قسم العلوم الإسلامية جامعة الأغواط	20
قسم العلوم الإسلامية جامعة البويرة	11
قسم العلوم الإسلامية جامعة تبسة	9
المجموع	862

ملاحظة: تم استقاء تعداد الأساتذة من منتسبين لتلك المؤسسات، مع العلم أن الأساتذة الدائمين لدى كل قسم يمثلون مابين 60 - 70 ٪ من مجموع الأساتذة.

الملحق رقم 2:

نموذج الاستبيان الموجه للأساتذة

البيانات الشخصية:

1- جامعة : _____

2- الجنس: أنثى ☐ ذكر ☐

3- الرتبة:

الأستاذ مساعد	الأستاذ محاضر	الأستاذ تعليم عالي

4- الأقدمية في الجامعة:

أقل من 5 سنوات	بين 5 و10 سنوات	بين 10 و15 سنة	أكثر من 15 سنة

	دائما	غالباً	أحياناً	نادراً
تتسم بالانضباط والتطوير				
حريص على الالتزام بالوقت والمواعيد				
مشارك في أنشطة وبرامج مجتمعية				
ملتزم بالمقرر التعليمي للمقياس المسند إليك				
تنجز المقرر كاملاً في آجاله				
تحيين مادتك العلمية باستمرار				
تستعين في الشرح بالوسائل التقنية الحديثة				
تتسامح في تقييم أعمال الطلبة وامتحاناتهم				
تشعر برضا الطلاب عن أدائك				
تخصص وقتاً لتنمية الطلبة الذين تشرف عليهم				

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1 أحلام هواري وشويخي آمال، تقييم أداء الأستاذ الجامعي في ضوء جودة التعليم العالي من وجهة نظر الطلبة، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد11، ع03، جوان2022.

2 أحمد فلوح، مواصفات أساتذة الجامعة من وجهة نظر الطلبة- دراسة ميدانية بجامعة مستغانم، مجلة دراسات نفسية وتربوية، عدد 9 ديسمبر 2012.

3 سمير جوهاري، تقويم الأداء التدريسي للأستاذ الجامعي في ضوء معايير ضمان جودة التعليم من وجهة نظر الطلاب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، المجلد07، العدد02، جوان2021.

4 صبحي الطويل وماري كوجورو، إعادة النظر في التعلم: ذلك الكنز المكنون- تقييم تأثير تقرير ديلور لعام 1996، مقال على موقع اليونيسكو 2013 https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000220050_ara (تاريخ التصفح 2023/04/19).

5 عز الدين بشقة وأحمد جلول، كفاءة الأستاذ وعلاقتها بجودة العملية التعليمية-دراسة ميدانية لعينة من الطلبة بجامعة باتنة، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، مجلد4، (عدد1) 2020.

6 عساف سعد العجمي، أداء معلمي التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية بدولة الكويت فى ضوء معايير الجودة الشاملة، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، المجلد2021، العدد62، إبريل 2021.

7 علي حميدوش ورابح فضيل، جودة التعليم العالي حالة التجربة الجزائرية، بحث منشور على الشبكة (https://www.enssea.net/enssea/majalat/1907.pdf).

8 محمد الرازي، مختار الصحاح، ضبط د. مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر، ط4، 1990.

9 محمد سكران، الطالب والأستاذ الجامعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،2001 .

10 محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر العربي.

11 مسعودة عجال، مبادئ ومعايير جودة التعليم العالي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد07، العدد27، جوان 2018.

12 مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار الصديقية، الجزائر.

13 خلية ضمان الجودة بجامعة ادرار، الخطة التشغيلية لميدان التكوين 2018.

14 اللجنة الوطنية لتطبيق ضمان الجودة في التعليم العالي CIAQES التي أنشئت بموجب مرسوم تنفيذي رقم 10-167، المرجع الوطني لضمان الجودة الداخلية في مؤسسات التعليم العالي الصادر في 2016.

15 وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (الجزائر)، ميثاق الآداب والأخلاقيات الجامعية. على الرابط= https://www.mesrs.dz/index.php/ethique-deontologie/charte-ethique-et-deontologie-ar

16 موقع منظمة اليونيسكو. https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000220050_ara.

17 موقع ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki.

دور الوالدين في تربية الأبناء وتعليمهم في ضوء القرآن الكريم

الدكتورة فاطمة عبد الغفار إبراهيم الحاج

جامعة القصيم ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

المملكة العربية السعودية

dr.fatmaalhaj@hotmail.com

ملخص البحث:

تناول هذا البحث دور الوالدين في تربية الأبناء وتعليمهم في ضوء القرآن الكريم، وتمثلت أهمية الموضوع في عدة أمور منها: أن تربية الأبناء مسؤولية وأمانة تقع على عاتق الوالدين. وأن في تربية الأبناء استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى. وأن التربية أساس لحفظ الأبناء من الانحرافات لا سيما في وقت كثُرت فيه المغريات والفتن. فالتربية وسيلة لتحسين مستقبل الأبناء وصلاحهم. وهدف البحث إلى: بيان مفهوم التربية، وبيان الأسس التي تبنى عليها تربية الأبناء، ومعرفة أثر التربية على شخصية الأبناء، وبيان صور من تربية الأنبياء عليهم السلام لأبنائهم. والمنهج المتبع في البحث: المنهج الوصفي الاستنباطي وذلك بوصف دور الوالدين في التربية، وتربية الأنبياء لأبنائهم من خلال آيات القرآن الكريم، واستنباط الآثار المترتبة عليها. ويشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع. وتقسيم الخطة على النحو التالي: التمهيد: مفهوم التربية وأهميتها، المبحث الأول: الأسس التي تبنى عليها تربية الأبناء وتحته أربعة مطالب: المطلب الأول: الأساس العقدي، المطلب الثاني: الأساس التعبدي، المطلب الثالث: الأساس الأخلاقي، المطلب الرابع: الأساس التعليمي. المبحث الثاني: نماذج من تربية الأنبياء عليه السلام لأبنائهم وتحته ثلاثة مطالب: المطلب الأول: نوح عليه السلام مع ابنه، المطلب الثاني: إبراهيم عليه السلام مع ابنه، المطلب الثالث: يعقوب عليه

السلام مع ابنه. المبحث الثالث: آثار التربية الناجحة على الأبناء وتحته مطلبان: المطلب الأول: الآثار الفردية، المطلب الثاني: الآثار الاجتماعية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ومن أهم النتائج: تنشئة أجيال صالحة قادرة على تحقيق العبودية على أكمل وجه. واستحباب دعاء الوالدين بالذرية الصالحة، تقوية العلاقة بين الوالدين والأبناء، الاقتداء بالأنبياء والصالحين في تربية الأبناء، الارتقاء بخدمة المجتمع ونهضته.

ومن التوصيات: الاهتمام بتربية الأبناء التربية الصالحة المستمدة من الكتاب والسنة، وتوجيه الأبناء من الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة بما يعود بالنفع عليهم على مجتمعهم وتحذيرهم من الوسائل التي تبث الأفكار السيئة التي تؤثر على عقيدتهم وأخلاقهم.

الكلمات المفتاحية: الوالدان ـ الأبناء ـ تربية. آثار.

The role of parents in raising and teaching children in light of the Holy Qur'an

Dr. Fatima Abdel Ghaffar Ibrahim Al-Hajj

Abstract:

This research dealt with the role of parents in raising and teaching children in light of the Holy Qur'an. The importance of the topic was represented in several things: Raising children is the responsibility of the parents. Raising children is a response to the command of Allah, Almighty. Education is the basis for protecting children from deviations, especially at a time when temptations abound. Education is a means to improve the future and well-being of children. The research aims to explain the concept of education, explain the foundations on which raising children is built, know the impact of education on the personality of children, and explain pictures of the Prophets' upbringing of their children, peace be upon them. The method used in the research: the descriptive-deductive method, by describing the role of parents in education, and the prophets' upbringing of their children through the verses of the Holy Qur'an and deducing their implications. The research includes an introduction, a preface, three sections, a conclusion, and an index of sources and references. The plan is divided as follows: Introduction, which is about the concept of education and its importance. The first section is the foundations upon which the upbringing of children is built, which consists of four parts. The first part is the doctrinal basis. The second is the devotional basis. The third is the moral basis. The fourth is the educational basis. The second section is about the examples of the prophets, peace be upon him, raising their children which includes three parts: The first part is about Noah, peace be upon him, with his son. The second part is Abraham, peace be upon him, with his son. The third part is Jacob, peace be upon him, with his son. The third section is the effects of successful upbringing on children which consists of two parts: The first part is Individual effects, and the second part is social effects. The third is the conclusion which contains the most important results and recommendations. The most important result is raising good generations capable of achieving servitude to the fullest. Parents should pray for good offspring, strengthen the

relationship between parents and children, follow the example of the prophets and righteous people in raising children, and improve community service and its renaissance. The recommendations: paying attention to raising children in a reasonable manner derived from the Qur'an and Sunnah, directing children to benefit from modern technological means in a way that will help them and their society, and warning them of means that spread bad ideas that affect their faith and morals.

Keyswords: Parents - Children - Education. Antiquities.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد، فإن الأبناء زينة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:46]، ولا يكونون زينة وجمالًا ما لم يكونوا صالحين أخيارًا، وقد أوجبت الشريعة الإسلامية على الآباء أن يحسنوا تربية أبنائهم ورعايتهم، وأوجب الله على الوالد أن يقيَ أهله من النار، ولا يكون ذلك إلا بالتربية الصالحة، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:6]. والأولاد أمانة عند الوالدين، كلَّفهما الله بحفظها ورعايتها، وأوصاهما بتربيتهم تربية صالحة في دينهم ودنياهم، فهما مسئولان بين يدي الله عن تربية أبنائهم، قال عليه الصلاة والسلام: "كلكم راع وكلكم مسئول، فالإمام راع وهو مسئول، والرجل راع على أهله وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول"(1)، وصلاح الأولاد لن يكون إلا بالاعتناء بتربيتهم، وحسن تعليمهم. ولأهمية هذا الموضوع رأيت أن أكتب فيه ورقة علمية بعنوان" دور الوالدين في تربية الأبناء وتعليمهم في ضوء القرآن الكريم".

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول السؤال الرئيس لهذه الدراسة وهو:

ما دور الوالدين في تربية الأولاد وتعليمهم؟

ويتفرع عنه الأسئلة التالية:

. ما مفهوم التربية، وما أهميتها؟

. ما الأسس التي تبنى عليها تربية الأبناء في القرآن الكريم؟

---

(1) أخرجه البخاري . باب . {قوا أنفسكم وأهليكم نارا} [التحريم: 6]27/6، ح5188.

.ما أثر التربية الناجحة على بناء شخصية الأبناء؟

.كيف ربى الأنبياء أبنائهم؟

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية الموضوع لعدة أمور منها:

.أن تربية الأبناء مسؤولية وأمانة تقع على عاتق الوالدين.

.أن في تربية الأبناء استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى.

.أن التربية أساس لحفظ الأبناء من الانحرافات لا سيما في وقت كثُرت في المغريات والفتن.

.التربية وسيلة لتحسين مستقبل الأبناء وصلاحهم.

أهداف البحث:

.بيان مفهوم التربية وأهميتها.

.بيان الأسس التي تبنى عليها تربية الأبناء في القرآن الكريم.

.معرفة أثر التربية الناجحة على بناء شخصية الأبناء.

.ذكر نماذج من تربية الأنبياء عليهم السلام لأبنائهم.

منهج البحث:

المنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي الاستنباطي وذلك بوصف دور الوالدين في التربية من خلال آيات القرآن الكريم، واستنباط الآثار المترتبة عليها.

إجراءات البحث:

1.كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع ذكر السورة ورقم الآية في المتن.

2ـ تخريج الأحاديث بعزوها إلى الصحيحين إن كان فيهما، أو في أحدهما، وإن كان في غيرهما فبعزوها إلى مصدرها مع بيان حكم أهل العلم فيها إن وجد.

3.توثيق النقول من مصادرها الأصلية.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة اشتملت على: مشكلة البحث، وأهمية الموضوع، وأهداف البحث، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: مفهوم التربية وأهميتها.

المبحث الأول: الأسس التي تبنى عليها تربية الأبناء وتحته أربعة مطالب.

المطلب الأول: الأساس العقدي.

المطلب الثاني: الأساس التعبدي.

المطلب الثالث: الأساس الأخلاقي.

المطلب الرابع: الأساس التعليمي.

المبحث الثاني: نماذج من تربية الأنبياء عليهم السلام لأبنائهم وتحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: نوح عليه السلام مع ابنه.

المطلب الثاني: إبراهيم عليه السلام مع ابنه.

المطلب الثالث: يعقوب عليه السلام مع ابنه.

المبحث الثالث: آثار التربية الناجحة على الأبناء.

المطلب الأول: الآثار الفردية

المطلب الثاني: الآثار الاجتماعية.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: مفهوم التربية وأهميتها

أولاً: مفهوم التربية

أ/ التربية لغة:

قال الأزهري:" وربَّيْت فلَانا أُرَبِّيه تَرْبِيةً، وتَرَبَّيْته، ورَبَيْته، ورَبَّيته، بِمَعْنى وَاحِد"(1)

وقيل: رب ولده أي أحسن القيام عليه ووليه حتى أدرك وفارق الطفولية(2)

تبين من خلال التعريفات اللغوية أن التربية هي: تولي الابن ورعايته وإصلاحه.

ب/ التربية اصطلاحاً:

عُرفت التربية بتعريفات كثيرة منها:

قيل: التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام(3).

وقيل: هي إعداد الفرد أو الكائن الإنساني لحياته في الدنيا والآخرة(4).

وقيل: تنشئة وتكوين إنسان سليم مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة، من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية، والروحية الاعتقادية، والإدارية والإبداعية "(5).

فتبين من خلال التعريفات: أن التربية هي عملية تهذيب للسلوك، وتنمية للقدرات حتى يصبح الفرد صالحاً للحياة، وهي عملية تغذية، وتنشئة دينية، وتنمية روحية وخلقية وجسدية وعاطفية.

---

(1) تهذيب اللغة للأزهري (198/15)، ينظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (1286/1).

(2) ينظر: تاج العروس (464/2).

(3) المفردات للراغب (1م336)، وينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (28/1).

(4) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها لعاطف السيد (17/1).

(5) كيف تربي ولدك لليلى الجريبة (6/1).

أهمية التربية:

إن التربية من أفضل الأعمال وأقرب القربات، فهي دعوةٌ، وتعليمٌ، ونصحٌ، وإرشادٌ، وعملٌ، وقدوةٌ، ونفعٌ للفرد والمجتمع، وكيف لا تكون من أعظم الأعمال وأجلّها وهي مهمة الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿هو الذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:2]

إن الأبناء أمانة ومسئولية، وقد دلت الآيات والأحاديث على أهمية تربية الأبناء، قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:6]، قال قتادة رحمه الله: "تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت معصية قذعتهم عنها، وزجرتهم عنها "(1)، وقال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور:21].

وهذا من تمام نعيم أهل الجنة، أن ألحق الله بهم ذريتهم الذين لحقوهم بالإيمان فصارت الذرية تبعا لهم بالإيمان، ومن باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم، يلحقهم الله بمنازل آبائهم في الجنة وإن لم يبلغوها، جزاء لآبائهم، وزيادة في ثوابهم(2)، وقال ابن عاشور:" وكون الذريات آمنوا بسبب إيمان آبائهم لأن الآباء المؤمنين يلقنون أبناءهم الإيمان"(3). أراد الله أن يلحق الأبناء بالآباء في الجنة حتى يحصل الاجتماع في الآخرة كما حصل في الدنيا.

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (188/8)

(2) تيسير الكريم المنان للسعدي (815/1).

(3) التحرير والتنوير (48/27).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسئول، فالإمام راع وهو مسئول، والرجل راع على أهله وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول"(1).

ومن أهمية التربية الصالحة على الأبناء: تأثيرها عليهم وجعلهم أشخاص نافعين لأنفسهم، وأكفّاء في مجتمعهم؛ وذلك بزرع القيم المجتمعية الأساسية النبيلة؛ كالتنشئة الاجتماعية، والثقة بالنفس، والاحترام المتبادل، والمسؤولية، والتعليم، والعمل الجادّ، والمودّة، والرحمة، والتسامح.

(1) سبق تخريجه (ص1).

المبحث الأول: الأسس التي تبنى عليها تربية الأبناء

المطلب الأول: الأساس العقدي

العقيدة الصحيحة هي أصل دين الإسلام، وأساس الملة، وتوحيد الله عز وجل توحيد شرعه - علمًا وقولًا وعملًا.

قال سبحانه وتعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة:285] الآية، وقال سبحانه :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:136].

وترسيخ العقيدة في قلوب الأبناء بتعليمهم كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، ومقتضياتها ومعانيها، وتأسيس العقيدة الصحيحة في قلوب الأبناء أمر بالغ الأهمية في منهج التربية؛ لذلك اهتم القرآن الكريم بتربيتهم على عقيدة التوحيد منذ طفولتهم، وقد ظهر ذلك جلياً في حرص الأنبياء على تربية أبنائهم فضربوا أعظم مَثَل في تربيتهم وتعليمهم العقيدة الصحيحة فإبراهيم عليه السلام حرص كل الحرص على تربية أبنائه على هذا المبدأ العظيم مبدأ التوحيد وتجلى ذلك في دعوته، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: 35]، أي: أبعدني وبني من عبادة الأصنام(1)،وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:128] أي: خاضعين لأمرك، مستسلمين لك، لا نشرك معك في الطاعة أحداً، وكذلك من ذريته أمة مسلمة يقتدى بها(2) فكان هذا أسلوبَ إبراهيم عليه السلام في تربية أبنائه على عبادة الله وحده والتحذير

---

(1) جامع البيان للطبري (687/13)، أنوار التنزيل للبيضاوي (200/3)، ينظر تيسير الكريم المنان للسعدي (426/1).

(2) ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (443/1).

من الشرك بعبادة الأصنام، وامتد هذا الأسلوب التربوي إلى ذريته حيث قال يعقوب عليه السلام وهو على فراش الموت موصياً أبناءه، قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: 133]. فقال يعقوب لبنيه على وجه الاختبار، ولتقر عينه في حياته بامتثالهم ما وصاهم به: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾؟ فأجابوه بما قرت به عينه فقالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ فلا نشرك به شيئا، ولا نعدل به أحدا، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، فأروه ثبوتهم على الدين ومعرفتهم بالله تعالى (1). تدل هذه الآية على أن يعقوب عليه السلام كان حريصاً كل الحرص على تربية أبنائه؛ فيوصيهم في اللحظة الأخيرة من حياته بتوحيد الله ولم يوص بمال ولا بشيء آخر. وهذا نهج المرسلين ودأب الصالحين في تربية أبنائهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13] يوصي لقمان ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا، ثم قال محذرا له: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ أي: هو أعظم الظلم(2)، وزاد الشوكاني: "وبدأ في وعظه بنهيه عن الشرك لأنه أهم من غيره"(3).

فلقمان يحذر ابنه من الشرك ويصفه بأنه ظلم عظيم فهو أعظم ذنب عُصي الله به وهو أكبر الكبائر ومن مات عليه خلد في النار والعياذ بالله.

فالتوحيد يقوي اليقين بالله ويجعل القلوب تتعلق بخالقها وبارئها وحده، ترجو رحمته وتخشى عذابه، وتهون الدنيا كلها في ذات الله، فلا يملك أحد ضرا ولا نفعا إلا بإذن الله وعلى ما جرت به مشيئته وأقداره، وهو من لوازم العقيدة الصحيحة التي ينبغي على الوالدين غرسها في قلوب الأبناء وتجنب كل ما ينافيها من الأعمال

---

(1) ينظر: تفسير مقاتل (140/1)، المحرر الوجيز لابن عطية (214/1)، تيسير الكريم المنان للسعدي (66/1).

(2) تفسير القرآن لابن كثير (336/6).

(3) فتح القدير للشوكاني (273/4).

الشركية كالحلف بغير الله، والاستعانة والاستغاثة بغير الله، ولا يصرف عبادته إلا لله وحده لا شريك له، لا إله غيره ولا رب سواه، ولا معبود بحق إلا هو، بيده ملكوت كل شيء وهو الواحد القهار.

ويدخل في الأساس العقدي تعليمهم مراقبة الله في السر والعلن، فهي منزلة عظيمة من منازل العبودية لله رب العالمين، ومراقبة الله في السر والعلن طريق إلى الجد والاجتهاد في الطاعات والقربات، ووقاية من الوقوع في الفواحش والمنكرات، وأن يكون العبد على علم ويقين أن الله تعالى ناظر إليه، سامع لقوله، مطلع على ظاهره وباطنه، عالم بسره وعلانيته، لا يخفى عليه شيء من أقواله وأفعاله، لا يغيب عنه شيء من أحواله وخواطره.. فهو سبحانه وتعالى العليم الخبير، السميع البصير، الرقيب الشهيد، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:4]. وجاء في القرآن على لسان لقمان موصياً ابنه بمراقبة الله، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:16] مخبراً عن لقمان بقوله لابنه يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إن تك زنة حبة من خردل من خير أو شر من حسنة أو سيئة فتكن في صخرة أو في السَّماوات أو في الأَرض، فإنه يعلمها إذ هو يعلم الغيب والشهادة، ويحاسب عليها ويجزي بها، وإِنَّ اللهَ لَطِيفٌ باستخراجها وخَبِيرٌ بموضعها؛ وعليه فاعمل الصالحات واجتنب السيئات، وهذه الآية دلت على جزاء الله العادل الرحيم(1)

وهذا القول من لقمان قصد به أمراً مهماً ألا وهو إعلام ابنه بقدرة الله تعالى، ووجوب مراقبته تعالى في الحركات والسكنات وكافة الأحوال والأعمال؛ لأنه لا تخفى عليه خافية لا في الارض ولا في السماء.

فمراقبة الله في السر والعلن دليل على قوة إيمان العبد بالله عز وجل، وباسمه الرقيب الذي هو اسم من أسمائه الحسنى الدالة على عظمته وجلاله وكماله، فهو الرقيب الذي لا يغيب عنه شيء من أمور خلقه،

(1) ينظر: التفسير الواضح (49/3)، أيسر التفاسير للجزائري (208/4).

الحفيظ الذي لا يغفُل، الحاضر الذي لا يغيب، العليم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة من أحوال خلقه، يرى أحوال العباد، ويُحصي أعمالهم، ويُحيط بمكنونات سرائرهم، فهو مطلع على الضمائر، شاهد على السرائر، يعلم ويرى، ولا يخفى عليه السر والنجوى، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:1]، فإذا تعلم الأبناء مراقبة الله في السر والعلن تكون طريقهم إلى الجد والاجتهاد في الطاعات والقربات، ووقاية من الوقوع في الفواحش والمنكرات حيث لا يضيعون الفرائض، ولا يتركون الواجبات، بل يجدوا ويجتهدوا فيما يرضي الله عز وجل من صالح الأعمال، فإن استحضر الابن مراقبة الله لا يحتاج إلى مراقبة أحد من الناس؛ لأن الله تعالى أعظم في قلبه من كل أحد، وأكبر عنده من كل أحد، يُتقن عمله ويُحسنه، ويجتنب كل ما حرم الله، تقربا إليه، وتعظيماً ومحبةً له، وحياء منه، وطلبا لمرضاته، وخوفا من عذابه.

المطلب الثاني: الأساس التعبدي

العبادة "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة؛ وبر الوالدين وصلة الأرحام ...." (1) وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(2)، وزاد السعدي: "فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال، والتروك فهو عبادة، ولهذا كان تارك المعصية لله متعبداً متقرباً إلى ربه بذلك"(3).

فعلى الوالدين تربية أبنائهم على جميع العبادات: الصلاة والصيام والزكاة والحج وبر الوالدين وغيرها من العبادات، وفي هذا المقام سأتحدث عن بعض العبادات منها: عبادة الصلاة التي هي الصلة المباشرة بين العبد وربه والصلاة هي أساس إيمان العبد، وهي أحد أركان الإسلام الخمسة وأنها تنهى عن الفحشاء

(1) مجموع الفتاوى (149/10).

(2) المرجع السابق (150/10).

(3) تيسير اللطيف المنان للسعدي (361/2).

والمنكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:45]، ونظرًا إلى مكانة الصلاة الكبيرة عند الله فإنه يجب أن يحرص الوالدين على تعليمها وغرسها في نفوس أبنائهم منذ الصغر. وقبل تعليمهم لها الدعاء لهم كما فعل إبراهيم عليه السلام، قال تعالى:﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ اجعل من ذريتي من يقيم الصلاة، ثم سأل الله سبحانه أن يتقبل دعاءه وقيل: المراد بالدعاء هنا العبادة، فيكون المعنى وتقبل عبادتي التي أعبدك بها(1)، وقد حثّ النبي -صلى الله عليه وسلم- الوالدين على أمر الأطفال بالطاعات وتعوديهم عليها قال صلى الله عليه وسلم: " مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ "(2)، وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:132] أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة وتمثيلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها ويتكفل هو برزقه لا إله إلا هو، وأخبره أن العاقبة الأولى التقوى وفي حيزها فثم نصر الله في الدنيا ورحمته في الآخرة، وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، ويدخل في عمومه جميع أمته(3)، وقص الله في القرآن عن تربية إسماعيل عليه السلام لأهله وأولاده فقال تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم:55]. قال السعدي: "كان مقيما لأمر الله على أهله، فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وبالزكاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد، فكمل نفسه، وكمل غيره، وخصوصا أخص الناس عنده وهم أهله، لأنهم أحق بدعوته من غيرهم"(4).فالأمر بالصلاة مهم جداً في تربية الأبناء؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتزكي الإنسان من الدنس والخطايا.

---

(1) فتح القدير للشوكاني (136/3).

(2) أخرجه أبي دواد في سننه ـ باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، (33/1)، ح (495). حكم الألباني: (صحيح).

(3) المحرر الوجيز لابن عطية (71/4)، وينظر: تفسير السمرقندي (418/2)، البحر المحيط في التفسير (401/7)، تفسير القرآن لابن كثير (327/5)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (519/6).

(4) تيسير الكريم المنان للسعدي (496/1).

وقال تعالى على لسان لقمان واعظاً لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ [لقمان :17] قال ابن عاشور: " انتقل من تعليمه أصول العقيدة إلى تعليمه أصول الأعمال الصالحة فابتدأها بإقامة الصلاة، والصلاة التوجه إلى الله بالخضوع والتسبيح والدعاء في أوقات معينة في الشريعة التي يدين بها لقمان، والصلاة عماد الأعمال لاشتمالها على الاعتراف بطاعة الله وطلب الاهتداء للعمل الصالح. وإقامة الصلاة إدامتها والمحافظة على أدائها في أوقاتها"(1).

فالصلاة أمرها عظيم فإذا تعلمها الأبناء وحافظوا عليها فإنها تكسبهم السكينة والطمأنينة والاستقرار، وراحة النفس وتنهاهم عن الفحشاء والمنكر وتكون لهم حصن من فتن الشبهات والشهوات والمغريات، وينعكس هذا الأثر على المجتمع فتعودهم على الاجتماع والتكافل والتعاون والإيثار والاحساس بالغير ويكونوا أناس فاعلين ومؤثرين في المجتمع.

ومن العبادات التي يجب على الوالدين تعليمها للأبناء وتربيتهم عليها: بر الوالدين.

لما أمر سبحانه بالقيام بحقه وهو عبادته وعدم الشرك به الذي من لوازمه القيام بالتوحيد، أمر بالقيام بحق الوالدين قال تعالى:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء:23ـ24]: بعد أن أمر الله سبحانه بإفراده بالعبادة أمر بالقيام بحق الوالدين بالإحسان إليهما بجميع الوجوه القولية والفعلية لأنهما سبب وجود العبد ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه والقرب ما يقتضي تأكد الحق ووجوب البر، وأمر بالتلطف بهما بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما وتطمئن به نفوسهما، لا سيما إذا وصلا إلى السن التي تضعف فيها قواهما ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف والتواضع لهما ذلاً ورحمة احتسابا للأجر، ونهى أذيتهما بأدنى أذية، والدعاء لهما

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور (164/21).

بالرحمة أحياء وأمواتا؛ جزاء على تربيتهما وأنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق(1)، وأنه تعالى أسبق منته على عباده إذ أوصى الأبناء ببر الآباء، وجاء برهما وطاعتهما وشكرهما مقرون مع شكر الله تعالى فهذا يدل على عظيم حقهما، قال تعالى على لسان لقمان موصياً ابنه ببر الوالدين وطاعتهما، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: 13 ـ15] وأمر الإنسان ببرّ والديه والإحسان إليهما، حَمَلَتْه أمه ضعفًا على ضعف، وحمله وفِطامه عن الرضاعة في مدة عامين، وقلنا له: اشكر لله، ثم اشكر لوالديك، إليَّ المرجع فأُجازي كُلا بما يستحق. وإن جاهدك -أيها الولد المؤمن- والداك على أن تشرك بي غيري في عبادتك إياي مما ليس لك به عِلم، أو أمراك بمعصية مِن معاصي الله فلا تطعهما؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحبهما في الدنيا بالمعروف فيما لا إثم فيه(2).

فتبين من خلال الآيتين السابقتين: أنه يجب أن يربى الوالدان أبنائهم على برهما و طاعتهما ، وأن يكون أساس العلاقة بين الطرفين التقدير والاحترام. ويجب على الوالدين اعانة أبنائهما على برهما، بأن يكونا متحابين متفاهمين ومتعاونين على تربيتهم، يعلمهم أباءهم كيف يبروا أمهاتهم، وتعلمهم أمهاتهم كيف يبروا أباءهم، وألا يفرقا بين الأبناء في المعاملة وفي العطية، وألا يفضلا أحد الأبناء على أخوته بسبب صغر سنه أو مرضه؛ لأن هذا من شانه يولد الحقد والضغائن بين الأخوة مما ينعكس سلبا على العلاقة بين الوالدين والأبناء، وألا يثقلا عليهم بالأوامر، بل يجب الحديث معهم حال الصفاء فيكون أجدر بتقبل النصح، لأن اللوم والتوبيخ والضرب يولد العناد، والشعور بالضعف والدونية لدى الأبناء. إضافة إلى أن هذه الطاعة يجب ألا تتجاوز المباحات، فلا يطيع الولد أبويه في الكبائر والمحرمات والمنكرات لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق،

(1) ينظر تيسير الكريم المنان للسعدي (456/1).

(2) التفسير الميسر (412/1).

خاصة إذا كانا مشركين يأمرانه بالشرك فلا طاعة لهما في ذلك، لكن لا يسقط حقهما في المعاملة الحسنة والصحبة الطيبة. وكذلك من الواجبات التي يجب أن يُربى عليها الأبناء تعلمهم الشكر للوالدين، ويكون ذلك بعد الإيمان بالله تعالى وحده وشكره ، ولهذا جعل لقمان الشكر للوالدين بعد شكر الله عز وجل والايمان به اعترافا بحقوقهما ووفاء بمعروفهما(1)

ومن العبادات التي يجب على الوالدين تعليمها للأبناء وتربيتهم عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المعروف في الشرع: كل ما يعرفه الشرع ويأمر به ويمدحه ويثني على أهله، ويدخل في ذلك جميع الطاعات، وفي مقدمتها توحيد الله عز وجل والإيمان به والمنكر في الشرع: كل ما ينكره الشرع وينهى عنه ويذمه ويذم أهله، ويدخل في ذلك جميع المعاصي والبدع، وفي مقدمتها الشرك بالله عز وجل وإنكار وحدانيته أو ربوبيته أو أسمائه أو صفاته. وذكر المفسرين عدة تعاريف للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها: "المعروف هو الطَّاعة والخيْر، والمنكر هو الشّرك والمعصية وما لا يعرف في الشَّرع"(2)، وقيل: "المعروف اسم جامع، لكل ما عرف حسنه، من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والمنكر هو: كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة"(3)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ على كل فرد بحسب قدرته وطاقته، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران : 104]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"(4)

(1) ينظر: معالم اصول التربية الاسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، لعبد الرحمن الانصاري.

(2) معالم التنزيل للبغوي (383/4).

(3) تيسير الكريم المنان للسعدي (343/1).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه ـ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ـ (69/1)، ح (49).

وورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها: قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:110]. تأمرون بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بشرائعه وتنهون عن الشرك بالله وتكذيب رسوله، وعن العمل بما نهى عنه(1) وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: 71] قال ابن عطية:" وقوله يأمرون بالمعروف يريد بعبادة الله وتوحيده وكل ما اتبع ذلك، وقوله عن المنكر يريد عن عبادة الأوثان وكل ما اتبع ذلك"(2).

وورد على لسان لقمان موصياً ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان:17] وقد شمل الأمر بالمعروف الإتيان بالأعمال الصالحة كلها على وجه الإجمال ليتطلب بيانه في تضاعيف وصايا أبيه كما شمل النهي عن المنكر اجتناب الأعمال السيئة كذلك. والأمر بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يقتضي إتيان الأمر وانتهاءه في نفسه لأن الذي يأمر بفعل الخير وينهى عن فعل الشر يعلم ما في الأعمال من خير وشر، ومصالح ومفاسد، فلا جرم أن يتوقاها في نفسه بالأولوية من أمره الناس ونهيه إياهم. فهذه كلمة جامعة من الحكمة والتقوى، إذ جمع لابنه الإرشاد إلى فعله الخير وبثه في الناس وكفه عن الشر وزجره الناس عن ارتكابه.(3)

تبين مما تقدم من الآيات ضرورة الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كونه أساس من أسس صلاح الإنسان والمجتمع، كما أن ممارسته توقظ الضمير فتجعل الآمر بالمعروف يأتيه، والناهي عن المنكر ينتهي عنه وإذا تعاون الناس على ذلك لانتشرت الفضائل ومكارم الأخلاق، واندثرت الرذائل. ومما لا شك فيه ان

(1) جامع البيان للطبري (105/7).

(2) المحرر الوجيز لابن عطية (58/3).

(3) التحرير والتنوير (165/21)، ينظر: جامع البيان للطبري (348/14).

الله عز وجل جعل أمة محمد صلى الله عليه و سلم خير أمة اخرجت للناس، والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر مناط هذه الخيرية؛ لذا يجب على كل مسلم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر طاقته حفاظا على المجتمع من المزالق و الانحرافات، فإن علم الوالدين أبنائهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و معرفة طرقه ووسائله، فانهم ينشؤا على هذا حاملين هم الصلاح وهم الدعوة و هداية الأمة، حريصين على الإتيان بالمعروف وعلى الانتهاء عن المنكر(1).

المطلب الثالث: الأساس الأخلاقي

عرف بعض الباحثون الأخلاق في الإسلام: "مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"(2) والمسلمون يستقون مصادر الأخلاق من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للأخلاق، والآيات في ذلك كثيرة: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

والرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من تخلق بأخلاق القرآن الكريم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان خلقه القرآن"(3).قال ابن كثير: "ومعنى هذا أنه قد ألزم نفسه ألا يفعل إلا ما أمره به القرآن، ولا يترك إلا ما نهاه عنه القرآن، فصار امتثال أمر ربه خلقاً له وسجية، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين"(4) ومدحه ربه قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]، وقال صلى الله عليه وسلم:" إنما بعثت لأتمم

(1) ينظر فقه تربية الأبناء لمصطفى العدوي (204).

(2) موسوعة الأخلاق الإسلامية ـ إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف . (9/1).

(3) أخرجه احمد في مسنده (183/42)، ح (25302).

(4) الفصول في السيرة لابن كثير (264/1).

صَالِحَ الْأَخْلَاقِ "(1)، إِنَّ من أَهمّ الغايات الَّتي يجب أَن يسعى إِليها الوالدين فِي تربِية الأبناء: تربيتهم على الْأَخلاق الفاضلة، وورد في القرآن آيات تحث على تربيتهم على الأخلاق الفاضلة وتنهاهم عن الأخلاق السيئة، قال تعالى على لسان لقمان واعظاً ابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان 18-19] في هذه الآيات انتقل لقمان بابنه إلى الآداب في معاملة الناس فنهاه عن التكبر على الناس، واحتقارهم والتفاخر عليهم، وهذا يقتضي أمره بإظهار مساواته مع الناس وعد نفسه كواحد منهم، والكبر خصلة ذميمة نهى عنها الله ورسوله الكريم قال صلى الله عليه وسلم:" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر "(2) والمتكبر يميل وجهه عن الناس متكبرا عليهم معرضا عنهم، ويفهم من الآية أن المتكبر لا ينال ما أراد من العظمة والرفعة، وإنما يحصل له نقيض ذلك. وصرح تعالى بهذا المعنى في قوله: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: 56]، وأن عواقبه سيئة وبُين ذلك في مواضع كثيرة فمنها أنها سبب لصرف صاحبه عن فهم آيات الله، والاهتداء بها كما في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف 146]. ومن ذلك أنه من أسباب الثواء في النار كما في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 60]، وعدم حب الله للمتكبر قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، وأمره بالاعتدال والتواضع في المشي، وغض الصوت وخفضه أدباً مع الله ومع الناس، ونهاه عن رفعه وبين في رفعه نكارة تشبيهاً بصوت الحمير. فكل وصية وصى بها لقمان ابنه يقرن بها ما يدعو إلى فعلها، إن كانت أمرا، وإلى تركها إن كانت نهيا، فنهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر، والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات(3).

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد . باب حسن الخلق، (104/1)، ح (273)، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه . باب تحريم الكبر وبيانه، (93/1)، ح (91).

(3) ينظر: تفسير أضواء البيان للشنقيطي (180/6)، تيسر الكريم المنان للسعدي (648/1).

ومن الأخلاق التي يربي عليها الوالدين أبنائهم : الصبر وعرفه ابن القيم "هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها"(1): وقال كذلك هو:" حبس النفس عن محارم الله، وحبسها على فرائضه، وحبسها عن التسخط والشكاية لأقداره"(2). والصبر من الأخلاق الفاضلة التي حث عليها القرآن.

والصبر أجره عظيم فوعد الله الصابرين أن يوفيهم اجرهم بغير حساب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]، ووعد الله الصابرين الذين يصبروا على تقوى الله بالفلاح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]. وورد في القرآن حث الأبناء على الصبر وجاء ذلك على لسان لقمان لابنه موصياً له على الصبر، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان:17]

وقد حث لقمان ابنه على الصبر على ما يصيبه وأعقبه بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجه ذلك التعقيب الاشارة لملازمة الصبر لهما؛ إذ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يجران للقائم بهما معاداة من بعض الناس أو أذى من بعض فإذا لم يصبر على ما يصيبه من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو شك أن يتركهما(3).

لذا ينبغي على الوالدين تربية الأبناء على الصبر منذ الصغر وتعويدهم عليه وذلك بأن يحكموا عقولهم ويضعوا الأشياء في مواضعها ويتصرفون باتزان، ولا يجزعوا عند البلاء والمشاكل، بل يفوضوا امورهم لله ويقدمون الأسباب مخلصين النية لله ويكونوا صابرين على أذى الناس، لا يغضبون لأنفسهم فيسلموا من الحقد والغل ومشاعر الكره والانتقام التي تضرهم ولا تنفعهم، وتذكيرهم بأن هذا الخلق يجعل صاحبه

(1) عدة الصابرين: ص (34).

(2) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (18/1).

(3) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (165/21).

مطمئناً دائماً، نافعاً لنفسه ولغيره وناهضاً بمجتمعه. بالإضافة للأجر العظيم الذي وعد الله به الصابرين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

المطلب الرابع: الأساس التعليمي

التعليم هو الوسيلة الوحيدة التي تقود الفرد لتحقيق أهدافه فالتعليم يجعل الفرد قادراً على الإبداع والابتكار، وللعلم قيمةٌ ومَنزلةٌ كبيرةٌ في الإسلام، والعلم هو سر التربية قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا"﴾ [طه:114]، والإنسان لا يستطيع إعمار الأرض وتحقيق الخلافة فيها، ولا يستحق التكريم والتفضيل إلا بالتربية الرفيعة التي ينالها بالعلوم الهامة التي تعلمها.

وقد وردت آيات قرآنية كثيرة تحث على العلم ومن أهمها تعليمهم نعمة الحواس واستعمالها في مرضاة الله والجوانب المفيدة وعدم استعمالها في المحرمات والمحافظة عليها، ونعلمهم أنهم مسؤولون عنها أمام الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾ [الإسراء:36] فقد نهانا الله في هذه الآية عن اتباع ما لا نعلمه، وبين أن العلم يأتي بطريق السمع والبصر والفؤاد ومسؤولية الإنسان عن عقله وحواسه تقتضي منه المحافظة عليها واستخدامها فيما خلقت لأجله.

وانطلاقاً من أهمية العلم وضرورته يجب على الوالدين أن يعلموا أبناءهم العلوم النافعة التي تنفعهم في دينهم ودنياهم، وأفضل ما يُعلم الأبناء قبل كل علم بعد استقامة ألسنتهم هو القرآن الكريم؛ لأنه حبل الله المتين، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن تمسك به لم يضل. ثم بعد ذلك يُعلِّمهم السنة النبوية على قدر تحملهم وطاقتهم، وهذان الأصلان العظيمان هما أساس الدين ومصدره، وتعليمهم الأحكام والعبادات، والمعاملات، والآداب، وقد وصف الله تعالى الذين يتعلمون ويعملون به بالعلماء قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:28].

وكذلك يجب على الوالدين أن يعلموا أبناءهم كل ما يحتاجونه في دنياهم ما داموا في حاجة إليه، والناظر إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ما يشير إلى ذلك، فمن المهن التي ذكرت في القرآن: في الحساب قال تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء:12].

وفي الصناعات الحديدية، يقول الله تعالى في شأن داود ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء:80]. والهندسة والبناء، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبأ:13]. والغوص في البحار، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ [الأنبياء:82]. والنجارة، قال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود:37]. والأسفار وما فيها من مهن قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا [الملك:15]. وقال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل:20].

وتعليم العلوم العسكرية وسد الثغور، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال:60]، فهذه أمثلة لبعض العلوم والمهن التي يمكن للأبناء أن يتعلموها؛ لينفعوا بها أنفسهم ومجتمعهم.

المبحث الثاني: نماذج من تربية الأنبياء عليهم السلام لأبنائهم

أن القرآن يعتني بهداية الإنسان منذ طفولته بل من قبل وجوده، ولذلك يحث الآباء على الدعاء بالولد الصالح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:74] ويأمرهم بالاقتداء بالأنبياء في تربية أولادهم.

وقد قص علينا القرآن الكريم بعضاً من سير الأنبياء في تربية أولادهم، مثل نوح وإبراهيم ويعقوب وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الأول: نوح عليه السلام مع ابنه

نوح عليه السلام كان نبياً ورسولاً، وهو من أولي العزم من الرسل، وكان عبداً شكوراً، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:3] يحمد الله في كل شأنه، ويعبده بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية، وقد أرسله الله إلى قومه لينذرهم من عاقبة انحرافهم وكفرهم بالله، ويدعوهم لعبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وتحرك نوح لدعوة قومه بكافة أساليب الدعوة، وممن دعاهم لتوحيد الله ابنه، وتبين ذلك عند الطّوفان العظيم وركوب نوح ومن آمن معه في السفينة التي صنعها بأمر من الله، قال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الذِينَ ظَلَمُواْ إِنهُم مغْرَقُونَ﴾[هود:3] وعندما أبحرت السفينة بين الأمواج المتلاطمة دعا نوح ابنه للنّجاة من الطّوفان قال تعالى:" ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾،[هود:42] خوفاً عليه من الهلاك مع الكافرين، لكنه رفض وأبى طلب أبيه عليه السّلام؛ وقال سأوي إلى جبل يحفظني من الماء؛ ظانّاً أنّ لا يصله ولكنه وصله وابتعله الطّوفان، ففي تلك اللحظات لا عاصم ولا ناجٍ من أمر الله إلا من رحم؛ فكان من الكافرين المُغرَقين، لقد أراد نوحاً عليه السّلام النجاة لابنه من ذلك الطّوفان، فتوجه لله تعالى داعياً إياه أن ينجّيه من العذاب؛ وذلك لأنه ابنه ومن أهله؛ فقال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾

[هود:9]؛ لعله عليه الصلاة والسلام، حملته الشفقة، وأن الله وعده بنجاة أهله، ظن أن الوعد لعمومهم، من آمن ومن لم يؤمن، فلذلك دعا ربه بذلك الدعاء، ومع هذا ففوض الأمر لحكمة الله.

وتبين من حوار نوح مع ابنه أن القرابة والأخوة في الله أقوى من قرابة النسب، وأن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، وأن ابن نوح عليه السلام حين كفر قد حكم الله عليه بأنه ليس من أهله. واعلم أن الإيمان والصلاح لا علاقة له بالوراثة ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: 21] وأن جزاء الإيمان الصالح من الأعمال يكون في الدنيا غالبا وفي الآخرة حتما.

وفي هذه الآية تسلية للخلق في فساد أبنائهم، وإن كانوا صالحين. وفيها أيضا دليل على أن الابن من الأهل، ومن أهل البيت فمن أوصى لأهله دخل في ذلك ابنه، ومن تضمنه منزله، وهو في عياله. قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ نادانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ. وَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: 75-76] (1).

المطلب الثاني: إبراهيم عليه السلام مع ابنه

من نماذج تربية إبراهيم عليه السلام لأبنائه: أولاً دعا الله أن يرزقه ذرية صالحة

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 100].

قال الطبري: "دعا إبراهيم ربه أن يرزقه ولداً صالحاً قال: يا رب هب لي منك ولدا يكون من الصالحين الذين يطيعونك، ولا يعصونك، ويصلحون في الأرض، ولا يفسدون"(2)، ووصفه بأنه من الصالحين لأن نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحا فإن صلاح الأبناء قرة عين للآباء، ومن صلاحهم برهم بوالديهم(3). فاستجاب الله له ورزقه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، قام بتربيتهما بأحسن أساليب التربية، وأنبتهما نباتاً حسناً، حتى اختارهما الله للنبوة، وجعل الله في ذرية إبراهيم النبوة والكتاب بعد نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

(1) ينظر: التفسير لواضح لحجازي (125/2)، التفسير المنير (79/12).

(2) جامع البيان للطبري (72/21).

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور (148/23).

أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد:26]، وأعظم نموذج لتربيته لأبنائه قصة رؤياه التي رآها في المنام بأن يذبح ابنه إسماعيل قال تعالى:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: 102]. وعندما بلغ السن التي يسعى فيها مع أبيه في أمور دنياه، وبلغ سنا يكون في الغالب، أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته فأتى الابتلاء لإظهار عزمه وإثبات علو مرتبته في طاعة ربه فإن الولد عزيز على نفس الوالد، والولد الوحيد الذي هو أمل الوالد في مستقبله أشد عزة على نفسه لا محالة، فيتولى بيده إعدام أحب النفوس إليه، وذلك عندما عرض أمر الله عليه بذبحه ليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه، فكان جوابه يا أبت افعل ما تؤمر سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل. وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد؛ ولهذا قال الله تعالى عنه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾ [مريم:54] (1).ففي امتثال إسماعيل عليه السلام وتسليمه إلى أمر الله بالصبر والاحتساب، دلالة على التربية العظيمة التي تربى عليها.

المطلب الثالث: يعقوب عليه السلام مع ابنه

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، نشأ عليه السّلام في بيت النّبوة وشرب من ينابيعها بالوحي والحكمة ما أهّله لأن يسير على درب من سبقه، ولقد كلّف الله يعقوب عليه السلام بالرسالة، وبعثه إلى قومه، وكان يوصي أبناءه بدين الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾.[البقرة: 132](2)، وكان ليعقوب اثنى عشر ولداً، قال تعالى: ﴿إِذ قَالَ يوسُفُ لِأَبيهِ يا أَبَتِ إِنّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأَيتُهُم لي ساجِدينَ﴾ [يوسف: 4] قال

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (28/7)، تيسير الكريم المنان للسعدي (705/1)، التحرير والتنوير لابن عاشور (150/23).

(2) دعوة الرسل عليهم السلام لغلوش (189/1)

المفسرون الكواكب إخوة يوسف(1)، وقد حرص يعقوب عليه السلام على تربية أبنائه تربية إيمانية صالحة، واهتم على الخصوص بيوسف.

وكان ذلك عندما قص عليه يوسف رؤياه، فسُرَّ بها يعقوب عليه السلام لأنها مبشرة على رفعة يوسف الدينية والدنيوية، لذلك أحاطه بعناية خاصة؛ فأول ما بدأ به من تربية يوسف معرفته بالله وتنشئته على حب الله، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ [يوسف:6](2)

وكذلك ربط يعقوب عليه السلام ابنه بالقدوة الحسنة في أهله، تشريفا لهم، وتحريضا ليوسف على السير على منوالهم عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف:6].

ومن محاسن تربية يوسف، ربطه بالله تعالى، فنشأ على حبه، وجاهد في دعوته، فنشر دعوته في القصر، وفي السجن، قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:39].

ومن محاسن تربية يعقوب العفو والتسامح وظهر أثر ذلك في عفو يوسف ذو القلب الرحيم والخلق الكريم عن إخوته، إذ قال لإخوته، وهم أحب إلى قلبه: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:92].

(1) ينظر القرآن للسمعاني (7/3)، معالم التنزيل للبغوي (475/2)، تيسر الكريم المنان للسعدي 393/1).

(2) ينظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود (255/4).

المبحث الثالث: آثار التربية الناجحة على الأبناء

الوالدان الصالحان هما اللذان يربيان أبناءهما تربية دينية مبنية على طاعة الله وطاعة رسوله وحبهما، وإقامة حدود الله وتحكيم شريعته وتعليمهم أمور دينهم؛ فهذه التربية لها آثار عظيمة فِي بناء شخصية الأبناء والارتقاء بهم إلى مدارج السعادة والنفع لأنفسهم ومجتمعهم.

ومن هذه الآثار:

المطلب الأول: الآثار الفردية

من الآثار التربوية التي تعود على الفرد بالنفع:

ـ تنمية الوازع الديني ومراقبة الله في السر والعلن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:45]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:19].

ـ تحقيق السكنية والطمأنينة قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:21]، إذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة والمودة، فحينئذ يتربى الأبناء في جو ملئ بالسكينة والطمأنينة والعطف والرحمة والحب.

ـ الصبر، قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى:43].

ـ تحمل المسؤولية واتخاذ القرار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:164].

ـ الإحساس بالذات وعدم التأثر بآراء الآخرين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:14].

ـ الوسطية والاعتدال في جميع الأمور الدينية والدنيوية، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:143].

ـ الثقة بالنفس والقدرة على الأخذ بزمام المبادرة، قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:55].

ـ الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة في الحصول على المعلومات المفيدة وتنمية المهارات وتعليم العلوم النافعة، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5]، قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:8].

المطلب الثاني: الآثار الاجتماعية

من الآثار التربوية التي تعود على المجتمع بالنفع:

ـ التعاون، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:2].

ـ الإحسان، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:195].

ـ الوفاء، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٤].

ـ الإيثار، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:9].

ـ البذل والسخاء قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:90]

ـ العفو، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:40]

ـ التراحم، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]، قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:17].

ـ نشر الدعوة بطرق وأساليب مختلفة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:108]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:122].

ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:110]. وغيرها من الآداب الاجتماعية التي تربى عليها الأبناء، وكلها أخلاق مربية للنفس نحو القمة في التعامل بين الأفراد، والتعايش في المجتمع.

فالتربيّة القرآنية تجعل الأبناء أقوياء في مواجهة الشهوات والشُبهات والمصائب؛ لأن التربية الحسنة تجعل الابن مُراقباً لربه، بالإضافة إلى تأهيله للقيام بدوْره في خدمة مُجتمعه وأُمته، والتربية سبب للبُعد عن التطرف والغلو والأفكار الهادمة للإسلام، وأساس للوصول بالأبناء إلى القيم العُليا كالإيثار، والصبر، وحسن الخلق، والعفو، وغيرها من مكارم الأخلاق.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي منّ علي بإتمام هذا البحث والذي من خلاله توصلت إلى عدد من النتائج أهمها:

ـ أن التربية الصالحة تكون سبباً في تنشئة أجيال صالحة قادرة على تحقيق العبودية على أكمل وجه.

ـ ضرورة الاقتداء بالأنبياء والصالحين في تربية الأبناء.

ـ أن الوالد صاحب الهمة يقي نفسه وأهله من العذاب.

ـ استحباب دعاء الوالدين بالذرية الصالحة.

ـ تقوية العلاقة بين الوالدين والأبناء.

ـ رعاية الأبناء من جميع الجوانب، الدينية والعقلية والجسمية والخُلقية.

ـ أن التربية المستمدة من كتاب الله سبب في بر الوالدين.

ـ الارتقاء بخدمة المجتمع ونهضته.

ومن أهم التوصيات:

ـ الاهتمام بتربية الأبناء التربية الصالحة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا سيما في هذا الوقت الذي كثُرت فيه فتن الشهوات والشبهات.

ـ يجب على الوالدين توجيه الأبناء من الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة فيما يعود بالنفع عليهم وعلى مجتمعهم، وتحذيرهم من الوسائل التي تبث الأفكار السيئة التي تؤثر على عقيدتهم وأخلاقهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

ـ الأدب المفرد ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ) ـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت ـ الطبعة: الثالثة، 1409 – 1989.

ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ) ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ـ عام النشر: 1415 هـ - 1995 م.

ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ الطبعة: الأولى - 1418 هـ.

ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ـ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ـ الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ـ الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م.

ـ بحر العلوم ـ أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).

ـ البحر المحيط في التفسير ـ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) ـ تحقيق: صدقي محمد جميل ـ الناشر: دار الفكر – بيروت ـ الطبعة: 1420 هـ.

ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) ـ تحقيق: مجموعة من المحققين ـ الناشر: دار الهداية.

ـ التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) ـ الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس ـ سنة النشر: 1984 هـ.

ـ التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها ـ عاطف السيد ـ الناشر: حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.

ـ تفسير القرآن العظيم ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (المتوفى: 774هـ) ـ تحقيق: سامي بن محمد سلامة ـ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.

ـ تفسير القرآن ـ أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني (المتوفى: 489هـ) ـ تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ـ الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية ـ الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م.

ـ تفسير مقاتل بن سليمان ـ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ) ـ تحقيق: عبد الله محمود شحاته ـ الناشر: دار إحياء التراث – بيروت ـ الطبعة: الأولى - 1423 هـ.

ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ـ د وهبة بن مصطفى الزحيلي ـ الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق ـ الطبعة: الثانية، 1418 هـ.

ـ التفسير الميسر ـ نخبة من أساتذة التفسير ـ الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية ـ الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، 1430هـ - 2009 م.

ـ التفسير الواضح ـ الحجازي، محمد محمود ـ الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت ـ الطبعة: العاشرة – 1413هـ.

ـ تهذيب اللغة ـ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) ـ تحقيق: محمد عوض مرعب ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ الطبعة: الأولى، 2001م.

ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) ـ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ـ الناشر: مؤسسة الرسالة ـ الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

ـ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ـ أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (المتوفى: 1376هـ) ـ الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ـ الطبعة: الأولى، 1422هـ.

ـ جامع البيان في تأويل القرآن ـ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر ـ الناشر: مؤسسة الرسالة ـ الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000م.

ـ دعوة الرسل عليهم السلام ـ أحمد أحمد غلوش ـ الناشر: مؤسسة الرسالة ـ الطبعة: الأولى 1423هـ-2002م.

ـ رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ـ تحقيق: عبد الله بن محمد المديفر ـ الناشر: مطابع الشرق الأوسط – الرياض ـ الطبعة: الأولى، 1420هـ

ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ـ الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ـ الطبعة: الثالثة، 1409هـ/ 1989م.

ـ فتح القدير ـ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) ـ الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ـ الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

ـ الفصول في السيرة ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ـ تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو ـ الناشر: مؤسسة علوم القرآن ـ الطبعة: الثالثة، 1403 هـ

ـ فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء ـ مصطفة العدوي ـ الناشر: ماجد عسيري ـ سنة النشر: 1419 ـ 1998م.

ـ القاموس المحيط ـ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ) ـ تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ـ بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ـ الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ـ الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.

ـ كيف تربي ولدك ـ ليلى بنت عبد الرحمن الجريبة ـ الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

ـ مجموع الفتاوى ـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)

تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ـ الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ـ عام النشر: 1416هـ/1995م.

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) ـ تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ـ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - 1422هـ.

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ـ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ الناشر: مؤسسة الرسالة ـ الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001 م

ـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) ـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـ معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه ـ عبد الرحمن محمد عبد المحسن الأنصاري ـ الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ الطبعة: السنة الثامنة والعشرون - ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ.

ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن ـ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (المتوفى: 510هـ) ـ تحقيق عبد الرزاق المهدي ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت ـ الطبعة: الأولى 1420هـ.

ـ المفردات في غريب القرآن ـ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) ـ تحقيق: صفوان عدنان الداودي ـ الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ـ الطبعة: الأولى - 1412هـ

ـ موسوعة الأخلاق الإسلامية ـ مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ـ الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

ـ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد المالكي (المتوفى: 437هـ) ـ تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ـ الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ـ الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.

مستقبل تعليم تلاوة القرآن الكريم باستخدام الذكاء الاصطناعي

دراسة وصفية

الدكتور محمد بن إبراهيم بن محمد نور سيف

الأستاذ المشارك بقسم القراءات ـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المملكة العربية السعودية

mh.saif.saif@gmail.com

ملخص البحث:

يستشرف هذا البحث مستقبلًا واعدًا لتعليم التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم من خلال توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي، ويَستهلُّ الكلامَ عن ذلك بإبراز وتوضيح الواقع الحالي لتطبيقات وبرمجيات الذكاء الاصطناعي التي تخدم المجالات القريبة من تلاوة القرآن الكريم، ثم يأتي على بيان أبرز التحديات والفرص لمعرفة ما يمكن تحقيقه في هذا المجال بعد تصور تلك التحديات والفرص والموازنة بينهما، ثم يعطي مسارًا عمليًّا واضحا من خلال مشروع تقني يعتمد على الذكاء الاصطناعي في تعليم التلاوة.

وينتهج البحث المنهج الوصفي في غالبه، مع قدر من الاستقراء والتحليل والمناقشة؛ ليتوصل بذلك إلى نتائج ملموسة مفيدة، تمثل أبزرها في:

وجود أرضية معرفية وتقنية ممتازة تمكّن من استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم تلاوة القرآن الكريم، والذي بدأت بوادره من خلال تطبيقات وبرامج متوفرة حاليًّا في هذا الاتجاه.

وجود بعض التحديات والصعوبات التي تواجه تعليم تلاوة القرآن الكريم بالذكاء الاصطناعي، يمكن التغلب عليها مع توفر الدعم والتقنيات والكوادر البشرية الكافية.

وجود فرص هائلة وتقنيات ذكاء اصطناعي متناسبة مع تعليم تلاوة القرآن الكريم، تعطي مسارات استشرافية مستقبلية واعدة في هذا المجال، كبرنامج برات (Praat)، وتقنية (Deepfake)، وتقنية معالجة اللغات الطبيعية.

كما أوصى البحث بالعمل على اتجاهات متعددة في تعليم تلاوة القرآن الكريم بالذكاء الاصطناعي، تمثلت إجمالا في تقديم تطبيقات إلكترونية عبر الهاتف الجوال تعتمد على تقنية معالجة اللغات الطبيعية، واستخدام تقنية الواقع الافتراضي والمعزز في تقديم مادة تفاعلية لتعليم تلاوة القرآن الكريم، وقيام الجهات الأكاديمية التي تجمع بين تخصصات تكاملية متعددة تخدم تعليم تلاوة القرآن الكريم على إنتاج تطبيقات وبرمجيات مبنية على أبحاث ودراسات رصينة تصب في مصلحة هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: تلاوة القرآن، الذكاء الاصطناعي، مستقبل التعليم، القرآن الكريم.

The Future of Teaching the Recitation of the Noble Qur'ān Using Artificial Intelligence

A Descriptive Study

Abstract:

This paper sought to foresee a promising future for the teaching of the correct recitation of the Noble Qur'ān through the use of artificial intelligence, beginning by highlighting and clarifying the status quo of artificial intelligence applications and software that serve areas close to the recitation of the Noble Qur'ān, then a statement of the most prominent challenges and opportunities in order to know what can be achieved in this field after conceptualizing these challenges and opportunities and balancing them, and then the paper gave a clear practical path through a technical project that relies on artificial intelligence in teaching the recitation.

The research adopted the descriptive approach majorly, with a degree of induction, analysis and discussion, to reach useful tangible results, the most prominent of which are:

- The existence of an excellent knowledge and technical platform that enables the use of artificial intelligence in teaching the recitation of the Noble Qur'ān, which began through applications and software currently available in this direction.

- The existence of some challenges and difficulties facing the teaching of recitation of the Noble Qur'ān with artificial intelligence, which can be overcome with the availability of support, technologies and sufficient human resources.

- The existence of huge opportunities and artificial intelligence techniques commensurate with the teaching of the recitation of the Noble Qur'ān, giving promising future paths in this field,

such as the Praat program, the Deepfake technology, and natural language processing technology.

The research also recommended working on multiple trends in teaching the recitation of the Noble Qur'ān with artificial intelligence, represented generally in the provision of electronic applications via mobile phone based on natural language processing technology, and the use of virtual and augmented reality technology in providing interactive material for teaching the recitation of the Noble Qur'ān, and the academic bodies that combine multiple integrative disciplines that serve the teaching of the recitation of the Noble Qur'ān to produce applications and software based on solid research and studies in the interest of this field.

Keywords: Quran recitation, artificial intelligence, the future of education, the Noble Qur'ān.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن مجال تعليم تلاوة القرآن الكريم من أوسع المجالات انتشارا وحاجة إلى التطوير وفتح آفاق التقنية الحديثة الخادمة له، وتتمثل تلك الحاجة في النمو السكاني للمسلمين حول العالم الذي يمثل نسبة ١,٨% سنويا بحسب موسوعة ويكيبيديا(1)، وكذلك فإن من المُشاهَد كثرةُ دخول الناس في الإسلام، حيث يمثل الإسلام أسرع الأديان نموا في العالم وفقا لموسوعة جينيس (2003)، وكذلك الحاجة إلى تعلم اللغة العربية بشكل عام كأحد أهم اللغات العالمية، والتي يمثل تراثها أصالةً وتجدُّدًا كبيرَين؛ مما يدعو إلى تعلم اللغة العربية والإقبال عليها بحثا وتعليما وتحدّثا.

وفي ظل ذلك: تشهد تقنيات الذكاء الاصطناعي تقدُّمًا عالميًّا هائلًا في المجال الصوتي وغيره من المجالات؛ مما يمكن أن يقدم الكثير في مجال تلاوة القرآن الكريم وتعلما وتعليما، ونشهد بوادر ذلك ظاهرة في بعض التقنيات والتطبيقات العملية، والتي يأتي هذا البحث على جملة منها بإذن الله.

ولا تزال هناك تحديات تواجه هذه التقنيات، ومن ثم فإن هناك حاجة ماسة إلى دراسات وأبحاث تستكشف كيفية استخدام التقنيات الحديثة لتحسين تعلم تلاوة القرآن الكريم، وتوضح الثمرات العملية الكبيرة للذكاء الاصطناعي في مستقبل تعليم التلاوة على مستوى العالم؛ مما يهدف هذا البحث إلى استشراف مساراته المستقبلية وبيان معالمه العملية.

(1) ينظر: موسوعة ويكيبيديا **https://ar.wikipedia.org/wiki**/النمو_السكاني_للمسلمين، تم النقل منه بتاريخ: 1444/8/19هـ

وقد درس د. محمد زكي خضر موضوع "الذكاء الاصطناعي في خدمة القرآن الكريم"(1)، وورقته عبارة عن محاولة لتوضيح مبادئ الذكاء الاصطناعي، مع عرض بعض الإمكانيات التي تقدمها هذه المبادئ لخدمة القرآن الكريم، وبيان بعض الأمثلة التي يمكن أن يخدم الذكاءُ الاصطناعيُّ القرآنَ الكريمَ بواسطتها، وفيها عموم من حيث خدمة القرآن الكريم، وشملت كثيرٌ منها جوانب التفسير، ولم يكن ضمن مقاصدها الحديث عن تعليم تلاوة القرآن الكريم تحديدًا.

وتتمثل خطة هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة فتتضمن نظرةً عامّةً حول الموضوع وأهميته العلمية والعملية، وإطلالةً على ما سبق بحثه مما يتعلق بالموضوع، وإيضاحًا لخطة البحث ومنهجه المتبع.

وأما المبحث الأول فيعطي تصورًا عامًّا عن واقع الذكاء الاصطناعي في تعليم تلاوة القرآن الكريم، يمهد للحديث عن الآتي من المباحث كأرضية ينطلق منها الموضوع.

ثم يأتي المبحث الثاني مبيّنًا أهمَّ التحديات التي تعترض استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم تلاوة القرآن الكريم، ثم أهمَّ الفرص المتاحة، والتي يمكن الاستفادة منها في تعليم تلاوة القرآن الكريم باستخدام الذكاء الاصطناعي.

ويتضمن المبحث الثالث والأخير تصوُّرًا لفكرةٍ عمليةٍ تعدُّ مسارًا مستقبليًّا للذكاء الاصطناعي في تعليم تلاوة القرآن الكريم يتجه الباحث للعمل عليه في قابل الأيام؛ حتى يكون لهذه الدراسة ثمرة واضحة من التنظير إلى التطبيق، استشرافًا لمستقبل واعد في هذا المجال بعون الله.

وأما منهج البحث:

(1) بحث منشور ضمن "المجلة الدولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية"، المجلد 2، العدد 1 مارس 2014.

فيتمثل في كونه دراسة نظرية وصفية حسب ما هو مبين في عنوانه، ويدخل في مبحثه الأول شيء من الاستقراء والتتبع لآخر ما وصل إليه تعليم تلاوة القرآن الكريم في هذا المجال، مع وصف ذلك وصفًا يعطي الأرضية المناسبة للانطلاق إلى المستقبل.

وينتهج مبحثه الثاني نوعا من السبر والتحليل للتحديات والفرص أمام المشروع، والذي يستدعي شيئًا من التوضيح والتمثيل.

وأما المبحث الأخير، فيعطي نتيجة تفصيليةً وفكرةً رائدةً مستوحاةً مما سبق وصفُه وبيانُه في المبحثين السابقين؛ مع إبراز المُمكِّنات والمميزات المستقبلية للفكرة التي يقدمها، ويسعى إلى تحقيقها.

وعلى الله قصد السبيل، ومنه التوفيق والسداد.

المبحث الأول: و اقع الذكاء الاصطناعي في تعليم تلاوة القرآن الكريم

في عصر التقنية المتسارعة والروبوت، بدأت عدد من الشركات والمؤسسات في الاتجاه نحو تعليم تلاوة القرآن الكريم باستخدام الذكاء الاصطناعي، وكان أن ظهرت بعض التطبيقات الحديثة التي تعد نواةً ولبناتٍ أولى تبشر بمستقبل زاهر ومميز لهذا المجال العلمي والعملي، ومن تلك التطبيقات والإنجازات الحديثة في هذا المجال:

تطبيق ترتيل (Tarteel) عبر الأجهزة الذكية: (IOS) و(ANDROID)، والذي يعتمد على تقنية الذكاء الاصطناعي في قراءة القرآن الكريم، ويعد - بحسب علمي حتى هذه اللحظة - أفضل المنجزات الحديثة في هذا المجال، وقد اتسعت رقعة الاستفادة من هذا التطبيق؛ لأنه يتيح عددا من الأمور العملية التي لها حاجة ماسة لدى حفاظ القرآن الكريم ومتعلميه، وتعد أهم الميزات فيه حسب تجربتي الطويلة للتطبيق: خدمة حافظ القرآن الكريم بالتعرف على صوته ليقوم بتسميع ما يحفظه؛ بإظهار الكلمة القرآنية بعد أن يقرأها من حفظه؛ مما يعد خدمة كبيرة لشريحة حفاظ القرآن الكريم، ويتبع ذلك مزايا مفيدة في المسار نفسه.

تطبيق (سالم) لتعليم الأطفال حروف القرآن الكريم وأصواتها، وهو تطبيق لا زال في بدايات عمله، ويعتمد على التعرف على صوت القارئ باستخدام الذكاء الاصطناعي، وهو معتمد على قاعدة بيانات تقنية تم إعدادها مسبقا.

تقنية (حفص)، والتي تهدف إلى الوصول إلى النطق الصحيح للغة بمساعدة الكمبيوتر (CALP) والتحقق التلقائي من النطق الصحيح لآيات القرآن الكريم، ويحوي موقع (RDI) تعريفا موجزا به، ومن سماته المذكورة في هذا الموقع أنه يمتاز بالدقة عالية، وتقديم تقرير شامل بالأخطاء، مع سرعة المعالجة الآلية.

هذه أهم التطبيقات والتقنيات المتوفرة التي تمثل الواقع الحالي لاستخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم تلاوة القرآن الكريم؛ مما يمثل لبنات وإفادات تعطي مؤشرات على مستقبل باهر في تعليم تلاوة القرآن الكريم بالذكاء الاصطناعي بمشيئة الله تعالى.

المبحث الثاني: التحديات والفرص في تعليم تلاوة القرآن الكريم باستخدام الذكاء الاصطناعي

يمثل النظر إلى التحديات والفرص جانبًا مهمًّا لاستشراف مستقبل تعليم تلاوة القرآن الكريم باستخدام الذكاء الاصطناعي؛ لبناء الخطوات العملية فيه على خطى ثابتة، توازن بينهما، وتتعرف على الاحتياجات اللازمة لهذا المجال.

وأهم التحديات التي تواجه استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم تلاوة القرآن الكريم تتمثل في الآتي:

الحاجة إلى بيانات هائلة: والمتمثلة في تسجيلات صوتية كثيرة جدا يتم جمعها وتسجيلها ووصفها وتنظيمها ومراجعتها وتحليلها، ووضعها في الشكل التقني اللازم لذلك؛ مما سيتم بيانه من بعد بشيء من التفصيل.

الحاجة إلى أجهزة صوتية طبية معملية: وذلك للوصول إلى وصف تقني دقيق لعملية النطق لحروف القرآن الكريم، ومن ذلك أجهزة مثل: جهاز التحليل الطيفي، وجهاز مقياس الغنة، وجهاز راسم الحنك الإلكتروني، وجهاز منظار الحنجرة الإلكتروني، وغيرها من الأجهزة المعينة على وصف دقيق لعمليات نطق الحروف.

الحاجة إلى متخصصين بارعين في مجالات متعددة: وهي: مجال تعليم تلاوة القرآن الكريم، ومجال علم الأصوات اللغوية، ومجال الذكاء الاصطناعي، ومجال النطق والتخاطب كعنصر مساعد؛ بحيث يتم تعاون بينهم وتضافر للجهد حتى يؤتي ثمارا مفيدة وتطبيقات عملية تسد الحاجة الماسة التي تم بيانها في مقدمة الدراسة.

الاختلاف الكبير في النطق عالميا:

حيث يمثل تعلم القرآن الكريم وحروفه حاجة عالمية، تحتاج إلى مراعاة وعناية؛ لأن هناك تباينًا كبيرًا بين أصحاب اللغات في نطق الحروف، وكيفية خروجها من مخارجها، وكثير من حروف اللغة العربية تكون مقاربة لحروف عندهم، وفي كثير من الأحيان لا يكون مطابقا لنطقهم مطابقة تامة؛ مما يحتاج إلى دقة عالية في تحديد كيفية نطق الحروف.

أما الفرص المتاحة في هذا المجال فيتمثل أهمها في الآتي:

إمكانية التعرف الإلكتروني على التلاوة والنطق بدقة: وفي هذا المجال يمكن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في نطق الحروف، وتحديد مخارجها وصفاتها؛ بحيث توضع البيانات وتعالج لغرض التعليم والتصحيح والتقويم للمتعلم(1)؛ مما يمثل تطبيق (ترتيل) - الآنف الذكر - أحدَ صوره المبدئية.

إمكانية بيان وصف الخطأ وطريقة تصحيحه بدقة عالية:

وذلك بما توفر من أجهزة وتقنيات وبرمجيات عالمية في خادمة للمجال الصوتي، ومن أهمها البرنامج المجاني: برات (praat) الذي يقوم بالتحليل الفيزيائي للصوت من خلال تحويل الصوت اللغوي من صورته النطقية إلى صور مرئية، ويتم التعرف به على اضطرابات صوت الكلام(2)، وكذلك يستعان لذلك بالأجهزة صوتية التي مر ذكرها في التحديات؛ ويمثل وجودها فرصة إذا تم الحصول عليها واستخدمها الاستخدام الأمثل كما أشارت لذلك بعض الدراسات(3).

انتشار الأجهزة الذكية المحمولة ذات الكاميرات الرقمية:

وذلك يتيح إمكانيات كبيرة للتعرف المرئي على الخطأ لدى متعلم تلاوة القرآن الكريم، من خلال التقييم التلقائي لحركة فمه أثناء القراءة، وإعطائه الصورة المرئية الصحيحة للقراءة، بل يمكن أن يكون ذلك

(1) ينظر: تقرير "ندوة الذكاء الاصطناعي وأثره في خدمة العلوم الشرعية واللغة العربية"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي، المجلد 37، العدد 130 سبتمبر 2022، ص405-406.

(2) ينظر: سيد، وليد فاروق حسن. "فعالية استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي للتعرف الآلي على الخصائص الصوتية الفيزيائية لكلام التلاميذ ذوي اضطرابات النطق بالمرحلة الابتدائية"، المجلة التربوية، كلية التربية، جامعة سوهاج، الجزء3، العدد 88 أغسطس 2021، ص1221.

(3) ينظر: المصدر السابق ص1200-1208، وأبو شعر، عادل إبراهيم. "استعمال المختبرات والأجهزة الصوتية وأثرها في خدمة علم التجويد – دراسة تحليلية معملية"، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، عمادة البحث العلمي وضمان الجودة، الجامعة الأردنية، المجلد 44، ملحق 2، 2017، ص147-164.

بصوت المستخدم وصورته باستخدام تقنية التزييف العميق (Deepfake)(1)، التي تعد من أهم التقنيات المتقدمة في الذكاء الاصطناعي، ويعد هذا الجانب من صوره الإيجابية المفيدة في تعليم تلاوة القرآن الكريم.

التقدم التقني الهائل في معالجة الأصوات اللغوية بالذكاء الاصطناعي:

من تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تم تطويرها في اتجاهات متعددة: تقنية معالجة اللغات الطبيعية (Natural Language Processing)، والتي يمكن من خلالها بناء منظومة صوتية للغة العربية، والتي تخدم بشكل مباشر المنظومة الصوتية المتعلقة بالقرآن الكريم، خصوصا في الجوانب الصوتية الأساسية: مخارج الحروف وصفاتها(2).

إمكانية استخدام الواقع الافتراضي والواقع المعززفي تعليم النطق الصحيح:

من التقنيات الواعدة خلال السنوات الأخيرة، تقنية الواقع الافتراضي أو المعزز، والذي يكون عن طريق استخدام أجهزة (AR) و(VR) و(XR)، التي تكون على شكل نظارات تعرض على المستخدم واقعا ثلاثي الأبعاد، وله استخدامات كثيرة انتشرت في الآونة الأخيرة، وتُعد من التقنيات المرتبطة بالذكاء الاصطناعي بشكل مباشر، وهذا الواقع الثلاثي الأبعاد يمكن أن يفيد كثيرًا في المجالات الصوتية مما يتعلق بالقراءة والاستماع والكلام؛ مما يمكن توظيفه بشكل كبير في تعليم التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم(3).

(1) ينظر: خضور، لجين. ونوس، عبدالناصر. "بعض تطبيقات تقنية التزييف العميق (الديب فيك) وتوظيفها في التسويق والترويج المعاصر"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد 39، العدد 2، 2023، ص166-187.

(2) ينظر: معطي، سمر. "معالجة اللغة العربية باستخدام تقانات الذكاء الاصطناعي"، ضمن المؤتمر السنوي الخامس: اللغة العربية في عصر المعلوماتية (2006)، مجمع اللغة العربية بدمشق، ص13.

(3) ينظر: غالب، محمد فهام. نوردين، فطري نور العين. "توظيف تقنية الواقع المعزز في تعلم اللغة العربية"، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، السنة 10، العدد 3 ديسمبر 2018، ص50.

المبحث الثالث: مسار مستقبلي عملي لاستخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم تلاوة القرآن الكريم

يتمثل المسار المستقبلي في تعليم تلاوة القرآن الكريم في إجراء دراسات تطبيقية باستخدام بعض الأجهزة الصوتية المعملية يمكن من خلالها التعرف على أصوات المستخدمين، ووصفها وصفا دقيقا، مع تمييز الصواب من الخطأ، والاستفادة في معرفة ذلك من متخصصين في الإقراء والتجويد، وفي مجال الأصوات وتعليم اللغة، وفي مجال الحاسب الآلي، وفي مجال الطب والتشريح، والاستعانة في وصف الصواب والخطأ بتقنيات الفيديو (موشن جرافك)؛ مما يمهد بعد ذلك لإدخال هذه البيانات، وتدريب الآلة عليها؛ حتى يستعان بها مستقبلا في إنشاء تطبيقات إلكترونية تفاعلية تعليمية عبر الهواتف الذكية، أو عبر الواقع الافتراضي والواقع المعزز، وتستخدم الذكاء الاصطناعي في تعريف المستخدم بكيفية التلاوة المتقنة للقرآن الكريم بشكل خاص، والقراءة الصحيحة للحروف العربية بشكل عام.

ويمكن إعطاء مزيد تصور لهذا المسار في الخطوات العملية الآتية:

أولا: العمل على استقراء كل ما يفيد الفكرة من الدراسات العربية والإنجليزية وغيرها، مما له عناية بالجانب الصوتي في نطق الحروف والكلمات في كل اللغات؛ ليتم التعرف على أحدث ما توصلت له هذه الدراسات من تقنيات تخدم هذا المجال، والتي مر عدد منها في المبحث السابق، ومن خلال ذلك يتم التوصل كل ما تم استحداثه من أجهزة وبرامج حاسوبية المتخصصة في التعرف على الأصوات اللغوية الإنسانية مما يخدم علم تجويد القرآن الكريم، وعلوم الأصوات اللغوية، ثم تحديد ما يمكن توظيفه منها في تنفيذ ذلك.

ثانيا: توفير أهم البرامج الحاسوبية والأجهزة المعملية الصوتية التي يُحتاج إليها لتنفيذ الفكرة، وقد مر ذكر أهمها في المبحث السابق أيضًا.

ثالثا: اختيار عينات من طلاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – بصفة الباحث أحد منسوبيها - متنوعي الجنسيات؛ لتسجيل تلاواتهم وإجراء الدراسات عليها لمعرفة اللحون والأخطاء التي يجب تلافيها لتكون التلاوة

والقراءة صحيحة سليمة، ووصف كل ذلك وصفا دقيقا؛ وفق المصطلحات والتعبيرات المستعملة عند أهل الاختصاص من القراء واللغويين.

رابعا: التمهيد لإنشاء قواعد بيانات تُستخدم بعد ذلك في تطبيقات إلكترونية أو تقنيات واقع افتراضي أو معزز، يتم من خلالها الاستماع إلى صوت المتعلم ثم تقويم تلاوته وبيان كيفية تلافي الوقوع في هذه الأخطاء بالصوت والصورة بطريقة تفاعلية مباشرة.

خامسا: إجراء دراسات وأبحاث مرحلية تخدم كل خطوة من خطوات المشروع، باللغتين العربية والإنجليزية، وتحكيمها ونشرها في المجلات العالمية؛ مما يمثل رافدًا أساسيًّا لنجاح المشروع وتحقيق مخرجاته النهائية.

ويمتاز هذا المشروع بعدة مميزات، منها ما يتعلق بكونه من مشاريع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهذه المميزات على النحو الآتي:

أن الجامعة الإسلامية جعلت من أولوياتها البحثية الرئيسة: أولويتان بحثيتان متعلقتان بفكرة المشروع، الأولى: **الاستفادة من التقنيات الناشئة لدعم الدراسات الإسلامية وتعلم اللغة العربية**، والثانية: **القضايا المستجدة في الدراسات الإسلامية والعربية.**

أن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تمثل مرجعية علمية عريقة في مجال هذا المشروع، حيث تضم كلا من: كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، وكلية اللغة العربية، ومعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، والتي تمثل كل منها قوة علمية ذات جذور تأصيلية وعلمية راسخة، كما تضم من الجانب الآخر: كلية الحاسب الآلي، وكلية الهندسة، وتكون بذلك من أقوى الجامعات العالمية، وأكثرها أولوية بالعمل على مشروع يعنى بهذا الجانب العلمي والعملي الذي له حاجة كبيرة وماسة، بما يتوفر لديها من أساتذة وباحثين ذوي معرفة دقيقة في المجالات المتصلة بالمشروع.

اختصاص الجامعة الإسلامية بكونها تضم طلابا من شتى أنحاء العالم، وهذا يحقق إمكانية إجراء تجارب عملية مباشرة مع طلابها المنتسبين إليها، ودراسات ميدانية؛ في سبيل التعرف على الأخطاء النطقية في قراءة

الحروف العربية، والتي يختص بها كل أصحاب لغة من اللغات؛ وتكون من خلال ذلك دراساتٌ في كيفية معالجة الأخطاء الواقعة لدى كل أصحاب لغة على حدة.

يمكن ترجمة المُمَكِّنات السابقة إلى واقع عملي من خلال تطبيقات عالمية باللغات المختلفة يتم نشرها عبر الوسائل المختلفة، تختص بالتأكد من صحة القراءة للحروف والكلمات القرآنية والعربية، والتصحيح التلقائي والمباشر دون الحاجة إلى تدخل بشري، ويوصل إلى النتائج المرضية التي يراها أهل الفن والاختصاص بتلاوة القرآن الكريم؛ باتباع الخطوات المنهجية لهذا المشروع بعون الله.

الخاتمة:

من خلال ما سبق، يظهر للقارئ الكريم، نتائج واضحة وملموسة توصلت لها هذه الدراسة على اختصارها، والتي تتمثل في الآتي:

وجود أرضية معرفية وتقنية ممتازة تمكّن من استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم تلاوة القرآن الكريم، والذي بدأت بوادره من خلال تطبيقات وبرامج متوفرة حاليا في هذا الاتجاه.

وجود بعض التحديات والصعوبات التي تواجه تعليم تلاوة القرآن الكريم بالذكاء الاصطناعي، يمكن التغلب عليها مع التوفر الدعم والتقنيات والكوادر البشرية الكافية.

وجود فرص هائلة وتقنيات ذكاء اصطناعي متناسبة مع تعليم تلاوة القرآن الكريم، تعطي مسارات استشرافية مستقبلية واعدة في هذا المجال، كبرنامج برات (Praat)، وتقنية (Deepfake)، وتقنية معالجة اللغات الطبيعية.

أن لدى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - التي ينتسب لها الباحث - ممكنات عديدة، من الكوادر البشرية، والرؤى البحثية، والبنية التقنية اللازمة؛ للقيام بمشروع رائد في تعليم تلاوة القرآن الكريم باستخدام الذكاء الاصطناعي.

ويوصي البحث بالعمل على اتجاهات متعددة في تعليم تلاوة القرآن الكريم بالذكاء الاصطناعي، وكل اتجاه يمثل عملا كبيرا ليس بالسهل، يمكن إجمالها في الآتي:

تقديم تطبيقات إلكترونية عبر الهاتف الجوال تعتمد على تقنية معالجة اللغات الطبيعية، يمكن من خلالها التعرف على صوت القارئ للقرآن الكريم، ومعالجة قراءته وإعطاؤه نتائج تلقائية يتعرف من خلالها على الخطأ.

استخدام تقنية الواقع الافتراضي والمعزز في تقديم مادة تفاعلية لتعليم تلاوة القرآن الكريم من خلال المشاهد ثلاثية الأبعاد، والتي يمكن أن تقدم صورة داخلية للفم أثناء النطق بما لا يتاح إلا في مثل هذه التقنية.

قيام الجهات الأكاديمية التي تجمع بين تخصصات تكاملية متعددة تخدم تعليم تلاوة القرآن الكريم على إنتاج تطبيقات وبرمجيات مبنية على أبحاث ودراسات رصينة تصب في مصلحة هذا المجال.

والله ولي التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادروالمراجع:

- أبو شعر، عادل إبراهيم. "استعمال المختبرات والأجهزة الصوتية وأثرها في خدمة علم التجويد – دراسة تحليلية معملية"، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، عمادة البحث العلمي وضمان الجودة، الجامعة الأردنية، المجلد 44، ملحق 2، 2017.
- خضر، محمد زكي. "الذكاء الاصطناعي في خدمة القرآن الكريم"، المجلة الدولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية، المجلد 2، العدد 1 مارس 2014.
- خضور، لجين. ونوس، عبدالناصر. "بعض تطبيقات تقنية التزييف العميق (الديب فيك) وتوظيفها في التسويق والترويج المعاصر"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد 39، العدد 2، 2023.
- سيد، وليد فاروق حسن. "فعالية استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي للتعرف الآلي على الخصائص الصوتية الفيزيائية لكلام التلاميذ ذوي اضطرابات النطق بالمرحلة الابتدائية"، المجلة التربوية، كلية التربية، جامعة سوهاج، الجزء3، العدد 88 أغسطس 2021.
- غالب، محمد فهام. نوردين، فطري نور العين. "توظيف تقنية الواقع المعزز في تعلم اللغة العربية"، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، السنة 10، العدد 3 ديسمبر 2018.
- معطي، سمر. "معالجة اللغة العربية باستخدام تقانات الذكاء الاصطناعي"، ضمن المؤتمر السنوي الخامس: اللغة العربية في عصر المعلوماتية (2006)، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- تقرير "ندوة الذكاء الاصطناعي وأثره في خدمة العلوم الشرعية واللغة العربية"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي، المجلد 37، العدد 130 سبتمبر 2022.

- Abu Shaar, Adel Ibrahim. "The use of laboratories and audio devices and their impact on serving the science of Tajwīd - an analytical laboratory study" (Arabic), Journal of Sharia and Law Studies, Deanship of Scientific Research and Quality Assurance, University of Jordan, Volume 44, Appendix 2, 2017.
- Khader, Mohamed Zaki. "Artificial Intelligence in the Service of the Glorious Qur'ān" (Arabic), International Journal of Islamic Applications in Computer Science and Technology, Volume 2, Issue 1, March 2014.
- Khaddour, Loujain. Wannous, Abdel Nasser. "Some applications of deepfake technology and its use in contemporary marketing and promotion" (Arabic), Damascus University Journal of Engineering Sciences, Volume 39, Issue 2, 2023.
- Syed, Walid Farouk Hassan. "The effectiveness of using artificial intelligence applications to automatically identify the physical phonetic characteristics of the speech of students with speech disorders in the primary stage" (Arabic), The Educational Journal, Faculty of Education, Sohag University, Part 3, Issue 88 August 2021.
- Ghaleb, Mohamed Faham. Nordin, Fitri Nour al-Ain. "Employment of Augmented Reality Technology in Learning Arabic" (Arabic), Journal of Linguistic and Literary Studies, International Islamic University Malaysia, Year 10, Issue 3 December 2018.
- Giver, Samar. "Arabic Language Processing Using Artificial Intelligence Technologies" (Arabic), within the Fifth Annual Conference: Arabic Language in the Age of Informatics (2006), Arabic Language Academy in Damascus.

- Report of the "Seminar on Artificial Intelligence and its Impact on Serving Sharia Sciences and the Arabic Language" (Arabic), Journal of Sharia and Islamic Studies, Kuwait University - Academic Publishing Council, Volume 37, Issue 130 September 2022.

مستقبل الترجمة الدينية من عالم ثابت إلى آخر متغير، ترجمة أعلام الأنبياء في القرآن

النبي يونس/يونان نموذجا

الدكتور عبد العزيز لخفاوني

عضو كرسي الالسكو للتربية على التنمية المستدامة والموروث الثقافي المبدع

المملكة المغربية

lakhfaouni@gmail.com

ملخص البحث:

نروم من خلال هذا البحث التطرق إلى مستقبل الترجمة الدينية بصفة عامة، وذلك من خلال الوقوف على واقعها المعاش حاليا واستشراف مستقبل لها في عالم موسوم بالتغير المستمر. وبناءا على ما سبق، يمكن القول إنه يجب على الترجمة بصفة عامة والدينية خصوصا، مسايرة تطور العصر دونما المساس بعظمة وقداسة النص الديني الذي يعد الطريق القويم والناموس الكوني الذي يؤطر العلوم ويضمن الاستمرارية القويمة. كما سنتطرق أيضا إلى موضوع ترجمة أعلام الأنبياء في القرآن الكريم وخصوصا من اشترك الوحي الإلهي بذكرهم.

واعتمادا على ما سبق، يمكن استخلاص منهجية جديدة تساهم في ترجمة أعلام الأنبياء عليهم السلام، يدمج فيها العالم الثابت ونظيره المتغير. وهذا ما سنتطرق إليه في البحث.

الكلمات المفتاحية: الترجمة الدينية، اللغة العربية، القرآن الكريم، الكتاب المقدس، أعلام الأنبياء.

The future of religious translation from a constant world to another changing one, translation of prophets names in the Quran: the prophet Yunus/Jonah as a model

Abstract:

Through this research, we aim to dig in the future of religious translation in general, by examining its current reality and anticipating its future in a world marked by continuous changing. . Based on the foregoing, it can be said that translation in general, and the religious one in particular, must keep pace with the development of the era besides insuring the greatness and the holiness of the religious text, which is the right path and the universal law that frames the sciences and guarantees the right continuity. We will also discuss the topic of translating the prophets names in the Quran, especially those whose mention was shared by the divine revelations.

Based on the foregoing, a new methodology can be reached to contribute in the translation of the prophets names, peace be upon them, in which the fixed world and its changing counterpart are integrated. This is what we will discuss in the research.

Keywords: Religious translation, The Arabic language, The Quran, The Bible, Prophets names

مقدمة:

نتناول في هذا البحث مسألة الترجمة الدينية من خلال التركيز على مستقبل الترجمة الدينية بالوقوف على واقعها المعاش حاليا واستشراف مستقبل لها في عالم موسوم بالتغير المستمر. ولا يخفى على القارئ العزيز، أن هذا البحث يتطرق لمسألة النصوص المقدسة وخصوصا القرآن الكريم، والكتاب المقدس بشقيه العهد القديم والعهد الجديد. وبذكر المقدس، أود القول إننا هنا مقيدين بمواضيع تحت مباحث تخص الترجمة والترجمة الدينية من جهة، ونغوص في بحار ترجمة أعلام الأنبياء عليهم السلام من جهة أخرى؛ أي أن مسألة المقدس/القداسة/التقديس لن يتم الخوض فيها هنا لعلة المقام والمقال. لكن لا يحزن القارئ الكريم، فسوف نمر عليها مرورا سريعا غير مفرطين ولا مهملين.

فقد حظيت الترجمة الدينية منذ بداياتها بنوع خاص من الاهتمام كونها تعنى أساساً بالكتب المقدسة. أي أنها نابعة بالأساس من النصوص المقدسة، سواء ما اتفق عليه بكونه نصا دينيا مقدسا، أو ما اعتبره شخص ما أو جماعة معينة نصا مقدسا. فمثلا، لا يجب حصر ترجمة النصوص الدينية في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، بل هي تشمل وتستوعب بصدر رحب كل ما قدسته الجماعات البشرية أو حتى الأفراد بعينها وما اعتبروه نصا مقدسا منظما لدنياهم عاكسا لهم ماضيهم ومبشرا بمستقبلهم أو آخرتهم. ونضرب مثلا هنا بالفيداس والسوترا المقدسين.

ولنكون أكثر دقة، فالنص المقدس ليس نصا إلهي المصدر وفق رسالة سماوية (رسولية نسبة لرسول معين) مقدسة، بل إن معيار القداسة في هاته النصوص لا يكمن بالضرورة في ارتباطها برسالة سماوية، بل بالعكس تماما قد تنبع القداسة1 من نظرة المُـقَدِّس للمُقَدَّس وعلو ما قدسه، بل ورفعه لمستويات سامية

1- راجع الفصل الثاني من كتاب: المرجعيات اليهودية والمسيحية في ترجمات القرآن، 1- الترجمة والمقدس، ص: 60-114.

تدخل ضمن هالة القداسة المطلقة. أي أن المُـقَدِّس هو من يحدد ويصنف بل ويزكي بطريقة مطلقة المُقَدَّس، ويضفي عليه صبغة القداسة.

فالمقدس والفعل التقديسي يختلف من عقيدة إلى أخرى، ومن لغة إلى لغة، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن تجربة معاشة إلى تجربة أخرى. وعلى المنوال ذاته، يستغرب الهندوس (وغيرهم على شاكلة اليهود والمسيحيين ...) شد الرحال وبذل الغالي والنفيس للحج والدوران حول الكعبة الشريفة بأشواط والوقوف بعرفات، فهي بالنسبة لهم لا هي عبادة ولا حتى سياحة.

وهكذا، هو مفهوم المُقَدس عند المُقدِّس تتحكم فيه التراكمات الناتجة عن الاحتكاك والتجربة المعاشة، إذ أن جوهر التقديس يكمن في المُقَدِّس وليس المُقَدَّسُ، حيث كلما دام وجود المُقَدَّس مدة طويلة من الزمن صار جوهر القداسة متمكنا من المُقَدِّس، فمثلا نرى مدى عظمة قُدْسِيَة البابا[1] 117 المتنيح للكنيسة المرقسية شنودة الثالث (ت. 2012م) (Pope Shenoda III) الذي دامت بابويته 40 سنة و4 أشهر ليُثَبِّت العامل الزمني وفعل القَداسة التَّقْديس في نظر المُقَدّس (وهم الأقباط الأرثوذوكس رعايا الكنيسة).

ومن هذا المنطلق، وجب علينا أن نعرج على مفهوم المقدس لكون الترجمة لم تتوقف عند حدود ترجمة القول الخفيف (القول البشري الأرضي) بل جاوزته لترجمة القول الثقيل (القرآن الكريم)، وترجمة ما تقدس عند اليهود والمسيحيين (التوراة والكتاب المقدس)؛ وقِس على ذلك جميع الديانات والمعتقدات سواء منها الكتابية أو ما جمعه الكتبة وضموه في مجلدات ليصير مقدسا.

1- باباوات مصر-البابوية القبطية المبكرة، ص: 13.

هذا يعني أن الشيء المقدس يكتسب قداسته من ارتباطه أو صلته بمصدر القداسة، فدرجة قدسيته تتحدد بمدى القرب أو البعد عن المصدر القدسي، 'فالإله' أو الله هو المقدس المطلق وهناك مقدسات اكتسبت قداستها من صلتها بالمقدس المطلق الكلي وليس من ذاتها. أي القدسية بالنسبة لله معنى حقيقي فهو الكامل المنزه الذي لا مثيل له، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾1 أي "ليس كخالق الأزواج كلها شيء لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له"2، فهو تام في وحدانيته وواحد من جهة تمامية وجوده ولا ينقسم لا بالكم ولا بالمبادئ المقومة له ولا بإجراء الحد، فهو ووجوب الوجود ليس إلا له تعالى3؛ واحد في مرتبته من الوجود وبالنسبة للكون ومكوناته. وهذا الأخير، أي مكونات الكون، قد تصير مقدسة أو أصبغت عليها قدسية نسبية مؤقتة بارتباطها بمصدر القداسة لذلك أطلق الله سبحانه وتعالى لفظة 'القدس' على بعض مخلوقاته كقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾4، وقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾5؛ وكذلك الأمر بالنسبة إلى قدسية بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف6.

وقد تطرقنا أعلاه لمفهوم المقدس/القداسة/التقديس باختصار شديد وبصورة عجلة غير مهملة وشاملة دون تفريط ولا تقصير ، لنبين هذا المفهوم المهم الذي يتقاطع مع موضوع بحثنا بطريقة أو بأخرى، لذا عرضنا منه ما يلزم البحث ويتماشى مع مباحثه ومكوناته. حيث أن الترجمة الدينية فرع من فروع ترجمات النصوص المقدسة، حيث أن هاته الأخيرة تحوي عددا كبيرا من النصوص سواء كانت دينية أو غير دينية.

1- الشورى، الآية: 11.
2- تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص: 194.
3- الملل والنحل، س: 567.
4- سورة النحل: 102.
5- سورة المائدة: 21.
6- التقديس والمقدسات دراسة في فلسفة الدين، ص: 60.

ومن هنا فالترجمة الدينية تهتم بترجمة النصوص سواء كانت مقدسة أو غير مقدسة بمعنى نابعة من المعبود، أو صادرة عن بشر يحوم فكرهم وتعاليمهم حول فلك دين معين سواء كان سماوي أو وضعي. وهنا نضرب مثلا بالديانة الإسلامية، فنقول إن القرآن الكريم مقدس تمام التقديس ومنزه كل التنزيه لارتباطه بالمقدس الأعلى عز وجل، أضف إلى ذلك أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بكل تصنيفاتها، كما نضيف إلى كل ما سبق كتب الدعوة والسيرة، بل وكل البحوث والمقالات والدراسة التي تهتم بالدين. فهي كتب دينية بالرغم من كونها غير مقدسة، لكن مع ضرورة التذكير بكونها تحوي الكثير من القرآن وأحاديث الرسول الكريم.

كما سنسلط الضوء على بعض نماذج ترجمة أعلام الأنبياء في القرآن وخصوصا ما اشترك الوحي الإلهي بذكرهم في الديانات الثلاث، أو ما أسميته: "المشترك الوحيي". هذا المشترك الوحيي يشكل مادة عظيمة وصعبة في نفس الوقت علما أنها ممزوجة بنوع من حلاوة البحث وكثرة الأجر إن شاء الله. "إذ ثمة خط فاصل يميز الدين غير السماوي، حيث سادت الديانات الكبرى في الشرق الآسيوي، مثل الهندوسية والبوذية والكنفوشيوسية، وفي الشرق الأوسط كالزرادشتية، والمانوية، وبين أديان التوحيد الإبراهيمية الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام، التي ترتبط فيما بينها ارتباطا وثيقا، باعتبارها فروعا تنتمي إلى تراث واحد، وأصل مشترك ينتسب إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، (...) وقد انتقلت العقيدة من إبراهيم إلى ذريته جيلا بعد جيل"1.

أهمية البحث:

تكمن أهمية موضوعنا هذا في كونه مرتبط كل الارتباط بحياتنا جميعا لارتباطه بالنص الديني (المقدس) وذلك من المحاولة لإعطاء صورة صحيحة للآخر المغاير، لتفادي الفهم الخاطئ للترجمة الدينية غير الموفقة

1-المشترك التوحدي والضمير الإنساني، ص: 31.

التي يترتب عليها الفهم الخاطئ لدى متلقي الترجمة غير الدقيقة. أضف إلى كل هذا أن الترجمة تضرب طريقا يبسا يصل بين الديانات والثقافات للتقريب بينهم وتساعد على التمازج ليأخذ ويكمل كل منهم الآخر. لذا، فالرفع من نسبة اهتمام الدارسين والباحثين في ميدان الترجمة الدينية تذلل صعاب التواصل والاتصال الفعال الموصل لمعرفة الآخر المغاير. كل هذا من أجل أن لا تصير أمة بعينها منعزلة عن غيرها ولا مفهومة دينيا ولا دنيويا.

ومن هنا صارت الترجمة الدينية في نظري المتواضع تجري في الباحثين مجرى الدم، فهي تهون انتقال سلس وآمن للترجمة الدينية من عالم ثابت إلى آخر متغير. والله الموفق والمستعان.

إشكالية البحث:

وبناءا على ما سبق التحدث عنه يمكن بلورة المشكلات البحثية في:

- صعوبة تحديد تعريف ثابت وموحد للترجمة.
- صعوبة الوفاء بالشروط للوصول لترجمة دينية ملائمة.
- المشترك الوحي وما يشكله من تحديات كبيرة خلال العملية الترجمية.
- تأثير المرجعية/الخلفية اليهودية المسيحية للمترجم على المنتج النهائي.
- صعوبة انسلاخ المترجم عن مرجعيته وثقافته وحمولته المعرفية واتصافه بالحيادية خلال الترجمة.
- جواز ترجمة القرآن من عدمه.
- أعلام الأنبياء وحمولتهم الدينية عند كل ديانة.

أهداف البحث:

إن الأهداف التي نسعى لتحقيقها في هذا البحث تكمن فيما يلي:

- التعرف على بواكير/تاريخ ميلاد وظهور الترجمة.
- الوقوف عند تطور الترجمة عند العرب وغير العرب (الغرب حاليا).
- فهم وتصنيف المقدس/النص الديني
- التعرف على الترجمة الدينية (النصوص المقدسة).
- تحديد آليات التعامل مع الترجمة الدينية من خلال الإعتماد على المشترك الوحي.
- عرض بعض النماذج لترجمة أعلام الأنبياء عليهم السلام.
- الوصول إلى نتائج من خلال المقارنة والتحليل.

منهج البحث:

سيعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي مع مقاربة دينية.

خطة البحث ومنهجه:

قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين اثنين، وخاتمة وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: تحوي بالأساس إشكالية الدراسة، علاوة على تضمينها لشروحات لبعض المفاهيم التي لا يستقيم البحث إلا بها، ثم بعد ذلك عرجت على أهداف البحث والمنهج المتبع الذي يتناسب مع طبيعة هذا المجال البحثي. كما تضم المقدمة أيضا خطة البحث التي سوف يتم تقسيمها إلى مبحثين اثنين متبوعين بخاتمة ملخصة لما سبقها من مواضيع وأفكار. بعد ذلك نعرض توصيات البحث ونتائجه، ثم المصادر والمراجع.

وفيما يلي نعرض باختصار للمباحث وما ستطرحه من موضوعات للنقاش:

المبحث الأول: الترجمة: من البواكير إلى الترجمة الدينية

سينهض هذا المبحث بالآتي:

a. بواكير ظهور الترجمة

b. شذرات من تعريفات الترجمة

c. الترجمة عند غير العرب (الغرب حاليا)

d. الترجمة عند العرب

أما فيما يخص **المبحث الثاني، فهو موسوم ب: ترجمـــة المشترك الوحيي في القـرآن**،حيث سنتطرق فيه إلى الآتي:

1- أعلام القرآن

2 - أعلام الكتاب المقدس

3 - ترجمة علم النبي يونس/يونان

1- تقديم

2- أصل علم يونس

3- تطبيق

الخاتمة

التوصيات ونتائج البحث ، لائحة المصادر والمراجع

المبحث الأول: الترجمة: من البواكير إلى الترجمة الدينية

1 - بواكير ظهور الترجمة

ترجع بواكير ممارسة الترجمة إلى الإنسان الأول عندما أعاد تحويل الوجود إلى نسق معرفي وقام بترجمة الأفكار ومضمون العبارة ليفهم ما يدور حوله ويتفاعل معه. لكن ومع مرور الزمن، أصبح الإنسان الواحد أمة تتغير ألسنتها وثقافاتها، وبذلك تغير مفهوم وعمل الترجمة لتتوسع وتكتسب أنساق جديدة لفهم الجماعة للجماعة بدل فهم الفرد لمحيطه. "ولما انقسمت الأمة الواحدة إلى شعوب مختلفة بافتراق لسانها الواحد إلى ألسن متعددة، فقد صارت حاجة الشعوب ماسة إلى التفاهم فيما بينها وإن كان هذا التفاهم المطلوب لا يضاهي التفاهم بين أفراد الشعب الواحد، فهذا تفاهم قريب ييسره الاجتماع على لغة مشتركة، وذلك تفاهم بعيد يعترضه الاختلاف بين لغات متباينة معانيها؛ ولا سبيل إلى هذا التفاهم البعيد إلا بسلوك طريق الترجمة التي سوف تتولى تهذيب الفروق في المباني وتذليل الخفاء في المعاني"1.

ولا يختلف اثنان في كون مناقشة تاريخ الترجمة شبيه بمن تمخر سفينته البحر مستعينا بخرائط متعددة تارة، ومعتمدا على الحدس تارة أخرى، ومرد هذا راجع غزارة المعلومات في حقبة زمنية معينة وشحها في حقب أخرى. دون إغفال مدى توفر إمكانية التوثيق والتسجيل والأرشفة التي يمكن الاعتماد عليها لتحديد أسباب ظهور الترجمة وتطورها من شكلها البسيط الذي ولدت عليه.

وتحكي التوراة أن سكان الأرض بعد الطوفان تكلموا بلسان واحد وفي ترحالهم وجدوا أرض شنعار وسكنوا فيها ليبنوا برجا رأسه في السماء، لكن لم يكتمل بناء البرج لأن الرب بعدما نزل بلبل ألسنة الناس فصاروا يتكلمون بلغات مختلفة. تقول التوراة: "وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. وَحَدَثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْنًا وَنَشْوِيهِ شَيًّا». فَكَانَ

1- فقه الفلسفة 1 – الفلسفة والترجمة، ص: 62-63

لَهُمُ اللِّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحُمَرُ مَكَانَ الطِّينِ. وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ». فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ». فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ، لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «بَابِلَ» لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْض"[1].

وقد لعبت الترجمة بشقيها الشفهي والكتابي دورا مهما للتواصل بين البشر، إذ يمكن إرجاع تاريخ الترجمة إلى قضية بابل عندما قرر الرب زرع بذرة من الخلاف اللساني بين أهل بابل، الشيء الذي أدى إلى تقسيم العالم إلى مجموعات لغوية منفصلة. ومنذ هذا الحادث، سعى الإنسان دائمًا إلى إيجاد وسائل لسد الفجوة اللسانية القائمة بين المجموعات اللغوية المختلفة في العالم؛ وقد تم ذلك بمحاولات الإنسان للترجمة من لغة إلى أخرى[2].

كما كان لمصر القديمة إبان حكم الفرعون رمسيس الثاني دور مهم في الترجمة وذلك من خلال معاهدة السلام الحيثية المصرية التي تعتبر الأولى بدون منازع على مدى التاريخ. حيث نجد في معاهدة إقرار السلام أنه: "وأخيرا، سنة 21 من حكم رمسيس الثاني (ديسمبر 1259 ق.م) تحركت من هاتوسا كوكبة من العربات الفاخرة نحو بي رمسيس عبر سوريا... هذا اليوم كان جلالته في بي رمسيس يفعل ما يسر الآلهة، وقد حضر

1- التكوين 11: 1-8

2 - (Throughout history, written and spoken translation have played a crucial role in inter human communication. The history of translation started with the Babel affair, when the Lord's decision to sow a seed of linguistic discord amongst the people of Babel which divided the world into separate linguistic groups. Since after this incident, man has always sought for means of bridging the gap existing between the different linguistic groups of the world. This he has done by his attempts at translating from one language to another). History of Translation as The History of translation theory: From Antiquity to The 20th Century, p: 168

رسل مصر الثلاثة ومعهم المبعوثان الأول والثاني تيللي تيشوب وراموس مبعوثا خيتا، ومبعوث قرقميش يابوسيلي حاملا معه اللوح الفضي المرسل من حاكم خيتا الأكبر هاتوسيل الثالث إلى الفرعون لطلب السلام من صاحب الجلالة رمسيس الثاني"[1].

وقد تم تأليف نسختين مستقلتين من معاهدة السلام، واحدة في هاتوسا والأخرى في بي رمسيس، وكانت كل نسخة قد قدمت شروط المعاهدة من وجهة نظر الطرفين الشريكين. وفيما يخص اللغة، نجد أن النسخة الحيثية كتبت في الأصل باللغة الأكادية على مسودة ورقية نقشت على لوح فضي لترسل بعد ذلك إلى مصر حيث تمت ترجمتها إلى اللغة المصرية. ونُقِشت نسخ من هذه النسخة على جدران معبد آمون بالكرنك والرمسسيوم. وفي المقابل، نهجت النسخة المصرية من المعاهدة الطريق ذاته كالحيثية، إذ كانت النسخة المصرية من المعاهدة مكتوبة باللغة المصرية، فتُرجمت على لوح فضي إلى الأكادية قبل إرسالها إلى بلاط هاتوسيلي. (وهكذا تصير نسخة المعاهدة المكتوبة باللغة المصرية تمثل النسخة الحيثية الأصلية، والنسخة الأكادية بدورها هي النسخة المصرية الأصلية). ويبدو جليا هاهنا أهمية اللغة الأكادية في العصر البرونزي المتأخر كلغة دولية للدبلوماسية.[2]

وكان لمجيء عزرا الكاهن 457 ق.م، ونحميا النبي سنة 444 ق.م واشتراكهما معا في قيادة الشعب مثلما كان في زمن القضاة، أثر كبيرٌ في نهضة ما بعد السبي البابلي. فقد اضطلع نحميا بإعادة بناء أسوار

1- رمسيس الثاني فرعون المجد والانتصار، ص: 114-115

2 - (Two independent versions were composed, one in Hattusa, the other in Pi-Ramesse. Each version presented the terms of the treaty from the respective treaty-partner's viewpoint. The Hittite version was originally written in Akkadian, from a Wrst Hittite ==draft, inscribed on a silver tablet, and then sent to Egypt, where it was translated into Egyptian.Copies of this version were inscribed on the walls of the temple of Amun at Karnak and the Ramesseum. Correspondingly, the Egyptian version of the treaty was Wrst composed in Egyptian, and then translated into Akkadian on a silver tablet before being sent to the court of Hattusili. (Thus the version of the treaty written in Egyptian represents the original Hittite version, and the version in Akkadian the original Egyptian version.) We have here a classic illustration of the importance of Akkadian in the Late Bronze Age world as the international language of diplomacy.) The Kingdom of The Hittites, p: 277-278. (ترجمة بتصرف)

أورشليم، وتجديد العبادة والشرائع الطقسية، والتدقيق في حفظ السبت والعشور ومسك سجلات الأنساب بتدقيق شديد. أما عزرا الكاهن الكاتب فاهتم جدا بالناموس الروحي واجتماعات الشعب للوعظ وشرح الناموس1، وذلك من خلال إعلان الشريعة بقراءة 'سفر شريعة موسى' على اليهود بمعية اللاويين لمدة سبعة أيام كاملة2. أضف إلى ذلك كون اليهود العائدون من السبي في بلاد ما بين النهرين لم يعودوا قادرين على فهم شكل العبرية في التوراة".3 فساهمت هاته الأحداث والظروف في تطور شكل خاص للترجمة في المجتمع اليهودي حوالي 397 ق.م4، يقول نحميا النبي: "وَقَرَأُوا فِي السِّفْرِ، فِي شَرِيعَةِ اللهِ، بِبَيَانٍ، وَفَسَّرُوا الْمَعْنَى، وَأَفْهَمُوهُمُ الْقِرَاءَةَ" 5

ليشكل بعد ذلك العثور على حجر رشيد تطورا مهما للترجمة من خلال فهم وتحديد معالم لغة الحضارة العظيمة التي قدمت الكثير للعالم القديم والحديث على حد سواء. "حيث يدين التاريخ المصري كثيرا لهذا الحجر وتدين البشرية جمعاء له بفضل لا ينكر، فهو حجر أسود لا ينفع ولا يضر، لكن النقوش الموجودة عليه نفعت؛ ونفعها عميم عظيم"6. "وحجر رشيد من البازلت الأسود مكتوب بثلاث خطوط من أعلى إلى أسفل الهيلوغريفية والديموطيقية واليونانية ويرجع تاريخه إلى ما يقابل 27 مارس 196 ق.م في أيام الملك

1- تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة وكتب ما بعد العهدين، ص: 210.

2- بنو إسرائيل-الحضارة. الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقضائية والعسكرية، ص: 497.

3 - (Also the Jewish people who returned from captivity in Mesopotamia were no longer able to understand the form of Hebrew in the Scriptures). Toward A Science of Translation, p: 11. (ترجمة بتصرف)

4 -(A special form of translation developed in the Jewish community the time of Nehemiah around 397 B.C). Toward A Science of Translation, p: 11. (ترجمة بتصرف)

5 -(As the event is recorded: "And they read in the book, in the law of God, distinctly; and they gave the sense, so that they understood the reading"). Nehemiah 8: 8. (ترجمة بتصرف)

6- حجر رشيد وكشف أسرار اللغة المصرية القديمة، ص: 9

بطليموس الخامس أبيفانوس"[1]. "فلم يظهر للوجود إلا في عام 1799 م موفرا بدلك مفتاح كشف أسرار مصر القديمة وفك رموز الهيروغليفية المصرية"[2].

وبعد حجر رشيد وتحديدا في الثلث الأخير من القرن الرابع ق.م زحف الاسكندر المقدوني نحو الشرق لمحاربة الفرس امتدادا لما كان من حروب بينهم وبين اليونان فهزم الاسكندر جيوش دارا الثالث في آسيا الصغرى واستولى على بلاد الشام، ومصر، وصور وغزة. ثم جاء دور العراق حيث اشتبك هناك الاسكندر بجيش دارا مرة ثانية في معركة حاسمة في اربيل كتب له النصر فيها، فكان دارا من جملة الهالكين في تلك المعركة، إذ لا شك أن زحف الإسكندر تخلله عملية الترجمة بأنواع مختلفة[3]. ليشكل التسامح الديني كذلك دورا هاما في عملية الترجمة في الإسكندرية التي كان سكانها يمثلون أنواعا جنسية عديدة فتلتقي أخلاطهم في شوارعها كما هو الحال في القاهرة في العصر الحديث (...) وكان في إلتقاء هذه الأجناس والشعوب بالطبع في هذه البوتقة امتزاج كبير للثقافات والأفكار الدينية، حيث تم في الإسكندرية الترجمة السبعينية للتوراة[4]. وهذا ما نتج عنه سماح البطالمة ليهود الإسكندرية بمباشرة شعائر دينهم بحرية تامة، فعلاقة اليهود بمصر علاقة قديمة يمكن تتبعها على مر العصور منذ الأسرة الخامسة، وقد اتخذت هذه العلاقة مظاهر شتى عبر القرون الطويلة سواء السابقة للميلاد أو تلك التي لحقته[5]، فهم كانوا موضوعين بصورة ممتازة في إطار القانون السياسي الهيلانسكي[6]. حيث كان بإمكانهم، أي اليهود، ممارسة شعائر حياتهم الخاصة دون أي تدخل من جيرانهم أو إكراه من الدولة. واستعمل اليهود اللغة اليونانية في حياتهم اليومية إلى حد أنهم

1- حجر رشيد وعلم المصريات، ص: 4

2 - (Undoubtedly the most famous translation from the ancient world is the Rosetta stone, dating from the second century B.C., but found only in 1799; for it provided the key to unlock the secrets of ancient Egypt through the clue it gave to deciphering Egyptian hieroglyphics).Toward A Science of Translation, p: 11. (ترجمة بتصرف)

3- الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، ص: 7.

4- الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان، ص: 35-37.

5- اليهود في مصر، في عصري البطالمة والرومان، ص: 21.

6- موسوعة مصر القديمة، ج: 14، ص: 670.

اضطروا إلى نقل التوراة إلى اللغة اليونانية بعدما تبين لزعماء الجالية أنه قد أصبح من المتعذر على عامة اليهود وخاصتهم قراءة التوراة في لغتها الأصلية[1].

كما ساهم في تطور مفهوم الترجمة أيضا ظهور عدد كبير من المترجمين الغربيين في العصور القديمة، ولعل أبرزهم هو الخطيب الروماني شيشرون (Cicero) (106-43 ق.م) الذي تنسب إليه أقدم مدرسة من مدارس الترجمة التي تقوم على حرية النقل مع التمسك بالقيم البلاغية والجمالية في التعبير[2]. لينتقل الأمر بعد ذلك إلى الترجمة السبعينية التي جاء اسمها من الفريق الذي سهر على ترجمتها من العبرية ويضم سبعين عالما، فهي تحتل مكانة عظيمة في الحياة الدينية منذ ظهورها في القرن الثالث ق.م كونها أقدم نص مترجم عن النص العبري للعهد القديم. فهي التي أوجدت اللغة الدينية التي استعارتها الديانة المسيحية لمباشرة طقوسها وخدماتها فيما بعد، إذ تعد الترجمة السبعينية القاعدة الأساسية التي قامت عليها الترجمات المختلفة للعهد القديم وأهمها النسخة اللاتينية الفولجيتا ذات التأثير الكبير على اللاهوت والأدب المسيحي[3] والتي صارت مصدر إلهام للأدباء والكتاب[4].

وبعبارة أخرى، لقد اعتمدت الكنيسة اليونانية في قراءتها للكتب المقدسة على الترجمة السبعينية التي قُرِأَت من خلالها الكتب المقدسة مدة قرون ومنها ترجمت إلى القبطية والسوريانية والأرمنية واللغات الأخرى، أضف إلى كل هذا الصورة اللاتينية القديمة. وفي الإسكندرية أيضا، استطاع فيلون السكندري Philo Of Alexandria (ت. 50م) أن يكون مذهبه في علم المنطق وهو أمر هام للديانة المسيحية وعلم اللاهوت. وكانت

1- نفسه، ص: 115.

2- أسس وقواعد صنعة الترجمة، ص: 60.

3- الترجمة السبعينية للقرآن الكريم بين الواقع والأسطورة، ص: 3.

4 -Encyclopaedia Judaica, p: 6696.

الإسكندرية أحد المراكز الرئيسية في امتزاج الديانات واتحاد الفرق والنحل والمذاهب المختلفة، حتى صار منها مجموعة واحدة تمثل ديانة وثنية واحدة هيأت عصب الحرب للنزاع الأخير بين الوثنية والمسيحية[1].

2 - شذرات من تعريفات الترجمة

والآن ننتقل للبدء في الحديث عن شذرات في تعريف الترجمة، من خلال الوقوف على بعض تعاريف للترجمة لنفهم تطور هذا المفهوم، إذ لا يخفى على أحد أن الترجمة أحد الفنون الراقية، لها قواعد خاصة ووسائل محددة مثل سائر الفنون الأخرى؛ بل هي وسيلة نقل ثقافات وحضارات أمم العالم وعاداتها وتقاليدها من لغة إلى أخرى[2]. وعموما، تعد الترجمة منذ بداياتها عملية إعادة تحويل الوجود ليصير نسق معرفي، كون المترجم هو مضمون العبارة وليس العبارة بحد ذاتها، أي أننا نترجم الفكر وليس اللغة وذلك من خلال إجراء 'Process'[3] يؤدي إلى منتج نهائي 'Product'[4] .

فتطور الترجمة وزيادة الإلحاح عليها لا يرجع إلى القصر في لغة بذاتها، إنها ليست قاصرة بعجز أصحابها في الاختراع وحسب، بل في العمل في صناعة لغة العلم الذي لم تصنعه لأنها تستطيع لو أرادت أن تفعل، ما دام المصطلح من حيث هو لا يرتبط في غالب الأحوال بمسماه.[5]

ومن جهة أخرى يخبرنا الجاحظ في كتابه الحيوان أن كتب الهند قد نقلت، كما ترجمت حكم اليونانية وحولت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسنا وبعضها ما انتقص شيئا. ولو حولت حكمة العرب، لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن، مع أنهم لو حولوها لم يجدوا في معانيها شيئا لم تذكره العجم في كتبهم، التي وضعت

1- الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان، ص: 36.

2- الترجمة ضرورة حضارية، ص: 185.

3 -Thinking Arabic Translation, p: 6.

4 -Discourse and Translator, p: 3.

5- مجمع البحرين من الفينيقية إلى العربية، ص: 325.

لمعاشهم وفطنهم وحكمهم. وقد نقلت هذه الكتب أيضا من أمة إلى أخرى، ومن قرن إلى آخر، ومن لسان إلى لسان حتى انتهت إلينا، وكأننا آخر من ورثها ونظر فيها.[1]

وقد مورست الترجمة بشكل عفوي وتلقائي في الأسواق والمناسبات قبل أن تمارس بشكل أكاديمي، فالحاجة إلى معرفة الآخر شجعت عملية الترجمة التي ذللت صعاب فهم هذا المغاير وتشكيل صورة عنه؛ فتجاوزت الترجمة كل هذا لتصير طريقا يبسا يوصل لمكامن ضعف الآخر ومراكز قوته. وللوصول إلى الغايات السالفة الذكر، "لعبت الترجمة المكتوبة والمنطوقة عبر التاريخ دورًا مهمًا في التواصل بين البشر[2]، وقد استخدم المصطلح الإنجليزي 'ترجمة' لأول مرة حوالي عام 1340م، فهو إما مشتق من كلمة "translation" 'ترجمة' الفرنسية القديمة أو بشكل مباشر من 'translatio' 'ترجمة' اللاتينية بمعنى 'النقل'، والتي بدورها أتت من اسم الفاعل 'transferre' بالمعنى ذاته"[3].

وقد عرفت الترجمة بطرق شتى من لدن المتخصصين في هذا المجال معتمدين على رؤيتهم للغة والترجمة. فعند نايدا هي إعادة إنتاج المعادل الطبيعي في اللغة الهدف الأقرب لرسالة اللغة المصدر، وذلك من حيث المعنى في المقام الأول؛ ليأتي الأسلوب في المقام الثاني.[4] ويفسرها أكثر مونداي معتبرا إياها مصطلح ذو معان عدة إذ يمكن أن تشير إلى الموضوع العام، أو المنتج النهائي (النص المُتَرجم) أو العملية (الترجمية) بمعنى

1- الحيوان، ج:1، ص: 75.

2 - (Throughout history, written and spoken translation have played a crucial role in interhuman communication) Introducing Translation Studies: Theories and Applications, p: 10.

3- (and "the English term 'translation', first attested in around 1340, derives either from Old French 'translation' or more directly from the Latin 'translatio' ('transporting'), itself coming from the participle of the verb 'transferre' ('to carry over') Ibid, p: 8. (ترجمة بتصرف)

4 - (Translation has been defined in many ways by different writers in the field, depending on how they view language and translation. Nida defines that translating consists in the reproducing in the receptor language the closest natural equivalent of the source language message, first in terms of meaning and secondly in terms of style). The Theory and Practice of Translation, p: 12. (ترجمة بتصرف)

عمل إنتاج الترجمة، والمعروف أيضًا باسم الترجمة1. وعلى المنوال ذاته، تساءل بيتر نيومارك: "ما هي الترجمة؟ ليجيب أنها تقديم معنى نص إلى لغة أخرى تتطابق ونية الكاتب، وحسب ما هو شائع لابد أن يكون هذا بسيطًا، إذ وجب على المرء قول الشيء نفسه بلغة كما في لغة أخرى.2 أضف إلى ذلك كونها مهارة تكمن في محاولة استبدال رسالة مكتوبة في لغة معينة بنفس الرسالة في لغة أخرى3 ، أو بالأحرى هي نص كتب بلغة متمكن منها ليحيل إلى نص بلغة أخرى ضَعُفَ التمكن منها4 .

وننتقل الآن لأندريه لوفيفر الذي عرف الترجمة كونها، بطبيعة الحال، إعادة كتابة نص أصلي إذ تعكس جميع الترجمات، بغض النظر عن النوايا، أيديولوجية معينة في مجتمع معين وبطريقة معينة 5.

وعموما، تحيلنا أيضا كلمة الترجمة إلى المجال بأكمله، أو عملية الترجمة أو النص المترجم"6. والمعجم الوسيط يعرف الترجمة لغة على أنها: "ترجم الكلام أي بينه ووضحه، وترجم كلام غيره، أي نقله من لغة إلى أخرى، ولفلان ذكر ترجمته، والتُرجمان: المترجم، جمع تراجم وتراجمه"7، و التُرجمان بالضم والفتح في لسان العرب هو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع تراجم8. فإذا كانت الترجمة نقلا أو تحويلا

1 - (and Munday defines it as "the term translation itself has several meanings: it can refer to the general subject field, the product (the text that has been translated) or the process (the act of producing the translation, otherwise known as translating). Introducing Translation Studies, p: 5. (ترجمة بتصرف)

2 - (Newmark is asking: "What is translation? (...), it is rendering the meaning of a text into another language in the way that the author intended the text. Common sense tells us that this ought to be simple, as one ought to be able to say something as well in one language as in another"). A Text Book of Translation, p: 5. (ترجمة بتصرف)

3 - (Newmark also describes translation as a craft consisting in the attempt to replace a written message in one language by the same message in another language). Approaches to Translation, p: 7. (ترجمة بتصرف)

4 - (Moreover, "A translation is "a text written in a well-known language which refers to and represents a text in a language which is not as well known). De Interpretation Libri Duo, p: 5. (ترجمة بتصرف)

5 -(According to A. Lefevere Translation is, of course, a rewriting of an original text. All rewritings, whatever their intention, reflect a certain ideology in a given society in a given way). Traslation/History/culture, p: XI. (ترجمة بتصرف)

6- نظرية الترجمة الحديثة، ص: 5.

7- المعجم الوسيط، ص: 83.

8- لسان العرب، م 1- ج 5، ص: 426.

لنص معين من لغة إلى أخرى، فإن عملية الانتقال لا تتم مباشرة وبشكل تلقائي إذ تطرح الترجمة صعوبات ومشاكل ذات طبيعة جد متنوعة[1].

وعموما يختلف تعريف الترجمة من شخص لآخر ومن علم لآخر، حيث يعرفها كل واحد من زاوية نظره التخصصية.

3 - الترجمة عند غير العرب (الغرب حاليا)

ومع انتشار المسيحية، اكتسبت الترجمة دورًا آخر وهو نشر كلمة الله[2] بداية مع القديس جيروم (Saint Jerome) (ت.420 م) مترجم الفولغاتا، الذي أبرز السؤال الأكثر تناقضًا نتيجة الانقسام الذي ظهر قبل المسيحية بين ترجمة النصوص الدينية والنصوص الدنيوية[3]. واشتهر القديس جيروم بترجمته للإنجيل من اللغة الإغريقية إلى اللغة اللاتينية، إذ يعد أول من طرح فكرة الفصل بين ترجمة النصوص الدينية (المقدسة) والنصوص الدنيوية، وأوضح أن الترجمة السليمة تعتمد على فهم المترجم للنص الأصلي وقدرته على استخدام أدوات لغته الأم أو اللغة التي يترجم إليها[4].

ولم يتوقف الأمر عند أشخاص بعينهم مارسوا الترجمة هنا وهناك، بل اتسع مجال العمل الترجمي ليصير مؤسسات منظمة لها منظورها الخاص وفلسفتها في الوجود، بالرغم من ويلات الحروب وما تجلبه من صعوبات في التفكير والتعبير. ونذكر هنا مدرسة الرها[5] (The School of Edessa) الشهيرة في مملكة الرها أو

1- مسائل في نظرية الترجمة والترجمة الأدبية، ص: 347.

2 -(With the spread of Christianity, translation came to acquire another role, that of disseminating the word of God). Translation Studies,p: 53. (ترجمة بتصرف)

3 -(par saint Jérôme (340--420 ap. J.C) le traducteur de la Vulgate, qui a mis en évidence la question plus ambivalente en raison de la dichotomie qui s'installe dès avant l'avènement du christianisme entre la traduction des textes religieux et la traduction des textes profanes). Théories et Pratiques de la Traduction Littéraire en France, p: 99. (ترجمة بتصرف)

4- أسس وقواعد صنعة الترجمة، ص: 60-61.

5- راجع هنا تاريخ وأهمية هاته المدينة في كتاب: إمارة الرها الصليبية، الصفحة 23 وما بعدها.

مملكة أسروينا (Kingdom of Osroene) (132ق.م– 244م)، التي شهدت حروبا كثيرة خصوصا تلك التي قامت بين الرومان والفرثيين إذ عاشت المملكة فيهم أياما عصيبة، وبالرغم من كل هذا قام أعلام على شاكلة الشماس أفرام (Ephrem the Syrian) (ت. 373م) باللجوء إلى مدينة الرها وجلب معه حماسه التعليمي ومعارفه ومهاراته التي اكتسبها من أديرة نصيبين ليفتح مدرسة وضعت تحت إمرة أسقف المدينة، وحافظ أفرام على التعليم باللغة السريانية1.

ولم يتوقف تطورها عند هذا الحد، بل ازدهرت المدرسة وصار التلاميذ أيضا يتابعون دروسا مختلفة في مواضيع متنوعة على شاكلة البلاغة، والفلك، والتاريخ، والجغرافية والفلسفة. وقد رغب مدير مدرسة الرها في الحصول على ترجمة إلى اللغة السريانية لتفاسير نصوص الكتاب المقدس التي كان الأسقف تيودوروس المصيصي (Theodore de Mopsueste) (ت. 428م) قد أعدها سابقا باللغة اليونانية فقام هيباس المعلم بالمدرسة والأسقف فما بعد بهاته الترجمة2.

وعندما سيطر الرومان على العديد من عناصر الثقافة اليونانية بما في ذلك المجال الديني العام إبان القرن الثاني عشر، كان (الغرب) على اتصال بالإسلام في إسبانيا والازدهار الذي أضفى نوعا من الجاذبية وخلق حاجة ملحة ورغبة في تقبل الثورة المعرفية القادمة من الخارج، كل هذا أدى إلى إشعال شرارة روابط الاتصال التي أضحت تجمع الطرفين.3 وقد أدى سقوط الحكم المغاربي الإسلامي في إسبانيا إلى حصول العلماء المسيحيين على كنز من المؤلفات في مدينة طليطلة، فشرع طاقم من المترجمين على شاكلة يوحنا الاشبيلي (Johannes Hispalensis - Johannes Hispaniensis) (ت. 1180م) في ترجمة أولى مخطوطات العلماء المسلمين مثل الفارابي (ت. 952م) وابن سينا (ت. 1037م) إلى اللغة اللاتينية، كما قام بطرس

1- الفلاسفة والمترجمون السريان، ص: 48-49.

2- نفسه، ص: 48-49.

3 -(And when the Romans took over wholesale many elements of Greek culture, including the whole religious apparaus. In the twelfth century, the West came into contact with Islam in Moorish Spain). Approaches to Translation, p: 3. (ترجمة بتصرف)

المبجل (Petrus Venerabilis) (ت. 1156م) بترجمة القرآن؛ في حين قام أديلارد الباثي Adelardus (Bathensis) (ت. 1154م) بنقل مؤلفات إقليدس[1].

ومما لا غبار عليه، أدت غلبة الفرنسية كلغة المتعلمين في إنجلترا بدأ من الفتح النورماندي وصولا لمنتصف القرن الرابع عشر، إلى عدم ترجمة الكتاب المقدس كاملا إلى الإنجليزية حتى السنوات الأخيرة من حياة جون ويكليف (John Wycliffe) (ت. 1384م). ليتم عمل نسخة أخرى بعد ذلك حوالي 1380م أو م1383. لتمر بضع سنوات أخرى فتتم مراجعة هذا العمل كاملا وإعادة كتابته بشكل أوضح وبأسلوب أبسط بواسطة أيادي أخرى غير يد ويكليف[2].

4 - الترجمة عند العرب

شاع بين الناس أن العرب في جاهليتها كانت أمة منعزلة عن العالم في قطب خاص بها، لا تتصل بغيرها أي اتصال، وأن الصحراء من جانب والبحر من جانب حصراها وجعلاها منقطعة عمن حولها، لا تتصل بهم في مادة ولا تقتبس منهم أدبا ولا تهذيبا. والحق خلاف كل هذا تماما، فالعرب كانوا على اتصال بمن حولهم ماديا وأدبيا، وإن كان هذا الاتصال أضعف مما كان بين الأمم المتحضرة لذلك العهد، نظرا لموقعها الجغرافي ولحالتها الاجتماعية[3].

1 -(Und der sturz der maurischen herrschaft in spanien machte die bucherschatze Toledos den christlichen gelehten zuganglich. Ein stab daran die ersten Werke von beruhmen Gelehrten des Islam Avicenna, Alfarabi ins Lateinische zu ubersetzen. Peteus Venerabilis ubersetzte den Koran. Adelard von Bath ubertug eine arabische Ausgate des Euklid). Das Problem des übersetzens, p: XI. (ترجمة بتصرف)

2 - (No doubt, because of the predominance of The French as the language of educated people in England from the time of the Norman Conquest until the middle of the fourteenth century, the Bible, as a whole, remained untranslated into English, until the last years of the life of Wyclif. A version was then made, about 1380-3, and some years later this was revised and substantially rewritten in a simpler style by another hand). Records Of The English Bible, P: 1. (ترجمة بتصرف)

3- فجر الإسلام، ص: 21.

ولنقرب القارئ العزيز من هذا الاتصال بين العرب وغيرهم قبل الإسلام بزمن طويل، نذكر على سبيل المثال البعثات اليهودية والنصرانية في جزيرة العرب التي تدعوا إلى دينها وتنشر تعاليمها (نقصد هنا التبشير المسيحي بشكل كبير)1. فقد انتشرت اليهودية2 هناك قبل الإسلام بقرون، وتكونت فيها مدن يهودية وأشهرها 'يثرب' وهي التي سميت بعد بـ'المدينة'. كما كانت النصرانية في ذلك العهد متواجدة بقوة من خلال الفرقتان الكبيرتان: النساطرة3 واليعاقبة. فكانت الأولى منتشرة في 'الحيرة'، والثانية في 'غسان' وسائر قبائل الشام؛ وعموما تعد مدينة 'نجران' موطن للنصرانية في جزيرة العرب4. والاتصال بين العرب وغيرهم لم يكن لينمو ويستمر لولا وجود الترجمة والمترجمين الذين ذللوا الصعاب وبينوا المقاصد والمعاني، إذ يعد هذا الاحتكاك والتمازج بين الطوائف الدينية المختلفة بوادر للترجمة.

وبعد أن تطرقنا لاتصال عرب الجزيرة باليهود والنصارى، ننتقل إلى الحديث عن اتصال آخر جاوز الحدود، ألا وهو التجارة وما يصاحبها من مشقة وتعب وربح أو خسارة. حيث أن الكتابة قبل الإسلام كانت منتشرة في مكة باعتبارها مركزا تجاريا وحضاريا، وبالرغم من ذلك كان عدد الكاتبين قليل وجلهم من قبيلة قريش لأنهم أهل تجارة5. فظهرت بوادر الترجمة عند العرب أيضا في رحلات الشتاء والصيف التجارية، كونها تقطع مسافات طويلة وفي اتجاهات مختلفة بحثا عن سلع جديدة أو لترويج سلع أهل مكة الخاصة، يقول تعالى:

1- تعد الديانة المسيحية (على خلاف الديانة اليهودية) ديانة تبشيرية داعية الجميع للدخول إلى الملكوت السماوي، فنجد السيد المسيح يأمر أتباعه من الرسل (الحواريين) بالكرازة من بعده في مشارق الأرض ومغاربها. وحسب قاموس الكتاب المقدس، ص: 96 "الكرازة هي المناداة علنًا بالإنجيل للعالم غير المسيحي، فهي ليست المواعظ الدينية لجماعة مغلقة من المبتدئين، لكنها التبشير العلني بعمل الله الفدائي بالمسيح يسوع (...) فالكرازة هي المناداة ببشارة الخلاص، لذلك يستخدم الفعل 'يبشر' (...) "وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب" (متى 4: 24) "ولعل أبرز خصائص الكرازة هو أنها إلزام سماوي فيقول الرب يسوع لتلاميذه: "لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك أيضًا لأني لهذا خرجت" (مرقص 1: 38).

2- راجع: طبقات الأمم، ص: 41-44.

3- راجع: اللاهوت العربي وأصول العنف الديني، ص: 120 وما بعدها.

4- فجر الإسلام، ص: 31-36.

5- الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص: 40.

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[1]، "والمراد 'بالإيلاف' ما كان يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك"[2] إذ عُرف أهل الجزيرة العربية في كل العصور بنقل حاصلات الشرق إلى الغرب وحاصلات الغرب إلى الشرق وحاصلات بلادهم من مكان إلى آخر[3].

وقد مثلت الزعامة الروحية لقريش وعقود الإيلاف وترتيباته الأمنية دور مهم في الربط بين تجارة قريش وحاجيات ومصالح القبائل العربية الضاربة على جنبات الطرق، وتجلى هذا الربط من خلال المشاركة وتقديم خدمات لقريش مقابل أجر مادي، أو تعويضه بالمحالفات والمصاهرات، وكل هذا حافظ على حسن العلاقات مع القبائل البدوية[4]. فعبر الزمن وصفت قريش للحجاج على أنها أعظم القبائل احلاما وأكرمها مقاما[5]. وطبعا كان لزاما حضور عملية الترجمة داخل جميع مناحي الرحلات التجارية وما تخللها من عهود ومواثيق التي عرفت بعقود الإيلاف كما ذكرنا.

ولو لا جهود هاشم بن عبد مناف[6] جد أب الرسول عليه السلام لما كان وجود لرحلات قريش التجارية وتغطيتها لمساحات شاسعة. ونحن هنا لا نستطيع أن نحيط بموضوع رحلات الإيلاف وكل ما يتعلق به، إذ أوردناه مختصرا لنشير لبواكير العملية الترجمية عند العرب. ولمن أراد التوسع أكثر وأكثر، فالقصة كاملة وبالتفاصيل الدقيقة في كتاب المنمق في أخبار قريش (حديث الإيلاف) حيث يخبرنا البغدادي أن

1- قريش، الآية: 1-2.
2-تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص: 491.
3- الإسلام والحضارة العربية، ص: 109.
4- دولة الرسول في المدينة، ص: 13.
5- أنساب العرب القدماء، ص: 37.
6- السيرة النبوية، ج: 1(ذكر نسب قريش)، ص: 152-153.

قريشا كانت تجارا وكانت تجارتهم لا تعدو مكة، إنما يقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترون منهم ثم يتبايعونه بينهم ويبيعون من حولهم من العرب[1].

واستمرت تجارة قريش حتى ركب هاشم بن مناف إلى الشام فنزل بقيصر واسم هاشم يومئذ عمرو، فكان يصنع الثريد[2] على غير طريقة الأعاجم بهشم الخبز وصب المرق عليه وأخيرا يفرغ عليه اللحم، فلذلك دعي 'هاشم'. وبلغ ذلك قيصر فدعا به، وبعد أن رأى هاشم مكانه منه قال له: إن قومه (أي قريش) قوم تجارة فان رأيت أن تكتب لهم كتابا تؤمنهم وتؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فيصير كل هذا بأرخص الأثمان[3].

وننتقل الآن للحديث عن الترجمة التطبيقية أو العملية تلك التي بدأت بواكيرها مع بدايات ظهور الإسلام، حيث يعد ما سبقها مرحلة نظرية فقط متواضعة في الزمان والمكان والتطور. لكن مع البدايات الأولى للعهد النبوي اتخذت الترجمة طريقا معبدا متجها للترجمة والعمل الترجمي خدمة للتبليغ وتذليلا لصعاب الانفتاح على من خالفوا اللسان العربي بألسنتهم الخاصة.

ففي حديث لرسول الله يأمر فيه زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود، ففي صحيح البخاري باب ترجمة الحكام: "عن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب اليهود، حتى كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم كتبه وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه"[4]. أضف إلى ذلك أحاديث متعددة تتحدث عن الترجمة وأهميتها لمعرفة الغير. فمثلا، تضمن الحديث الطويل بين هرقل وأبا سفيان بن حرب حول الرسول عليه السلام

1- المنمق في أخبار قريش، ص: 41-48.
2- أنظر الأعلام، ص: 256. يقول مطرود بن كعب الخزاعي:
عمرو الذي هشم الثريد لقومه.....قوم بمكة مسنتين عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما.....سفر الشتاء ورحلة الأصياف
3- المنمق في أخبار قريش، ص: 41-48..
4- صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب: 'ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد؟'، ح 7190، ص: 1779.

حوارا طويلاً ومناقشة أطول علاوة على معلومات كثيرة؛ وطبعا كان حضور الترجمان بأمر من هرقل أمر لا محيد عنه[1].

وكذلك كان حضور الترجمة ضروري ومؤكد أثناء الحوار الطويل والسجال الأول بين جعفر بن عبد المطلب[2] والنجاشي أصحمة ملك الحبشة[3]، وذلك عندما خرج نفر من المسلمين بأمر من الرسول عليه السلام كأول هجرة في الإسلام قصد البحث عن أرض خصبة أخرى لتقوية الإسلام وفتح منافذ أخرى للمسلمين، بل بحثا في الأساس عن الأمان الذي فقد في مكة جراء شراسة قريش اتجاه من وحد الله تعالى وشهد لرسوله بالصدق والنبوة.

فتعلم لغة الأقوام من سنن الإسلام وقد سبق رسول الله عليه السلام إلى الانتفاع بهذا العلم[4]، فكما أشرنا أعلاه فقد طلب الرسول عليه السلام من زيد بن ثابت تعلم لغة اليهود، وها هو هنا يستفسر زيدا عن مدى إتقانه للغة السريانية، يقول زيد: "قال لي رسول الله أتحسن السريانية؟ قلت: لا. قال: فتعلمها، فتعلمتها في سبعة عشر يوما"[5]. وسبب هذا التعلم راجع إلى ورود كتب بالسريانية على النبي الكريم وكان لزاما وجود مترجم عارف باللغة المصدر. والشيء ذاته ينطبق على الداخلين في الإسلام من غير العرب الذين اضطروا إلى تعلم العربية لدينهم ودنياهم، حتى اضطروا أن يتعلموا النحو لإصلاح لغتهم[6]. فرغم وجود ترجمة لسورة الفاتحة بالفارسية لحديثي العهد بالإسلام حتى تلين ألسنتهم للعربية، لكنها مهما بلغت من الدقة لا تعدو كونها ترجمة، حيث أن النص المترجم للكلام البشري قد يغنيك عن الأصل، ولكن النص المترجم

1- راجع: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: 'قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا'، ح 4553، ص: 1116-1117.

2- راجع تاريخ الطبري، ج.11. ص: 494-495.

3- راجع السيرة النبوية لابن هشام، ج.1، محاولة قريش رد مهاجري الحبشة، ص: 424-425.

4- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص: 305.

5- سير أعلام النبلاء، ص: 1738-1739.

6- فجر الإسلام، ص: 163.

للكلام الإلهي (القول الثقيل) لن يغنيك أبدا عنه. فقد تقرأ رواية مترجمة تغنيك عن قراءتها في لغة المصدر، ولكن قراءة معاني القرآن مترجمة لن تغنيك عنه أبدا"[1].

ولم تأتي ضرورة تعلم اللغة العربية من فراغ، بل جاءت تطبيقا لحديث الرسول عليه السلام الذي يؤكد فيه على ضرورة قراءة فاتحة الكتاب (أم القرآن) في كل صلاة، يقول رسول الله: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة القرآن"[2]. وبشكل أدق، فقد كان إطلاع المسلمين على الدين والفلسفة والعلوم من خلال طريقتين، تتجلى الأولى في الحديث الشفوي، وتكمن الثانية في الترجمة؛ ومصدر الطريقين واحد وهو مسيحي الشام والعراق من نساطرة ويعاقبة أو من يعرفون بالسريان[3]. ليطلق العنان بعد ذلك للخير الموجود وإلى الحكمة المبعثرة في تاريخ الأمم فأخذ وترجم لتخرج نهضة علمية كبيرة بكل المقاييس[4].

هاته النهضة الكبيرة في العلوم وفي الترجمة بصفة خاصة تشكلت مع العصر الأموي، إذ يعد الأخير انطلاقة رسمية للترجمة التطبيقية بعدما ظهرت بوادرها وانقشع الضباب عن ملامحها مع بداية العهد النبوي. فالأمور تغيرت فيه وظهر الاهتمام بالترجمة والمترجمين والتعطش لمعرفة ثقافات وحضارات الغير، وخصوصا مع خالد بن يزيد بن معاوية الذي كان له فضل كبير في نقل الكثير من الكتب إلى اللسان العربي.

1-ترجمة آية: (يا أرض ابلعي) أهي ضياع وربح أم محض ضياع؟ ص: 10.

2- صحيح مسلم، م.1. كتاب الصلاة، باب: 'وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة'، ح 394، ص: 184.

"حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد وإسحق بن إبراهيم جميعا عن سفيان قال أبو بكر حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب."

3- الجانب الإلهي من التفكير الإنساني، ص: 265.

4- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص: 304.

المبحث الثاني: ترجمة المشترك الوحيي في القرآن:

a. أعلام في القرآن

يقول الراغب الأصفهاني: "فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حُذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة"[1].

والأعلام مشتركة بين اللغات المختلفة، والفرق بينها هو في الحروف التي تُكتب ويُنطق بها. هذه الحروف تختلف من لغة إلى أخرى، والنطق بالعَلَم في لغة أخرى غير اللغة الأصلية لا يعني أنه أصيل في تلك اللغة. ومع أن مادة النَّوحْ بمعنى البكاء موجودة في اللغة العربية، فنقول: ناح ينوح نَوْحا بمعنى: بكى يبكي بكاء، فهو باك، إلا أنه لا صلة بين هذه المادة العربية المشتقة، وبين (نوح) الاسم الأعجمي. (...) فأسماء الأعلام مشتركة بين اللغات، فالواحد منها أصيل في اللغة التي بدأ إطلاقه على أهلها. لكنه يُنقل إلى لغة أخرى، بحروف تلك اللغة الجديدة، فيكون منقولا لها ومترجما إليها وليس أصيلا فيها[2].

وفيما يخص التعبير عن العلم الواحد بلغات وثقافات ووضعيات متعددة، فهذا يعد مشكلا كبيرا لكون التعبير عن علم/ شخص واحد قد يأتي بتعابير مختلفة حتى يظن القارئ أن الحديث عن شخصيات متعددة وهم في الأصل واحد فقط. فمثلا، سمى القرآن الكريم ومن اهتدى بهديه تابعي (صحابة) عيسى عليه السلام بالحواريين، والكتاب المقدس والمسيحيون يعبرون عن نفس الأعلام بالرسل (رسل السيد المسيح) الذين يسير معهم الروح القدس. وهذا الأخير الذي هو جبريل عليه السلام هو عند المسيحيين غبريال رئيس الملائكة ويصير متجسدا في حمامة بيضاء تلهم رسل السيد المسيح ومن جلس على الكرسي الرسولي

1- مفردات ألفاظ القرآن، ص: 55.

2- الأعلام الأعجمية في القرآن-تعريف وبيان، ص: 36-37.

البابوي. وهنا نذكر نزول الحمامة، روح الله، على السيد المسيح وهو يُعَمد من لدن يوحنا المعمدان في نهر الأردن.

وفي نفس السياق يقول يوسف زيدان: "إن اختلاف اللغات المعبر بها عن المفاهيم والاصطلاحات الدينية، قد يوهم بأن هذا المفهوم أو ذاك المصطلح، مختلف الدلالة بين العرب والسريان واليونان، مع أن المعنى مراد واحد. غير أن اختلاف اللفظ بين اللغات، قد يؤدي إلى الظن بأن المعنى مختلف (...) ومن ناحية أخرى، قد تؤدي الترجمة بين هذه اللغات، إلى تغيير تسميات الشيء الواحد، فيصير مع تعدد تسمياته كأنه متعدد، وهو واحد! وهو ما نراه حتى في أسماء الأشخاص. مثلما هو الحال في يسوع الذي هو عيسى بذاته، ويوحنا المعمدان الذي هو يحيى بن زكريا، والعذراء (القديسة) التي هي (الصديقة) مريم بنة عمران، أخت هارون"[1].

وعندما نتحدث عن الأعلام في القرآن، فنحن نقصد أسماء/أعلام الأشخاص (الذات)، والبلدان (الأماكن والبقاع)، والحيوان، والجماد. وطبعا يختلف ذكر العلم في القرآن حسب السياق الذي ذكر فيه. فقد ذكر الأنبياء والرسل بالمدح في سياقات النبوة القرآنية سواء تعجل النبي المذكور أو لم يتعجل. وهناك أعلام ذكروا في سياق الذم وإبراز الكفر مثل فرعون، هامان، قارون وأصحاب الأخدود (...) وصنف آخر لم يذكر لا في محل ذم ولا في سياق المدح وهم الروم.

b. أعلام الكتاب المقدس

تغطي التوراة فصلا مهما من تاريخ وقصص الأنبياء يبدأ من خلق الخليقة مع آدم عليه السلام إلى الهبوط الأرضي للخروج من جنات عدن لتبدأ قصة الخطيئة الأصلية ويصير لعقيدة الفداء اللاحقة في المسيحية جذور أولى، ثم بعد ذلك تبدأ عمارة الأرض وتتربي الغيرة والحسد ليقتل قابيل هابيل فيدشن أول جريمة قتل ترتكب. ليستمر الزمن فيبدأ الشرك والكفر ويمضي نوحا زمنا في الدعاية إلى الطريق المستقيم، لكن يغلب

1- اللاهوت العربي وأصول العنف الديني، ص: 34.

على الإنسان الكفر والجحود فيأتي الطوفان ماءا طهورا لتغتسل به الأرض من دنس الكفر ويطهر صخورا حولت لأصنام تعبد.

وهكذا تستمر قصص الأنبياء حسب التوراة في التناسل والتطور فيأتي أبراهام وزوجه سارة لينجبوا إسحاق ومن بعده يعقوب نافلة، ثم يصير يعقوب النبي إسرائيل الذي غالب الله فغلب؛ فيبدأ الشعب اليهودي المختار من عند الرب في الزيادة والتطور فيعزه يوسف النبي بحسن تدبير أزمات مصر مع الجفاف، فينتقل إسرائيل إلى مصر ليلتحق بعزيزها العظيم. وتمر السنوات ويتغير الوجه السياسي لمصر ليعلو نجم فرعونها الذي ألحق ببني إسرائيل أشد العذاب وأنزلهم في أبخس المنازل، فيتحقق وعد الرب ويخرج موسى من الشعب اليهودي ليتربى في بلاط فرعون ويصير لعرشه مكسرا ولسلطانه مزيلا.

فيحصل الخروج لبني إسرائيل وتستمر القصة هكذا مع خليفته يوشع بن نون وتستمر الرواية للوصول إلى أرض الميعاد، تلك التي وعد بها أبراهام منذ زمن بعيد. وخلال هذا القصص ذكر أنبياء من المشترك الوحيي بين التوراة والقرآن، وأنبياء أخر لم يذكروا في القرآن لكن انفردت بهم التوراة حيث يقول الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾1 فهذا الوحي واحد منذ البداية ويستمر في وحدانيته إلى الخاتم محمد عليه السلام ويتحقق بذلك أمر الله تعالى.

كان هذا إطلالة بسيطة على أعلام العهد القديم، أما فيما يخص العهد الجديد أو الشق الثاني المكون للكتاب المقدس الإنجيل، فقد اختص بذكر ثلاث رسل للمولى عز وجل وهم: زكريا، ويحيى، وعيسى المسيح بن مريم عليهم الصلاة والسلام أجمعين، إذ يعتبرون من المشترك الوحيي. وقد ذكروا في مواضع متفرقة من الإنجيل والقرآن بقصصهم وحكاياتهم، تتغير حدتها وتطوراتها حسب كل شخصية.

1- النساء: 164.

c. ترجمة علم: "النبي يونس/يونان"

وهنا وصلنا إلى المراحل الأخيرة من بحثنا، فبعد أن قدمنا الجانب النظري الذي يعبد الطريق للوصول لهاته المرحلة التطبيقية التي سنتناول فيها إن شاء الله علم النبي يونس عليه السلام أو يونان النبي، وذلك من خلال الوقوف على كتب اللاهوت اليهودي المسيحي وكتب التفاسير وأقوال علماء الكتاب المقدس وعلماء المسلمين كل من جانب تخصصه حسب الحاجة والضرورة البحثية. فنحن هنا نحاول أن نظهر للقارئ الكريم كيف ترجم المترجمون الغير مسلمون لعلم هذا النبي الكريم، ونظهر ما بين السطور كان خفيا أو نوضح ما كان على السطر مكتوبا. فنحن هنا نظهر ما لم يوفق فيه المترجم الإنجليزي وغير معنى محكم التنزيل وصار النص الهدف بعيدا كل البعد عن النص الأصلي. فالأصل أن النص الهدف سفير للنص الأصلي أو على الأقل مرآة مكسورة عاكسة لخيال الناظر دون حصول تشويه للصورة الأصلية.

وللوصول للغاية السابقة، سنقوم بعرض السياق التاريخي للنبي يونس داخل ما صح من كتب التفسير وقصص الأنبياء، بعد ذلك ننتقل لأقوال وآراء وتفسيرات علماء اللاهوت اليهود المسيحي. بعد ذلك سنتتبع السياق الإيتمولوجي للنبي يونس عليه السلام من أول ظهور لاسمه داخل آي التوراة المقدسة كونه من المشترك الوحي بالعهد القديم ثم في القرآن الكريم، كل سيعقبه جدول يعرض لترجمة علم يونس/يونان عند المترجم الإنجليزي الكبير جورج سيل1 (1697-1736هـ) وذلك من خلال ترجمته الإنجليزية الواسعة الانتشار الصادرة عام 1877م.

وقد اختارنا ترجمة عبد الله يوسف علي (1872-1953م) المنقحة من لدن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف سنة 1410هـ، كذلك استأنسنا بالطبعة الأولى لترجمته الصادرة سنة 1934م التي يقول

1 -The Koran, or Alcoran Of Mohammed; with explanatory notes

عنها علماء اللغة الإنجليزية أن مفرداتها وأساليبها اللغوية تربو لتنافس كتابات وليام شكسبير الإنجليزية، بل وإنها لوحدها مرجع مهم لتعلم اللغة الإنجليزية. وتعد ترجمته التي نقحها المجمع ترجمة معيارية لقوتها اللغوية والأسلوبية. وفي مقدمة هاته الترجمة يقول المجمع: "... وقد تم بموجب ذلك اختيار ترجمة الأستاذ عبد الله يوسف علي لما تمتاز به من قوة الأسلوب وجزالة المعاني والشروح الكثيرة. ثم شرعت اللجنة في تنقيحها مستعينة بالعبارات المثلى من التراجم الأخرى إضافة إلى ما رأت هي أن تعتمده من ألفاظ جديدة في الأماكن التي رأت ضرورة تصحيحها مع عنايتها بتحقيق الملاحظات التي وردت إلى الرئاسة من الهيئات والجامعات والمهتمين بهذا الأمر. (...) وحيث إن بعض الألفاظ باللغة العربية مثل الزكاة وغيرها لا يمكن ترجمتها ترجمة تؤدي المعنى الصحيح في الإسلام ... لهذا فضلت اللجان أن تبقي هذه الألفاظ كما هي في اللغة العربية مكتوبة بالحروف اللاتينية"[1].

أرسل الله تعالى يونس أو ذا النون عليه السلام إلى مدينة نينوى ليظهر للناس الطريق المستقيم ليعبدوا الله وحده لا شريك له. لكن كانت قلوب الناس أشد قسوة فابتعدوا عن الله تعالى فتركهم يونس مغاضبا قومه لا غاضبا. فجعل الفلك مطيته للابتعاد عن قومه دونما أمر إلهي للقيام بذلك؛ فابتدأت رحلت يونس ليعلم أن الله تعالى على كل شيء قدير. وذكر عليه السلام في القرآن الكريم أربع مرات بالاسم ومرتين بالوصف: ذا النون وصاحب الحوت[2]، أولها في سورة النساء.

- **تقديم**

بعث الله تعالى يونس عليه السلام إلى أهل نينوى من أرض الموصل وكانوا مائة ألف أو يزيدون فدعاهم إلى الله عز وجل، فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم، وعدهم حلول العذاب بعد ثلاث (...) فلما خرج من بين ظهرانهم، وتحققوا نزول العذاب بهم قذف

1 The Noble Quran, English Translation of the Meanings and Commentary, p:2.

2- القلم، الآية: 48.

الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم فتضرعوا إلى الله وبكى الرجال والنساء والأطفال، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي، فرغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها فكشف الله بحوله وقوته العذاب عنهم[1].

وقد ذهب ذا النون عليه السلام مغاضبا بسبب قومه، ركب سفينة في البحر فلجت بهم، وماجت بهم وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون. فاشتوروا فيما بينهم أن يقترعوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخففوا منه. فلما اقترعوا وقعت القرعة على يونس عليه السلام ثلاث مرات وكان هذا أمرا محتوما. ولما وقعت عليه القرعة ألقي في البحر، وبعث الله حوتا عظيما فالتقمه وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحما ولا يهشم له عظما فليس لك به رزق، فأخذه فطاف به البحار كلها. ولما استقر في بطن الحوت وتأكد أنه حي بتحريك جوارحه، خر ساجدا وقال: "يا رب، اتخذت لك مسجدا في موضع لم يعبدك أحد في مثله. فسمع تسبيح الحيتان والحصى في قرار البحار اللجية، حينها تضرع إلى المولى عز وجل.[2]

كانت هذا قبس من قصة النبي يونس عليه السلام من وجهة النظر الإسلامية، لكن نجد اختلافا مع ما جاءت به آيات التوراة بالرغم من بعض العناصر المشتركة أو المتطابقة في بعض الأحيان حيث يحوي العهد القديم على سفر قصير جدا يتكون من أربعة إصحاحات فقط للنبي يونان يحكي قصة 'هروبه' من وجه الرب، يقول السفر: "فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، فَنَزَلَ إِلَى يَافَا وَوَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرْشِيشَ، فَدَفَعَ أُجْرَتَهَا وَنَزَلَ فِيهَا، لِيَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ".[3] ويلعب يونس دورا مهما في منظور اللاهوت المسيحي، حيث ربط السيد المسيح معجزة مكوثه في بطن الأرض بعد قيامه من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من الصليب بمعجزة مكوث يونان ثلاثة أيام في بطن الحوت؛ يقول القديس متى: "فَأَجَابَ وَقَالَ

1- قصص الأنبياء، ص: 363-364.
2- قصص الأنبياء، ص: 365-366.
3- يونان 1: 3.

لَهُمْ:«جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ"[1].

وهنا نوضح للقارئ الكريم أن الله تعالى قارن يونس عليه السلام بعدة من الأنبياء العظام، فقال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ و﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فيلاحظ في الآية الأولى النظر إلى جهة الوحي عليهم، وفي الثانية النظر إلى كونهم مفضلين على العالمين.2

وقد بدأ الله تعالى قصة نبيه يونس عليه السلام بقوله: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات، الآية: 139)، فقد أثبت الحق تعالى أنه من المرسلين ليتم الخوض في قصته تحت مظلة النبوة. لكن في العهد القديم يظهر عكس ذلك؛ فقد اتصف يونان النبي بصفات أخرى، فقد أمره الرب بالذهاب إلى أهل نينوى: "وَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ بْنِ أَمِتَّايَ قَائِلاً: «قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا، لأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي»،[3] فهرب يونان مخالفا لأمر الرب: "فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، فَنَزَلَ إِلَى يَافَا وَوَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرْشِيشَ، فَدَفَعَ أُجْرَتَهَا وَنَزَلَ فِيهَا، لِيَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ".[4] وبعد هروبه وركوبه في السفينة طرح من السفينة دون قرعة فاعد الرب حوتا عظيما ليبلع يونان. وهكذا وبعد ثلاث أيام وثلاث ليال خرج يونان من بطن الحوت ليرجع بأمر الرب مرة ثانية على أهل نينوى الذين لبسوا المسوح وتقشفوا وبكوا ليرضى عنهم الرب، وفعلا رضي الرب وسامحهم لكن لم يعجب الأمر يونان النبي الذي يجب أن يكون متصفا بحنان وعطف الأنبياء: "فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ. وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «آهِ يَا رَبُّ،

1- متى 12: 39-40.
2- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج 14، ص: 69-70.
3- يونان1: 1-2.
4- نفسه، 1: 3.

أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي»".[1]

وقد يُظَن أن العهد القديم والقرآن يشتركون في 'قضية الهروب'، لكن هناك اختلاف كبير بين 'الهروبين'. "فتأمل قول الله فيه: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾، فمعنى أبق: هروب وليس الهروب المطلق، إنما هروب العبد من سيده لا هروبه من مستأجره. فكلمة 'أبق' فيها ملحظ العبودية المطلقة للسيد الأعلى، فالله سيده وهو عبده (...) فهذه المسألة فصلت في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ﴾ أي صاحب الحوت، ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا﴾ والمغاضب غير الغاضب، المغاضب: فيها مفاعلة ومشاركة فهو غاضب من قومه لا من ربه"[2]، فهو مغاضب لربه عز وجل أي من أجل ربه كما تقول: غضبت لك أي من أجلك إذ أن المؤمن يغضب لله تعالى إذا عصي[3].

كان يونان النبي من 'ضعفاء العالم' الذين اختارهم الرب ليخزي بهم الأقوياء، كانت له عيوبه وفضائله وقد اختاره الرب على الرغم من عيوبه فعمل به وعمل فيه ... فما أعجب أهل هذه السفينة التي ركبها يونان فقد كانوا أميين لكن كانت لهم فضائل عجيبة فاقوا بها النبي العظيم، إذ أخجل الرب يونان بطاعة أهل نينوى وطاعة أهل السفينة وكل المخلوقات في البحر عندما كان الحوت يمخر البحار[4].

وقد حدث ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى"[5]، ويونس بن متى: متى أمه، ولم يشتهر نبي بأمه غير عيسى عليه السلام ويونس و قيل:إن يونس من بني إسرائيل وإنه من سبط بنيامين"[6].

1- نفسه، 1: 1-3.
2- تفسير الشعراوي، ص: 12840-12838.
3- الجامع لأحكام القرآن، ج 14، ص: 266
4- تأملات في سفر يونان النبي، ص: 7.
5- صحيح البخاري، ح 3395. ، ص: 838-839.
6- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج 14، ص: 65.

- **أصل علم 'يونس'**

"Jonah, masc. PN. in the Bible, the fifth in the order of the Twelve Prophets; whence often used in the sense 'bringer of bad luck'.

Late L. Jõnãs, fr. Heb. Yõnáh", fr. yõnáh , 'dove, pigeon'. Heb. ãnáh, 'he groaned, moaned, mourned'".1

" جونا، اسم مذكر، يعد النبي الخامس في ترتيب الأنبياء الاثني عشر؛ وتستخدم في كثير من الأحيان بمعنى 'جالب الحظ السيئ'. فهي: 'جوناس' في اللاتينية المتأخرة، ومن الاسم العبري 'يونا' بمعنى: 'حمامة'، وأيضا 'أناه' بمعنى: 'تأوه، ناح ونعى'". (ترجمة بتصرف)

"ويونان هي الصيغة السريانية والعربية للاسم العبري: 'يونة'"2 "وفي النسخة العبرية في الملوك" يوناه بن أمتاي"3. والنون الحوت والجمع أنوان ونينان، وفي التنزيل العزيز: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ (القلم، الآية: 1)، و'النون' الحوت الذي دحيت عليه سبع الأرضين وأن 'النون' الدواة. و'ذو النون' لقب يونس سماه الله ذا النون لان حبسه في جوف الحوت الذي إلتقمه، والنون الحوت4 وهي مأخوذة من العبرية والسريانية: ففي العبرية نون، وفي السريانية والآرامية نونا"5.

1 -A Comprehensive Etymology Dictionary of the English Language, p: 832.

2- قاموس الكتاب المقدس، ص: 748.

3- التحقيق في كلمات القرآن، ج 14، ص: 65.

4- لسان العرب، م 6- ج 51، ص: 4586-4588.

5- التحقيق في كلمات القرآن ج 14، ص: 68.

- **تطبيق**

وبعد هذا التوقف مع علم 'يونس'، ننتقل إلى المرحلة التطبيقية باستعمال الجدول المبين أسفله؛ حيث سنعرض العلم على ميزان ترجمة جورج سيل وترجمة عبد الله يوسف علي الإسلامية وبعد ذلك سنذيل الدول إن شاء الله بتعليقات ومقارنات لنبين ونحدد مدى توفق المترجمين.

اسم العلم	السورة	الآية الكريمة	الترجمة الانجليزية: عبد الله يوسف علي (1934)	النص الهدف (الترجمة الهدف)	ترجمة العلم الأصلي	المترجم
يونس	النساء: 4	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ 163	We have sent thee inspiration, as We sent it to Noah and the Messengers after him: we sent inspiration to Abraham, Isma'il, Isaac, Jacob and the Tribes, to Jesus, Job, Jonah, Aaron, and Solomon, and to David We gave the Psalms.	Verily we have revealed our will unto thee, as we have revealed it unto Noah and the prophets who succeeded him; and as we revealed it unto Abraham, and Ismael, and Isaac, and Jacob, and the tribes, and unto Jesus, and Job, and Jonas, and Aaron, and Solomon; and we have given thee the Koran, as we gave the psalms unto David.	Jonas	G.Sale 1734

تعليقات commentaries

لقد ترجم جورج سيل العلم ' ب: 'Jonah'[1] أي 'جوناه'، متبعا بذلك طريقة التوطين[2] 'Domestication' لنقل علم 'يونس' إلى الإنجليزية: 'Jonah'، وهنا يحصل ارتباك للقارئ الهدف فيظن أن يونان هنا هو نفسه يونس عليه السلام المذكور في القرآن بالتنزيه، بل وقد حسم القرآن منذ البداية كونه عليه السلام من المرسلين لتنطبق عليه صفات الأنبياء الأكرمين من طاعة لله تعالى وغيرها. كما ترجم ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ب: " Verily we have revealed our will"[3] أي : "حقا، لقد أوحينا لك إرادتنا" و'الإرادة' غير 'الوحي'، إذ أن كلمة 'الإرادة' 'أو المشيئة، خطة الرب للبشرية' لها مدلول وخلفية لاهوتية مسيحية وتخلق جوا إنجيليا يلاحظه القارئ المسيحي من أول مرة؛ إذ قربت ترجمة المعمارية الإسلامية المعنى من خلال ترجمة ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ب: "We have sent thee inspiration"[4]. علاوة على ما سبق، يلاحظ أنه ترك اسم النبي دون إحالة إلى الحاشية كما هي عادة سيل في الترجمة.

بل ذكر اسم 'كتاب يونان' 'Book Of Jonas' في مقدمته[5] التمهيدية الطويلة لترجمته حيث يعتبر 'سفر يونان' ضمن الكتب التي وقعت بين يدي 'المحمديين' إلى جانب مزامير داود والتوراة والإنجيل، إذ اتخذها محمد مصدرا يقص منه ويلصق ليشكل آي القرآن. كما أن جورج سيل ربط بصفة مباشرة خلال ترجمته لسورة يونس بين قصته في القرآن وما حدث مع 'يونان' النبي بالإحالة مباشرة إلى سفر يونان[6]. وذكر يونس عليه السلام في هاته الآية بمعية مجموعة من أنبياء الله الكرام عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فلم

---

1 - The Koran, or Alkoran of Mohammed, p: 79.

2- هنا من خلال الاسم نعرف أن هدف الترجمة هو وضع المتلقي في جو وطنه من الناحية اللغوية والثقافية، حيث أن الهدف من الترجمة التي تستعمل طريقة التوطين هو توفير أقصى فهم ممكن للمتلقي من خلال تقليل الغرابة له فتصير ثقافته هي المسيطرة.

3 -The Koran, or Alkoran of Mohammed, p: 79

4 -The Holy Quran, English Translation of the Meanings and Commentary, p: 269.

5 -The Koran, or Alkoran of Mohammed, p: 53.

6 -The Koran, or Alkoran of Mohammed, p:173-174.

يفوت سيل هاته الفرصة ليترجم كعادته كلمة 'رسل' ب:[1] "apostles " إذ تظهر ترجمة سيل مرجعية اسمية تاريخية مسيحية ظاهرة.

وفيما يخص الترجمات المعيارية الإسلامية، فقد استعمل عبد الله يوسف علي طريقة التوطين 'Domestication' في ترجمة علم 'يونس' ب 'Jonah'[2] 'جوناه' وهذا إجراء عادي عند يوسف علي.

1 - **Ibid, p:** 79.

2 -**The Holy Quran, English Translation of the Meanings and Commentary, p:** 270.

الخاتمة:

لقد غصت في هذا البحث بحارا عميقة مستعينا بالله وراجيا من ثبات الأجر نتيجة المشقة الكثيرة، فقد لقينا في بحثنا هذا نصبا عظيما وأجرا كثيرا إن شاء الله. فقد اختلطت فيه معارف كثيرة ومفاهيم عديدة بل وآراء متعددة إن مراجعه أمهات كتبه لتنوء بالعصبة أولي القوة العظيمة، لكن تأتي الرغبة في خدمة كتاب الله تعالى وترك بصمة داخل مجال الترجمة عموما هدفا تذوب أمام سلطان شمسه كل الأتعاب وتذبح على محرابه كل المشقات.

فحاولت –ما استطعت- أن أبسط للقارئ العزيز مفهوم الترجمة وخصوصا الترجمة الدينية، هذا المفهوم الكبير الذي كتب حوله الكثير وتداولته منصات المؤتمرات المحلية والمسكونية بشكل كبير حيث يظهر في كل مرة مفهوم وعبارة جديدة قد تزكي ما سبق وقد تهدم ما كان موجوداً؛ لكن هاته سنة الله في خلقه ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]. لكن كل هذا لا يمنع من المحاولة أعلاه، تلك التي تتبعنا فيها الترجمة من البواكير الأولى التي صاحبت ولادتها، ثم كيف عرف العرب وغير العرب الترجمة. بعد ذلك تتبعنا المشترك الوحيي بين العهد القديم والعهد الجديد (الكتاب المقدس) والقرآن الكريم كي نقف بالملموس وبالمقارنة على كيفية تمت ترجمة علم النبي يونس/يونان وما حدث لهذه الشخصية الكريمة من اختلاف في المعنى والخلفية والثقافة خلال العملية الترجمية. لأخلص بعد كل هذا لتوصيات واستنتاجات.

التوصيات ونتائج البحث:

وقد خلص البحث إلى التوصيات الآتية:

- ضرورة العمل على إيجاد طرق جديدة للترجمة توافق متطلبات العصر.

1- الإسراء: 85

- العمل على الاستغلال الأمثل للقفزة التكنولوجية وتطور الذكاء الصناعي حقل الترجمة الدينية.
- إلزامية تحري الدقة في ترجمة أعلام المشترك الوحيي من أنبياء عليهم السلام لما يشكلونه من مكانة عالية.
- الاستمرار في تطوير طرق جديدة لتعليم الترجمة للجيل الصاعد من المترجمين.

لائحة المصادروالمراجع:

المراجع باللغة العربية:

- القرآن الكريم

1. أسس وقواعد صنعة الترجمة. حسام الدين مصطفى. سلسلة أسس وقواعد صنعت الترجمة. 2011م.
2. الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان. مطبعة دار المستقبل. مصر. د.س.
3. باباوات مصر-البابوية القبطية المبكرة. ستيفن ديفيز. ترجمة مجدي جرجس. المركز القومي للترجمة. مصر. ط.1. 2013م.
4. بنو إسرائيل-الحضارة. الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقضائية والعسكرية. محمد بيومي مهران. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. ج.4. 1999م.
5. تأملات في سفر يونان النبي. قداسة البابا شنودة الثالث. مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) بالعباسية. القاهرة. ط. 4. 1984م.
6. التحقيق في كلمات القرآن الكريم. حسن المصطفوي. مركز نشر آثار العلامة المصطفوي. ج 14.ط. 1. 1393هـ.
7. تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة وكتب ما بعد العهدين. الأب متى المسكين. مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون. القاهرة. ط.1. 1997م.
8. الترجمة ضرورة حضارية. أبو جمال قطب الإسلام نعماني. دراسات الجامعة الإسلامية العالمية. شيتاغونغ المجلد الثالث. 2006م.

9. الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة. سلوى ناظم. منشورات نون. العراق. د.س.

10. تفسير الشعراوي. محمد متولي الشعراوي. أخبار اليوم-قطاع الثقافة والكتب والمكتبات. مصر. 1991م.

11. تفسير القرآن العظيم. الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (800-774هـ). تحقيق سامي بن محمد السلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. 1999مـ

12. التقديس والمقدسات دراسة في فلسفة الدين. مهدي طه مكي. مجلة العلوم الإنسانية. المجلد 1. عدد 22. 2012م.

13. الجامع لأحكام القرآن. أبى عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع. ج 14. ط.1. 1427هـ-2006م.

14. حجر رشيد وعلم المصريات. إبراهيم إبراهيم عناني. المكتبة العامة-مكتبة الإسكندرية. 1999م.

15. حجر رشيد وكشف أسرار اللغة المصرية القديمة. أرنست ألفريد-وليس بيدج. ترجمة هشام الحناوي. المكتبة الأكاديمية. القاهرة. ط. 1. 2009م.

16. الحيوان. الجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ج.1. ط.1. 1965م.

17. رمسيس الثاني فرعون المجد والانتصار. أ. كتشن. ترجمة أحمد زهير أمين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. 1997م.

18. صحيح البخاري. أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق-بيروت. ط.1. 1426هـ-2002م.

19. فجر الإسلام. أحمد أمين. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. مصر. 2011م.

20. فقه الفلسفة 1- الفلسفة والترجمة. طه عبد الرحمن. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط.1. 1995م.

21. الفلاسفة والمترجمون السريان. إفرام يوسف. ترجمة شمعون كوسا. المرطز القومي للترجمة. القاهرة. ط 1. 2010م.

22. قاموس الكتاب المقدس. . تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: بطرس عبد الملك – جون ألكسندر طمسن – إبراهيم مطر، دار الثقافة. مصر. ط.10. 1995م

23. قصص الأنبياء. ابن كثير. تحقيق عبد الحي الفرماوي (جامعة الأزهر). دار الطباعة والنشر الإسلامية. القاهرة. مصر. ط.5. سنة 1417هـ/1997م.

24. الكتاب المقدس. الكنيسة الأرثذكسية القبطية المرقسية. مصر. بدون سنة.

25. لسان العرب. ابن منظور. دار المعارف. القاهرة. د.س.

26. مجمع البحرين من الفنيقية إلى العربية. محمد شحلان. دار أبي رقراق للطباعة والنشر. المغرب. ط.1. 2009م.

27. المرجعيات اليهودية والمسيحية في ترجمات القرآن الكريم 1- الترجمة والمقدس. عبد العزيز لخفاوني. مكتبة إسكندرية. العيون. ط.1. 2022م.

28. مسائل في نظرية الترجمة والترجمة الأدبية. سامية إدريس. جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية. د.س.

29. المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية. مصر. ط.4 . 1425هـ-2004م.

30. المشترك التوحدي والضمير الإنساني. صلاح سالم. مكتبة الشروق الدولية. القاهرة. 2010م.

31. الملل والنحل. أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. تصحيح وتعليق أحمد فهمي محمد. دار الكتب العلمية. لبنان. ط.2. 1413هـ-1992م.

32. موسوعة مصر القديمة. سليم حسن. مؤسسة هنداوي. المملكة المتحدة. ج: 14. 2019م.

33. موقع الأنبا تكلا-هيمانوت. القبطي الأرثوذوكسي للكنيسة المرقصية. مصر.

34. اللاهوت العربي وأصول العنف الديني. يوسف زيدان. دار الشروق. القاهرة. ط.4. 2010م.

35. نظرية الترجمة الحديثة . محمد عناني. الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان. مصر.ط.1. 2003م.

36. اليهود في مصر، في عصري البطالمة والرومان. مصطفى كمال عبد العليم. مكتبة القاهرة الحديثة. القاهرة. ط 1. 1968م.

المراجع باللغة الإنجليزية:

37. Ali, A. Y. (1410H.). The Holy Quran, English Translation of the Meanings and Commentary. King Fahd Complex For The Printing Of The Holy Quran. KSA.

38. Bryce, Trevor. (2005). The Kingdom of The Hittites. Oxford University Press. NY. 1st Edition.

39. Bassnett, Susan. (2002). Translation Studies. Routledge. London and New York. 3rd ed.

40. Dépré, I. O. (2013). Théories et Pratiques de la Traduction Littéraire en France. Scientia Traductionis, N°13. Brazil.

41. Dickins, J.; Hervey, S.; Higgins, Ian. (2002). Thinking Arabic Translation. Routledge. London and New York.

42. Huetius, P. D. (1683). De Interpretation Libri Duo. The Hague: Apud Arnoldum Leers.

43. klein, E. (1966). A Comprehensive Etymology Dictionary of the English Language. Elsevier Publishing Company. Amsterdam.

44. Munday. J. (2008). Introducing Translation Studies. Routledge. London and New York. 2nd ed.

45. Newmark, P. (1988). A Text Book of Translation. Prentice Hal International Ltd. London.

46. Newmark, P. (2001). Approaches to Translation. Pergamon Press. England.

47. Nida, E. A.; Taber, C. R. (1982). The Theory and Practice of Translation. United Bible Societies. Leiden, The Netherlands. Volume VIII.

48. Nida, E. A.(1964). Toward A Science of Translation. E. J. Brill. Leiden, The Netherlands.

49. Nzuanke, S. F. (2006). History of Translation as The History of translation theory: From Antiquity to The 20th Century. Calabar Journal of Liberal Studies. Vol. ix No 1. University of Calabar. Calabar.

50. Sale, G. (1877). The Koran, or Alcoran Of Mohammed; with explanatory notes. William Tegg and Co. London.

51. Skolnik, F. (2007). Encyclopaedia Judaica. Keter Publishing House Ltd. Jerusalem, Israel. 2nd Edition. Volume 1.

52. Störig, H. J. (1969). Das problem des übersetzens. Scientific book society. 2nd Edition. Germany.

الاستعارة من الفكر الشرعيّ عند الأصوليّين إلى التصور اللسانيّ المعرفي المعاصر

الباحث عادل غرار

الدكتور محمد ناجي

جامعة مولاي إسماعيل بمكناس | المملكة المغربية

adilghrar@gmail.com

ملخص البحث:

يسعى هذا المقال إلى تناول قضية التأويل في الخطاب الشرعي، مع الأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات التي تميز هذا الخطاب عن غيره من الخطابات، الشيء الذي يستدعي استحضار تلك الخصوصيات أثناء عملية تأويله والسعي لفهمه. ويزداد الأمر تعقيدا إذا تعلق بأحد المفاهيم التي شكلت مصدرا للخلاف بين الأصوليين والفقهاء نفيا وإثباتا في اللغة العربية وفي القرآن، ألا وهو الاستعارة بوصفها قسما من أقسام المجاز.

وبناء على ما تقدم؛ فسنعمل في هذا البحث على رصد مجمل المواقف التي ناقشت قضية المجاز والاستعارة في الخطاب الشرعي، مع الكشف عن حججهم التي دافعوا من خلالها عن آرائهم، وبيان الدور الذي لعبته هذه المواقف في تأجيج الصراع بين الأصوليين حول تأويل الاستعارات الواردة في القرآن الكريم. ثم ننتقل بعد ذلك إلى إيضاح الدور الذي يمكن للسانيات المعرفية أن تقوم به في تطوير نظرتنا للاستعارة إجمالا، وتجديد فهمنا للخطاب الشرعي خصوصا.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الاستعارة ـ علم الأصول– اللِّسانيات المعرفيَّة– البَنْيَنَة -الاستلزامات الاستعاريّة ـ الخُطاطات.

The metaphor from the legal thought of the fundamentalists to the perception linguistic "modern cognitive

Abstract :

This article seeks/Aims to address the issue of interpretation in religious discourse, taking into consideration the characteristics that distinguish this discourse from others, which necessitates invoking these characteristics during the process of interpretation and striving to understand them. The complexity increases when it relates to one of the concepts that have been a source of disagreement among scholars in Arabic language and in the Quran, namely, metaphor as a category of figurative speech.

Based on what was presented; in this research, we will work on monitoring the overall positions that have discussed the issue of trope and metaphor in religious discourse, while revealing their arguments through which they defended their opinions, and explaining the role these positions played in fueling the conflict among fundamentalists concerning the interpretation of metaphors mentioned in the Quran. Then, we will proceed to clarify the role that cognitive linguistics can play in developing our understanding of metaphor in general and renewing our understanding of religious discourse in particular.

Keywords : the concept of metaphor - the science of origins - cognitive linguistics - the building - the metaphorical requirements - the calligraphy

تقديم:

يُعَدُّ المدخل البلاغي إحدى البوابات الأساسية للولوج إلى قضايا فهم الخطاب الشرعي واكتساب القدرة على حسن تأويله وإجرائه على الوجه الصحيح الذي لا ينافي والمقاصد العامة للشريعة، حتى جعله الكثير ممن صنفوا في علم الأصول شرطا يجب توفره في المفتي والمجتهد كي يكون مؤهلا للتعامل مع النصوص الشرعية، نظرا لاختصاصها برفعة مصدرها وقداسته وعصمته، وهو أمر دفع الكثير من الأصوليين إلى نفي ورود المجازات في القرآن الكريم، وبالمقابل اعتبرها البعض دليلا على الإعجاز في نصوص الشرع.

وموازاة مع هذا الخلاف؛ فقد ناقش الأصوليون ما يتصل بالاستعارة ضمن باب الحقيقة والمجاز، فنشب بينهم خلاف كبير حول أقسامها، ولم يقف الأمر عند الخلاف في الأقسام، بل تطور للبحث في أصل المسألة وجودا ونفيا، فتعددت مواقف الأصوليين بحسب تعدد مذاهبهم العقدية والفكرية، الشيء الذي كان له أثره في تأويلهم لآيات القرآن الكريم.

وإذا كانت المواقف الأصولية المثبتة للمجاز لم تبتعد كثيرا عمّا تَمّ تسطيره في كتب البلاغة العربية قديما، والتي جعلت من الاستعارة إحدى آليات الوقوف على البعد الجمالي في النصوص، ودليلا على مواطن الإعجاز في كتاب الله العزيز، فإن الدراسات اللسانيات المعرفية الحديثة لها رأي آخر تجاه هذه المقاربة الجمالية للاستعارة التي حصرت النقاش في المستوى اللغوي، بوصفه نتاجا لخرق قوانين التركيب المتعارف عليها، دون إعطاء أهمية للقوانين الداخلية الذهنية المتحكمة في إنتاجها، والدور الذي يمكن للمؤثرات الخارجية أن تنهض به في تشكيل نظرتنا للعالم، وأثرهافي بناء الأسس والمبادئ المساهمة في عملية تَشَكُّلِهَا ذهنيا ولغويا على حد سواء، متجاوزة بذلك وظائف الاستعارة البلاغية عند أرسطو والتي تراوحت بين المحاكاة في الشعر والإقناع في الخطابة.1

1- عبد العزيز لحويدق 2015 "نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية: من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون"، الطبعة الأولى لدار كنوز المعرفة. عمان. ص 28.

مع ما يلاحظ على هذا الإطار النظري اللساني من قوة الطرح الذهني الذي يتبناه، إلا أنّ الإشكال الذي يواجهه هو ارتباطه بما عُرِف بنظرية الاستعارة التصورية ، وتناولهم للاستعارة في بعدها التصوري المجرد، فعمل على النظر إلى التجليات اللغوية بوصفها إسقاطات لجملة العمليات الذهنية الداخلية، والتي يُعيد من خلالها الإنسان تنظيم عالمه الداخلي بشكل مستمر في إطار تجاربه واحتكاكه بما حوله، فتكون ممارساته اللغوية نوعا من الانعكاس لتصوراته الباطنة، وهو أمر لا يمكن تنزيله بشكل حرفي على النص القرآني بوصفه نصا إلهيا، ومن هنا يبرز إشكال المقال وأسئلته التي تم طرقها سابقا في ثنايا ملخصه.

لكن هذه التساؤلات تجد إجاباتها في طبيعة العلاقة بين المُخَاطِب والمُخَاطَب، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن من يتوجه إليه الخطاب القرآني هو الإنسان، وأن المراد بهذا الخطاب هو إيصال جملة من التعليمات الإلهية للبشر، والحرص التام على إفهامهم مراد المتكلم بهذا الخطاب المقدس، وهو ما يؤكد أن الخطاب الشرعي الذي راعى في ثناياه ما عهدته العرب في كلامها لقوله تعالى: "إنا أنزلناه قرآن عربيا لعلكم تعقلون"،[1] فكان الخطاب الشرعي مراعيا لما درج عليه الإنسان بوصفه كائنا لغويا بالفطرة، وهو أمر لا ينقص من قيمة القرآن شيئا، لأن الكلام في النصوص الشرعية موجه لعموم المكلفين، وهو ما يقتضي مخاطبة القوم على معهودهم من كلامهم بقصد الإبلاغ، لتكون الحجة قائمة بيِّنة، وهو ماسنحاول في هذا المقال بيانه حال محاولة المقارنة بين التصور الأصولي من جهة، والتصور اللساني المعرفي من جهة أخرى.

1- سورة يوسف الآية 2.

1 – الاستعارة من خلال المنجز الأصولي:

لقد استفادت المقاربة الأصولية لمفهوم الاستعارة مما سطرته الدراسات اللغوية والبلاغية والمنطقية في هذا الشأن، إلا أن اهتمام الأصوليين بالاستعارة كان متراوحا بين أغراض شرعية تتصل بفهم وتأويل الخطاب الشرعي من جهة، وببروز الجدل الكلامي المتصل بالفرق الكلامية من جهة أخرى، وهو ما سنحاول توضيحه فيما يلي.

1 – 1 – تصور الأصوليين للاستعارة:

انشغل الأصوليون كثيرا بالكلام وأقسامه في مقدمات مصنفاتهم، وذلك راجع لاعتقادهم التام باستحالة فهم الخطاب الشرعي في غياب التعرف على طبيعة الكلام، لذا فقد عملوا على تتبع أبرز أقسام الكلام الممكنة، والتي أجملوها في:التركيب، والدلالة، والاستعمال.

وقد أشار أبو زيد الدبوسي في "تقويم الأدلة" إلى هذا التقسيم للكلام عند الأصوليين ضمن باب عقده تحت عنوان:"القول في أقسام أنواع استعمال الكلام"؛ حيث قال: "أنواع الاستعمال أربعة: حقيقة، ومجاز، وصريح، وكناية.1 وهو بذلك يتجاوز التقسيم العام الذي درج عليه أغلب الأصوليين، والذين يقتصرون على تفريع الكلام بهذا الاعتبار إلى حقيقة ومجاز، ثم يسردون أنواع الحقيقة وأنواع المجاز، ومن جملة ذلك الاستعارة. وهو ما سار عليه شرف الدين العمريطي في "نظم الورقات" بقوله:

وَثَالِثاً إِلَى مَجَـــازٍ وَإِلَـــى حَقِيقَةٍ وَحَـــدُّهُ مَا اسْتُعْمِـــلا

مِنْ ذَاكَ فِي مَوْضُوعِهِ وَقِيلَ مَا يَجْرِي اصْطِلاحاً فِي خِطَابٍ قُدِّمَا2

وقد عمل الأصوليون على بيان أقسام المجاز، منطلقين من تعريفه، مرورا ببيان الأقسام والتمثيل لها، لذا ينطلق أبو بكر السرخسي من التعريف بالمجاز قبل الخوض في أقسامه قائلا: "المجاز اسم لكل لفظ هو

1.أبي زيد عبيد الله الدبوسي "تقويم الأدلة في أصول الفقه"، قدم له وحققه الشيخ خليل محي الدين، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية بيروت. لبنان 2001م. ص 119.

2- شرف الدين العمريطي "نظم الورقات"، الطبعة الثانية لدار الصميعي 2006، ص 23.

مستعار لشيء غير ما وضع له، مفعل من جاز يجوز. سُمِّيَ مجازا لتعديه عن الموضع الذي وضع في الأصل له إلى غيره.1 حيث نلاحظ انطلاقه من الاستعارة لبيان المجاز، وهذا غلط في التعريف، لأننا لا نعرف الشيء بما يندرج فيه، ولا بما يحتاج هو نفسه للتعريف.

وفي مقابل ما تقدم عند السرخسي؛ لا يكتف الغزالي بالتعريف وحسب، بل ينتقل مباشرة إلى بيان أقسام المجاز بقوله:"المجاز ما استعملته العرب في غير موضوعه. وهو ثلاثة أنواع:الأول: ما استعير للشيء بسبب المشابهة في خاصية مشهورة، كقولهم للشجاع أسد، وللبليد: حمار.والثاني: الزيادة، كقوله تعالى: "ليس كمثله شيء". فإن الكاف وضعت للإفادة، فإذا استعملت على وجه لا يفيد كان خلاف الوضع. الثالث: النقصان الذي لا يبطل التفهيم، كقوله تعالى: "وسئل القرية". والمعنى: واسأل أهل القرية. وهذا النقصان اعتادته العرب، فهو توسع وتجوز.2 ليفرق بين الحقيقة والمجاز بكون لكل مجاز حقيقة، وليس بالضرورة أن يكون لكل حقيقة مجاز.

ومن هنا؛ فالاستعارات المضمنة في الخطاب الشرعي في تصور الأصوليين ليست ذات بعد تزييني وتوضيحي فقط، بل تؤدي وظائف أخرى لا ينوب عنها غيرها في ذلك الموضع، وذلك لإيمان علماء الأصول أنه ليس لكل معنى لفظ بالضرورة، بل كل معنى محتاج إلى لفظ.3 وتنزيها منهم للقرآن الكريم عن العبث ، يؤكدون على المعنى الذي أضافته الاستعارة للحكم المضمن بالآيات الكريمات، كما نجدهم يصرحون بأن المجاز والاستعارة في كثير من المواضع أبلغ من الحقيقة، بل ويجعل الكثير من الأصوليين الاستعارة مدخلا من مداخل الكشف عن صور الإعجاز في القرآن الكريم، وهو ما يتضح من طريقة اشتغال أبي بكر الباقلاني،

1.أبو بكر السرخسي "أصول السرخسي"، حقق أصوله أبو الوفاء الأفغاني، نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية .حيدر أباد.الدكن بالهند.الجزء 1 ص 170.

2 - أبي حامد الغزالي "المستصفى من علم الأصول"،حققه وقدم له وضبطه وترجمه إلى الإنجليزية السيد أحمد زكي حمّاد، الناشر دار الميمان بالسعودية .الرياض. الجزء الأول ص 965.

3- تاج الدين السبكي "جمع الجوامع في أصول الفقه"، تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الثانية لدار الكتب العلمية بيروت .لبنان 2003.ص 25.

الذي قارن بين بديع الشعر ووجوه البلاغة فيه، ثم انتقل لبيان وجوه الإعجاز في القرآن، والتي جعل منها: بديع النظم، وعجيب التأليف، ليشير إلى الاستعارة بوصفها صورة من الصور البلاغية المساهمة في وجوه الإعجاز حين قال: "ذكر بعض أهل الأدب والكلام: أن البلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان.1 لذا فكوننا نستفيد من قوله تعالى:"واشتعل الرأس شيبا" إخباره سبحانه وتعالى عن مُنَاجَاةِ زكرياء عليه السلام لربه سبحانه، وتوسله إليه وطلب الولد منه بعد أن بلغ درجة متقدمة من الكبر لفشو الشيب في رأسه، فإن هذا الأمر لا يجب أن يحجب عنا أحكاما أخرى مضمنة في هذه الاستعارة، ومن بينها حكم جواز الدعاء وطلب الذرية، بالإضافة إلى إمكانية ذكر دوافع الطلب ومبرراته الخارج عن إرادة الإنسان، والتي لا دخل له فيها من شيب وغيرها، بل اعتبر الشريف الرضي الآية دليلا على سرعة تضاعف الشيب، ليصير في الإسراع والانتشار كاشتعال النار، ويعجز مُطْفيه، ويُغْلَبَ متلافيه،2 أي من يقصد تجنبه يعجز عن ذلك، لكون قضاء لا بد منه.

إلا أن هذا الانفتاح على الاستفادة مما تقدمه لنا الاستعارة - بحسب التصور اللغوي والبلاغي السابق - لم يكن مرضيا عند كل الأصوليين، لأن بعضهم كان يعتقد أن لفظة المجاز مبتدعة ومبتكرة، لا أساس لها من الصحة، وجعل المجاز نوعا من البراعة في الكلام على ما سنوضحه.

1 – 2 – الاستعارة بين القبول والرفض عند الأصوليين:

لم يكن حضور الاستعارة عند الأصوليين مقتصرا على بيان أقسام الكلام وأبواب مباحث الألفاظ وتحديد شروط المفتي والمجتهد؛ تمهيدا لبيان مقاصد الأحكام ومظاهر الإعجاز في آيات القرآن، بل تحولت الاستعارة

1. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني "إعجاز القرآن"، تحقيق السيد أحمد الصقر، الناشر دار المعارف بمصر. القاهرة. ص 262.
2- الشريف الرضي "تلخيص البيان في مجازات القرآن"، تحقيق محمد عبد الغني حسن، طبعة دار إحياء الكتب العربية. القاهرة 1955.ص 220.

والمجاز على وجه العموم إلى مجال لصراع الفرق الكلامية ومعتقداتها، حتى أصبح المجاز عند بعضهم مدخلا وركيزة يُبْنَى عليه ما بعده من مفاهيم وتصورات نفيا وإثباتا.

وقد اشتهر في قضية إثبات المجاز مطلقا ابن جني من اللغويين؛ حيث جعل الغلبة للمجاز على الحقيقة في اللغة، مصرحا بذلك في باب وسمه بقوله: "باب في أنّ المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة: اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة".1 فكان له قصب السبق في إثارة هذا النقاش بين اللغويين والأصوليين؛ حيث نجد تاج الدين السبكي في "جمع الجوامع" يعلق على موقف ابن جني في سياق الحديث عن أسباب العدول عن الحقيقة للمجاز بقوله: "وإنما يعدل إليه لثقل الحقيقة، أو بشاعتها، أو جهلها، أو بلاغته، أو شهرته، أو غير ذلك، وليس غالبا على اللغات خلافا لابن جني"،2 حيث نستشف من كلامه إثبات نسبة هذا المذهب لابن جني، مع مخالفته له في جعل المجاز أصلا والحقيقة فرعا.

وإرتباطا بإثبات المجاز في اللغة والخطابات الشرعية، نجد السرخسي يصرح أن كلا النوعين .الحقيقة والمجاز . موجود في القرآن والأحاديث الشريفة والخطب وأشعار العرب وغيرها، حتى كاد المجاز يغلب الحقيقة لكثرة الاستعمال، وبسببه اتسع اللسان العربي وحسنت المخاطبات بين العرب.3 وهو بذلك يضم صوته لأبي عثمان ابن جني من اللغويين، لكنه لا يجزم بغلبة المجاز على الحقيقة بشكل مطلق.

ويسلك بنا صاحب المعتمد في أصول الفقه مسلكا متدرجا لإثبات وجود كلا النوعين في فصل خاص عنونه بـ:في إثبات الحقيقة والمجاز وفي حدها؛ حيث قال:"أما إثباتهما في اللغة فظاهر في الجملة، لقول أهل اللغة: هذا الاسم حقيقة، وهذا الاسم مجاز.4 وهو بذلك يتبع طريقة المعتزلة في الانتقال من إثبات المجاز في اللغة، وإرغام الخصم على التسليم به في القرآن، لكونه نزل بلسان عربي مبين. وهو ماتكرر عند جملة من

1 - أبو الفتح بن جني "الخصائص"، تحقيق الدكتور محمد علي النجار، طبعة دار الكتب المصرية، 1952. ص 446.

2.تاج الدين السبكي "جمع الجوامع في أصول الفقه"، ص 30.

3.أبو بكر السرخسي "أصول السرخسي"، الجزء 1 ص 170..171.

4.أبي الحسين محمد بن علي البصري المعتزلي "المعتمد في أصول الفقه"، تحقيق محمد حميد الله، الناشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق 1964 م. ص 16.

الأصوليين، كما هو واضح في إجابة " أبي حامد الغزالي" عن سؤال: هل في القرآن مجاز؟ حين قال: "ألفاظ العرب تشتمل على الحقيقة والمجاز، كما سيأتي الفرق بينهما. والقرآن يشتمل على المجاز، خلافا لبعضهم، فنقول: المجاز اسم مشترك قد يطلق على الباطل الذي لا حقيقة له، والقرآن منزه عن ذلك، ولعله الذي أراده من أنكر اشتمال القرآن على المجاز. وقد يطلق على اللفظ الذي تجوز به عن موضعه الأصلي، وذلك لا ينكر في القرآن مع قوله تعالى: "وسئل القرية التي كنا فيها والعير". وقوله: "جدار يريد أن ينقض".".1

وليس إثبات المجاز والاستعارة في اللغة والقرآن موقف من سبق ذكرهم فقط، بل نجد صاحب "منهاج الوصول إلى علم الأصول" يشير إليه في سياق الرد على أبي بكر محمد بن داود الأصفهاني الظاهري الذي رفض احتواء القرآن والحديث على المجاز بدعوى لما في هذا الموقف من الالتباس، لكن القاضي البيضاوي يرى أنه لا التباس مع وجود القرينة.2 فالقرينة بالنسبة إليه موضحة للمراد، وعلامة فارقة بين الحقيقة والمجاز.

لكن هذا الوضوح الذي احتجت به هذه الفئة من الأصوليين ليس مسلما به عند نفاة المجاز؛ حيث استدلوا على موقفهم بعمل من كان لهم السبق في التأليف والتصنيف في هذا الموضوع، لكونهم وظفوا المجاز بمعنى الاستعمال والتفسير، وهذا المعنى يتكرر عند أول من حرَّر في موضوع المجاز " أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي" في كتابه"مجاز القرآن"، والذي كان يستعمل كلمة "مجاز" في مصنفه كثيرا، كما في تفسيره لقوله تعالى: "وما رميت إدرميت ولكن الله رمى"،3 بقوله: مجازه: وما ظفرت ولا أصبت ولكن الله أيدك وأظفرك وأصاب بك ونصرك ويقال: رمى الله لك، أي: نصرك الله وصنع لك.4

1.أبي حامد الغزالي "المستصفى من علم الأصول"،تحقيق السيد أحمد زكي حمّاد، الناشر دار الميمان بالسعودية .الرياض. ص 158.

2.ناصر الدين البيضاوي "منهاج الوصول إلى علم الأصول"، حققه وقدم له ووضح غوامضه الدكتور شعبان محمد إسماعيل، ، الطبعة الأولى دار ابن حزم بيروت .لبنان 2008م. ص 95.

3- سورة الأنفال الآية 17 .

4.أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي "مجاز القرآن"، عارضه بأصوله وعلق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين، الطبعة الأولى لمكتبة الخانجي القاهرة 1951م. ص 244.

وكل من صنف بعد أبي عبيدة كانوا على علم بذلك؛ حيث يصرح صاحب "تلخيص البيان في مجازات القرآن" بهذا الأمر في قوله: "وبهذا كان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هو أول مصنف عربي استعمل لفظتي المجاز والاستعارة على نحو يقرب مما قصد بهما عند البلاغيين. فهو لا يريد بكلمة المجاز ذلك المعنى الذي قصده أبو عبيدة بالتفسير، لكنه يريد الشيء المقابل للحقيقة".1ففي هذا إشارة إلى كون الأمر مستحدث، وهو عند النفاة يبرر الرفض، لكونه ليس مما درج عليه الأولون.

وممن عُرف برفضه التام للمجاز في القرآن واللغة؛ نجد "أبا العباس ابن تيمية" الذي يسرد أدلة يدعم بها موقفه، من جملتها عدم تطرق الأصوليين السابقين لهذا الموضوع حين قال: فمعلوم أن أول من عُرِف أنه جرّد الكلام في أصول الفقه هو الشافعي، وهو لم يقسم الكلام إلى حقيقة ومجاز.2 بل لا يُعْرفُ في كلامه مع كثرة استدلاله وتوسعه ومعرفته الأدلة الشرعية أنه سمى شيئا منه مجازا، ولا ذكر في شيء من كتبه ذلك، لا في الرسالة ولا في غيرها.3 ليقصد بذلك أن المصنف الأول في علم أصول الفقه "محمد بن إدريس" لم يخصص بابا للحقيقة والمجاز، كما أنه لم يتطرق لذكر المجاز في أبواب مؤلفاته.

وغير بعيد عن موقف ابن تيمية وتلميذه ابن القيم؛ سيحاول الشنقيطي سرد نماذج متنوعة عن أرفع ما عرفته العرب من الأساليب البيانية، ليكشف استحالة وجودها في القرآن لكونها كذب صراح، مؤكدا أن

1.الشريف الرضي "تلخيص البيان في مجازات القرآن"، حققه وقدم له وصنع فهارسه محمد عبد الغني حسن، طبعة دار إحياء الكتب العربية. القاهرة 1955م. ص 10.

2- فقد بَوَّبَ بابا سماه: "بيان ما نزل من الكتاب عام الظاهر يراد به كله الخاص"، ثم استدل بقوله تعالى: الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعلوا لكم فاخشوهم". ثم علق على ذلك بقوله: "والعلم يحيط أنه لم يجمع لهم الناس كلهم، ولم يخبرهم الناس كلهم، ولم يكونوا هم الناس كلهم".

3.تقي الدين أحمد بن تيمية "الحقيقة والمجاز"، تحقيق أبو مالك محمد بن حامد بن عبد الوهاب، طبعة دار البصرة بالإسكندرية. مصر 2002 م. ص 10.

الموضوع المتنازع حوله محل خلاف عند الأوليين كالإسفريني وأبي علي الفارسي.1 ومن الأمثلة الدالة على بعض المجازات في لغة العرب، والتي يستحيل ورودها في القرآن الكريم، قول أبي البيداء:

وما ليَ انتصارٌ إنْ غدا الدهر جائراً عليَّ، بلى إنْ كانَ مِن عندكَ النّصرُ

ففي البيت استعارة صفات لغير صاحبها، وهي جور الدهر، لكونه لا يملك النصر والهزيمة، كما يتضمن البيت أسلوب الرجوع، وهو لا يجوز في كتاب الله، رغم كونه من بليغ البديع عندهم، ومثله حسن التعليل في قول المتنبي:

لَمْ تحكِ نائلَكَ السحـــــابُ وإنَّما حُمَّـــــــتْ به فصبيبُها الرُّحضَاء

فتعليل المتنبي لسقوط الغيث بالحمة في السحاب غير صحيح، كما أنها ليست منافسة لسيف الدولة،وهذا أمر يدخل ضمن الكذب. ويقارب حسن التعليل أسلوب الإغراق في قول أبي نواس:

وَأَخَفْـــــتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتّى أَنَّهُ لَتَخْـــــشَاكَ النُّطَفُ التِي لَمْ تُخْلقِ

فهذه جملة أساليب لا يمكن تصور أن الخطاب القرآنيّ يحتوى على نماذج منها،2 رغم أنها من أرفع ما يندرج ضمن البديع المعنوي، لكونها مجانبة للصدق، والقرآن ليس بهزل، بل هو كلام فصل. لتكون بالنسبة لصاحب أضواء البيان حجة على من استدل بكون القرآن نزل بكلام العرب، لذا فهو يشتمل على طرائقهم في الكلام وأساليبهم البلاغية.

وفي ختام هذه الأسطر حول مذاهب الأصوليين من المجاز والاستعارة في القرآن الكريم واللغة؛ نريد التأكيد على كون تلك المواقف تخفي وراءها مذاهب عقدية من مسألة القرآن وماهيته ليس من شأن هذا البحث التوغل فيها، لكونها تعكس لنا الصراع بينهم حول موضوع تأويل آيات الصفات وأسماء الله تعالى، وبقية النصوص الشرعية في كتاب الله العزيز مما له علاقة بالاستعارة والمجاز وما دار في فَلَكِهِمَا، وحسبنا هنا

1. محمد الأمين بن محمد الجكني الشنقيطي "منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز"، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، وقف مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، طبعة دار الفوائد. ص 5.

2. محمد الأمين الشنقيطي "منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز"، ص 10. 14.

الإشارة إليها بغرض الوقوف على تصور الأصوليين لمفهوم الاستعارة في باب المجاز، وأثر ذلك في الخلاف الدائر بينهم في تأويل الخطاب الشرعي، تمهيدا للانتقال إلى تصور اللسانيين المعرفيين لهذا المفهوم في الأسطر الموالية.

2 – الاستعارة في الدرس اللساني المعرفي المعاصر:

إذا كان التصور الأصولي للاستعارة يمتح من معين الدراسات اللغوية البلاغية العربية التي تعتبر الاستعارات بكل تجلِّيَّاتِهَا سلوكا لغويا، فإن الدرس اللساني المعرفي ينطلق في مقاربته للاستعارة من وجهة نظر معرفية ذهنية، تجعل من الاستعارة عمليات داخلية، وما ننتجه من تراكيب لغوية مجرد تجليات لما تم تشكله في الذهن واستبطانه نتيجة الممارسة والاحتكاك مع المحيط، وهو ما سنحاول توضيحه فيما يلي.

2 – 1 – الاستعارة من وجهة نظر لسانية تصورية:

لقد اعتبرت الاستعارة عند المتقدمين مصدرا للخيال الشعري، و مظهرا من مظاهر الزخرف البلاغي، لتكون الاستعارة خاصية لغوية محضة، لا صلة لها بالجانب الذهني الداخلي عند الكائن البشري.إلا أن هذا التصور لا يمثل إلا جزء ضئيلا من الحقيقة عند اللسانيين المعرفيين، لكون الاستعارة حاضرة في كل مناحي حياتنا، كما توجد في أعمالنا التي نمارسها بشكل مستمر، وحتى في النسق التصور العادي الذي يتحكم في سلوكنا وتفكيرنا.

وقد نبَّهَ كل من جورج لايكوف ومارك جونسون (George Lakoff and Mark Johnsen) إلى هذا الوجود القوي للاستعارة في حياتنا وسلوكنا اليوم، بل وسقوط هذه الاستعارات في تخاطبنا، وتحولها إلى سلوك لغوي حي، حتى تمّ اعتبار اللغة وسيلة مهمة للكشف عن كيفية التي يشتغل بها نسق التفكير عند الإنسان. وذلك لكون الجزء الأكبر من النسق التصوري العادي استعاري بطبيعته عند الإنسان.1

لتكون الاستعارة حسب اللسانيين المعرفيين وسيلة مساعدة للإنسان على التعبير من زوايا غير مسبوقة، كما توفر له ابتكار الترابطات، وملاحظة التشابه فيما ظاهرة الاختلاف، فتكون وسيطا يُمكن

1. George Lakoff and Mark Johnsen (1980) Metaphorsweliveby. The university of Chicago press, London,PublishedPaperbackedition 1981, Printed in United Stastes of America. P4.

الكائن البشري من تطوير المعارف وابتكار التصورات.1وهذا التجريد للمحسوسات في صور استعارية عامة، هو أمر اشتغلت عليه الدراسات النفسية المعرفية مع الجشطلتية عند محاولة تفسيرهم لعلاقة الذهن والبدن، والإشكالات المرتبطة بذلك، فمن المفترض أن تختزل المعلومات الذهنية عندهم في بعض تشكلات الحالات الذهنية، ومنه العالم المسقط ليس مؤلفا من الحالات الدماغية، بل هو تجارب، ومع ذلك لا أحد يعرف ـ بحسب الجشطلتيين ـ ما هي التجربة ولا كيف تنقل تشكلات حالات الدماغ داخله بواسطة آلية الإسقاط.2

وهذه التساؤلات ـ عند الجشطلتيين ـ شكلت المنطلق عند علماء اللسانيات التصورية لبيان الكيفية التي يعيد من خلالها الإنسان بنية العالم في شكل تعابير لغوية، والتي في غالبيتها ذات طبيعة استعارية، فكل التعابير اللغوية تسير على النسق نفسه، بل كان الفعل الاستعاري حاضرا حتى في بناء آليات التفسير التي استعان بها هؤلاء اللسانيون في مقاربتهم للفعل اللغوي عند الإنسان، وتفسير لمستويات الدراسات اللسانية.3

وبناء على هذا التصور للعالم الذي نعيد بناءهعبر استعارات ذهنية حسب جورج لايكوف (1987 – 1990) وكذا مارك جونسون، والتصورات التي قدمها تورنر(1989)؛ حيث تلعب الاستعارة دورا كبير في تأسيس مفاهيم مجردة غير ملموسة انطلاقا من عالم محسوس مدرك معاين.4 فنكون أمام تصور يجعل من مفهوم الاستعارة آلية لبناء الترابطات الجديدة.

1.عبد الإله سليم 2001 "بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقاربة معرفية "، طبعة الأولى لدار توبقال للنشر بالدار البيضاء. المغرب. ص57.

2.راي جاكندوف 1983 " علم الدلالة والعرفانية"، نقله عن الإنجليزية وقدم له عبد الرزاق بنور، وراجعه مختار كريم، منشورات دار سيناترا ـ تونس 2010، سلسلة مقالات اللغويين.ص95 .

3. Ray Jackendoff (2007) "Language, Consciousness, Culture: Essays on Mental Structure", A Badford Book The MIT pressCambridge,Masssachusetts London, England, PublishedPaperbackedition 1981, Printed in United Stastes of America. P96.

4-"A view similar to piaget's has been espoused recently in the work of GeogeLakoff (Lakoff 1987 – 1990 Lakoff and Turner 1989) who claims that abstract concepts are constructed by means of a process of metaphor from a basis of concrete perceptual concepts "

إن هذا التصور اللساني المعرفي مع الدلالة التصورية لم يقف عند حدود اعتبار الاستعارة آلية تفسر من خلالها طريقة اشتغال ذهن الإنسان، والطريقة التي ينظر من خلالها الكائن البشري للعالم، وسقوط هذه التصورات النظرية في صورة استعارات ناتجة عن خطاطات يُبنين من خلالها الإنسان العالم وينظمه؛ بل تجاوز الأمر ذلك إلى تفسير قواعد اللغة نفسها،1 كما نجد حضورا للنموذج الاستعاري في مجالات كثيرة في الحياة.

هكذا تتجاوز اللسانيات المعرفية مع الدلالة التصور العثرات التي عرفتها غيرها من الدراسات اللسانية السابقة، والتي بَقِيَّتْ حبيسة مستوى من مستويات الدراسة اللسانية، فالإنسان أثناء المحادثات ينتج بنيات جديدة، بل إن تلك البنيات تحجب عنا كثير من الغموض،2 ولا نقف عند تفاصيلها بالقدر الذي ترسخ في أذهاننا المعنى الكلي في شكل صور استعارية تجْمِل المعنى المراد.

Ray Jackendoff (1992) "LANGUAGES OF MIND: ESSAYS ON MENTAL REPRESENTATION", - second printing 1993, A Badford Book The MIT press Cambridge,Masssachusetts London, England,p 60.

1- It is an open question how rules of grammer are to be incorporated into a model of performance, and hence into a theory of neural instantiation. Here are three plausible options.

Rules are (in some sense) explicit in long-term memory within the f-mind, and language processor explicitly refers to them in constructing and comprehending utterances Following the computer metaphor, rules are like-data structures in a computer.

Rules are partial description of operations of the processor itself. In the computer metaphor, the rules as we write them are high-level descriptions of the processor's program.

Rules are implicit in the f-mind; they describe emergent regularities (perhaps statistical regularities) among more basic elements, but are not themselves implemented in direct way.

Ray Jackendoff (2002) "foundation of language: Brain, Meaning, Grammar, Evolution", First published in paperback 2003,OXFORD UNIVERSITY press, New York,p78.

2 -"Our everyday use of language does not always correspond to the prescitions of grammar. We generate structure in conversation that, upon reflection, we would judge to be ill – formed .we hesitate repeat ourselves; stutter, and make slips of the tongue.we misunderstand the meaning of sentences. We hear sentences that are ambiguous but do not note their ambiguity.."

JOHN R. Anderson (2020) "The cognitive Psychology and its implications", Carnegie Mellon University, Ninth Edition of Worth publishers macmillan learning ,NEW YORK.p 1068.

فالدلالة التصورية يعتقد أصحابها أن التجربة الجسدية هي منطلق بناء العالم الداخلي بكل تعقيداته، مع وجود مستويات عديدة للتجريد قائمة على الخطاطات والتعميم والمزج المفاهيمي، وهو ما يتم تلخيصه في شكل استعارات.1 لتتحول الاستعارة من البعد الجمالي البلاغي إلى بعد ذهني تصوري مجرد.

2 – 2 –آليات اشتغال الاستعارة عند اللسانيين المعرفيين:

تقوم عملية البنية الاستعارية عند اللسانيين المعرفيين على مفهوم الإسقاط، والذي يمكن اعتباره جملة من التناسبات الثابتة الموجودة ما بين وحدات تتصل بالمجال المصدر، مع مقابلاتها من الوحدات في المجال الهدف،2 بحيث تتم عملية إسقاط ما يخص المجال الأول على الثاني، فتحصل عملية الاستعارة وما يرافقها من عمليات استدلال بإنشاء تلك التناسبات التي يتم عبرها انعكاس قوالب المجال المصدر على قوالب المجال الهدف. وقد وضح الأستاذ الأزهر الزناد هذا المفهوم بقوله:"قوالب من التناسبات الأنطلوجية، وهو كائن بين المستويات العليا في المقولات، يحكمه مبدأ الثبات الذي ينص على أنّ الإسقاط بين المجالات يحافظ على الأبعاد الطوبولوجية وعلى أن الغلبة للمجال الهدف. والإسقاط مفرد ومتعدد تزامني محكوم بسلميات الإرث.3

وحتى نفهم أكثر عملية الإسقاط هاته والمبادئ المتحكمة في بناء الاستعارات؛ فسأعمل على تتبع أهم المبادئ التي سطرها اللسانيون المعرفيون حول عملية الإسقاط الاستعاري، والتي جعلوا منها آليات تفسر لنا الكيفية التي تشتغل بها الاستعارات التصورية وفي مقدمتها مبدأ الانتقاء.

1" -Starting from the baseline of embodied experience, we construct our mental universe (in all its vast complexity) though many levels of elaboration involving capacities such as schematization, generalization, metaphor, and conceptual blending." Ronald W.Langacker (2017) "Ten Lectures on the Elaboration of Cognitive Grammer", the Library of Congress, BRILL – LEIDEN BOSTON. P 409.

2- عطية سليمان أحمد 2014 "الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية "، الناشر الأكاديمية الحديثة للكتاب والجامعي، القاهرة. ص 61 .

3- الأزهر الزناد 2010 "نظريات لسانية عرفنية "، الدار العربية للنشر، الطبعة الأولى لمنشورات الاختلاف. ص 145.

نستهل الحديث عن الانتقائية في الممارسات الاستعارية من بوابة تفرد اللغات الطبيعية بخصيصة التأليفية، وقدرة المتكلمين بها على إنتاج عدد غير محدود من الأقوال وفهمها انطلاقا من تأليفهم بين عناصر محدودة معدودة،1 تبعا لمبادئ وقواعد معينة، وهي خاصية راسخة في النسق التوليدي حال مقاربته لمفهوم النحو والنحوية، لكون مستعملي اللغة لا يمكنهم تخزين عددا لا نهائيا من الأقوال في رؤوسهم، ولأن المعرفة اللغوية عندهم تتسم بالطابع الإبداعي، وهو أمر يتطلب لائحة محدودة من العناصر البنيوية الصالحة للتأليف، وهي المسماة بـ"معجم"، وتتطلب من جهة أخرى مجموعة محدودة من المبادئ والقواعد للتأليف بين العناصر السالفة الذكر، وهو ما يسمى "نحواً"، وعملية العودة للمعجم واستحضار المناسب هي عملية انتقائية، وهي ليست حكرا على التراكيب المباشرة في اللغة، بل هي أيضا حاضرة في عمليات البنية الاستعارية لمجال هدف بناء على مجال مصدر، وحال نقل خصائص الأول وإسقاطها على الثاني.

ومن أجل الكشف أكثر عن مظاهر الانتقائية السالفة الذكر التي يسلكها نسق تفكيرنا الاستعاري؛ نعود إلى أبرز الأعمال المشتركة التي جمعت كُلّا من "جورج ليكوف:George Lakoff " و"مارك دجونسون: Mark Johnsen "؛ حيث يؤكد العمل على كون عملية النسخ والبنية لا تتم بشكل ميكانيكي مباشر، بل تسلك مسلكا انتقائيا عند نقل خصائص المجالات إلى غيرها، وبالتالي يتم التخلي عن بعض التفاصيل التي لا تخدمنا في عملية البنينة الاستعارية بحسب الموقف المراد التعبير عنه، ومقصودنا من عملية النسخ.

ويضرب لنا "جورج ليكوف:George Lakoff " و"مارك دجونسون:Mark Johnsen "(1980)، مجموعة من الأمثلة للتدليل على هذه الانتقائية التي تسلكها عملية البنية الاستعارية حال نسخها لخصائص مجال وإسقاطها على مجال آخر؛ حيث نعتمد على استعارة قائمة على الإظهار والإخفاء في الوقت نفسه، ومن ذلك أننا في استعارة:(الجدال حرب) نستحضر الكثير من الخصائص والسمات المنتمية لمجال الحرب: الصراع/

1- سمير عابي2021 " اللسانيات العرفنية – المبادئ العامة والأسس"، مجلة العدوي للسانيات العرفنية وتعليمية اللغات، المجلد 1 – العدد 1. ص 27.

الانتصار / الاستسلام / الهدنة / التخطيط ، وغيرها، لكننا بالمقابل لا نعير اهتمام إلى كون الشخص الذي نجادله يعطينا من وقته الخاص فسحة من الزمن لنرد على ادعاءاته، فلا نعتبره متبرعا بوقته، ولا نهتم بالاستعارة التي تجعل من الوقت شيئا ملموسا يقدمه الطرف المُجَادَلُ لخصمه، فنحن نهمل ذلك، لأننا نشتغل بالرد و ونركز على مظاهر العدوانية،1 أكثر من التفاتنا إلى الجانب الأخلاقي السلمي في الموضوع المتنازع حوله حال ممارستنا للجدل.

ويفضل الأستاذ عبد المجيد جحفة التعبير عن الانتقائية بمبدإ التأليفية، وذلك لكون الاشتقاق الاستعاري - بالنسبة له – لا يتم وفق بَنْيَنَةٍ شاملة عامة يقوم بها مجال مصدر لمجال هدف، وإنما يقع ذلك وفق عملية انتقائية، فيتم انتقاء مظهر من مظاهر المجال المصدر والتعبير عنه أو مقايسته استعاريا في المجال الهدف.2 وهذا المبدأ المسمى بالتأليفية – بحسب الأستاذ عبد المجيد جحفة – هو ما يفسر في نظره تتعدد الاستعارات المرتبطة بمجال مصدر معين؛ حيث تتم بنينة مجال مصدر واحد لعدة مجالات أهداف، لا مجال واحد بعينه، وهو ما يشكل انتقادا يمكن توجيهه لبعض أسس اشتقاق الاستعارة في الطرح الذي تقدم به جورج لايكوف ومارك جونسون في نظريتهما حول الاستعارات التصورية 1980.

وفي مقابل الانتقائية؛ يعد مبدأ التعميم من المبادئ الأساسية في سياق تتبع المبادئ العامة والأسس التي قامت عليها النظرية اللسانية المعرفية؛ فيشير الأستاذ سمير عابي(2021) إليه بوصفه إحدى المبادئ المؤسسة المميزة للمشروع اللساني المعرفي، بل ويجعله قاعدة عامة مشتركة في أعمال اللسانيين

1 - "The very systematicity that allows us to comprehend one aspect of a concept in terms of an other will necessarily hide other aspects of the concept. In allowing us to focus on one aspect of a concept , a metaphorical concept can keep us from focusing on other aspects of the concept that are inconsistent with that metaphor".
George Lakoff and Mark Johnsen (1980) , p 10.

2- عبد المجيد جحفة 2018 "استعارات الأكل والشرب مقاربة تصورية معرفية"، الطبعة الأولى لمقال منشور ضمن كتاب "مقاربات لسانية" من منشورات مختبر اللسانيات، لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك بالدار البيضاء. ص 55.

المعرفيين، لكونه يعمل على تخصيص الأسس العامة المتحكمة في كل ظواهر اللغة الطبيعية،1 مؤكدا على كون هذا المبدإ يحضر في مجالات لغوية مختلفة، ممثلا لذلك بمجال المَقْولة والتعدد الدلالي والاستعارة التي تتجلى فيها مظاهر اشتراك مكونات منفصلة في الظاهر، في حين أنها تنتظم في سمات أساسية مشتركة.

وهذا الأمر أشار إليه الأستاذ الفاسي الفهري (1985) في الكتاب الثاني من "اللسانيات واللغة العربية"، مؤكدا على وجود تعميمات عبر الحقول ارتباطا بظاهرة المجاز،حال مناقشته لقضايا البنية المعجمية في علاقتها بالمعجم الذهني والحقول الدلالية.2 وهذا الأمر وضَّحه بشكل مُيَسَّرٍ الأستاذ عبد الكبير الحسنى (2020) بكون الاستعارة عبارة عن حالة نسخ ((تصورية)) تصف تعميما من نوعين:

التعميم الأول هو تعميم تعدد المعاني: وهي القاعدة التي تقرّ بوجود معان منسوخة بتعابير لغوية؛ حيث تتجلى في شكل ملفوظات تستمد معناها من نموذج استعاري راسخ مختزن في أصله داخل الذهن البشري، تَمَّ اكتسابه بسبب الاحتكاك مع المحيط والموروث الثقافي.

و التعميم الثاني هو تعميم استنتاجي: وهو تعميم يقدم مجموعة من الاستنتاجات عبر مجالات تصورية مختلفة، وهنا يؤكد الأستاذ "عبد الكبير الحسني" على وجود حالات نسخ تقدم إجابات عامة، وهي في الوقت نفسه تعطي الدليل على أن الألفاظ المتجاوزة العابرة للمجالات التي أشار إليها الفاسي الفهري (1985)؛ تمثل حالات نسخ متعددة ومتنوعة، لكون بنياتنا اللغوية في كثير من الحالات هي بنيات تصورية ذات بعد تصوري، فهي عمليات متكررة من نسخ بين ما يوجود في الواقع وبين ما يوجد في الذهن، لكون حجم اللغة المنجزة لا يتوازى مع حجم اللغة المفكر فيها على مستوى ذهن الإنسان، الشيء الذي يفسر تبني نظرية الاستعارة التصورية لفرضية وجود نسق لغوي قائم على نسق استعاري بآليات تصورية.3

1- سمير عابي2021 " اللسانيات العرفنية – المبادئ العامة والأسس"، ص 28.

2.عبد القادر الفاسي الفهري (1985) ، اللسانيات واللغة العربية ، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى لدار توبقال ، الدار البيضاء. المغرب، ص 208.

3- عبد الكبير الحسني 2020 "الدلالة المعرفية ومشروع بناء هندسة المعنى"، الطبعة الأولى لدار كنوز المعرفة، الأردن - عمان. ص49 .

ونحن في كل مظاهر التعميم الاستعاري السابقة ؛ نحافظ على خصائص المجال الهدف أثناء عملية النسخ الاستعاري؛ حيث يرى الأستاذ الأزهر الزناد بأن عملية الإسقاط محكومة بمبدإ الثبات وبقيد الغلبة للمجال الهدف، ليقوم الإسقاط ما بين المجالات في أساسه على ذلك التناسب بين مجال مصدر من جهة، ومجال هدف من جهة أخرى، وشرط هذا التناسب هو الحفاظ على الأبعاد الطوبولوجية في المجال المصدر، والمقصود بتلك الأبعاد الطوبولوجية الأبعاد الكبرى الأساسية التي ينبني عليها المجال في حد ذاته، وبها تتكون بنيته الخطاطية. لأن الأساس في الاستعارات هو إسقاط البنية الخطاطية للمجال المصدر على البنية الخطاطية للمجال الهدف بصورة تضمن حضور التناسب بين مكونات الخطاطتين عنصرا بعنصر، والمحافظة على التناسبات الثابتة بينهما.1 وهذا يشترط غياب التغيير والتبديل في البنية الخطاطية، لتلعب بذلك خطاطة المجال الهدف قيدا يحد من إمكانيات الإسقاط بحيث لا يكون عشوائيا، لأن قيد الثبات يشترط بالضرورة المحافظة على خطاطة المجال الهدف، وبذلك تكون الغلبة في الإسقاط للمجال الهدف المراد بَنْيَنَتُهُ.

ويتضح هذا المبدأ في كثير من النماذج المتصلة بمجال العطاء بشكل مطلق؛ فالعطاء يقوم على وجود مصدر للعطاء والهدف منه وموضوع يتم انتقاله من المُعطي الذي يفقد إلى الآخذ الذي يكتسبه بموجب هذه العملية، فينضاف إلى ما يمتلكه الآخذ؛ حيث تمثل هذه المكونات البنية الخطاطية لمجال مصدر هو العطاء، وهو ما توضحه لنا عبارات من قبيل:

أعطى محمد زيدا درهما.

أعطى زيد عمرا كتابا.

أعطى الرجل طعاما للمسكين.

1- الأزهر الزناد "نظريات لسانية عرفنية "، ص 146.

فهذه جمل لا قيام فيها لإسقاط بين مجالين، لكن بالمقابل في نماذج أخرى ذات طبيعة استعارية كثيرة أساسها إسقاط ما بين مجال "العطاء" بوصفه مصدرا، ومجالات أخر كالضرب والنصح والفكر وغيرها، وهو ما نتلمسه في التراكيب التالية:

أعطى زيد محمد فكرة مشوهة فأخذها كما هي.

أعطى عمر زيدا ضربة طرحته أرضا.

أعطى زيد محمدا نصيحة خرج بها من مشكل عويص.

فتجسد مبدأ الثبات ليستقيم العطاء دون أن يفقد المعطي ما قدمه ،والآخذ يكتسب الفكرة والنصيحة ويستفيد منها على سبيل المثال، إلا أن صاحبها لا يفقد منها شيئا، وهذه من خصوصيات مجال الفكر والنصح وكذلك الضرب؛ حيث يكون لها الغلبة في الإسقاط، لكون الضرب – مثلا – ليس شيئا كان يملكه المعطي، وعند ممارسة الضرب فقده، ثم انضاف إلى ما يملك الآخذ، لذا لا نقول: أعطى عمر زيدا ضربة فأخذها. وهذا تجسيد واضح لاستقامة التناسب بين مجالي "العطاء" والضرب"، مع محافظة مجال العطاء لأبعاده الأنطولوجية، دون أن يخترق خصوصيات مجال الضرب.1

وارتباطا بالضرب في القرآن الكريم؛ نجده يتصل كثيرا بالأمثال، كما هو الشأن في قوله تعالى:"واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح"2؛ حيث نلاحظ من وجهة نظر لسانية معرفية أن الضرب هنا لم يقع بصورته الخطاطية المعهودة من حيث وجود ضارب ومضروب وأداة ضرب، ليكون المقصود إعطاء صورة تقريبية عن الحياة لوجود التوفقات بين المجال المصدر "النبات" والمجال الهدف "الحياة" فيما يلي:

النبات التوافقات الحياة

1- المرجع السابق نفسه،ص 148.

2- سورة الكهف الآية 44.

هناك بداية كالزرع ← نقطة بداية كالولادة

ينمو ← الزمن في تقدم دائم

يحتاج للماء ← الحاجة لأسباب البقاء

قد يتعرض للضرر ← وجود منغصات كالمرض

هناك نقطة نهاية كالحصاد ← الموت

وعموما، فإن المبادئ التي تمت الإشارة إليها بشكل مقتضب، قد حضرتْ في هذا النموذج القرآني، ولا تمثل فقط آليات ذات بعد تفسيري لكيفية تشكل الاستعارات، ولكنها توضح لنا بعض العمليات التي يلجأ إليها الذهن البشري للاستفادة من مظاهر التناسب والمشابهة بين الأشياء في محيطه، وتنزيل ذلك المجردات ومجالات بغرض الفهم والتواصل، الشيء الذي ينقل الاستعارة من الطابع البديعي الخاص إلى مجال الممارسة اليومية العامة.

خاتمة:

وفي الختام، فإن مفهوم الاستعارة يبقى حقلا مفتوحا للدراسات على اختلاف توجهاتها ومنطلقاتها، عبر قنوات المنجز البلاغي والنقدي العربي أو الغربي، أو الدراسات اللغوية في فقه اللغة وعلومها، بالإضافة إلى المقاربة الأصولية التي قاربت هذا المفهوم من زوايا متعددة في مباحثها.

وقد سلطنا الضوء في هذا البحث على تلك المساهمات التي جادت بها قريحة علماء الأصول لإغناء النقاش الدائر حول مفهوم الاستعارة، مركزين على الخلاف الذي اشتهر بينهم حول القضايا المتصلة بـ"الحقيقة" و"المجاز"، موضحين بعض المسببات التي وقفت وراء خلافهم المشار إليه سلفا، وأثر ذلك على تأويلهم للخطاب القرآني،مع محاولة حصر مواقفهم المتصلة بهذا الأمر،وتلخيص الحجج الداعمة لكل موقف على وجه الإجمال، وبعض الردود التي حاول بها كل فريق إبطال دعوى الفريق الآخر.

وموازاة مع تلك العودة لكتب الأصول قصد تتبع المنجز المقدم من قبل علمائنا في هذا الباب، فقد حاولنا في الوقت نفسه استحضار إطار نظري لساني معرفي، وسعيت إلى كشف التصور الذي تقدمه لنا "نظرية الاستعارة التصورية" حول مفهوم الاستعارة،مع محاولة الوقوف على المساهمات التي يمكن لهذه النظرية اللسانية أن تقدمها لنا في فهم وتأويل الاستعارات القرآنية، والكشف عن حدود هذا الدور الذي يمكنها أن تلعبه فهم الخطاب الشرعي، مراعيا بذلك طبيعة وخصوصية النص القرآني.

ولأجل هذا الغرض فقد عملنا – بداية - على تتبع آليات اشتغال الاستعارة من خلال البحث في تلك المبادئ المتحكمة في عملية الإسقاط الاستعاري، مركّزِين في كل ذلك على مبادئ بارزة بعينها على غرار الانتقائية والتعميم والثبات والسلمية والتزامن؛ لما لها من أثر في عملية البنية الاستعارة عند اللسانيين المعرفيين.

وقد انتهينا في ختام هذا البحث إلى كون الاستعارة من منظور لساني معرفي لم تعد حبيسة تلك المقاربة الجمالية للغة، بل تحولت لعمليات ذهنية مجردة، والتي تشتغل وفق خطوات محددة، فتطلب الاستعارة – وفق هذا التصور - آليات اشتغال مضبوطة تتجلى من خلال المعطيات اللغوية والخطابات التي تتضمنها،

والتي تنطلق من آليتتين اثنتين:الاشتغال وفق مبدإ التعميم على مستوى التعدد في المعاني المرتبطة بالاستعارات اللغوية داخل المجال الهدف الواحد، وتعميم النسخ من مجال مصدر واحد إلى عدة مجالات أهداف.1 وتحافظ في الوقت نفسه على خصائص المجال الهدف وفق مبدإ الثبات، واستحضار السلمية والتزامن.

هكذا؛ فقد جسَّدت هذه المبادئ ذلك المسار العام للمقاربة التجريبية المعرفية التفاعلية التي عملت على هدم الأسس الوضعية المهيمنة على التفكير البلاغي، والانتقال إلى رؤية تؤمن بالتفاعل الجسدي والبيئي والثقافي مع المحيط في أفق تشييد معرفة جديدة،2 هي بمثابة خلاصة للتجارب وما ترسخ من خطاطات ذهنية داخلية.

وهو ما لمسناه في الاستعارات التي اشتغلنا عليها في ثنايا هذا البحث، حيث يستحضر القرآن الكريم ما ترسخ عند الإنسان حول حقلين محسوسين مشاهدين، ويسقطهما على مجال هدف مجرد، ليتضح بشكل جلي في ذهنية الإنسان التي تقبل بطبيعتها هذا النوع من التأليفية، فتكون الأسس التجريبية للاستعارات حاضرة بقوة لبناء النماذج، وتشييدها بشكل أكثر دقة وشمولية للعناصر المندرجة في النمط النموذجي بحسب تعبير"إلينور روش:Eleanor Rosch"،3 نقلا لسماته الأكثر بروزا ووضوحا، حتى يتصور الإنسان الحياة بصورة جلية مختزلة.

1- عبد الكبير الحسني 2020 "الدلالة المعرفية ومشروع بناء هندسة المعنى"، ص49 .

2- عبد العزيز لحويدق 2015 "نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية: من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون"، الطبعة الأولى لدار كنوز المعرفة . عمان. ص 259.

3 -"some natural categories are analog and must be represented logically in a manner which reflects their analog structure. Rosch (1973, 1975b) has further characterized some natural analog categories as internally structured into a prototype (clearest cases, best examples of the category) and nonprototype members, with nonprototype members tending toward an order from better to poorer examples".

Eleanor Rosch and Caroly B.mervis (1975), Family Resemlances: Studies in the Internal Strusture of Categories, university of California, Berkely, Cognitive Psychology. By AcademiePress, Inc p 574.

وقد مكننا هذا البحث من الخروج بجملة من النتائج أبرزها:

تقاطع نظرية الاستعارة التصورية مع المنطق العام عند علماء الأصول الذين يعتقدون أن الخطاب القرآني يراعي معهودات الناس في حياتها، بما لا يخالف الشرع؛

التصور البلاغي عند الأصوليين ينطلق من اللغة إلى اللغة، في حين ينطلق التصور المعرفي من الذهن إلى اللغة؛

تُفسر الاستعارة عند الأصوليين وفق قواعد علوم اللغة والبلاغة، في حين أن الاستعارة عند اللسانيين المعرفيين قائمة على مبادئ تحكم عمليات الذهن؛

ومن التوصيات التي يمكننا تسجيلها في ختام هذا البحث؛ أن الاهتمام بضبط قواعد الشرع الحكيم وما أسسه علماؤنا لا ينبغي أن يشغلنا عن الانفتاح على مستجدات عصرنا؛ حيث سيساعدنا ذلك على إعمال تقنيات المقارنة، والانطلاق نحو فهم أعمق للخطاب الشرعي الموجه للناس في كل زمان ومكان، فتكون العلوم الشرعية مساعدة على فهم مراد الله واستنباط الإحكام الشرعية، في حين أن المستجدات المعاصر – ومنها النظريات اللسانية – تكشف لنا عن قوة اللغة التي نزل بها كتاب الله تعالى، مع بيان حكمه سبحانه وأسرار ما أُنْزل على رسوله صلى الله عليه وسلم.

المراجع والمصادر بالعربية:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف، المملكة المغربية. مدينة المحمدية، مطبعة فضالة. المحمدية 3 / 2016 م.

- أبو بكر الباقلاني "إعجاز القرآن"، تحقيق السيد أحمد الصقر، الناشر دار المعارف بمصر. القاهرة.

- ناصر الدين البيضاوي "منهاج الوصول إلى علم الأصول"، حققه وقدم له ووضح غوامضه الدكتور شعبان محمد إسماعيل، ، الطبعة الأولى دار ابن حزم بيروت. لبنان 2008.

- أبو الفتح بن جني "الخصائص"، تحقيق الدكتور محمد علي النجار، طبعة دار الكتب المصرية، 1952.

- أبو بكر السرخسي "أصول السرخسي"، حقق أصوله أبو الوفاء الأفغاني، نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية . حيدر أباد. الدكن بالهند.

- أبو عبيدةبن المثنى "مجاز القرآن"، عارضه بأصوله وعلق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين، الطبعة الأولى لمكتبة الخانجي القاهرة 1951.

- أبو الحسين محمد بن علي البصري المعتزلي "المعتمد في أصول الفقه"، تحقيق محمد حميد الله، الناشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق 1964 م.

- أبو حامد الغزالي "المستصفى من علم الأصول"،حققه وقدم له وضبطه وترجمه إلى الإنجليزية السيد أحمد زكي حمّاد، الناشر دار الميمان بالسعودية. الرياض.

- أبو زيد الدبوسي "تقويم الأدلة في أصول الفقه"، قدم له وحققه الشيخ خليل محي الدين، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية بيروت. لبنان 2001.

- الأزهر الزناد 2010 "نظريات لسانية عرفنية "، الدار العربية للنشر، الطبعة الأولى لمنشورات الاختلاف.

- تاج الدين السبكي "جمع الجوامع في أصول الفقه"، علق عليه ووضع حواشيه عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الثانية لدار الكتب العلمية بيروت. لبنان 2003.

- تقي الدين أحمد بن تيمية "الحقيقة والمجاز"، تحقيق أبو مالك محمد بن حامد بن عبد الوهاب، طبعة دار البصرة بالإسكندرية. مصر 2002.

- راي جاكندوف 1983 " علم الدلالة والعرفانية"، نقله عن الإنجليزية وقدم له عبد الرزاق بنور، وراجعه مختار كريم، منشورات دار سيناترا ـ تونس 2010، سلسلة مقالات اللغويين.

- سمير عابي2021 " اللسانيات العرفنية – المبادئ العامة والأسس"، مجلة العدوي للسانيات العرفنية وتعليمية اللغات، المجلد 1 – العدد 1.

- شرف الدين العمريطي "نظم الورقات"، الطبعة الثانية لدار الصميعي 2006.

- الشريف الرضي "تلخيص البيان في مجازات القرآن"، حققه وقدم له وصنع فهارسه محمد عبد الغني حسن، طبعة دار إحياء الكتب العربية. القاهرة 1955.

- عبد الإله سليم 2001 "بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقاربة معرفية "، طبعة الأولى لدار توبقال للنشر بالدار البيضاء. المغرب.

- عبد العزيز لحويدق 2015 "نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية: من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون"، الطبعة الأولى لدار كنوز المعرفة. عمان.

- عبد القادر الفاسي الفهري (1985) ، اللسانيات واللغة العربية ، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى لدار توبقال –المغرب.

- عبد الكبير الحسني 2020 "الدلالة المعرفية ومشروع بناء هندسة المعنى"، الطبعة الأولى لدار كنوز المعرفة، الأردن. عمان.

- عبد المجيد جحفة 2018 "استعارات الأكل والشرب مقاربة تصورية معرفية"، الطبعة الأولى لمقال منشور ضمن كتاب "مقاربات لسانية" من منشورات مختبر اللسانيات، لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك بالدار البيضاء.

- عطية سليمان أحمد 2014 "الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية "، الناشر الأكاديمية الحديثة للكتاب والجامعي، القاهرة.

- محمد الأمين الشنقيطي "منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز"، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، وقف مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، طبعة دار الفوائد.

- محمد بن إدريس "كتاب الرسالة "، تحقيق وشرح أبو الأشبال أحمد محمد شاكر، الناشر مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأولى 1940.

المراجع والمصادر الأجنبية:

-Eleanor Rosch and Caroly B.mervis (1975), Family Resemlances: Studies in the Internal Strusture of Categories, university of California, Berkely, Cognitive Psychology. By Academie Press.

. -George Lakoff and Mark Johnsen (1980) Metaphors we liveby. The university of Chicago press, London,Published Paperback edition.

-JOHN R. Anderson (2020) “The cognitive Psychology and its implications”, Carnegie Mellon University, Ninth Edition of Worth publishers macmillan learning ,NEW YORK.

-Ray Jackendoff (1992) “LANGUAGES OF MIND: ESSAYS ON MENTAL REPRESENTATION”, - second printing 1993, A Badford Book The MIT press Cambridge,Masssachusetts London, England.

-Ray Jackendoff (2002) “foundation of language: Brain, Meaning, Grammar, Evolution”, First published in paperback 2003,OXFORD UNIVERSITY press, New York.

-Ray Jackendoff (2007) "Language, Consciousness, Culture: Essays on Mental Structure", A Badford Book The MIT press Cambridge,Masssachusetts London, England, Published Paperback edition 1981, Printed in United Stastes of America.

-Ronald W.Langacker (2017) "Ten Lectures on the Elaboration of Cognitive Grammer", the Library of Congress, BRILL – LEIDEN BOSTON.

العادات والأعراف في الشريعة الإسلامية

الدكتورعبد الله مساعد يوسف بوغيث

وزارة العدل | دولة الكويت

abdullamusaed22@hotmail.com

ملخص البحث:

العرف والعادة هو ما اعتاده الناس وساروا عليه من قول أو فعل أو ترك، ولا فرق بين العرف والعادة في المعنى الاصطلاحي الفقهي، و للأعراف البشرية مكانة عظيمة عند الأمم التي تسودها تلك الأعراف، ولقوتها كانت هي القوانين التي تحكم الأمم والشعوب، وقد كانت هذه العراف الجدار الصلب الذي صد الناس عن اتباع دين الله والانقياد له، والأعراف البشرية كالقوانين الوضعية كلاهما لا يصلح لأن يكون هو المهيمن على المجتمع الإنساني، ولذا فإن الشريعة أقصت العرف في المجتمع الإسلامي، وحصرته في دائرة ضيقة، وقد استخدم الذين أرادوا إقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم الأعراف البشرية للصد عن دين الله وشرعه، وعلى الرغم من احتجاج العلماء بالعرف إلا أنه ليس دليلاً مستقلاً من أدلة الفقه الإسلامي، ولكنه دليل ظاهر يرد دائماً إلى دليل آخر من الأدلة الصحيحة، ويشترط في العرف الذي يعتبر شرعاً أن لا يخالف نصاً شرعياً ولا قاعدة شرعية، كما يشترط أن يكون مطرداً أو غالباً، وأن لا يصرح المتعاقدان بخلافه، وأن يكون موجوداً عند إنشاء التصرف، لا يجوز الجمود على الأحكام الصادرة من أهل العلم المبنية على أعراف تغيرت وتبدلت، وقد كان هذا الجمود من أعظم الظلم الذي نسب إلى الشريعة، والشريعة منه براء .

الكلمات المفتاحية: العادات ـ الأعراف ـ الشريعة الإسلامية

CUSTOMS AND CUSTOMS IN ISLAMIC LAW

Abstract:

Custom and habit are what people are accustomed to and follow, whether they say, do, or omit. There is no difference between custom and custom in the jurisprudential terminology. Human customs have a great place among the nations in which those customs prevail, and because of their strength, they are the laws that govern nations and peoples. These customs were The solid wall that prevents people from following the religion of God and submitting to it, and human customs such as man-made laws, are both not fit to be the dominant thing in human society. Therefore, Sharia excluded custom in Islamic society, and restricted it to a narrow circle. Those who wanted to exclude Islamic Sharia from governance used it. Human customs to prevent one from the religion of God and His law. Although scholars invoke custom, it is not an independent piece of evidence in Islamic jurisprudence. Rather, it is apparent evidence that is always referred to another valid piece of evidence. It is a condition of custom that is considered legitimate that it does not contradict a legal text or a legal rule. It is also required that it be constant or frequent, that the contracting parties not declare otherwise, and that it be present when establishing the disposition. It is not permissible to remain rigid on the rulings issued by scholars based on norms that have changed and changed, and this rigidity has been one of the greatest injustices that has been attributed to Sharia law, and Sharia law. I am innocent of him.

Keywords: Customs - Islamic law

تمهيد:

الحمد لله الذي هدانا بفضله إلى دينه الخاتم، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد خاتم أنبيائه ورسله الذي حمل الرسالة، وبلغ الأمانة، وعرَّف بالحق، وأنار الدرب، وعلى آله وصحبه منارات الهدى ومصابيح الدجى، وعلى من اتبع هديه، وسار على دربه، وبعد:

فإن علماء الشريعة مطالبون بإعطاء موضوع هذا البحث حقه من الدراسة في مجالسهم ومجامعهم.

وذلك لمكانة العرف من التشريع الإسلامي، ذلك أن المسلمين اليوم ظلموا شريعتهم كثيرا عندما قدموا عليها في أغلب أقطارهم القوانين الوضعية، والأعراف والعوائد التي تسود في مجتمعاتهم، وهذا ظلم كبير لهذه الشريعة المباركة التي يجب أن يكون لها الصدارة والهيمنة على كل الشرائع والمبادئ والنظم والقوانين، ولا يجوز بحال من الأحوال أن تقصي الشريعة عن الحكم، وتحصر في نطاق ضيق.

سبب اختيار الموضوع:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية لتحكم وتسود، وعندما حققت هذا غيرت أعراف البشر الظالمة وعوائدهم الخاطئة، والتي كانت بمثابة قيود وأغلال تقعد بهم عن تحقيق الغاية التي خلقوا من أجلها، وتوقعهم في عنت وبلاء لا يستطيعون التخلص من إسارة، لا لشيء إلا لأنه تراث الآباء والأجداد، لقد قومت الشريعة الأعراف البشرية، والعوائد الإنسانية ووضعتها في مكانها الذي ينبغي أن توضع فيه، ولم تجعل لهذه الأعراف أي دور إذا هي صادمت نصًا من نصوص الشريعة، وألزمت البشر بتغيير عرفهم وعاداتهم بما يتفق ويوائم هذه الشريعة.

وقد فقه علماؤنا وعوامنا هذه الحقيقة، ووعوها جيدًا، وصاغوا حياتهم ومجتمعاتهم وفقها، ونص الأصوليون والفقهاء والمفسرون والمحدثون على أن العرف لا قيمة له، بل يجب تغييره إذا خالف النص الشرعي، وعندما بحث الأصوليون في مصادر التشريع الإسلامي جعلوا العرف في ذيل البحث، بل إن أكثر

الأصوليين يرون أن العرف ليس مصدرًا مستقلًا من مصادر الفقه الإسلامي.

أهمية الموضوع:

إن تغير الأحكام التي تقوم على العرف، وإلى أي مدى يراعي الفقهاء فيما يصدرونه من أحكام وفتاوى عُرف الناس وعوائدهم.

وقد وجدت جمعًا من الفقهاء الثاقبي النظر على مختلف المذاهب والعصور يضجون بالشكوى من كثير من معاصريهم من أهل الفقه الذين جمدوا فيما يصدرونه من فتاوى وأحكام على ما أصدره سلفهم، على الرغم من تغيير عرف الناس وعوائدهم في المسائل المبنية على العرف.

إن الجمود على أحكام وفتاوى السابقين في المسائل التي مدركها العرف أوقع الناس في حرج شديد، وضيق أكيد، جعل الفقهاء الأعلام في كل عصر ومصر يشنون حملات شديدة في دروسهم ومؤلفاتهم على أولئك الذين أوقعوا المسلمين في هذا الحرج، ونسبوا للشريعة أحكامًا تتصف بالقسوة والجمود والظلم، وحري بالباحثين والدارسين والمفتين والقضاة في العالم الإسلامي أن يتنبهوا إلى هذا الموضوع ويعطوه حقه من الرعاية والاهتمام، وفق الضوابط والشروط التي وضعها علماؤنا وفقهاؤنا في هذا الأمر.

خطة البحث:

وتحتوي على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة

المبحث الأول: تعريف العرف والعادة والفرق بينهما ومكانة العرف وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف العرف والعادة
- المطلب الثاني: الفرق بين العرف والعادة
- المطلب الثالث: مكانة العرف عند الأمم

المبحث الثاني: حجية العرف وفيه ثلاث مطالب:

- المطلب الأول: نطاق العرف ومجاله
- المطلب الثاني: الأدلة على اعتبار العرف
- المطلب الثالث: الشروط التي يجب توفرها في العرف الذي يحتج به

المبحث الثالث: أقسام العرف وأمثلته وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: أقسامه باعتبار القول والفعل
- المطلب الثاني: أقسامه باعتبار العموم والخصوص

المبحث الرابع: خطورة الجمود على الأحكام الصادرة على أعراف تغيرت وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تغير الأحكام والفتاوى بتغير العرف والعادة
- المطلب الثاني: أسباب تغير العرف

المبحث الأول: تعريف العرف والعادة والفرق بينهما ومكانة العرف

المطلب الأول: تعريف العرف والعادة

مدار العرف في لغة العرب على أمرين كما يقول اللغوي ابن فارس(1) في معجمه " تتابع الشيء متصلًا بعضه ببعض، والسكون والطمأنينة".

يقول ابن فارس في تعريف العرف "العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض، والآخر يدل على السكون والطمأنينة"(2).

وأما تعريف العرف في اصطلاح الفقهاء فقد عرفه الشيخ عبد الوهاب خلاف(3)، فإنه قال في تعريفه: "هو ما تعارفه الناس، وساروا عليه من قول أو فعل أو ترك"(4).

وقريب من هذا التعريف تعريف الدكتور عبدالعزيز الخياط(5) فإنه قال في تعريفه: " العرف ما اعتاده الناس، وساروا عليه في شؤون حياتهم"(6).

---

(1) ابن فارس: هو أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، لغوي وإمام في اللغة والأدب، توفى سنة 395هـ

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة: 57/4.

(3) الشيخ عبدالوهاب خلاف هو المحدث الأصولي للفقه الفرضي، عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، وصاحب المؤلفات الكثيرة خصوصًا في علم أصول الفقه، توفى سنة 1375هـ - 1956م.

(4) علم أصول الفقه، عبدالوهاب خلاف ص 99، دار القلم، الكويت، الطبعة التاسعة، 1390هـ/ 1970م.

(5) عبدالعزيز الخياط هو عبد العزيز بن عزت بن الشيخ مصطفى بن الحاج أسعد الخياط، ولد في مدينة نابلس في عام 1924، وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها، ثم ارتحل إلى مصر ليكمل دراسته الشرعية، وكان عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الجامعة الأردنية، وعضو في مجمع الفقه الإسلامي في جدة، وعضو في المجمع الملكي لبحوث الفقه الإسلامي، وشغل منصب وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية عدة فترات، توفى سنة 2011.

(6) نظرية العرف: ص 24.

المطلب الثاني: الفرق بين العرف والعادة

عرف الراغب الأصفهاني(1): في "مفرداته" العادة بأنها "اسم لتكرير الفعل والانفعال، حتى يصير ذلك سهلًا تعاطيه كالطبع، ولذلك قيل: العادة طبيعة ثانية(2).

وعرفها ابن منظور(3) "بالديدن يعاد إليه، وجمعها عاد وعادات وعيد..، وتعود الشيء وعاده وعاوده معاودة وعوادًا واعتاده واستعاده وأعاده، أي: صار له عادة"(4). "والعادة في الاصطلاح، الأمر المتكرر من غير علاقة عقلية"(5).

ويرى كثير من الفقهاء أن العادة والعرف معناهما واحد، يدل على هذا ما تناقله العلماء عن النسفي(6) حيث عرفهما تعريفًا واحدًا.

وقال ابن عابدين(7) بعد شرحه للعادة "العادة والعرف بمعنى واحد، وإن اختلفا من حيث المفهوم"(8).

ومن تأمل في مباحث الفقهاء وجد أنهم يستعملون العادة والعرف استعمالًا واحدًا لا يفرقون بينهما،

---

(1) الراغب الأصفهاني: هو الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أديب وعالم وأحد علماء المسلمين في القرن الحادي عشر في التفسير السائد للقرآن باللغة العربية، أصله من أصفهان، وعاش ببغداد، ألف عدة كتب في التفسير والأدب والبلاغة، توفى سنة 502.

(2) المفردات للراغب الأصفهاني: ص 352.

(3) ابن منظور: هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، أديب ومؤرخ وعالم عربي في الفقه الإسلامي واللغة العربية، من أشهر مؤلفاته معجم لسان العرب، توفى سنة 711.

(4) لسان العرب ، لابن منظور ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب ، بيروت ، الطبع الأولى : 920/2.

(5) نشر العرف، لابن عابدين (مجموعة رسائل ابن عابدين، 112/2.

(6) النسفي: هو عبدالله بن احمد بن محمود حافظ الدين النسفي، فقيه حنفي، ولقب بأبو البركات، يعتبر احد الزهاد المتأخرين، والعلماء العاملين، ومتكلم أصولي من فقهاء الحنفية، توفى سنة 710.

(7) ابن عابدين: هو محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الدمشقي، فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره، توفى سنة 1252.

(8) نشر العرف: (مجموعة رسائل بن عابدين): 112/2.

وعلى كل " فالمسألة اصطلاحية ولا مشاحة في الاصطلاح ".

المطلب الثالث: مكانة العرف عند الأمم

للعرف سلطان كبير على الأفراد والمجتمعات الإنسانية عبر العصور، وقد تحدث الشيخ أحمد فهمي أبو سنة(1) عن سلطان العرف وتأثيره فقال: " مجموعة المصطلحات والتقاليد التي تعتادها كل أمة، وتتخذها منهاجًا للسير عليها لها في نفوس الأفراد احترام عظيم، بل لها عليها السلطان القوي، حتى إنهم ليعدونها من ضروريات الحياة التي لا يستغنى عنها، ومن المفاخر التي يعتز بها، وقد ترتفع قداستها عند بعضهم إلى مرتبة الدين، فيرون أنفسهم ملزمين باعتناقها والجري على سننها، ويرون الخروج عليها إثمًا عظيمًا يستجلب الاستياء، ويدعو الى الثورة"(2).

وقد علل الشيخ فهمي هذا بما توصل إليه علماء النفس من أن العمل بكثرة تكراره تتكيف به الأعصاب والأعضاء، فيأخذ مكانه من النفوس كالسيل بقوة انحداره يحتفر طريقة في الجبل، فكما أنه يصعب تحويله عن طريقه، فكذلك العرف يرسخ في النفوس بحيث يعسر زحزحتها عنه وبخاصة إذا اقتضته الحاجة(3).

ولما كان للعرف هذا السلطان وتلك المكانة فإن أعراف الأمم والشعوب كانت هي الدساتير والقوانين التي تحكم تلك الأمم والشعوب.

---

(1) أبو سنة: أحمد فهمي، هو أحمد فهمي محمود خليفه أبو سنة، من العلماء المجيدين لعلوم الشريعة، اختير عضوًا في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، وعضوًا في مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة، وكان من أوائل من جمعوا بين عضويتي هذين المجمعين، توفى سنة 2003.

(2) العرف والعادة في رأي الفقهاء ، أحمد فهمي أبو سنة ، مطبعة الأزهر ، القاهرة ، ص 16 .

(3) المصدر السابق.

المبحث الثاني: حجية العرف

المطلب الأول: نطاق العرف ومجاله

يمكننا أن نحدد الدائرة التي أذنت الشريعة الإسلامية للمسلمين - كما يرى الباحث - أن يرجعوا فيها الى العرف في المجالين التاليين:

الأول: تفسير النصوص التي وردت مطلقة، ولم يرد في الشرع ولا في اللغة ما يفسرها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(1) في هذا: "كل اسم ليس له حد في اللغة ولا في الشرع فالمرجع فيه إلى العرف"(2)، ويقول السيوطي(3): "قال الفقهاء: ما ورد به الشرع مطلقًا، ولا ضابط له فيه، ولا في اللغة ويرجع فيه إلى العرف"(4).

الثاني: الأحكام التي لم تأمر بها الشريعة، ولم تنه عنها، وهذا النوع ليس للشريعة غرض في فعلها على نحو معين، وإنما المراد فعلها على أي وجه هذا الفعل، وهذا يختلف باختلاف عوائد الناس وعرفهم.

أما مجال العرف عند الأمم التي لا تحكم الشريعة الإسلامية فقد سبق القول بأن العرف كان بمثابة القانون والدستور عند الأمم قبل تدوين قوانينها، فلما دونت القوانين بقى العرف مصدرًا رسميًا للقواعد القانونية في مختلف فروع القانون، كما جعل العرف مصدرًا احتياطيًا في كثير من القوانين، يلجأ إليه القاضي في المسائل التي لا يجد فيها نصًا في القانون.

---

(1) ابن تيمية هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني، المشهور باسم ابن تيمية، شيخ الإسلام وفقيه ومحدث ومفسر وعالم مسلم مجتهد من علماء أهل السنة والجماعة، وهو أحد أبرز العلماء المسلمين خلال النصف الثاني من القرن السابع والثلث الأول من القرن الثامن الهجري، أخذ الفقه الحنبلي وأصوله عن أبيه وجده، كما كان من الأئمة المجتهدين في المذهب، فقد كان يفتي في العديد من المسائل على خلاف المعتمد من الحنابلة لما يراه موافقا للدليل من الكتاب والسنة ثم على آراء الصحابة وأثار السلف، توفى سنة 728.

(2) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: ابن قاسم، نشرته حكومة المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى 1398هـ: 40/7.

(3) السيوطي: هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، المشهور باسم جلال الدين السيوطي، إمام حافظ، ومفسر، ومؤرخ، وأديب، وفقيه شافعي، له نحو 600 مصنف، توفى سنة 911.

(4) الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، القاهرة: ص98.

المطلب الثاني: الأدلة على اعتبار العرف

استدل الفقهاء والأصوليون على اعتبار القدر الذي - حدده الباحث - في العرف بأدلة منها:

النصوص المطلقة التي وردت في الكتاب والسنة، وترك تفسيرها وتحديدها إلى عرف أهل كل عصر وبلد، وسيأتي ذكر أمثلة كثيرة لهذا النوع من العرف.

واستدلوا بقاعدة رفع الحرج، ووجه الاستدلال أن ثبات العوائد على حكم واحد على الرغم من تغيرها وتبدلها يوقع الناس في حرج شديد، وضيق أكيد، ويخرج الأحكام التي تنسب إلى الشريعة عن جادة العدل والرحمة التي تتصف بهما الشريعة إلى الظلم والقسوة اللذين برأ الله شريعته من الاتصاف بهما.

يقول الشاطبي(1) في هذا المعنى " العوائد الجارية ضرورية الاعتبار شرعًا، كانت شرعية في أصلها أو غير شرعية، أي سواء كانت مقررة بالدليل شرعًا أو أمرًا أو إذنًا أم لا"(2) ويقول مبينًا وجه ضرورتها: " لو لم تعتبر العوائد لأدى إلى تكليف ما لا يطاق، وهو غير جائز أو غير واقع"(3).

واستدل كثير من الباحثين - كما يرى الباحث - في العرف العوائد على حجيتها بقوله تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وأْمُرْ بِالْعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) الأعراف: 199.

ولا يتم الاستدلال بهذه الآية إلا بناء على القول بأن المراد بالعرف فيها المعنى الاصطلاحي للعرف، وقد

(1) الشاطبي: هو إبراهيم بن موسى بن محمد أبو إسحاق اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، وكنيته التي عرف بها أبو إسحاق، من علماء الأندلس، وشهد له العلماء بمآثره العديدة، وقد تميز بمنزلة عالية رفيعة بين علماء الشريعة الإسلامية، وكان له منهجًا علميًا متزنًا، توفى سنة 790.

(2) الموافقات، لأبي إسحاق الشاطبي: 211/2.

(3) المصدر السابق.

بينت فيما سبق أن المراد بالعرف في الآية المعنى الذي قال فيه ابن الأثير(1): "هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى كل الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة، أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه"(2).

المطلب الثالث: الشروط التي يجب توفرها في الغرف الذي يحتاج به

يرى الباحث أن العلماء والفقهاء والأصوليون اشترطوا في العرف الذي يعتبر شرعًا عدة شروط:

الأول: ألا يخالف العرف الشريعة، فإن خالف العرف نصًا شرعيًا أو قاعدة من قواعد الشريعة فإنه عرف باطل.

الثاني: أن يكون العرف مطردًا أو غالبًا، ومعنى اطراده أن يكون العمل بالعرف مستمرًا في جميع الحوادث، لا يتخلف في واحد منها، أو يكون غالبًا في أكثر الحوادث.

يقول السيوطي: إنما تعتبر العادة إذا اطردت، فإن اضطربت فلا، وإن تعارضت الظنون في اعتبارها فخلاف(3).

الثالث: أن يكون العرف المراد العمل به موجودًا عند إنشاء التصرف.

يقول ابن نجيم(4): العرف الذي تحمل عليه الألفاظ إنما هو المقارن السابق دون المتأخر، ولذا قالوا: لا عبرة بالعرف الطارئ(5).

---

(1) ابن الأثير: هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري بن الأثير، محدث لغوي عربي، وإليه تنسب أسرته وجماعته، فيقال لهم (آل الجزري)، وهو الأخ الأكبر لابن الأثير الكاتب وابن الأثير الجزري، وجميعهم ذوو علم وفضل ومكانة، توفى سنة 606.

(2) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: 216/3.

(3) الأشباه والنظائر للسيوطي، ص92.

(4) هو زين الدين ابن نجيم، فقيه أصولي من فقهاء المذهب الحنفي، كان الفقه الحنفي أعظم اهتماماته العلمية، درسًا وإفتاءً وتأليفاً. توفي سنة 970هـ.

(5) الأشباه والنظائر للسيوطي، ص92.

الرابع: ألا يصرح المتعاقدان بخلافه، فلو صرحا بخلافه فلا حكم للعرف، فإذا كان العرف جاريًا على أن يدفع المستأجر الأجر مقدمًا في أول كل شهر فاتفقا على دفع أجر المنزل في آخر الشهر جاز.

المبحث الثالث: أقسام العرف وأمثلته

المطلب الأول: أقسامه باعتبار القول والفعل

ينقسم العرف باعتبار القول والفعل إلى عرف قولي وعرف عملي.

فالعرف القولي أو اللفظي: وهو الذي يسميه الأصوليون بالحقيقة العرفية، ويسميه بعض الفقهاء بالعادة في اللفظ، وقد عرفه ابن عابدين بقوله: (العرف القولي: هو أن يتعارف قوم إطلاق اللفظ لمعنى بحيث لا يتبادر عند سماعه إلا ذلك المعنى"(1).

وعرفه القرافي(2) بقوله: "العادة في اللفظ: أن يغلب إطلاق لفظ أو استعماله في معنى حتى يصير هو المتبادر من ذلك اللفظ عند الإطلاق مع أن اللغة لا تقتضيه، فهذا هو معنى العادة في اللفظ، وهو الحقيقة العرفية، وهو المجاز الراجح في الأغلب، وهو معنى كلام الفقهاء أن العرف يقدم على اللغة عند التعارض(3).

ومنأمثلة العرف القولي: إطلاق الناس الولد على الذكر دون الأنثى، مع أن الشريعة تطلقه على الذكر والأنثى، قال تعالى: (يوصيكم الله في أولدكم للذكر مثل حظ الأنثيين) النساء 11

والعرف العملي: ما جرى عليه عمل الناس وتعارفوه في معاملاتهم وتصرفاتهم، فمن ذلك اعتياد الناس أجرة معينه لبعض الأعمال، مثل ما تعارف عليه أصحاب سيارات الأجرة والنقل من أجرة معينه عند نقل الركاب من مكان إلى مكان، ومثل تعارف الناس على البيع بالمعاطاة من غير إيجاب وقبول عند شراء حوائجهم من أسواقهم.

وتعارفهم على أن من ينقل الركاب يكتفي بالأجرة، ولا يطلب قيمة ما تستهلكه السيارة من وقود وزيوت.

---

(1) تنبيه الرقود على أحكام النقود، لابن عابدين: ص 36. وعزا ابن عابدين هذا التعريف لا بن أمير حاج.

(2) القرافي: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجي المصري، كان ملمًا بعلوم شتى كالفقه والأصول واللغة والأدب وعلم المناظرة والطبيعيات وله معرفة بالتفسير، وكان يحث على الاستزادة من العلوم بقوله (ينبغي لذوي الهمم العلية أن لا يتركوا الاطلاع على العلوم ما امكنهم) توفى سنة 684.

(3) تمييز الفتاوى عن الأحكام، للقرافي : ص 234.

وتعارفهم في كثير من الصناعات على عدم دفع شيء غير الأجرة فلا يدفعون للخياط قيمة ما يستهلكه من خيوط وإبر، ولا يدفعون إلى القصار والبناء قيمة ما يستهلك من أخشاب وأدوات.

المطلب الثاني: أقسامه باعتبار العموم والخصوص

ينقسم العرف باعتبار العموم والخصوص إلى عرف عام وعرف خاص:

فالعرف العام: هو الذي يكون فاشيًا في جميع البلاد بين جميع الناس في أمر من الأمور، ومن العرف العام ما يكون عالميًا كتعارف الناس على تسمية أيام الأسبوع، وكاتفاقهم على بداية الأشهر والسنوات، واتفاقهم على عدد أيام السنة ونحو ذلك.

ومن العرف العام ما يكون شائعًا عند جميع المسلمين، كلفظ (دابة)، فإن وضع هذه الكلمة بأصل اللغة لكل ما يدب على الأرض من ذي حافر وغيره، ثم هجر الوضع الأول، وصارت في العرف حقيقة للفرس، ولكل ذات حافر، وكذلك لفظ السيارة، فإن وضع هذه الكلمة بأصل اللغة للقافلة، ثم هجر الوضع الأول، وصارت في العرف حقيقة لوسيلة النقل المعروفة.

ومن العرف العام كل ما شاع استعماله في غير وضعه اللغوي كالغائط والعذرة والراوية فإن حقيقة الغائط المطمئن من الأرض، والعذرة فناء الدار، والراوية الجمل الذي يستقي عليه الماء(1).

والعرف الخاص: هو الذي يختص ببلد أو فئة أو طائفة من الناس، مثل عرف النحاة في إطلاق اسم الفاعل على كل اسم مرفوع تقدمه فعل ودلّ على من فعل الفعل، وتعارف بعض البلاد على دفع الأجرة أول العام، وآخرون في آخر العام، ونحو ذلك.

(1) شرح الكوكب المنير، لابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي، ود. نزيه حماد، نشره مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز، مكة المكرمة، 1400هـ/ 1980م: 150/1.

المبحث الرابع: خطورة الجمود على الأحكام الصادرة على أعراف تغيرت

المطلب الأول: تغير الأحكام والفتاوى بتغير العرف والعادة

بنى كثير من أهل العلم - كما يرى الباحث - الأحكام التي أصدروها في عصرهم على العادات والأعراف التي كانت سائدة في تلك العصور، فإذا تغيرت تلك العادات، وصارت تدل على ضد ما كانت عليه سابقًا، فهل تبطل هذه الفتاوى المسطورة في كتب الفقهاء، ويفتي بما تقتضيه العادات المتجددة؟ أو يقال: نحن مقلدون، وما لنا إحداث شرع لعدم أهليتنا للاجتهاد فنفتي بما في الكتب المنقولة عن المجتهدين؟

أورد هذا السؤال الإمام القرافي في كتاب " الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام(1). ثم أجاب عنه قائلًا: "إن إجراء الأحكام التي مدركها العوائد، مع تغير تلك العوائد خلاف الإجماع، وجهالة في الدين، بل كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد: يتغير فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة(2).

ومن الذين تعرضوا لهذه المسألة الإمام ابن القيم(3) - رحمه الله تعالى - فإنه عقد في كتابه " أعلام الموقعين "فصلًا كبيرًا لتغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد.

وقرر في هذا الفصل أن الجمود على الأحكام التي أصدرها أهل العلم في الماضي وفقًا للعرف العادة السائدة في أيامهم أوقع الناس في الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه، كما نسب إلى الشريعة الإسلامية المباركة السمحة الظلم والقسوة، وكل هذا بسبب الجمود على الأحكام مع تغير العادات والأعراف التي بنيت عليها في تلك الأيام، وفي هذا يقول: (هذا فصل عظيم النفع جدًا، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على

---

(1) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام: ص 231.

(2) المصدر السابق: 231.

(3) ابن القيم: هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الحنبلي، المعروف باسم "ابن قيم الجوزية" أو " ابن القيم " فقيه ومحدث ومفسر وعالم مسلم مجتهد وواحد من أبرز أئمة المذهب الحنبلي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وكان والده (أبو بكر بن أيوب الزرعي) قيمًا على (المدرسة الجوزية الحنبلية) وعندما شب واتصل بشيخه ابن تيمية حصل تحول بحياته العلمية، فأصبح لا يلتزم في آرائه وفتاويه بما جاء في المذهب الحنبلي إلا عن اقتناع وموافقة الدليل من الكتاب والسنة ثم على آراء الصحابة وآثار السلف، ولهذا يعتبره العلماء أحد المجتهدين، توفى سنة 751.

الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به(1).

وطالب الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - المفتي والعالم بمراعاة العرف دائمًا اعتبارًا وإسقاطًا، وحذر من الجمود على المنقول في الكتب، ودعا إلى التعرف على عرف السائلين، وعادات الذين يفتي لهم في الدين، وفي هذا يقول:

"مهما تجدد في العرف فاعتبره، ومهما سقط فألغه، ولا تجمد على المنقول في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير إقليمك يستفتيك فلا تجره على عرف بلدك، وسله عن عرف بلده فأجره عليه، وأفته به دون عرف بلدك والمذكور في كتبك"(2).

وألف ابن عابدين - رحمه الله تعالى - رسالة في العرف صرح فيها مرارًا بوجوب مراعاة عرف الناس وعاداتهم من قبل المفتين والفقهاء والحكام، ولام الذين جمدوا على الأحكام التي أصدرها سلفهم إذا كانت مبنية على عادات زالت، وعرف تغير.

فقال "ليس للمفتي الجمود على المنقول في كتب ظاهر الرواية من غير مراعاة الزمان وأهله، وإلا يضيع حقوقًا كثيرة، ويكون ضرره أعظم من نفعه"(3).

وقال: "النقول ونحوها دالة على اعتبار العرف الخاص، وإن خالف المنصوص عليه في كتب المذاهب ما لم يخالف النص الشرعي(4).

وأحب أن أختم هذه النقول القيمة من كلام ابن عابدين بهذا النقل الذي يبين أهمية معرفة الحكام

---

(1) إعلام الموقعين، ابن القيم: 5/3.

(2) المصدر السابق: 99/2

(3) نشر العرف ((مجموع رسائل ابن عابدين)): 129/2.

(4) المصدر السابق: 131/2.

والمفتين بأعراف الناس وعاداتهم، فيقول - رحمه الله - في ذلك: "قال بعض العلماء المحققين: لابد للحاكم من فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس، يميز به بين الصادق والكاذب والمحق والمبطل، ثم يطابق بين هذا وهذا، فيعطي الواقع حكمه من الواجب، ولا يجعل الواجب مخالف الواقع.

والمفتي الذي يفتي بالعرف لا بد له من معرفة الزمان وأحوال أهله ومعرفة أن هذا العرف خاص أو عام، وأنه مخالف للنص أو لا(1).

المطلب الثاني: أسباب تغير العرف

العادات التي تختلف أحكامها هي العادات المتغيرة المتبدلة التي لم يرد دليل شرعي بإثباتها أو نفيها، لأن الشارع ليس له غرض في إجرائها على سنن معين، فكيفما وقعت فإن غرض الشارع يتحقق بهذا الوقوع، وتغير الأعراف والعادات يعود - من وجهة الباحث - إلى أمور كثيرة منها:

اختلاف الناس في منازعهم ومشاربهم وأمزجتهم وهذا الاختلاف سيحدث حتمًا اختلاف الناس في الأحكام والتصرفات، ولذا فقد يقبح بعض الناس فعلًا يراه الأخرون حسنًا وجميلًا، وقد يحسنون فعلًا يراه غيرهم قبيحًا، فمن ذلك غطاء الرأس يراه كثير من المسلمين من لوازم المروءة، وتركه يخل بها، بينما يرى آخرون كشف الرأس حسنًا لا بأس فيه(2)، وجرت العادة في بعض ديار المسلمين أن يدخل الزوج على زوجته في بيت والدها، وفي ديار أخرى يرون هذا قبيحًا.

اختلاف طبيعة الأرض والمناخ، فالبلاد تختلف وعورة وسهولة وبرودة وحرارة، ولهذا الاختلاف أثر كبير في اختلاف عادات الناس في لباسهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم.

اختلاف خارج عن إرادة المكلفين كاختلاف الناس في سن البلوغ واختلاف الناس في: سن الحيض، ومقدار الحيض، والنفاس، ومقدار الطهر بين الحيضتين، واختلافهن في السن الذي يكون فيه اليأس من

(1) المصدر السابق: 127/2.

(2) الشاطبي: الموافقات: 209/2.

المحيض.

تأثير الحكام والمفكرين والعلماء في أممهم، فكثير من الأعراف والعادات تتغير بسبب ما يصدرونه من قوانين وتوجيهات.

اختلاط الناس بعضهم ببعض، وتسلط بعضهم على بعض، فالناس تتأثر بعضهم ببعض، ويأخذ بعضهم عادات بعض.

اختلاف الناس في التعبير عن مقاصدهم، فالشيء الواحد له في كل أمة اسم يخصه غير الاسم الذي تطلقه عليه بقية الأمم، وقد تتفق الألفاظ عند الأمم، ولكن تختلف في المعاني المرادة بتلك الألفاظ.

أهم النتائج:

يمكننا أن نوجز أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة في النقاط التالية:

1- العرف والعادة: ما اعتاده الناس وساروا عليه من قول أو فعل أو ترك ولا فرق بين العرف والعادة في المعنى الاصطلاحي الفقهي.

2- للأعراف البشرية مكانة عظيمة عند الأمم التي تسودها تلك الأعراف، ولقوتها كانت هي القوانين التي تحكم الأمم والشعوب وقد كانت هذه الأعراف الجدار الصلب الذي صد الناس عن اتباع دين الله والانقياد له.

3- الأعراف البشرية كالقوانين الوضعية كلاهما لا يصلح لأن يكون هو المهيمن على المجتمع الإنساني، ولذا فإن الشريعة أقصت العرف في المجتمع الإسلامي، وحصرته في دائرة ضيقة.

4- استخدم الذين أرادوا إقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم الأعراف البشرية للصد عن دين الله وشرعه. المجال الذي يعمل فيه العرف عند المسلمين محصور في أمرين:

الأول: تفسير النصوص المطلقة التي لم تفسرها اللغة ولا الشريعة.

الثاني: الأحكام التي ليس للشريعة غرض في فعلها على وجه معين، وإنما المراد الإتيان بها على أي وجه كان، ولذا لم تنه الشريعة عنها، ولم تأمر بها، وتركت أمرها الى ما تجري به العادات والأعراف.

5- على الرغم من احتجاج العلماء بالعرف إلا أنه ليس دليلًا مستقلًا من أدلة الفقه الإسلامي، ولكنه دليل ظاهر يرد دائمًا إلى دليل آخر من الأدلة الصحيحة.

6- يشترط في العرف الذي يعتبر شرعًا ألا يخالف نصًا شرعيًا ولا قاعدة شرعية، كما يشترط أن يكون مطردًا أو غالبًا، وألا يصرح المتعاقدان بخلافه، وأن يكون موجودًا عند إنشاء التصرف.

7- العرف قد يكون قوليًا أو عمليًا، وقد يكون خاصًا أو عامًا.

8- لا يجوز الجمود على الأحكام الصادرة من أهل العلم المبنية على أعراف تغيرت وتبدلت، وقد كان هذا الجمود من أعظم الظلم الذي نسب إلى الشريعة، والشريعة منه براء.

9- أن لتغير العرف أسباب كاختلافهم في منازعهم ومشاربهم، وطبيعة الأرض، والمناخ وغيرها.

أهم التوصيات:

إن أهم ما نوصي به ما يلي:

1- الحفاظ على هوية المجتمع الإسلامي.

2- التمسك بالعادات والأعراف بما لا يعرقل التحضر.

3- عدم الانبهار بدعوات الحداثة.

4- الحرص على الترابط الأسري الذي يعكس الأصالة.

5- ضرورة ترسيخ الصفات الحميدة.

المصادر والمراجع:

1- ابن الأثير، مجد الدين محمد، النهاية في غريب الحديث، المكتبة العلمية، بيروت.

2- ابن النجار، شرح الكوكب المنير، تحقيق: د. محمد الزحيلي، ود. نزيه حماد، نشره مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز، مكة المكرمة، 1400هـ/ 1980م: 150/1.

3- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، ت 861هـ، شرح فتح القدير، ط. الثالثة، دار الفكر، بيروت.

4- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)، السياسة الشرعية، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ.

5- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي. طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود.

6- ابن دقيق العيد، تقي الدين، (ت702هـ)، إحكام الأحكام، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة السنة، الطبعة الأولى (1414هـ، 1994م).

7- ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت795هـ)، القواعد في الفقه الإسلامي، ط. الأولى، 1992م، دار الكتب العلمية، بيروت.

8- ابن رشد، محمد بن أحمد، (ت595هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الفكر، بيروت.

9- ابن عابدين، محمد الدمشقي، تنبيه الرقود على أحكام الوقود، منشور ضمن رسائل ابن عابدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

10- ابن عابدين، محمد أمين، (ت1252هـ)، حاشية رد المحتار على الدر المختار، ط. الثانية، 1386هـ/1966م، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

11- ابن عابدين، محمد، نشر العرف، لابن عابدين (مجموعة رسائل ابن عابدين.

12- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (ت1393هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، سنة النشر 1425 هـ - 2004م.

13- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

14- ابن نجيم، زين بن إبراهيم، (ت669هـ)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ط. الثالثة، 1413هـ/1992م، دار المعرفة، بيروت.

15- أبو سنة، أحمد فهمي، العرف والعادة في رأي الفقهاء، مطبعة الأزهر، القاهرة.

16- أبو يعلى، المسائل الأصولية من كتاب الروايتين والوجهين، تحقيق عبدالكريم محمد اللاحم، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى (1405هـ / 1985م).

17- الأرموي، محمود بن أبي بكر بن حامد بن أحمد (ت682هـ)، التحصيل من المحصول، تحقيق: عبدالحميد أبو زنيد. مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة الأولى (1408هـ).

18- الأسنوي، عبدالرحمن بن الحسن، (ت772هـ)، طبقات الشافعية، ط. الأولى، 1407هـ/1987م، تحقيق كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت.

19- الأشقر، محمد، أفعال الرسول ودلالاتها على الأحكام الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الثالثة (1414هـ).

20- الأصبهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

21- آل تيمية، بدأ بتصنيفها الجد: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت: 652هـ)، وأضاف إليها الأب،: عبدالحليم بن تيمية (ت: 682هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (728هـ)، المسودة في أصول الفقه المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتاب العربي.

22- الآمدي، أبي الحسن علي بن أبي علي، ت467هـ، الإحكام في أصول الأحكام، ط. الأولى، 1405هـ/1985م، كتب هوامشه إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت.

23- أمير بادشاه، محمد أمين البخاري، (ت 972هـ)، تيسير التحرير، دار الكتب العلمية، بيروت.

24- البدوي، يوسف أحمد، مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، الناشر: دار الصميعي، الطبعة الثانية (1433هـ- 2012م).

25- البرديسي، محمد زكريا، أصول الفقه، دار الثقافة - القاهرة (1991).

26- البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، (المتوفى: 354هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ- 1988م.

27- البغدادي، شهاب الدين الآلوسي، (ت 127هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،

1408هـ/1987م، دار الفكر، بيروت.

28- البيهقي، أحمد بن الحسين، (ت458هـ)، السنن الكبرى، ط. الأولى، 1414هـ/1994م، تحقيق محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

29- حيدر، علي، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، تعريب فهمي الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت.

30- الخضري، محمد، أصول الفقه، دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى (1407هـ - 1987م).

31- الخفيف، علي بن محمد (ت1978م)،أسباب اختلاف الفقهاء، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية (1416هـ).

32- خلاف، عبدالوهاب، علم أصول الفقه، دار القلم، الكويت، الطبعة التاسعة، 1390هـ/ 1970م.

33- خلاف، عبدالوهاب، مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه، دار القلم - الكويت، الطبعة السادسة، 1414هـ - 1993م.

34- الخياط، عبدالعزيز، نظرية العرف، مكتبة الأقصى، عمان، 1397هـ/1977م.

35- الدارقطني، علي بن عمر، (ت385هـ)، سنن الدارقطني، ط. الثالثة، 1413هـ/1993، دار عالم الكتب، بيروت.

36- الذهبي، شمس الدين محمد بن قايماز (ت748هـ)، تذكرة الحفاظ، أم القرى للطباعة والنشر - القاهرة. مصر. د.ت.

37- الزرقا، أحمد بن الشيخ محمد، شرح القواعد الفقهية، ط. الثانية، 1409هـ/1989م، تصحيح وتعليق: محمد الزرقا، دار القلم، دمشق.

38- الزرقا، مصطفى، الاستصلاح والمصالح المرسلة في الشريعة الإسلامية وأصول فقهها، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م.

39- الزرقا، مصطفى، المدخل إلى الفقه الإسلامي، مطبعة جامعة دمشق، 1383هـ/1963م.

40- الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف، (ت 1122هـ)، شرح الزرقاني على الموطأ، دار الفكر، بيروت.

41- الزركشي، بدر الدين، (ت794هـ)، المنثور في القواعد، ط. الثانية، 1985م، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دولة الكويت، تحقيق د. تيسير فائق، دار الكويت للصحافة.

42- الزركلي، خير الدين بن محمود، ت1396هـ، الأعلام، ط. العاشرة، 1992م، دار العلم للملايين، بيروت.

43- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت.

44- السبكي، الإمام تاج الدين عبدالوهاب، (ت771هـ)، الأشباه والنظائر، ط. الأولى، 1991م، تحقيق عادل عبدالموجود - علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.

45- السبكي، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الإبهاج في شرح المنهاج، منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنه 785هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، عام النشر: 1416هـ - 1995 م.

46- السرخسي، أبي بكر محمد بن أحمد، (ت490هـ)، أصول السرخسي، تحقيق أبو الوفا الأفغاني، دار المعرفة، بيروت.

47- السرخسي، شمس الدين محمد بن أحمد، (ت490هـ)، المبسوط، ط 1406هـ/1986م، تحقيق الشيخ

خليل الميس، دار المعرفة، بيروت.

48- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت911هـ)، الأشباه والنظائر في الفروع، دار الكتب العلمية، بيروت.

49- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (ت790هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، شرح عبدالله دراز، دار المعرفة - بيروت.

50- الشافعي، محمد بن إدريس، (ت204هـ)، الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر. المكتبة العلمية، بيروت. د.ت.

51- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت 1393هـ)، المصالح المرسلة، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: الأولى، 1410هـ.

52- الصنعاني، محمد بن إسماعيل، (1182هـ)، سبل السلام شرح بلوغ المرام، ط. الأولى، 1408هـ/1988م، دار الكتب العلمية، بيروت.

53- الطبري، محمد بن جرير الطبري، (ت 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط. الأولى، 1412هـ/1992م، دار الكتب العلمية، بيروت.

54- العز بن عبدالسلام، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب السلمي الدمشقي الشافعي، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مؤسسة الريان، (1410هـ - 1990م).

55- العماد ابن الحنبلي، عبدالحي، (ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى (1410هـ - 1989م).

56- الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، (ت505هـ)، المنخول من تعليقات الأصول، تحقيق: محمد حسن هيتو. دار الفكر - دمشق. الطبعة الثانية (1400هـ).

57- الفاسي، علال، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ضمن منشورات مؤسسة علال الفاسي، الطبعة الخامسة (1993م).

58- فرحون ابن، برهان الدين إبراهيم بن علي، (ت799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق د. محمد أبو النور، دار التراث، القاهرة.

59- فرغلي، محمد محمود، بحوث في السنة المطهرة، دار الكتاب الجامعي، القاهرة (1402هـ).

60- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، (ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق، مصر. الطبعة الثامنة (1939م).

61- قدامة ابن المقدسي، عبدالله بن أحمد بن محمد، (620هـ)، روضة الناظر وجنة المناظر، تحقيق عبدالكريم النملة. مكتبة الرشد - الرياض. الطبعة الأولى (1413هـ).

62- القرافي، شهاب الدين أبو العباس أحمد، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب 1387هـ/1967م.

63- القرطبي، محمد بن أحمد، (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط 1413هـ/1993م، دار الكتب العلمية، بيروت.

64- القزويني، محمد بن يزيد، (ت275هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

65- قيم ابن الجوزية، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر، (ت751هـ)، الطرق الحكمية في

السياسة الشرعية، تحقيق: محمد جميل غازي. مطبعة المدني - القاهرة. د.ت.

66- القيم ابن الجوزية، محمد بن أبي بكر. (1411هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين. (الطبعة: الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

67- الكاساني، علاء الدين أبي بكر، (ت587هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط. الثانية، 1406هـ/1986م، دار الكتب العلمية، بيروت.

68- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ط. الأولى، 1414هـ/1993م، اعتنى به وجمعه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت.

69- المرغيناني، برهان الدين علي بن أبي بكر، (ت592هـ)، الهداية شرح بداية المبتدى، ط. الأولى، 1410هـ/1990م، دار الكتب العلمية، بيروت.

70- موسى، سيد محمد، الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر، دار الكتب الحديثة، القاهرة. د.ت.

71- النجار، أحمد محمد الصادق، مقاصد الشريعة على ضوء اعتقاد السلف، الناشر: الناشر المميز- المدينة، الطبعة الأولى (1437هـ- 2016م).

72- النسائي، أحمد بن شعيب، (ت303هـ)، سنن النسائي، ط. الأولى، 1411هـ/1991م، حققه مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت.

73- اليوبي، محمد سعد، مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة السادسة (1436هـ).

الثقافة القانونية آلية لتعزيز قيم المواطنة

الباحث يونس لعناني

باحث بسلك الدكتوراه جامعة عبد المالك السعدي | المغرب

lananiyouness@gmail.com

ملخص البحث:

بين القانون والمجتمع صلة وثيقة جدا بحيث لا يمكن أن نتصور وجود القانون بدون مجتمع لأن القانون ما وجد إلا لتنظيم شؤون هذا المجتمع، إلا أن ذلك أحيانا قد لا يعطي النتائج المرجوة منه بسبب تضارب مصالح الأفراد. فكانت الحاجة ملحة للارتقاء بالثقافة القانونية داخل المجتمع تمهيدا لتعزيز وترسيخ قيم المواطنة لدى الفرد وجعله يتصرف بمسؤولية ويتحلى بنماذج سلوكية مرغوبة اجتماعيا، ويمارس حقه في نطاقه القانوني دون تعسف ولا مغالاة.

الكلمات المفتاحية: الثقافة القانونية – المواطنة – القيم - المجتمع – المسؤولية – الحقوق – الأفراد – الواجبات

Legal culture is a mechanism for promoting citizenship values

Abstract :

There is a very close connection between law and society, such that we cannot imagine the existence of law without society, because the law only exists to regulate the affairs of this society. However, sometimes this may not give the desired results due to conflicting interests of individuals. There was an urgent need to improve the legal culture within society in preparation for strengthening and consolidating the values of citizenship in the individual and making him act responsibly, have socially desirable behavioral models, and exercise his rights within his legal scope without arbitrariness or exaggeration.

Keywords: Legal culture – citizenship – values – society - Responsibility - rights - individuals - duties

الدراسات السابقة:

توجد العديد من الدراسات التي تناولت موضوع الثقافة القانونية كموضوع مستقل، لكن القلة من حاول ربطها بقيم المواطنة، وعلى العموم، من بين الدراسات التي نجدها تتقاطع مع موضوع البحث نجد:

-محسن عبد القادر صالح محمد، الثقافة القانونية ودورها في المجتمع، مجلة جامعة تكريت للحقوق، السنة 1، المجلد 1، العدد 2، الجزء 1، كانون الأول 2016.

-عاشور علوطي، عادل لحميدي، قيم المواطنة كمحدد لتعديل سلوك الأفراد، مجلة الإناسة وعلوم المجتمع، العدد الأول جويلية 2017، الصفحة 2.

-روبير بيلو، المواطن والدولة، ترجمة نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، 1983.

-فضلون الزهراء، مساهمة الاسرة في تنمية قيم المواطنة عند الطفل، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع: العدد السابع، سبتمبر 2018.

-ناصر حمدان، سعيد بن سعيد، دور الأسرة في تنمية قيم المواطنة لدى الشباب في ظل تحديات العولمة، رؤية اجتماعية تحليلية، ملتقى الاجتماعيين الاليكتروني، 1429 هجرية.

أهداف البحث:

نهدف من خلال هذا البحث إلى:

-توضيح مظاهر العلاقة بين الثقافة القانونية وقيم المواطنة؛

-استجلاء الغموض عبر تعريف المصطلحات مثل الثقافة القانونية والقيم والمواطنة؛

-معرفة آليات نشر الثقافة القانونية والتذكير بقيم المواطنة؛

-حث الفرد على السعي للتشبع بالثقافة القانونية.

المقدمة:

وجد القانون لتنظيم تصرفات الأفراد داخل المجتمع وتوجيه سلوكهم وضمان احترام حقوقهم تجاه بعضهم البعض، فصلة القانون بالمجتمع هي صلة وثيقة جدا بحيث لا يمكن أن نتصور وجود القانون بدون مجتمع ولا مجتمع بدون قانون. إلا أن وجود القانون بمجتمع ما ليس بالضرورة يؤدي إلى النتائج المرجوة من وجوده كعدم الإضرار بالآخرين واحترام حقوقهم وقبول اختلافات معتقداتهم وآرائهم، لأن نجاح أي قانون يعتمد على صحة تطبيقه، ومن أهم الأمور التي تؤدي إلى التطبيق الصحيح للقانون هو معرفة أفراد المجتمع بالقواعد القانونية وتقليل الجهل بها عن طرق نشر الثقافة القانونية باعتبارها أحد الروافد المهمة التي تقوي شخصية الإنسان وتجعل منه أداة قادرة على مواجهة الحياة بدون جهل[1].

فالنشر الثقافي والوعي بالمعلومات ذات الصلة بالقانون من الأمور الضرورية التي لابد للفرد من معرفتها، فالقانون دائما ما كان دليل يستنير به المواطن ليعرف حقوقه وواجباته والمحظورات التي تمنعه من ممارسة عمل غير مشروع والمسؤوليات التي تقع عليه حتى يجتنب الجزاءات المترتبة عن مخالفة النصوص القانونية. وهذا ما يحيلنا على مفهوم آخر وهو مفهوم المواطنة باعتبارها شعور وداني بالانتماء والانتساب إلى مجتمع ما وتقبل الأفراد الموجودين داخله وذلك عبر ممارسة الحق في نطاقه القانوني دون تعسف ولا مغالاة، والتصرف بالمسؤولية والتحلي بنماذج سلوكية مرغوبة اجتماعيا.

من هنا ظهرت الحاجة إلى إشاعة فكرة الثقافة القانونية باعتبارها أهم آلية لترسيخ قيم المواطنة، باعتبارها حصن منيع يقي الفرد من الوقوع في براثين الجريمة وتصنع منه مواطنا يتحلى بقيم محمودة. وهذا ما أكدته

[1] علاء الدين محمود إبراهيم، هل الثقافة القانونية للموظف حصن أمان عند الاعتصام والتظاهر، اتحاد جمعيات التنمية الإدارية، المجلد 49، العدد 3، يناير 2012، القاهرة، الصفحة 60.

بعض الدراسات بخصوص تضمين الثقافة القانونية في مناهج التعليم في مختلف مراحله حتى يعتاد التلاميذ والطلاب على التربية القانونية ومن ثم التحلي بقيم المواطنة.

إشكالية البحث:

سوف نحاول من خلال هذا البحث الإجابة عن إشكالية رئيسية، نصيغها كالتالي: بالنظر إلى الواقع الحالي لشعوبنا العربية، هل تستطيع الثقافة القانونية تعزيز قيم المواطنة وإعادة إصلاح علاقة المواطن بمؤسسات الدولة؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات من قبيل: أين تتجلى مظاهر الصلة بين الثقافة القانونية وقيم المواطنة؟ وهل إشاعة الثقافة القانونية مرتبطة فقط بمناهج التربية والتعليم أم بباقي المناهج الأخرى؟ ما هي وسائل نشر الثقافة القانونية؟ وكيف يمكن لها أن تعزز قيم المواطنة في أفراد المجتمع؟

وسوف نحاول الإجابة عن إشكالية البحث ومختلف التساؤلات المتفرعة عبر محورين، المحور الأول سوف نحاول فيه توضيح مظاهر العلاقة بين الثقافة القانونية وقيم المواطنة، بينما سنخصص المحور الثاني للحديث عن الآليات المساعدة في نشر الثقافة القانونية حتى تقوم بدورها البناء في تعزيز مواطنة الفرد.

المحور الأول: مدى مساهمة الثقافة القانونية في تعزيز قيم المواطنة

قبل أن نتولى توضيح مدى مساهمة الثقافة القانونية في تعزيز قيم المواطنة، حري بنا الوقوف عند المفاهيم المشكلة لموضوع الدراسة.

أولا: التعريف بالمفاهيم

حتى نستجلي الغموض واللبس، يتعين في البداية تحديد المفهوم والمقصود بالمفاهيم المشكلة لموضوع الدراسة، وهو ما يجب تفريق كل مصطلح على حدة.

1- **مفهوم الثقافة القانونية:**

إن الثقافة القانونية في معناها المبسط هي اكتساب الأفراد لبعض القواعد والمعلومات التي تساعد على تنظيم سلوكهم والتكييف مع أفراد مجتمعهم، وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم وبالقدر الذي يجنبهم الوقوع في المشكلات القانونية، ويساعدهم على ممارسة حقوقهم في المجتمع.

وهي كذلك مجموعة من الحقائق والمفاهيم والمهارات والاتجاهات والقيم المتصلة بالقانون، والتي يجب أن يكتسبها الفرد بوصفه عضوا في المجتمع، بحيث يعرف حقوقه فيمارسها، وواجباته فيؤديه في ظل الدستور والقانون.

إن الثقافة القانونية ليست مجرد معرفة التشريعات والنصوص القانونية، كما انها ليست تلك المناقشات النظرية التي تدور بين أوساط رجال القانون من قضاة ومحامين وغيرهم...بل إن الثقافة القانونية صورة

متمازجة وشاملة لكل أنواع الثقافة العامة في المجتمع، وهذا يعني استيعاب المواطن لكل ما يدور حوله من أمور وأحداث من خلال تصورات قانونية سليمة[1].

ومكن خلال هذه التعاريف يتبين أن للثقافة القانونية معنيين أولهما ثقافة العلم بالقانون وثانيهما ثقافة احترام القانون.

فأما ثقافة العلم بالقانون تعني ضرورة إلمام المواطن بالثقافة القانونية. ولا نقصد بذلك أن يتحول كل فرد إلى رجل قانون ملم بجميع فروعه، وإنما المقصود هو السعي للحصول على جرعة زائدة من الثقافة القانونية، بمعنى أن يثقف الفرد نفسه ويسعى جاهدا في تحقيق ذلك من أجل أن يساعد نفسه على حل المشكلات التي يواجهها.

فكما يسعى البعض للحصول على ثقافة ادبية مثلاً فيحفظ ابيات من الشعر ويطالع القصص وغيرها من صفوف الادب، وكذلك الحال بالنسبة للثقافة الصحية، فيطالع ما يتعلق بتفاصيل جسم الانسان، وهكذا ما يجب ان يكون عليه السعي تجاه الثقافة القانونية ايضاً لأنه بقدر ما يثقف الفرد نفسه بهذه الثقافة بقدر يساعده ذلك على حل المشكلات التي يواجهها في حياته بحيث تكون الكلمة الاولى للقانون وليس للحناجر العالية[2].

في حين يبقى مفهوم ثقافة احترام القانون من المفاهيم التي تختلف من فرد لآخر، ومن مجتمع لمجتمع. إذ يجد هذا المفهوم أساسه مبدئيا في نظرية الجزاء والعقاب كما قد يكون ناجما من تلقاء نفس الأفراد. وهذا

[1] محسن عبد القادر صالح محمد، الثقافة القانونية ودورها في المجتمع، مجلة جامعة تكريت للحقوق، السنة 1، المجلد1، العدد 2، الجزء 1، كانون الأول 2016، الصفحة 545 و546.

[2] فاروق الاباصيري، دور الثقافة القانونية في تنمية المجتمع، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني www.ahram.org.eg .

يبقى رهين بنضج الأفراد وتقدم المجتمع، ففي المجتمعات المتقدمة تنتشر فيها بشكل واسع ثقافة احترام القانون بالنظر إلى قيمة الوعي البشري لديها والذي تساهم فيه عوامل أخرى كالتربية والتعليم.

2- مفهوم القيم

في اللغة، يقصد بالقيم هي ثمن الشيء أو الصفة التي تجعل الشيء مرغوبا فيه عند شخص أو طائفة، كما يطلق لفظ القيمة على ما يتميز به الشيء حتى تجعله مستحقا للتقدير. أما في الاصطلاح فيمكن تعريف القيم بأنها المعتقدات التي يعتقد أصحابها بقيمتها ويلتزمون بماضيها، كما يراد بها المعتقدات والمعاني التي يعطيها الفرد أهمية كبرى وتقديرا كبيرا في حياته وسلوكه التي تؤثر في اختياره وتصرفاته[1].

3- مفهوم المواطنة:

إن كلمة المواطنة مأخوذة من كلمة وطن، والوطن هو المنزل الذي يقوم فيه الإنسان، ويرى البعض أنها استقت من كلمة واطن والتي تعني المعايشة أو المشاركة أو المفاعلة بين اثنين أو أكثر في وطن واحد. ويمكن أن ننسب اشتقاق مفردة مواطنة إلى كلمة مواطن والذي اشتق بدوره من كلمة "سيفيتاس" CIVITAS'S اللاتينية والمعادلة لكلمة بولس PAULS اليونانية ومعناها المدينة، فالمواطن ليس من يسكن المدينة فحسب، بل هو أيضا من يجمع الشروط الضرورية للإسهام في إدارة الشؤون العامة ضمن إطار المدينة[2].

أما اصطلاحا فتعددت معانيها، إذ هناك من عرفها بأنها "الانتماء والولاء ولانتساب للوطن في ضوء الحقوق والواجبات التي تكفل قيام علاقة تبادلية بين الفرد والدولة، في جو من العدالة والمساواة والحرية،

[1] عاشور علوطي، عادل لحميدي، قيم المواطنة كمحدد لتعديل سلوك الأفراد، مجلة الإناسة وعلوم المجتمع، العدد الأول جويلية 2017، الصفحة 2.

[2] روبير بيلو، المواطن والدولة، ترجمة نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، 1983، الصفحة 10.

والمواطنة هي انتساب جغرافي إلى أرض معينة"[1]. كما تعرف من الناحية الاجتماعية بأنها "التصرف بمسؤولية تجاه أفراد المجتمع والتحلي بنماذج سلوكية مرغوبة اجتماعيا "[2]. كما تأخذ المواطنة تعريفا آخر يتمثل في ذلك "الشعور الوجداني الذي ينم عن الارتباط بالأرض وأفراد المجتمع الآخرين الساعين على تلك الأرض. أي أن المواطنة بمثابة جذار الهوية الاجتماعية"[3].

ومن خلال هذه التعاريف نستنتج أن المواطنة تتضمن عناصر ومكونات أساسية وهي:

عنصر الإنتماء: اي تلك النزعة التي يشعر بها الفرد وتدفعه للتعايش في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا الالتزام من معايير وقواعد انضباطية؛

عنصر الحقوق: وهي امتيازات يتمتع بها جميع المواطنين في نفس الوقت مثل حق التصويت وحق الترشيح وحق التوظيف وحق الرأي والاعتقاد والتعبير وحق التملك والعدل والمساواة والحرية والحصول على الخدمات الأساسية في المجتمع كالتعليم والصحة...؛

عنصر الواجبات: أي الالتزام بالنظام والقانون وقواعد الأخلاق والمحافظة على المصالح المشتركة بين أفراد المجتمع.

المشاركة المجتمعية: وتعني الانخراط التلقائي للفرد في مختلف مجالات الحياة العامة ونواحيها الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية.

---

[1] مبارك، شيماء وشياب، محمد الأمين، التواصل الأسري ودوره في تنمية وترسيخ قيم المواطنة، الملتقى الوطني الثاني: الاتصال وجودة الحياة في الأسرة. جامعة ورقلة، 2013، الصفحة 6.

[2] فضلون الزهراء، مساهمة الاسرة في تنمية قيم المواطنة عند الطفل، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع: العدد السابع، سبتمبر 2018، الصفحة 266.

[3] ناصر حمدان، سعيد بن سعيد، دور الأسرة في تنمية قيم المواطنة لدى الشباب في ظل تحديات العولمة، رؤية اجتماعية تحليلية، ملتقى الاجتماعيين الاليكتروني، 1429 هجرية، الصفحة 8 و9.

ومن القيم التي ترتبط بالمواطنة نذكر قيمة المشاركة الاجتماعية في اتخاذ القرار، وقيمة حرية التعبير، وقيمة تحمل الفرد لمسؤوليته وأفعاله، وقيمة الاهتمام بحقوق الإنسان، قيمة تحقيق العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع.

فهل تساهم الثقافة القانونية في تعزيز وترسيخ هذا القيم؟

ثانيا: إبراز مظاهر الصلة بين الثقافة القانونية وقيم المواطنة

إذا كانت المواطنة تعبر في جوهرها عن تلك العلاقة التي تربط الفرد بدولته وفق الدستور السائد فيها والقوانين التي تنظم العلاقة بينهما من حيث الحقوق والواجبات، فإن ذلك يتطلب بداهة إلمام المواطنين بهاته الحقوق والواجبات، وقبله فهم الدستور الذي يقوم عليه دولته. بل وليس الاكتفاء بالمعرفة السطحية بالحقوق والواجبات وإنما الإيمان بها وتطبيقها تطبيقا فعليا تكريسا لمبدأ سيادة القانون.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال فصل الثقافة القانونية عن مبدأ سيادة القانون إذ أن هذا الأخير هو من يضمن أو يحافظ على المعتقد الثقافي لأهمية القانون في الحفاظ على أمن الإنسان وأمن المجتمع وتوقيع العقوبات وتحديد الحقوق والواجبات.

فالثقافة القانونية بلا شك تعزز قيم المواطنة لدى الفرد وتجعله مواطنا نافعا يتصف بسلوكيات حسنة في تعايشه مع الآخرين، لكن توجب قبله ضمان سيادة القانون وإشاعة احترامه وتطبيقه بالمساواة أمام جميع الأفراد والمؤسسات بما في ذلك الدولة ذاتها، فتكون هي ملتزمة بمبادئ سيادة القانون، والمساواة أمام القانون، والمسؤولة أمام القانون، العدل في تطبيق القانون، الفصل بين السلط والمشاركة في صنع القرار، والثقافة الإجرائية والقانونية.

فإذا ساد القانون في مجتمع ما سادت معه ثقافته، وتعززت كذلك قيم المواطنة فيه، فالفرد بطبيعته الإنسانية يشعر بالانتماء والولاء تجاه الوطن الذي يعيش فيه، ولما كان هذا الوطن تسهر على تنظيمه مؤسسات تحترم القانون ومبادئ المساواة وتكفل الحقوق والحريات فإن ذلك لا محالة سيعزز من مواطنة الفرد بطريقة آلية، فتأتي الثقافة القانونية فقط لتعزيز وترسيخ القيم.

كما ارتبط مفهوم الثقافة القانونية بتطور مفهوم الديموقراطية، وحاجاتها إلى وجود ثقافة قانونية تدعمها وهي ثقافة الديموقراطية بالنظر إلى تعدد الحياة الديموقراطية التي باتت تتضمن عدة أبعاد أو تقوم على عدة أسس من بينها المشاركة في القرارات تقييم السياسات العمومية، التقدم بالعرائض، تدبير الشأن المحلي، التصويت والانتخاب.

وقد أدركت الدول حاجاتها إلى أن يكون القانون جزء من ثقافتها المدنية وباتت تسعى جاهدة إلى تضمينه في برامجها التعليمية باعتباره برنامجا تعليميا من أجل المواطنة. فهو يعلم الأفراد كيف يصبحون مواطنين مسؤولين ومشاركين، وإدراك العلاقة بين الحقوق والمسؤوليات.

وبذلك فالثقافة القانونية تساهم في بناء شخصية الفرد، حيث تهتم في تنمية وعي الإنسان أولا حت تمكنه من التعايش داخل مجتمع مدني بالفعل في جو تسوده ثقافة احترام القانون. ولكن لتحقيق ذلك، كان لا بد من إيجاد آليات لنشر الثقافة القانونية.

المحور الثاني: آليات نشر الثقافة القانونية

إن صدور النصوص التشريعية لا يكفي وحده في تحقيق الثقافة القانونية وبالتالي يكون حجة على المكلفين به، مالم يتتبع ذلك بنشر الوعي والثقافة القانونية بين أوساط الناس على مختلف أعمارهم ومستوياتهم العلمية ومناطقهم من خلال برامج ومناهج تعليمية أو عن طريق تدخل منظمات المجتمع المدني.

أولا: إيجاد مناهج تعليمية

يحتاج المجتمع لنشر الثقافة القانونية بين أفراده، ولا سيما طلاب المراحل التعليمي المختلفة حتى يكونوا مواطنين صالحين، ومن وسائل نشر هذا النوع من الثقافة بين الطلاب يأتي من خلال تضمين مفردات الثقافة القانونية بالمناهج التعليمية وفي كافة المراحل التعليمية المختلفة[1].

أصبحت الثقافة القانونية مطلبا مهما في السياسة التعليمية لأي دولة تسعى للاستقرار، وهنا سعت الكثير من الدول إلى إعداد برامج تعليمية مستقلة حول الثقافة القانونية، والتربية القانونية، وتضمينها في المناهج التعليمية المختلفة[2].

ومن الدول التي اهتمت بالتعليم ودوره في نشر الثقافة القانونية نجد الولايات المتحدة الأمريكية حيث تم وضع دليل للمعلم لمساعدته على تنمية الثقافة القانونية لدى الطلاب، بما يدعم الاحتفال السنوي بيوم

[1] فرج عبده فرج، فاعلية وحدة مقترحة قائمة على التعلم الذاتي في التربية القانونية لتنمية الثقافة القانونية المرتبطة بالجرائم المعلوماتية لدى طلاب المرحلة الثانوية، مجلة البحث في التربية وعلم النفس المجلد 36 العدد **1** الجزء **2** يناير **2021**.

[2] حنان علي ناصر، دور الجامعات الأردنية في تعزيز مفاهم التربية القانوية وانعكاسها على العنف الجامعي من وجهة نظر الطلبة واساتذة الدراسات الجتماعية، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة اليرموك 2017 الصفحة 4.

القانون الأمريكي، وكذلك في مدينة "كيوتو" اليابانية شرعت بوضع نظام يكفل تعريف الأفراد بالقانون على المستويات كافة وفى جميع الم ارحل التعليمية[1].

وقد أكدت هذه المبادرات على دور التعليم في نشر الثقافة القانونية وتعزيز سيادة القانون من خلال الحفاظ على خصوصية المجتمع ونقل المعايير الاجتماعية والثقافية، والحرص على تشكيل الهوية الشخصية والاجتماعية لأفراد المجتمع وتنمية القدرة على التفكير بشكل نقدي في المعايير وصوغ معايير جديدة تعكس الواقع المجتمعي.

وهو ما فرض على مؤسسات المجتمع التربوية والتعليمية أدوارا جديدة، خاصة الجامعة كمؤسسة اجتماعية تربوية، تعمل على تحقيق أهداف المجتمع وغاياته، من خلال إيجاد وسيط منظم، يساعد على تنمية شخصية الفرد من جميع الجوانب بشكل متكامل ومتوازن، يمكنه من اكتساب القيم والمعارف والأنماط السلوكية التي تجعله فردا سويا، وتحميه من الانحراف والفساد والخلل القيمي[2].

ومرد هذا الاهتمام بالجامعة، إلى كونها لا تخرج فقط أصحاب مهن بل مواطنين منخرطين في الحياة المدنية، لذا وجب تنشئتهم قانونيا لمجابهة ظروف الحياة بلا خوف ولا جهل.

ومن الآليات التي تساعد الجامعة في مهمة نشر الثقافة القانونية نجد:

- العيادات القانونية: حيث تحرص هذه العيادات على تقديم المشورة القانونية، وعقد ورش العمل والدورات والمؤتمرات؛

[1] نهلة فهمى محمود المرسي، دور الجامعة في تنمية الثقافة القانونية لدى أعضاء هيئة التدريس، مجلة جامعة مطروح للعلوم التربوية والنفسية – المجلد 2، العدد 4، أكتوبر 2022، الصفحة 119.

[2] عبد الرزاق، لميس نادم، دور الجامعة فى تنمية العلاقات الاجتماعية والمسؤولية الوطنية، دراسة ميدانية فى جامعتى دمشق وتشرين(ماجستير)، كلية التربية، جامعة دمشق، سنة 2014، الصفحة 81.

- دورات التنمية المهنية: وهي بالأساس موجهة لأعضاء مهنة التدريس، حيث تهدف إلى تطوير قدراتهم حول موضوعات التعليم القانوني وتنميتهم مهنيا؛

- المؤتمرات والندوات وورش العمل والمشاركة المجتمعية :تحتاج الجامعات إلى تنويع ما تقدمه من أنشطه لدعم الثقافة القانونية لدى أعضائها بشتى الطرق الممكنة، وعلى معرفة أفراد هذا المجتمع لحقوقهم وواجباتهم، التي تمكنهم من المشاركة بفاعلية داخل مجتمعاتهم عن طريق التعريف بمفهوم الثقافة القانونية وأهميتها وعلاقتها بأصول التربية، وطرح أهم القضايا والمشكلات الظاهرة في المجتمع ومناقشتها علمياً من قبل المشاركين المختصين في المجالات المختلفة كقضايا العنف وسوء استعمال أدوات تقنية المعلومات وغيرها.

بالإضافة إلى ذلك، تنظم الجامعات ندوات تثقيفية وورش العمل، بالتعاون مع مؤسسات الدولة والهيئات المختصة، للإسهام في تنمية الثقافة القانونية لأعضاء هيئة التدريس، ويتم ذلك من خلال التلاقح الفكري والثقافي، وترك مجالًا واسًعا أمام أعضاء هيئة أمام أعضاء هيئة التدريس للمناقشة والمشاركة والتعليق على القضايا القانونية بمؤشراتها المختلفة، والقدرة على النقد ونبذ التعصب، والتعرف إلى أهم القضايا الناشئة داخل وخارج المجتمع الأكاديمي[1].

ثانيا: المجتمع المدني كإطار لنشر الثقافة القانونية

يمكن تعريف المجتمع المدني بأنه مجموعة من التنظيمات التطوعية الحرة تهدف إلى تقديم خدمات للمواطنين أو لممارسة أنشطة إنسانية متنوعة، وتلتزم في وجودها ونشاطها بقيم ومعايير الاحترام والتراضي

[1] عبدالرحمن، هاشم فتح الله، تصور مقترح لتنمية الوعى القانوني لأعضاء هيئة التدريس بجامعة المنيا، دراسة حالة، مجلة البحث في التربية وعلم النفس، كلية التربية، جامعة المنيا، المجلد 33، عدد 4، 2019، الصفحة 163.

والتسامح[1]، ومن أمثلتها المنظمات غير الحكومية، النقابات العمالية، المنظمات الخيرية، النقابات المهنية، والمنظمات الدينية، أحزاب سياسية.

كما يعني المجتمع المدني مجمل المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية غير الحكومية وغير الإرثية، التي تشكل الروابط الاجتماعية بين الفرد والدولة[2].

وبالنظر لهذه التعريفات التي تناولت المجتمع المدني، نجدها تخصه بعدة مقومات أهمها:

- الطابع التطوعي: بمعنى حرية وطوعية الانخراط في منظمات المجتمع المدني؛
- الاستقلالية: منظمات المجتمع المدني وتعني عدم تبعية منظمات المجتمع المدني للحكومة والقطاع الخاص من حيث المبدأ؛
- غايات لا ربحية: وتعني أن العمل في هذه المنظمات لا ينتظر منه ربحا ماديا، فالهدف الأول والأسمى عند المنخرطين والمؤسسين هو تحقيق خدمة الصالح العام؛

ويعتبر وجود منظمات المجتمع المدني فاعلة ببلد ما بمثابة شرط أساسي من شروط الديمقراطية، باعتبارها الأداة المثلى لتثقيف المجتمع وتوعيته بحقوقه وواجباته وبعث الثقافة القانونية لديه، عن طريق مجموعة من الوسائل والآليات كتنظيم الأيام الدراسية والملتقيات والندوات واللقاءات والتحسيس والإعلام.

وبهذا تكون منظمات المجتمع المدني فاعل مهم وأساسي في إشاعة الثقافة القانونية داخل أفراد المجتمع، كالنقابات العمالية التي تتولى مهمة تأطير وتنظيم منخرطيها ومواكبتهم في عالم الشغل وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم وكذا ظروف العمل وغيرها من المقتضيات المتعلقة بقانون الشغل. وكذلك تسعى الأحزاب

[1] نجاح ميدني، آليات حماية المستهلك في الإقتصاد الإسلامي، مذكرة ماجيستر باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والشرعية، قسم الشريعة، 2007، الصفحة 49.

[2] الحسين شعبان، نواقد وألغام المجتمع المدني، بيروت، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، طبعة 2009، الصفحة 34.

السياسية إلى نشر الوعي السياسي لدى عموم المواطنين وتحثهم على ضرورة المشاركة السياسية والتعبير عن رأيهم في القضايا المصيرية للبلاد بغية تحقيق الديمقراطية.

خاتمة:

وانطلاقا مما تقدم ذكره، يمكننا القول أن الثقافة القانونية هي خير وسيلة لتعزيز قيم المواطنة والديمقراطية، ودرئ شبح الجهل عن الإنسان والنأي به عن كل الموبقات والمهلكات، فتجعل الإنسان صالح لمجتمعه ودولته، ويكون الوعي بالقانون مرآة تعكس ثقافة الشعوب وتطورها.

إن محاولتنا لإبراز مدى مساهمة الثقافة القانونية في تعزيز قيم المواطنة وتحقيق الأمن الاجتماعي التي اتضحت من خلال سيادة القانون، وتنمية الوعي القانوني، وتنمية الشعور بالمواطنة، ونبذ العنف، ومعالجة أزمة القيم، مواجهة الفساد الإداري، وتحقيق التنمية البشرية، ليست مجرد دراسة طوباوية أو انحياز إيديولوجي، بل هي حقيقة يعكسها واقع شعوبنا العربية بين ما كانت عليه في الأمس، وما أصبحت عليه اليوم. فنحن العرب لدينا مواطنة متفتحة تستمد فاعليتها التاريخية ومضمونها الحضاري من الدين الإسلامي الحنيف، في قوله تعالى في محكم تنزيله "يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"[1].

[1] سورة الحجرات الآية 13.

قائمة المصادروالمراجع:

(1) علاء الدين محمود إبراهيم، هل الثقافة القانونية للموظف حصن أمان عند الاعتصام والتظاهر، اتحاد جمعيات التنمية الإدارية، المجلد 49، العدد 3، يناير 2012، القاهرة، الصفحة 60.

(2) محسن عبد القادر صالح محمد، الثقافة القانونية ودورها في المجتمع، مجلة جامعة تكريت للحقوق، السنة 1، المجلد 1، العدد 2، الجزء 1، كانون الأول 2016، الصفحة 545 و546.

(3) فاروق الاباصيري، دور الثقافة القانونية في تنمية المجتمع، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني www.ahram.org.eg .

(4) عاشور علوطي، عادل لحميدي، قيم المواطنة كمحدد لتعديل سلوك الأفراد، مجلة الإناسة وعلوم المجتمع، العدد الأول جويلية 2017، الصفحة 2.

(5) روبير بيلو، المواطن والدولة، ترجمة نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، 1983، الصفحة 10.

(6) مبارك، شيماء وشياب، محمد الأمين، التواصل الأسري ودوره في تنمية وترسيخ قيم المواطنة، الملتقى الوطني الثاني: الاتصال وجودة الحياة في الأسرة. جامعة ورقلة، 2013، الصفحة 6.

(7) فضلون الزهراء، مساهمة الاسرة في تنمية قيم المواطنة عند الطفل، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع: العدد السابع، سبتمبر 2018، الصفحة 266.

(8) ناصر حمدان، سعيد بن سعيد، دور الأسرة في تنمية قيم المواطنة لدى الشباب في ظل تحديات العولمة، رؤية اجتماعية تحليلية، ملتقى الاجتماعيين الاليكتروني، 1429 هجرية، الصفحة 8 و9.

(9) فرج عبده فرج، فاعلية وحدة مقترحة قائمة على التعلم الذاتي في التربية القانونية لتنمية الثقافة القانونية المرتبطة بالجرائم المعلوماتية لدى طلاب المرحلة الثانوية، مجلة البحث في التربية وعلم النفس المجلد 36 العدد 1 الجزء 2 يناير 2021.

(10) حنان علي ناصر، دور الجامعات الأردنية في تعزيز مفاهم التربية القانوية وانعكاسها على العنف الجامعي من وجهة نظر الطلبة واساتذة الدراسات الجتماعية، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة اليرموكن 1017 الصفحة 4.

(11) نهلة فهمى محمود المرسي، دور الجامعة فى تنمية الثقافة القانونية لدى أعضاء هيئة التدريس، مجلة جامعة مطروح للعلوم التربوية والنفسية – المجلد 2، العدد 4، أكتوبر 2022، الصفحة 119.

(12) عبد الرزاق، لميس نادم، دور الجامعة فى تنمية العلاقات الاجتماعية والمسؤولية الوطنية، دراسة ميدانية فى جامعتى دمشق وتشرين(ماجستير)، كلية التربية، جامعة دمشق، سنة 2014، الصفحة 81.

(13) عبدالرحمن، هاشم فتح الله، تصور مقترح لتنمية الوعى القانوني لأعضاء هيئة التدريس بجامعة المنيا، دراسة حالة، مجلة البحث فى التربية وعلم النفس، كلية التربية، جامعة المنيا، المجلد 33، عدد 4، 2019، الصفحة 163.

(14) نجاح ميدني، آليات حماية المستهلك في الإقتصاد الإسلامي، مذكرة ماجيستر باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والشرعية، قسم الشريعة، 2007، الصفحة 49.

(15) الحسين شعبان، نواقد وألغام المجتمع المدني، بيروت، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، طبعة 2009، الصفحة 34.

(16) سورة الحجرات الآية 13.

درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل

الباحثة يارا أنور المرشدي

ماجستير في القيادة التربوية بجامعة حائل

المملكة العربية السعودية

yara.almarshedi@gmail.com

ملخص الدِّرَاسة:

هدفت الدِّرَاسة للتَّعرف إلى درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم، والكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغيرات (النوع، سنوات الخدمة، الرتبة العلمية)، ولتحقيق ذلك تم استخدام المنهج الوصفي المسحي، والاستبانة، والتي طُبقت بأسلوب الحصر الشامل على القيادات الأكاديمية بجامعة حائل، والبالغ عددهم (٢٦٩)، ومن أبرز نتائجها: أنَّ درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم قد جاءت بدرجة مرتفعة جدًا، كذلك لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغيرات (النوع، الرتبة العلمية)، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى متغير (سنوات الخدمة لصالح ممن خدمتهم أقل من 3 سنوات، ومن خدمتهم 6 سنوات فأكثر).

الكلمات المفتاحية: الإبداع الإداري، القيادات الأكاديمية، جامعة حائل.

The degree of practicing administrative creativity among academic leaders at the University of Hail

Abstract:

The study aimed to identify the degree of practicing administrative creativity among academic leaders at the University of Hail from their point of view, and to detect statistically significant differences in the degree of practicing administrative creativity among academic leaders at the University of Hail from their point of view, due to the variables (gender, years of service, academic rank), To achieve this, the descriptive survey method and questionnaire were used, which were applied in a comprehensive enumeration method to the academic leaders at the University of Hail, whose number is (269), Among its most prominent results: that the degree of practicing administrative creativity among academic leaders at the University of Hail from their point of view was very high, and there are no statistically significant differences in the degree of practicing administrative creativity among academic leaders at the University of Hail from their point of view due to the variables (type, rank Scientific), and the presence of statistically significant differences attributed to the variable (years of service for those who served less than 3 years, and those who served 6 years or more).

Keywords: Administrative creativity, Academic leaders, University of Hail.

المقدمة:

يتميز العصر الحالي بسمته الأبرز في التطور السريع بمختلف مجالات الحياة؛ مما انعكس على فاعلية المؤسسات باختلاف مجالاتها، ولعل المؤسسات التربوية عامةً والجامعات خاصةً كانت من أهم المؤسسات التي تأثرت بهذه التطورات بحكم وظيفتها الأسمى في خدمة المجتمع وتعزيز جودة المخرجات التعليمية ذات الكفاءة والقدرة على التكيف مع التطورات.

ولتحقيق تقدُّم وتطور الجامعات ظهر لدينا ما يسمى بالاتجاهات الإدارية الحديثة، ولعل من أهم تلك الاتجاهات ما يسمى بالإبداع الإداري باعتباره الوسيلة المساندة على هجر أساليب العمل التقليدية والسياقات التَّنظِيمِية المستهلكة، والبدء بالتعامل مع روح التَّغيير بإدارة متجددة الفكر، قادرة على المواجهة والصمود أمام التطورات العالمية؛ فتلك التطورات ما هي إلا نتيجة للإبداع البشري، ولمواكبته تحتاج الجامعات إلى عقول مبدعة متجددة.

ولقد نال الإبداع الإداري اهتمامًا كبيرًا في الوقت الحاضر باعتباره العنصر الأساسي في عملية التنمية، وفي الآونة الأخيرة تسعى مختلف الدول للرقي بمجتمعاتها، من خلال اهتمامها بتنفيذ خططها التنموية عن طريق مؤسساتها العامة لاسيما التَّربوية منها، ومن أبرزها الجامعات إذ تؤدي دورًا رائدًا وإيجابيًا في تنفيذها، فهي تُسهم بشكلٍ فاعلٍ في نشر ثقافة المجتمع، وتحقيق آماله، وتطلعاته المستقبلية [1].

ولتلبية ذلك يشير كلٌّ من (الحميد والهمداني، ٢٠٢٠) [2]، إلى أنَّ الجامعات بحاجة ضرورية إلى وجود قيادات أكاديمية، تتميز باتجاهات فكرية جديدة ومهارات متميزة، تمكنهم من تحقيق إنجازات غير عادية، ويُمكن

(1)السبيت، رشا. (٢٠١٦). الحرية الأكاديمية وعلاقتها بالإبداع الإداري لدى رؤساء الأقسام التربوية بكلية العلوم الاجتماعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ص2.

(2)الحميد، محمد والهمداني، رجاء. (٢٠٢٠). مهارات الابداع الاداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة صنعاء. مجلة جامعة البيضاء، ٢(١)، ١-٢٣. ص2.

تحقيق ذلك من خلال اهتمام القيادات الأكاديمية بالإبداع والتَّغيير، وتطبيق أساليب إدارية إبداعية، حتى يصبح الإبداع من أحد الكفاءات الإدارية الموجودة لديهم، وفي هذا السياق فقد أوصت دراستهما بأهمية تطبيق الإبداع الإداري في الإدارات الأكاديمية.

إذ تعدُّ القيادات الأكاديمية حجر الزاوية، ومحور الفعالية الإدارية والأكاديمية داخل الجامعات، ومن أهم العوامل المساعدة في التَّصدي لمواجهة تحديات العصر كتحديات تكنولوجيا المعلومات، والبيئة المتغيرة، والمنافسة العالمية، كما تعمل على إحياء الروح المعنوية في العملية الإنتاجية داخل الجامعات، وإجراء التغيرات بها، والحفاظ على بقائها [1].

وحيث إن الإدارة التقليدية في الجامعات أصبحت غير ممكنة في الوقت الحالي في مسايرة المستجدات المتسارعة ومواجهة التَّحديات المترتبة عليها؛ حريَ بها أن تستفيد من الإبداع الإداري الذي يتحقق من خلاله فرص البقاء والنمو والتطور، واعتمادًا على ما سبق وجدت الباحثة أنَّ هنالك دافعًا للبحث بهدف التَّعرف إلى درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل.

مشكلة الدِّرَاسة:

نشهد في عصرنا الحالي العديد من التغيرات والتطورات في شتى ميادين الحياة المختلفة اجتماعيًا، وثقافيًا، واقتصاديًا، وسياسيًا، وتعليميًا، وتعدُّ مؤسسات التَّعلِيم وعلى رأسها الجامعات من أكثر المؤسسات التعليمية التي تأثرت بتلك التغيرات والتطورات؛ وهو ما أفضى إلى ضرورة الاهتمام بالتَّطوُّر قدمًا، واتخاذ الإبداع الإداري وسيلة مساندة لذلك.

(1)الهمداني، رجاء. (٢٠١٧). بناء برنامج تدريبي لتطوير مهارات القيادات الأكاديمية في الجامعات اليمنية في ضوء مدخل الإبداع الإداري. [أطروحة دكتوراه غير منشورة]. جامعة صنعاء. ص2.

فالإبداع الإداري هو سر نجاح الجامعات وتطورها، وإعطائها الثِّقة للصمود أمام التَّحديات المستقبلية، ولأهمية تطوير الجامعات وفقَ منظور الإبداع الإداري، فقد أوصى مؤتمر الاتجاهات الحديثة في العلوم التَّربوية الأول الذي أقامته جامعة حائل في عام (٢٠٢١م)، بإعطاء مساحة أكبر للإبداع والابتكار في العمل الإداري بمؤسسات التَّعلِيم العالي.

ورغم أهمية الإبداع الإداري إلا أنَّ ممارسته في الجامعات ما زال دون المأمول؛ لوجود عددٍ من المعوقات التي تحدُّ من ممارسته وتحفيزه، وهذا ما توصلت إليه العديد من الدِّرَاسات كدراسة (النعيم، ٢٠١٨)[1]، التي توصلت إلى أنَّ من أبرز معوقات ممارسة الإبداع الإداري بجامعة الملك فيصل ضعف القناعة بأهمية الإبداع الإداري، والتشديد على الالتزام بحرفية الأنظمة، ودراسة أقبولا وأكويت (Agboola & Ukoette, 2018)[2]، والتي توصلت إلى أنَّ ممارسة الإبداع الإداري في التَّعلِيم الجامعي النيجري يعترضه العديد من التَّحديات المعيقة، ومن أبرزها نقص مرافق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ومقاومة التَّغيير، وكذلك ما توصلت إليه دراسة جاسبار ومابيك (Gaspar & Mabic, 2015)[3]، في جامعة موستار في البوسنة والهرسك بضرورة بذل أصحاب المصلحة جهدًا إضافيًا لتعزيز الإبداع في الإدارة الجامعية.

وتأسيسًا على ما سبق، وفي ضوء ما تفرضه المستجدات التي تشهدها الجامعات من الحاجة الملحة للاستفادة من الإبداع الإداري؛ فقد جاءت هذه الدراسة سعيًا لمعرفة درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل.

---

(1)النعيم، إبراهيم. (٢٠١٨). واقع تطبيق الإبداع الإداري لدى رؤساء الأقسام العلمية بجامعة الملك فيصل بالأحساء. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

)2(Agboola, Bolapeju & Ukoette, Ifeoma. (2018). Utilization of Creativity and Innovation on Effective Administration of a Nigerian University Education. International Journal of Education Development, 22(1), 1- 10.

)3(Gaspar, Drazena & Mabic, Mirela. (2015). Creativity in Higher Education. Universal Journal of Educational Research, 3(9), 598-605.

أسئلة الدِّرَاسة:

1. ما درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم؟

2. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغيرات (النوع، سنوات الخدمة، الرتبة العلمية)؟

أهداف الدِّرَاسة:

تسعى الدِّرَاسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. التعرف إلى درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم.
2. الكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغيرات (النوع، سنوات الخدمة، الرتبة العلمية).

أهمية الدِّرَاسة:

يمكن توضيح الأهمية العلمية والعملية للدراسة الحالية في الجوانب التالية:

- يأتي موضوع الدراسة متماشيًا وداعمًا للجهود الوطنية الرامية في رؤية المملكة 2030، والتي تفرض الحاجة إلى بذل المزيد من الجهد في تحسين الميزة التنافسية للجامعات الحكومية السعودية وتحقيق تطلعاتها من خلال الإبداع الإداري.

- تنبثق أهمية الدراسة من أهمية الدور الأساسي الذي تقوم به الجامعات في عملية تنمية المجتمع وتقدمه، والتأثير المباشر للقيادات الأكاديمية على نجاحها أو فشلها في القيام بذلك الدور.
- الإسهام في تبصير مسؤولي جامعة حائل بدرجة ممارسة الإبداع الإداري، وهو ما قد يشكل مصدراً مهمًا من مصادر التغذية الراجعة لجامعة حائل للمضي قدمًا نحو تحديد نقاط الضعف لمعالجتها ونقاط القوة لتعزيزها.
- يؤمل أن تسهم نتائج هذه الدراسة في إدراك مسؤولي الجامعات بأهمية الأخذ بعين الاعتبار لأسس اختيار، وتعيين القيادات الأكاديمية في ضوء مجال الإبداع الإداري.
- قد تسهم توصيات الدراسة الحالية في تزويد أصحاب القرار في وضع الخطط والإجراءات التي تسهم في زيادة الإبداع الإداري لدى منسوبي الجامعات، مما ينعكس بشكل إيجابي على فاعلية وكفاءة اداء الجامعات.

حدود الدِّرَاسة:

تتمثل حدود الدِّرَاسة بما يلي:

- الحدود الموضوعية: اقتصرت الدِّرَاسة الحالية على موضوع الإبداع الإداري.
- الحدود البشرية: اقتصرت الدِّرَاسة الحالية على القيادات الأكاديمية بجامعة حائل.
- الحدود الزمانية: طبقت هذه الدِّرَاسة خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي 1443هـ/ 2022م.
- الحدود المكانية: طبقت هذه الدِّرَاسة على جامعة حائل في المملكة العربية السعودية.

مصطلحات الدِّرَاسة:

الإبداع الإداري:

هو الاستغلال الأمثل لما هو متوفر لدى الإنسان من قدرات عقلية وفكرية، ينتج عنها تكوينات، واكتشاف علاقات جديدة، أو أفكار وأساليب عمل جديدة مبدعة وخلاقة في المنظمة، تتميز بأكبر قدرٍ من الطلاقة والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات، ويمكن تنميتها، وتطويرها بالتدريب والتعليم حسب قدرات الفرد والجماعة والمنظمة حتى يمكن الاستفادة منها في تفعيل الأداء في المنظمة [1].

كذلك يعرّف بأنَّه: ممارسة الإدارة، بالاعتماد على نظريات العمليات الإبداعية، وتطبيقها على المستويات الفردية والجماعية والتنظيمية [2].

وتُعرّفه الباحثة إجرائيًا بأنَّه:

مجموعة من الأفكار والأساليب والعمليات الإدارية التي تبديها القيادات الأكاديمية في جامعة حائل؛ للخروج عن النمط التقليدي في الإدارة إلى نمط إبداعي، يتسم بالطلاقة والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات، بهدف تحقيق ارتقاء الجامعة، ومساعدتها على المواجهة والتصدي للتَّحديات المستمرة في بيئة العمل.

(1)الشايع، علي وعامر، طارق وعامر، ربيع. (٢٠١١)، العلاقات الإنسانية والإبداع الإداري في المؤسسات التعليمية. مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع. ص67.

)2(Taha, Viktoria & Tej, Juraj and Sirkova, Michaela. (2015, February 05-07). Creative Management Techniques and Methods as a Part of the Management Education: Analytical Study on Students' Perceptions [Submitted search]. 7th World Conference on Educational Sciences (WCES-2015), Novotel Athens Convention Center, Athens, Greece. p1921.

الإطار النظري:

أولًا - مفهوم الإبداع الإداري:

هو القدرة المتميزة على تحقيق الأهداف والنتائج المحققة لمصالح المستفيدين من عمل الإدارة، وهو الاستخدام الذكي للموارد المتاحة، والتغلُب على المشكلات والعقبات بأساليب متطورة [1].

ويرى (أبو ميالة، ٢٠١٨) [2] بأنه التوصل لشيء جديد قد يكون خدمة أو أسلوبًا إداريًا جديدًا، وليس من الضروري أن تكون جميع عناصر الشيء المبتكر جديدة تمامًا، وإنَّما يكفي أن يكون الإبداع مجرد تأليف لأشكال قديمة، فالمبدعُ قد يستفيد من أفكار غيره، ولكنه يوظفها توظيفًا جديدًا، ويرى فيها معاني جديدة لم يسبقه إليها أحدٌ.

ويمكن أن تُعرّفه الباحثة بأنَّه: التفرد والتميز في منهجية التفكير، والجدة والتطور في أساليب تأدية الأعمال الوظيفية المنوطة بالقائد، بشكل يختصر جهدًا، ويوفر وقتًا، ويقلل تكلفةً، ويحل مشكلةً، ويستثمر فرصًا؛ مما يضيف قيمة للقائد والجامعة بشكلٍ عامٍ.

ثانيًا - أهمية الإبداع الإداري:

يعمل الإبداع الإداري على دعم قوة الجامعات، فنتيجة للتطور والتنوع والتوسع في نشاط الجامعات، أدى ذلك إلى الحاجة لظهور الإبداع الإداري، إذ تفيد نتائج دراسة (Gaspar & Mabic, 2015) [3] أن التَّعلِيم العالي المتمثل بالجامعات يستوجب الاهتمام بالإبداع باعتباره عاملًا أساسيًا لمعالجة كافة التَّحديات الناجمة عن

(1)إمام، أحمد. (2013). التنمية البشرية والإبداع الإداري دراسة نظرية بتطبيق علمي معاصر. المؤسسة العربية للعلوم والثقافة. ص183.

(2)أبو ميالة، فداء. (٢٠١٨). الإبداع الإداري في الجامعات الفلسطينية: التحديات وسبل تطويرها من وجهة نظر الأكاديميين. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الخليل. ص21.

)3(Gaspar, Drazena & Mabic, Mirela. (2015). Ibid. p598.

التطورات، وقوة رئيسة دافعة نحو خلق المعرفة، وخدمة المجتمع، في ضوء التحول من جامعات كلاسيكية إلى جامعات رائدة في مجالها.

ويرى (إسماعيل، ٢٠٢٠) [1] أن أهمية الإبداع الإداري تظهر في المجالات التالية:

- يؤدي إلى الانفتاح على الأفكار الجديدة، والتكيف مع المتغيرات.
- يساعد في الوصول للحلِّ الناجح للمشكلة بطريقة أصيلة.
- يحفز على الميل إلى التعاون مع الآخرين لاكتشاف الأفكار.
- يسهم في تطوير القدرة على التعامل مع التَّحديات بطريقة إبداعية.

وترى الباحثة أنَّ الحياة الجامعية اليوم، وما يكتنفها من تحديات تحتاج إلى قائد أكاديمي مبدع، حيث تسعى كثيرٌ من الدول إلى تبني بعض الاتجاهات الإدارية الحديثة في مؤسساتها التَّربوية، كاتجاه الإدارة الذاتية الذي يعطي الجامعات مزيدًا من الاستقلالية؛ مما ينتج عنه زيادة المنافسة بين مختلف الجامعات، إذ تسعى كلٌّ منها إلى إيجاد ميزة تنافسية لها، بالإضافة إلى ما يترتب على ذلك من تغيير في بيئة العمل، والهياكل التَّنظِيمِية، وأساليب العمل، وكلُّ هذه التَّحديات تقف وراء ضرورة الإبداع الإداري داخل الجامعات، وذلك للتوصل إلى أساليب وحلول فريدة يمكن أن تواجه بها مشكلاتها الناجمة عن التطورات والتغيرات المتسارعة التي تمر بها، والتي أصبحت أساسًا في بناء نهضتها وتقدمها.

ثالثًا - أبعاد الإبداع الإداري:

بالرجوع إلى الأدبيات السابقة ذات العلاقة نلاحظ أنَّ هنالك أربعة أبعاد أساسية للإبداع الإداري قد حظيت بقبول العديد من الكتاب والباحثين، إذ يشير (ربيع، ٢٠١٧) [1] إلى اتفاق غالبية الباحثين على أنَّ أبعاد

(1)إسماعيل، عبد الله. (2020). مفهوم الابتكار والإبداع الإداري. دار الراية للنشر والتوزيع. ص ٤٨-٤٩.

الإبداع الإداري ترتكز على الطلاقة، المرونة، الأصالة والحساسية للمشكلات، وأن أيّ شخص لا يمكن أن يكون مبدعًا دون أن يمتلكها، ويمكن توضيحها كما يلي:

1 - **الطلاقة:**

وتعني القدرة على إنتاج أكبر عددٍ ممكن من الأفكار المقترحة حول موضوع معين، وفي وقت محدد، وتعني في جوهرها عملية تذكر واستدعاء لمعلومات، أو خبرات، أو مفاهيم سبق تعلُّمها، وتعتمد على إنتاج العديد من الأفكار الإبداعية بصورة تفوق المتوسط العام للأقران [2].

وتُصنف الطلاقة إلى أربعة أنواع أساسية وهي [3]:

- طلاقة الألفاظ: سرعة تفكير الفرد في إعطاء الكلمات.
- طلاقة التداعي: إنتاج أكبر عددٍ ممكن من الكلمات ذات الدلالة الواحدة.
- طلاقة الأفكار: استدعاء عددٍ كبيرٍ من الأفكار في زمن محدد.
- طلاقة الأشكال: تقديم الإضافات إلى أشكال معينة لتكوين رسوم حقيقية.

2 - **المرونة:** تُعرّف بأنَّها عملية مراجعة الأفكار الجديدة والتلاؤم معها، وقدرة الفرد على تقديم أفكار متنوعة في جوهر المعنى، بحيث لا تكون حول نوعية واحدة؛ وبالتالي فهي تغيير في الزاوية الذهنية التي ينظر من خلالها إلى الأشياء كرؤية المشكلة من زوايا مختلفة، والتَّغيير في تفسير المواقف، أو استراتيجيات العمل [1].

---

(1)ربيع، محمد. (٢٠١٧). درجة ممارسة القيادة الموزعة لدى مديري مدارس وكالة الغوث في محافظات غزة وعلاقتها بالإبداع الإداري من وجهة نظر معلميهم. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الأزهر بغزة. ص61.

(2)الحميد، محمد والهمداني، رجاء. (٢٠٢٠). المرجع نفسه. ص6.

(3)إسماعيل، عبد الله. (2020). المرجع نفسه. ص55.

وهي تصنف إلى عدد من الأقسام أهمها [2]:

- المرونة التلقائية: وهو إعطاء عددٍ من الأفكار والاستجابات المتنوعة التي ترتبط بموقف محدد.
- المرونة التكيفية: وتعني التوصل إلى حلٍّ للمشكلة، أو للموقف في ضوء التغذية الراجعة التي تأتي من ذلك الموقف، كتغيير طريقة الاستعمال، وبناء أساليب جديدة للتعامل مع الموقف أو المشكلة.

3 - **الأصالة:**

هي المقدرة على الإتيان بالأفكار الجديدة والمفيدة، والابتعاد عن اللجوء إلى حلول تقليدية للمشكلات، بل إنتاج استجابات أصيلة قليلة التكرار بالمعنى الإحصائي داخل الجماعة التي ينتمي إليها الفرد [3].

وتذكر (حجازي، ٢٠٢١) [4] بأنَّ الأصالة تتمثل في كمية الأفكار غير الشائعة عند توليد الأفكار، ومدى نوعيتها؛ وهي بذلك تمثل أعلى درجات الإبداع، وأنَّ ذلك ما يميزها عن الطلاقة والمرونة.

4 - الحساسية للمشكلات:

وتعني السرعة في ملاحظة المشكلة، والتحقق من وجودها في الموقف، ولا شك أنَّ اكتشاف المشكلة يُمثل خطوة أولى في عملية البحث عن حلٍّ لها، ويرتبط بهذه القدرة ملاحظة الأشياء غير العادية أو الشاذة أو المحيرة في محيط الفرد، أو إعادة توظيفها، وإثارة التساؤلات الجيدة من حولها [5].

---

(1)حجازي، حنين. (٢٠٢١). أثر القيادة الملهمة في فعالية الإبداع الإداري لدى العاملين دراسة ميدانية على مؤسسات التعليم العالي (الجامعات الأهلية) في قطاع غزة. [رسالة ماجستير غير منشورة]. الجامعة الاسلامية بغزة. ص32.

(2)إسماعيل، عبد الله. (2020). المرجع نفسه. ص 55-56.

(3)إمام، أحمد. (2013). المرجع نفسه. ص179.

(4)حجازي، حنين. (٢٠٢١). المرجع نفسه. ص31.

(5)حجازي، حنين. (٢٠٢١). المرجع نفسه. ص34.

في ضوء ما سبق من عرض لأبعاد الإبداع الإداري، يمكن تمثيلها بالشكل التالي:

الشكل رقم (1): أبعاد الإبداع الإداري (من إعداد الباحثة).

رابعًا - أساليب تنمية الإبداع الإداري في الجامعات:

في عصرنا الحالي يعدُّ الإبداع الإداري لدى القيادة الجامعية أمرًا بالغ الأهمية للبقاء والازدهار، ويشير كلٌّ من (Taha et all., 2015) [1] إلى أنَّ الدعوات الحالية لمزيد من الإنتاج الإبداعي بجميع أنحاء العالم تقر بأنَّ التعلُّم هو الأكثر وعودًا لتنمية الإبداع، وأنَّ استخدام أساليب التنمية الإبداعية فعّالة في النقل إلى منطقة التعلُّم، وهذا ما توصلت إليه نتائج دراستهم.

وبالرجوع إلى الأدبيات السابقة، توجد الكثير من الأساليب التي تساعد على تنمية الإبداع الإداري، وفيما يلي ملخص لأهم تلك الأساليب وأكثرها شيوعًا:

- أسلوب العصف الذهني:

عبارة عن أسلوب مصمم لزيادة الإبداع لدى جماعة العمل التي تحاول حل المشكلات، ويلزم هذا الأسلوب اتباع عدد من القواعد، أهمها أن تتكون الجماعة من ٥-٧ أعضاء مع تحديد القائد، وإعطاء الجميع الفرصة للمشاركة، والتركيز على توليد كمٍّ من الأفكار دون توجيه النقد، بل تشجيع الأفكار التلقائية، ومحاولة دمجها

)1(Taha, Viktoria & Tej, Juraj and Sirkova, Michaela. (2015, February 05-07). Ibid. p1919-1921.

أو توسيعها، مع تسجيلها؛ ليراها الجميع، وفيما بعد تُقيم الأفكار، وتُقيم التكلفة والعائد منها، ثم اختيار الحل النهائي [1].

- أسلوب لعب الأدوار:

يمثل أحد أساليب التدريب المتقدمة التي تساعد المتدربين على تفهم كافة المؤثرات التي تشكل سلوك الفرد من خلال المواقف التي تعبر عن مشكلات عملية واقعية [2].

- أسلوب قبعات التفكير الستة:

هذا الأسلوب مفيد للتفوق والنجاح في المواقف العملية في نطاق العمل، فيتم توجيه الشخص إلى التفكير بطريقة معينة، ثم يطلب منه التحول إلى طريقة أخرى؛ أيّ أنَّ الشخص يمكن أن يلبس أيًا من القبعات الست الملونة التي تمثل كلّ قبعة منها لونًا من ألوان التفكير [3].

- أسلوب بنوك الأفكار:

تهدف إلى نشر الأفكار وتبادلها بين الأفراد والجماعات، بما يساعد على تبادل الخبرات والمعارف، والتوصل إلى أفكار ابتكارية؛ ويعتمد هذا الأسلوب على مبدأ مفاده أن تعاون الأفراد والجماعات في مناقشة الأفكار يؤدي إلى تطويرها [4].

ومما سبق نؤكد على أهمية الإبداع الإداري في الجامعات، وأهمية إعطاءه مزيدًا من العناية والاهتمام، وأن تقوم الجامعات بتوظيف كافة مواردها وإمكانياتها؛ لتشجيع موظفيها على الإبداع مع رعايته، وتنميته لدى

(1)جاد الرب، سيد. (٢٠١٣). إدارة الإبداع والتميز التنافسي. دار النهضة العربية للنشر والتوزيع. ص١٠٠-١٠١.

(2)إمام، أحمد. (2013). المرجع نفسه. ص188.

(3)أحمد، سامي. (٢٠١٥). الإبداع في العملية التربوية. دار أمجد للنشر والتوزيع. ص ٦٨-٧٠.

(4)الحميد، محمد والهمداني، رجاء. (٢٠٢٠). المرجع نفسه. ص7.

الجميع، إذ كل ما ينفق من وقت وجهد ومال من أجل تحقيق الإبداع ما هو إلا استثمارٌ ناجحٌ، تفوق عوائده تكاليفه، وتتحقق منه فوائد متجددة على مدار حياة الجامعة.

الدِّرَاسات السابقة:

- دراسة النعيم (٢٠١٨)[1]، التي هدفت للتعرف على مستوى تطبيق الإبداع الإداري لدى رؤساء الأقسام العلمية بجامعة الملك فيصل بالأحساء، وتحديد معوقات تطبيقه من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، ولتحقيق ذلك استخدمت المنهج الوصفي المسحي، والاستبانة، والتي تم تطبيقها على عينة بلغ عددها (١٤٠) عضو هيئة التدريس، وأسفرت عن عدد من النتائج أبرزها أن مستوى تطبيق الإبداع الإداري لدى رؤساء الأقسام العلمية بجامعة الملك فيصل بالأحساء جاء بدرجة مرتفعة، وأن من أبرز معوقات تطبيقه ضعف القناعة بأهمية الإبداع الإداري، والتشديد على الالتزام بحرفية الأنظمة.

- دراسة أقبولا وأكويت (Agboola & Ukoette, 2018)[2]، التي هدفت إلى التعرف على مستوى استخدام رؤساء الأقسام للإبداع والابتكار في التعليم الجامعي النيجيري، وماهية التحديات المعيقة لتبني الإبداع والابتكار، ولتحقيق ذلك استخدمت المنهج الوصفي المسحي، والاستبانة، وتم تطبيقها على (٦٥) من رؤساء الأقسام في خمس كليات من جامعة Uyo في ولاية أكوا إيبوم بنيجيريا، وقد اظهرت عدداً من النتائج ابرزها أن استجابات رؤساء الأقسام لمستوى استخدام الإبداع والابتكار في الإدارة في جامعة Uyo جاء بمستوى منخفض، وأن من أبرز التحديات المعيقة لتبني الإبداع والابتكار في تنفيذ المهام الإدارية: الرهاب من استخدام أجهزة الكمبيوتر، ونقص مرافق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ومقاومة التغيير، وعدم تشجيع الزملاء على الإبداع والابتكار.

---

(1)النعيم، إبراهيم. (٢٠١٨). المرجع نفسه.

(2)Agboola, Bolapeju & Ukoette, Ifeoma. (2018). Ibid.

- دراسة بلاشكوفا وآخرون(Blaskova et al., 2019) [1]، التي هدفت إلى تحليل أثر التحفيز على إبداع أعضاء وقائدي الجامعات، ومعرفة مدى تطبيق القدرات الإبداعية والإجراءات والأساليب الإدارية الحديثة من قبل القادة، مستخدمةً المنهج الوصفي، والاستبانة، حيث طبقت على عينة من الكادر الأكاديمي والإداري والقيادي بالجامعات في دولة سلوفاكيا، وبلغ عددها (90) مستجيباً، ومن أبرز نتائج الدراسة أن أكثر من نصف القادة قد أعربوا عن استخدامهم للأساليب والإجراءات التقليدية الغير إبداعية ملتزمين بالممارسات التقليدية ولا يؤيدون التغيير، وأن غالبية الموظفين يعتبرون أساليب رؤسائهم تقليدية، وأنه على الرغم من الجهود الكبيرة التي تبذلها إدارة الجامعات السلوفاكية لبناء بيئة إبداعية ومكافأة الحلول الإبداعية، إلا أن تحفيز وتعزيز الإبداع لمنسوبي الجامعة يظهر بعض العيوب.

- دراسة الحميد والهمداني (٢٠٢٠) [2]، التي هدفت إلى التعرف على درجة ممارسة القيادات الأكاديمية في جامعة صنعاء لمهارات الإبداع الإداري من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، ولتحقيق ذلك اعتمدت على المنهج الوصفي، والاستبانة، والتي طبقت على عينة بلغ عددها (٢٦١) عضواً، وأظهرت عدداً من النتائج أبرزها أن درجة ممارسة القيادات الأكاديمية في جامعة صنعاء لمهارات الإبداع الإداري كانت بدرجة متوسطة.

التعقيب على الدِّرَاسات السابقة:

يتبين من عرض الدراسات السابقة اتفاق الدِّرَاسة الحالية مع الدِّرَاسات السابقة في تناولها للإبداع الإداري، كما اتفقت الدِّرَاسة الحالية مع الدِّرَاسات السابقة في اعتمادها على المنهج الوصفي، واستخدامها الاستبانة كأداةٍ لها، كدراسة النعيم (2018)، ودراسة أقبولا وأكويت (Agboola & Ukoette, 2018)، ودراسة بلاشكوفا

(1)Blašková, Martina, Tumová, Dominika & Blaško, Rudolf. (2019). Motivation Policy and Motivation to Creativity of University Teachers and Managers.

(2)الحميد، محمد والهمداني، رجاء. (٢٠٢٠). المرجع نفسه.

وآخرون (Blaskova et al., 2019)، ودراسة الحميد والهمداني (2020)، ومن حيث العينة وهي القيادات الأكاديمية في الجامعات فقد اتفقت الدراسة الحالية بذلك مع دراسة أقبولا وأكويت (Agboola & Ukoette, 2018)، ودراسة بلاشكوفا وآخرون (Blaskova et al., 2019)، بينما اختلفت بذلك مع دراسة النعيم (2018)، ودراسة الحميد والهمداني (2020) إذ كانت عينتهما أعضاء هيئة التدريس.

ونظرًا لغياب الدراسة العلمية التي تتناول درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل - من خلال ما اطلعت عليه الباحثة من دِرَاسات – فقد تميزت الدراسة الحالية ببيان ذلك، وكذلك في لجوئها إلى تطبيقها على جميع القيادات الأكاديمية بأسلوب الحصر الشامل دون اقتصارها على فئة معينة كرؤساء الأقسام الأكاديمية، أو تطبيقها على عينة منهم، وبذلك قد تكون أقرب إلى الحقيقة؛ لأنها تحصر معلومات المجتمع بأكمله.

منهجية الدِّرَاسة وإجراءاتها:

أولًا - منهج الدِّرَاسة:

انطلاقاً من طبيعة الدِّرَاسة وأهدافها فقد اعتمدت على المنهج الوصفي المسحي.

ثانيًا - مجتمع الدِّرَاسة:

قد تكون مجتمع الدِّرَاسة الحالية من جميع القيادات الأكاديمية بجامعة حائل في المملكة العربية السعودية (وكيل جامعة - عميد/ة كلية أو عمادة مساندة – وكيل/ة كلية أو عمادة مساندة – رئيس/ة قسم ومشرفة قسم) والبالغ عددهم (269) قائداً، وذلك حسب الإحصائية الواردة من إدارة الموارد البشرية بجامعة حائل لعام (1443هـ - 2022م).

ثالثًا - أفراد الدِّرَاسة:

تم تطبيق الدِّرَاسة على جميع القيادات الأكاديمية بجامعة حائل في المملكة العربية السعودية، والبالغ عددهم (269) قائداً، وذلك بأسلوب الحصر الشامل، وفيما يلي توزيع أفراد الدِّرَاسة كما في الجدول الآتي:

الجدول رقم (1): توزيع أفراد الدِّرَاسة من القيادات الأكاديمية في جامعة حائل

طبيعة العمل	المجتمع الأصلي	استجابات أفراد مجتمع الدراسة
وكيل/ة جامعة	4	3
عميد/ة	25	21

وكيل/ة	81	71
رئيس/ة قسم – مشرفة قسم	159	131
المجموع	269	226

وباستقراء البيانات المدرجة بالجدول (1) فقد تبين استجابة (٢٢٦) قائدًا يمثلون بذلك أفراد الدِّرَاسة، وكان عدد الاستجابات عالياً؛ مما يدل على إدراك أفراد الدِّرَاسة لأهميتها، وذلك بنسبة استجابة (٨٤٪)، وهي نسبة عالية ويمكن الاعتماد على نتائجها في التحليل الإحصائي.

رابعًا - أداة الدِّرَاسة:

اعتمدت الدِّرَاسة الحالية على الاستبانة كأداة لجمع البيانات، وذلك لمناسبتها لموضوع الدِّرَاسة، ولتحقيق أهدافها.

خامسًا - صدق أداة الدِّرَاسة:

قد تم التحقق من صدق أداة الدِّرَاسة من خلال ما يلي:

1- الصدق الظاهري لأداة الدِّرَاسة (صدق المحكمين):

تم التحقق من الصدق الظاهري لأداة الدِّرَاسة، من خلال عرض الاستبانة في صورتها الأولية على نخبة من المحكمين المتخصصين في القيادة والإدارة التربوية داخل الجامعات السعودية وخارجها، وبوزارة التعليم في المملكة العربية السعودية وإداراتها، حيث بلغ عددهم (28) محكماً؛ لإبداء آرائهم حول مدى انتماء الفقرات لقياس ما وردت فيه، وسلامة صياغتها، وطرح البدائل المناسبة، وبناءً على ما اقترحه السادة المحكمون، أُجريت التعديلات اللازمة ووضعت بصورتها النهائية.

2- صدق الاتساق الداخلي لأداة الدِّرَاسة:

طبقت الأداة على عينة استطلاعيّة تم استقطاعهم من أفراد مجتمع الدِّرَاسة، وقد اشتملت على (30) قائد من أفراد مجتمع الدِّرَاسة، للتأكّد من الاتساق الداخلي للأداة، حيث استخرجت معاملات الاتساق الداخلي كمؤشر من مؤشرات الصدق، من خلال حساب معامل ارتباط (بيرسون) بين درجة كل فقرة من فقرات الأداة مع الدرجة الكلية؛ للكشف عن مدى اتساق الفقرات في قياس ما وردت فيه، وذلك كما يلي:

الجدول رقم (2): قيم معاملات ارتباط بيرسون بين درجة كلّ فقرة من فقرات الإبداع الإداري مع الدرجة الكلية

الفقرة	معامل الارتباط	الفقرة	معامل الارتباط	الفقرة	معامل الارتباط
1	**0.631	8	**0.743	15	**0.837
2	**0.662	9	**0.851	16	**0.793
3	**0.838	10	**0.787	17	**0.794
4	**0.834	11	**0.673	18	**0.824
5	**0.677	12	**0.769	19	**0.680
6	**0.729	13	**0.862	20	**0.846
7	**0.682	14	**0.893		

** دالة عند 0.01 أو أقلّ3.

تشير النتائج في الجدول (2) إلى أن قيم معاملات الارتباط لكلّ فقرة من فقرات الأداة ترتبط ارتباطًا موجبًا، ودال إحصائيًّا مع الدرجة الكلية التي تنتمي إليها عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.01$)، مما يشير إلى مناسبة كل فقرة من فقرات الأداة لقياس ما تنتمي إليه.

سادسًا - ثبات أداة الدِّرَاسة:

بعد التحقق من صدق الأداة، تم استخراج معاملات ثبات أداة الدِّرَاسة، باستخدام معامل ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha)، ويوضح الجدول (3) هذه المعاملات.

الجدول رقم (3): معامل ألفا كرونباخ لقياس ثبات أداة الدِّرَاسة

فقرات الاستبانة	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ
جميع فقرات الإبداع الإداري.	20	0.959

يتضح من جدول (3) أن معامل ثبات أداة الدِّرَاسة كاملًا بلغ القيمة (0.959)، وتعد هذه المعاملات مرتفعة؛ مما يدلل على أن الاستبانة تتمتع بقدرٍ عالٍ من الثبات وبالتالي صلاحيتها للتطبيق.

سابعًا - تفسير النتائج:

تم الاستعانة في استخراج النتائج بمحك للحكم على درجة ممارسة الابداع الاداري لدى القيادات الأكاديمية في جامعة حائل من وجهة نظرهم، وذلك وفقًا للمقياس التالي:

الجدول رقم (4): *المقياس المعتمد لتفسير النتائج*

المتوسط الحسابي	درجة ممارسة الإبداع الإداري
1.80-1	منخفضة جدا
2.60 -1.81	منخفضة
3.40 -2.61	متوسطة
4.20 -3.41	مرتفعة
5.0 -4.21	مرتفعة جدا

ثامنًا - المعالجات الإحصائية:

لتحليل البيانات اعتمدت الدِّرَاسة الحالية على مجموعة من الأساليب الإحصائية المناسبة، باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistical Package for Social Sciences).

نتائج الدِّرَاسة ومناقشتها:

أولًا - السؤال الأول: ما درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم؟

للإجابة عن هذا السؤال حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة القيادات الأكاديمية بجامعة حائل لعبارات ممارسة القيادات الأكاديمية بجامعة حائل للإبداع الإداري، ويوضح الجدول (5) هذه النتائج:

الجدول رقم (5): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعياري لاستجابة أفراد الدِّرَاسة على عبارات ممارسة القيادات الأكاديمية بجامعة حائل للإبداع الإداري.

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة	الترتيب
5	أغير رأيي عندما أدرك عدم صحته.	4.50	0.750	مرتفعة جدًا	1
6	أتقبل اقتراحات العاملين معي في المواقف المختلفة.	4.49	0.738	مرتفعة جدًا	2
8	أتكيف مع الظروف الطارئة والمستحدثة في العمل.	4.42	0.750	مرتفعة جدًا	3
11	أشجع العاملين على طرح أفكار إبداعية لتطوير العمل.	4.36	0.812	مرتفعة جدًا	4

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة	الترتيب
9	أنظر إلى مواقف وأحداث العمل من زوايا مختلفة.	4.28	0.816	مرتفعة جدًا	5
15	أقيم الأفكار الجديدة قبل الحكم عليها.	4.26	0.765	مرتفعة جدًا	6
18	أحرص على معرفة جوانب الضعف فيما أقوم به من أعمال للتغلب عليها.	4.26	0.820	مرتفعة جدًا	7
7	أتعامل مع اللوائح والأنظمة بمرونة.	4.24	0.837	مرتفعة جدًا	8
17	أجمع كافة المعلومات والبيانات المتعلقة بمشكلات العمل قبل اتخاذ القرارات حيالها.	4.23	0.756	مرتفعة جدًا	9
10	أنجز ما أكلف به من مهام بأساليب متجددة.	4.23	0.815	مرتفعة جدًا	10
4	أطرح أكثر من حل للمشكلة الواحدة.	4.22	0.779	مرتفعة جدًا	11
14	أمتلك الحجة والقدرة على الإقناع.	4.18	0.826	مرتفعة	12
3	أدمج بين الأفكار المختلفة المطروحة للخروج بفكرة واحدة مفيدة.	4.16	0.791	مرتفعة	13
20	أمتلك رؤية دقيقة لاكتشاف المشكلات التي	4.16	0.808	مرتفعة	14

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة	الترتيب
	يعاني منها الآخرون في العمل.				
1	أستطيع تقديم أكثر من فكرة متعلقة بتطوير العمل خلال فترة زمنية قصيرة.	4.10	0.791	مرتفعة	15
2	أعبر عن الفكرة الواحدة بأكثر من طريقة.	4.07	0.822	مرتفعة	16
19	أقوم بالتخطيط المسبق لمواجهة مشكلات العمل المتوقع حدوثها.	4.07	0.840	مرتفعة	17
16	أتمتع بالقدرة على التنبؤ بمشكلات العمل قبل حدوثها.	4.04	0.850	مرتفعة	18
12	أبتعد عن المحاكاة في حل المشكلات التي تعترض سير العمل.	3.98	0.889	مرتفعة	19
13	أنتج أفكار جديدة بناءة غير مألوفة.	3.96	0.834	مرتفعة	20
	المتوسط العام لمحور ممارسة القيادات الأكاديمية للإبداع الإداري.	4.21	0.665	مرتفعة جدًا	

يتضح من الجدول (5) أن المتوسط العام لمحور ممارسة القيادات الأكاديمية للإبداع الإداري من وجهة نظرهم، بلغ (4.21) بانحراف معياري (0.665)، وبدرجة مرتفعة جدًا، موضح في الشكل رقم (2):

الشكل رقم (2): ملخص نتائج السؤال الأول: درجة ممارسة القيادات الأكاديمية بجامعة حائل للإبداع الإداري من وجهة نظرهم.

وبذلك نجد أن نتيجة الإجابة عن السؤال الأول تشير إلى وجود درجة مرتفعة جداً لممارسة الإبداع الإداري، ويمكن عزو هذه النتيجة في ضوء توافر مناخ إيجابي للعمل داخل الجامعة يشجع القادة الأكاديميين ويحفزهم على ممارسة الإبداع الإداري، ويتيح لهم قدراً من الحرية في أداء العمل، ويمنحهم الفرص الكافية والصلاحيات المطلوبة لإنجاز مهامهم الوظيفية بطرق إبداعية، بالإضافة إلى وضع الجامعة معايير دقيقة حاكمة لاختيار القيادات الأكاديمية بقدر عالي من الكفايات والجدارات، وبناءً على نتائج الدراسة الحالية قد تمكنت الجامعة من توظيف الشخص المناسب في المكان المناسب، إذ تتمتع القيادات الأكاديمية بالقدرات الإبداعية في تأدية واجباتها الوظيفية، وما يدلل على ذلك أيضاً وجود القناعة والإيمان بقدراتهم الإبداعية، وإدراك الحاجة الماسة إلى توظيف الإبداع الإداري في العمليات الإدارية وهو أحوج ما تكون إليه الجامعات في هذه الأوقات، وبما يتماشى مع التطورات الحاصلة في العمل الإداري والتربوي وهو ما يؤثر تأثيراً ايجابياً مباشراً على تحقيق الأهداف الجامعية.

وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة (زامكة، 2021)[1]، التي توصلت إلى أن درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة الملك خالد قد جاءت بدرجة مرتفعة جداً، بينما اختلفت مع نتيجة دراسة (الحميد والهمداني، ٢٠٢٠)[2]، والتي توصلت إلى أن درجة ممارسة القيادات الأكاديمية في جامعة صنعاء للإبداع الإداري كانت بدرجة متوسطة، وكذلك دراسة (Agboola & Ukoette, 2018)[3]، والتي أظهرت أن مستوى تطبيق الإبداع الإداري لدى رؤساء الأقسام في جامعة Uyo في ولاية أكوا إيبوم بنيجيريا قد جاء بمستوى منخفض، ودراسة (Blaskova et al., 2019)[4]، والتي خلصت نتائجها بأن غالبية الكادر الأكاديمي والإداري والقيادي بالجامعات في دولة سلوفاكيا أعربوا عن ضعف الإبداع لدى القادة.

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغيرات (النوع، سنوات الخدمة، الرتبة العلمية)؟

للإجابة عن هذا السؤال عرضت النتائج حسب كل متغير على حدة، وذلك كما يلي:

1- **النوع:**

للتعرف على مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغير النوع (ذكر، أنثى)، استخدم اختبار (ت) للعينات المستقلة (Independent Samples T-Test)، ويوضح الجدول (6)

(1)زامكة، رنين. (٢٠٢١). الذكاء العاطفي وعلاقته بالإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية في الجامعات السعودية دراسة تطبيقية على جامعة الملك خالد. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الملك خالد.

(2)الحميد، محمد والهمداني، رجاء. (٢٠٢٠). المرجع نفسه.

(3)**Agboola, Bolapeju & Ukoette, Ifeoma. (2018). Ibid.**

(4)**Blašková, Martina, Tumová, Dominika & Blaško, Rudolf. (2019). Ibid.**

نتائج الاختبار:

جدول رقم (6): نتائج اختبار (ت) للفروق في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغير النوع (ذكر، أنثى).

النوع	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	مستوى الدلالة	القرار
ذكر	153	4.207	0.5144	0.119	224	0.905	غير دالة إحصائيًا
أنثى	73	4.21859	0.9095				

تبين النتائج في جدول (6) أن قيم اختبار (ت) للفروق في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغير النوع (ذكر، أنثى) بلغت (0.119)، وهي قيمة غير دالة إحصائيا نظرًا لأن قيمة مستوى الدلالة المرتبطة بها بلغت (0.905)، وهذه القيمة أعلى من قيمة الدلالة المعتمدة (0.05) مما يشير إلى أنه لا توجد فروق في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل تعزى إلى متغير النوع، ويمكن تفسير ذلك في ضوء أن الممارسات والاساليب الإدارية ذات الطابع الإبداعي ونتائجها المثمرة لا تختلف باختلاف النوع، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (أبو ميالة، ٢٠١٨)[1]، التي أكدت على عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في استجابات أعضاء هيئة التدريس الأكاديميين حول ممارسة الإبداع الإداري حسب متغير النوع، بينما اختلفت مع دراسة (حجازي،٢٠٢١)[2]،

(1)أبو ميالة، فداء. (٢٠١٨). المرجع نفسه.

(2)حجازي، حنين. (٢٠٢١). المرجع نفسه.

والتي توصلت إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية في استجابات القادة الأكاديميين والإداريين حول مستوى تطبيق الإبداع الإداري تعزى لمتغير النوع لصالح الإناث.

2- سنوات الخدمة:

للتعرف على مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغير سنوات الخدمة (أقل من 3 سنوات، من 3 سنوات إلى أقل من 6 سنوات،6 سنوات فأكثر)، استخدم اختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA)، وفيما يلي نتائج الاختبار:

جدول رقم (7): نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي للفروق في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغير سنوات الخدمة (أقل من 3 سنوات، من 3 سنوات إلى أقل من 6 سنوات،6 سنوات فأكثر).

مصدر الفروق	مجموع المربعات	درجة الحرية	قيمة F	الدلالة	القرار
بين المجموعات	4.130	2	4.813	0.009	دال احصائيًا
داخل المجموعات	95.666	223			
المجموع	99.796	225			

تبين النتائج في جدول (7) أن قيمة F الناتجة تحليل التباين الأحادي (ANOVA) للفروق في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغير سنوات الخدمة بلغت (4.813)، وهي قيمة دال إحصائيا نظرًا لأن قيمة مستوى الدلالة المرتبطة بها بلغت (0.009)، مما يشير إلى وجود اختلاف في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة

نظرهم تعزى إلى متغير سنوات الخدمة، ولمعرفة لصالح من تكون الفروق استخدم اختبار شيفيه للمقارنات البعدية، وفيما يلي نتائج الاختبار:

جدول رقم (8): نتائج اختبار شيفيه للمقارنات البعدية في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغير سنوات الخدمة (أقل من 3 سنوات، من 3 سنوات إلى أقل من 6 سنوات،6 سنوات فأكثر).

سنوات الخبرة	من 3 سنوات إلى أقل من 6 سنوات	6 سنوات فأكثر
أقل من 3 سنوات	-0.24692	-0.31821*
من 3 سنوات إلى أقل من 6 سنوات		-0.07129

تبين نتائج شيفيه في جدول (8) وجود فروق دال إحصائيًا في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل بين القيادات الأكاديمية ممن خدمتهم أقل من 3 سنوات، ومن خدمتهم 6 سنوات فأكثر، ويمكن عزو هذه النتيجة في ضوء الشعور بالحماس في اداء المهام الموكلة إلى القيادات الأكاديمية واثبات جدارتهم في المنصب القيادي لمن خدمتهم أقل من ٣ سنوات، واستفادة القيادات الأكاديمية ممن خدمتهم ٦ سنوات فأكثر من التغذية الراجعة اثناء عملهم السابق، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (المشعل، ٢٠١٩)[1]، التي أكدت على وجود فروق ذات دلالة احصائية في استجابات رؤساء الأقسام حول توافر الإبداع الإداري تعزى لمتغير سنوات الخدمة لصالح الرؤساء الأقل خدمة، بينما اختلف مع دراسة (السبيت،

(1)المشعل، نوره. (٢٠١٩). واقع الإبداع الإداري لدى رؤساء الاقسام في جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز من وجهة نظرهم. مجلة كلية التربية ببنها، ٣٠(١/118)، ١-٣٦.

٢٠١٦)[1]، والتي توصلت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في استجابات أعضاء هيئة التدريس حول درجة ممارسة رؤساء الاقسام للإبداع الإداري تعزى لمتغير سنوات الخدمة.

3- **الرتبة العلمية:**

للتعرف على مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغير الرتبة العلمية (أستاذ، أستاذ مشارك، أستاذ مساعد)، استخدم اختبار كروسكال واليس (Kruskal Wallis Test)، وفيما يلي نتائج الاختبار:

جدول رقم (9): نتائج اختبار كروسكال واليس للاختلاف في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم باختلاف الرتبة العلمية.

الرتبة العلمية	العدد	متوسط الرتب	Kruskal Wallis Test			
			كا2 (Chi-Square)	درجة الحرية (df)	الدلالة	القرار
أستاذ	16	96.47	2.873	2	0.238	غير دال إحصائيًا
أستاذ مشارك	48	104.00				
أستاذ مساعد	162	118.00				

(1)السبيت، رشا. (٢٠١٦). المرجع نفسه.

يتضح من الجدول (9) أن قيم كا2 الناتجة عن اختبار كروسكال واليس بلغت القيمة (2.873)، وهي قيمة غير دالة إحصائيا، حيث بلغت (0.238)، وهي قيمة أكبر من مستوى الدلالة المعتمد ($\alpha \leq 0.05$)، مما يشير إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغير الرتبة العلمية، وقد يدل ذلك على وعي القيادات الأكاديمية باختلاف رتبهم العلمية بأهمية الإبداع الإداري في اداء الأعمال وما لها من مردود ايجابي في رقي الجامعة؛ بالتالي تقارب وجهات النظر تجاه الإبداع الإداري، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (السبيت، ٢٠١٦)[1]، والتي توصلت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في استجابات أعضاء هيئة التدريس حول درجة ممارسة رؤساء الاقسام للإبداع الإداري تعزى لمتغير الرتبة العلمية، بينما اختلفت مع دراسة (النعيم، ٢٠١٨)[2]، والتي أكدت على وجود فروق ذات دلالة احصائية في استجابات أعضاء هيئة التدريس حول مستوى تطبيق رؤساء الاقسام للإبداع الإداري تعزى لمتغير الرتبة العلمية لصالح (أستاذ مساعد - أستاذ مشارك).

(1)السبيت، رشا. (٢٠١٦). المرجع نفسه.

(2)النعيم، إبراهيم. (٢٠١٨). المرجع نفسه.

ملخص نتائج الدِّرَاسة:

- أن درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم، جاءت بدرجة مرتفعة جدًا، وبمتوسط حسابي بلغ (4.21) وانحراف معياري (0.665).
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغيرات (النوع، الرتبة العلمية).
- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة حائل من وجهة نظرهم تعزى إلى متغير (سنوات الخدمة لصالح ممن خدمتهم أقل من 3 سنوات، ومن خدمتهم 6 سنوات فأكثر).

توصيات الدِّرَاسة:

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها، توصي الدِّرَاسة بما يأتي:

- الاستمرارية في المحافظة على ما كشفت عنه الدراسة من مستويات عالية لممارسة الإبداع الإداري، من خلال تشجيع وتكريم القادة المبدعين وحثهم على التعبير عن آرائهم ومقترحاتهم؛ مما يساهم في ديمومة العطاء الأفضل.
- نظراً لوجود درجة ممارسة مرتفعة جداً للإبداع الإداري يفضل تحديد وفهم الفرص الحقيقية المتاحة للجامعة واستثمارها في ضوء الإبداع الإداري وضمان عدم هدره، على غرار تحقيق ميزة تنافسية تضعها في مقدمة الجامعات وفق رؤية المملكة 2030.

- نشر الوعي في مختلف المؤسسات التعليمية حول أهمية الإبداع الإداري وأثره الإيجابي في تحقيق الأهداف والحفاظ على بقائها وتطورها.

مقترحات الدِّرَاسة:

- اجراء دِّرَاسة مماثلة للدراسة الحالية في جامعات أخرى في المملكة العربية السعودية أو خارجها.
- اجراء دِّرَاسة عن بيئة العمل وعلاقتها بالإبداع الإداري.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا - المراجع العربية:

أبو ميالة، فداء. (٢٠١٨). الإبداع الإداري في الجامعات الفلسطينية: التحديات وسبل تطويرها من وجهة نظر الأكاديميين. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الخليل.

أحمد، سامي. (٢٠١٥). الإبداع في العملية التربوية. دار أمجد للنشر والتوزيع.

إسماعيل، عبد الله. (2020). مفهوم الابتكار والإبداع الإداري. دار الراية للنشر والتوزيع.

إمام، أحمد. (2013). التنمية البشرية والإبداع الإداري دراسة نظرية بتطبيق علمي معاصر. المؤسسة العربية للعلوم والثقافة.

جاد الرب، سيد. (٢٠١٣). إدارة الإبداع والتميز التنافسي. دار النهضة العربية للنشر والتوزيع.

حجازي، حنين. (٢٠٢١). أثر القيادة الملهمة في فعالية الإبداع الإداري لدى العاملين دراسة ميدانية على مؤسسات التعليم العالي (الجامعات الأهلية) في قطاع غزة. [رسالة ماجستير غير منشورة]. الجامعة الاسلامية بغزة.

الحميد، محمد والهمداني، رجاء. (٢٠٢٠). مهارات الابداع الاداري لدى القيادات الأكاديمية بجامعة صنعاء. مجلة جامعة البيضاء، ٢(١)، ١-٢٣.

ربيع، محمد. (٢٠١٧). درجة ممارسة القيادة الموزعة لدى مديري مدارس وكالة الغوث في محافظات غزة وعلاقتها بالإبداع الإداري من وجهة نظر معلميهم. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الأزهر بغزة.

زامكة، رنين. (٢٠٢١). الذكاء العاطفي وعلاقته بالإبداع الإداري لدى القيادات الأكاديمية في الجامعات السعودية دراسة تطبيقية على جامعة الملك خالد. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الملك خالد.

السبيت، رشا. (٢٠١٦). الحرية الأكاديمية وعلاقتها بالإبداع الإداري لدى رؤساء الأقسام التربوية بكلية العلوم الاجتماعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الشايع، علي وعامر، طارق وعامر، ربيع. (٢٠١١)، العلاقات الإنسانية والإبداع الإداري في المؤسسات التعليمية. مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.

المشعل، نوره. (٢٠١٩). واقع الإبداع الإداري لدى رؤساء الاقسام في جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز من وجهة نظرهم. مجلة كلية التربية ببنها، ٣٠(118/١)، ١-٣٦.

النعيم، إبراهيم. (٢٠١٨). واقع تطبيق الإبداع الإداري لدى رؤساء الأقسام العلمية بجامعة الملك فيصل بالأحساء. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الهمداني، رجاء. (٢٠١٧). بناء برنامج تدريبي لتطوير مهارات القيادات الأكاديمية في الجامعات اليمنية في ضوء مدخل الإبداع الإداري. [أطروحة دكتوراه غير منشورة]. جامعة صنعاء.

ثانيًا - المراجع الأجنبية:

Agboola, Bolapeju & Ukoette, Ifeoma. (2018). Utilization of Creativity and Innovation on Effective Administration of a Nigerian University Education. *International Journal of Education Development, 22*(1), 1- 10.

Blašková, Martina, Tumová, Dominika & Blaško, Rudolf. (2019). Motivation Policy and Motivation to Creativity of University Teachers and Managers.

Gaspar, Drazena & Mabic, Mirela. (2015). Creativity in Higher Education. *Universal Journal of Educational Research, 3*(9), 598-605.

Taha, Viktoria & Tej, Juraj and Sirkova, Michaela. (2015, February 05-07). *Creative Management Techniques and Methods as a Part of the Management Education: Analytical Study on Students' Perceptions* [Submitted search]. 7th World Conference on Educational Sciences (WCES-2015), Novotel Athens Convention Center, Athens, Greece.

هل تشكّل التربية على الإبداع الوجه الجديد لتكريس التفاوت والفصل بين المتعلمين في المستقبل؟

الدكتور محمد الناكوع

باحث في علم اجتماع التربية | تونس

med_nk@live.fr

الباحثة عائشة عبد الواحد

طالبة ماجستير | تونس

ملخّص البحث:

تعيش المجتمعات ثورة رقمية لم تعرفها من قبل، رقمنة شملت كلّ مناحي الحياة، لذلك ازداد الاهتمام بالتربية لإعداد أجيال المستقبل، هذا المستقبل الذي لا يبدو جليا نتيجة سرعة التحوّلات، ممّا يتطلّب ولادة نظام تربوي يقطع مع تربية عصر الصناعة ويقوم على الإبداع فلسفة ومناهج وطرقا، بما يساعد على تحرير الانسان ممّا يعيقه من تحقيق ذاته ويمكّنه من ابتكار حلول لإشكاليات جديدة يعيشها المجتمع، هذا المجتمع الموسوم تارة بمجتمع المعرفة وطورا بمجتمع المخاطر. لكن العمليّة لا تبدو سهلة، نظرا للمقاومة التي سيبديها النظام الحالي، الذي يسوّق للتكافؤ ويخدم الفصل الاجتماعي والميز المدرسي، يسوّق للحريّة ويكرّس الاستبداد، يدعو للتحرّر ويدعم الانغلاق. لذلك سيبقى التساؤل جائزا: هل يمكن أن تكون التربية على الإبداع حلاّ لتربية فاعلة وعادلة أم ستكون وجها جديدا لتكريس التفاوت؟

الكلمات المفتاحية: التربية – الإبداع – تكافؤ الفرص – الفصل المدرسي – الدّافعيّة

Does Education on Creativity Constitue The New Face of Perpetuating Inequality and Segregation Among Learners in the Future?

Abstract:

Educating the future generations is a common concern of all contemporary countries that seek to be influential in tomorrow's society, which is known as the era of "the Knowledge Society" or "the Risk Society". The latter is marked by an unprecedented accelerating pace of transformations thanks to the digital revolution. Accordingly, a new educational system, that not only cuts with the education of the industrial age but also based on creativity, is highly required. This change will help the individual to achieve himself as a genuine human being. Nevertheless, the process of change does not seem easy at all given the resistance that the current system will show. A system that promotes equality of chances but serves social segregation and school discrimination, promotes freedom but perpetuates tyranny, calls for liberation but supports isolation. Therefore, one can wonder: "Will we witness the birth of an educational system that is equal and supportive to the idea of creativity at the same time? Or will the system of inequality continue to be perpetuated, but in another way?"

Keywords: Future education – Education on creativity – Equal opportunities – Educational segregation – Motivation.

1 - مقدّمة:

ممّا لا شكّ فيه أنّ التربية، تبقى واحدة من أعسر المهامّ التي يقوم بها الإنسان على رأي إيمانويل كانط، وهي من المهن الثلاث المستحيلة 1 مثلما ذهب إلى ذلك سيقمون فرويد باعتبارها تجمع بين ما هو فردي وما هو اجتماعي أي بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، ممّا يتطلّب منها أن تأخذ لها مسلكا وسطا بين متطلّبات الفرد ومستلزمات المجتمع، في الوقت الذي يشهد فيه هذا الأخير تحوّلات كبيرة تتسارع يوميا نتيجة ثورة الاتصال والمعلومات التي زعزعت كلّ شيء بما في ذلك التربية في حدّ ذاتها، إذ لأوّل مرّة يطلب المجتمع من المدرسة ألاّ تكوّن أجيالاً وفقًا للحاجيات الحالية، وإنّما أن تكوّن أجيالاً قادرة على التأقلم مع مجتمع الغد، المجتمع الذي هو بصدد التشكّل، المجتمع المتوقّع والمنتظر، وهو مجتمع مجهول، في البعض من جوانبه على الأقلّ، لذلك نتحدّث عن تربية المستقبل بشيء من اللايقين، في الوقت الذي تشهد فيه المؤسسة التربويّة إقبالاً كبيرًا لم تعرفه البشريّة من قبل، نتيجة تعميم التعليم في إطار مقاربة تبدو حقوقيّة تهدف إلى إعمال مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم.

لكن، في ظلّ ما يشهده الواقع الميداني التربوي من تفاوت في التعليم بين الطبقات الاجتماعيّة وبين الفضاءات الحضريّة وبين الأقاليم السكنيّة، وبين الشعوب بوجه عامّ وهو ما تؤكّده نتائج الاختبارات الدوليّة PISA 2 و3TIMSS على سبيل المثال وفي ظلّ ما اصبحنا نعيشه من فصل بين المتعلمين مازال مسكوتًا عنه بحججٍ مختلفة، أسئلة عديدة تطرح اليوم على المهتمين بالشأن التربوي في بعده الاجتماعي والإنساني والحقوقي، أسئلة تتصل بالكيفية التي يمكن من خلالها التقليص من الفجوات الموجودة في التعليم، سواء

1- اعتبر سيقموند فرويد، علم النفس التحليلي وعلم التربية (البيداغوجيا) والسياسة، مهن مستحيلة.

2- **PISA**: تقييم دولي ينجز كلّ 03 سنوات يستهدف قيس مدى اكتساب تلاميذ 14 – 15 سنة للمعارف والمهارات الضرورية للتفاعل مع المجتمع في مجالات العلوم والرياضيات والقراءة.

3- المسابقة الدولية للعلوم والرياضيات

كان ذلك بين الأفراد، أو بين الاختصاصات العلمية حيث التثمين الاجتماعي لاختصاصات علمية دون سواها، أو بين الفضاءات حيث تتميّز مؤسسات وتشكو أخرى من صعوبات، وهي مؤسسات تتواجد في الغالب في القرى والأرياف والأحياء الشعبية.

في ظلّ هذا الواقع المتميّز بالتفاوت والفصل بمختلف تجلّياته، ترتفع الأصوات المنادية بالتربية على الإبداع، وهي التربية المنشودة في المستقبل، نطرح السؤال الإشكالي التالي:

ألا يُمكن أن تشكّل التربية على الإبداع وجهًا جديدًا من أوجه تكريس التفاوت والفصل بين المتعلمين في المستقبل؟

2 – المنهجيّة المعتمدة: ارتأينا في هذه الورقة العلمية أن ننطلق من تحليل المفاهيم التي أوردناها، لنستنتج في الأثناء ما نرى أنّه من صعوبات تربية المستقبل، وهي التربية على الإبداع، هذه التربية التي من جهة ستعدّ أجيالا لوظائف غير متوقعة، ومن جهة ثانية مطالبة بالتوجّه للجميع كي لا تنحرف فتعدّ البعض وتهمل البعض الآخر.

3 – الدّراسة:

3 – 1 تربية المستقبل والحاجة إلى نموذج تربوي جديد:

"هل تقبل أن تقوم بدوْر هامشي في العالم الجديد الذي بدأ يتشكّل الآن في ظلّ ثورة المعلومات وتقنيات الاتصال والنانو تكنولوجي (أي تقنية العوالم الدقيقة)"1؟ سؤال يمكن أن تطرحه أي منظومة تربويّة تطمح لأن تعدّ ناشئة فاعلة في العالم الجديد، وتبحث عن نموذج يتماشى مع حاجات عصر مجتمع المعرفة، ولعلّ من أوكدها اكتساب القدرة على مسايرة ما نعيشه من تحوّلات، ومواجهة ما يعيشه العالم اليوم من أزمات

1- لموشي حسين يوسف (2004 ص: 13). تربية المستقبل، التجربة الماليزية. نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

ومن مخاطر ومن تناقضات في طريقها إلى مزيد الاستفحال، بين الكوني والمحلّي، بين الانفتاح والانغلاق، بين التكنولوجي والإنساني، بين العقلانيّة والتعصّب، وبين الفردانية والاجتماعيّة. تناقضات يشكّل تجاوزها إحدى تحدّيات تربية المستقبل، ومخاطر يشكلّ تفاديها رهانا من رهانات هذه التربية.

لذلك لعلّه من الضروري القول إنّ هذه التربية تحتاج إلى نموذج تربوي جديد، يصبح معه التجديد قاعدة وغير ذلك استثناء. والتجديد التربوي المقصود، والذي نرى أنّه يشكّل حجر الأساس لتربية الانسان الرقمي والمواطن الكوني في مجتمع شبكي، هو التجديد الذي يستهدف تطوير قدرات الأفراد، بصفة عادلة ومتكاملة ومتوازنة، حتّى يتمكّنوا من مجاراة الواقع الجديد والتفاعل معه، وهو تجديد من المفترض أن يقود إلى ثورة في التعليم من أجل مدرسة أكثر فاعلية وأكثر عدالة، مدرسة تنمي مهارات الإبداع والتفكير العلمي، للجميع ودون استثناء، وتشجّع على الاستفادة القصوى من أحدث تقنيات العصر لحلّ المشاكل المختلفة وتجاوز الأخطار المحدقة على اختلاف تجلّياتها، مدرسة تمكّن من الارتقاء إلى المنافسة على الإنتاج في العالم الجديد بدل الاكتفاء بالاستهلاك كما هو حال عديد الأمم اليوم، وهذا لن يتأتى ما لم تتجدّد المنظومة التربويّة نفسها سواء على مستوى القوانين المنظمة للحياة المدرسيّة أو المناهج أو طريقة التسيير التربوي أو على مستوى الفلسفة التربويّة التي تحدّد ملامح انسان المستقبل.

غير أنّ المستقبل الذي سيتمّ إعداد الناشئة له، يبدو مجهولاً، من ذلك أنّ عديد المهن المعلومة الآن ستختفي لتحلّ محلّها وظائف أخرى لا نعلمها، ممّا يعني "أنّه على المجتمع الإنساني أن يتغيّر" على رأي المدير العام لليونسكو1، و"أنّ يتغيّر" تحمل عديد المعاني، من ذلك أن تتقلّص الهوة بين التشريع والممارسة، بين التنظير والتطبيق، بين القول والفعل، وتصبح مفاهيم كالديمقراطية والانصاف والعدالة الاجتماعية وغيرها

1- المدير العام لليونسكو، فيدير كو ما يور، في تقديمه، لكتاب، إدغار موران، تربية المستقبل. (2002، ص: 14)

واقعًا لا مجرّد شعارات، وممّا لا شكّ أنّه، من غير الممكن أن يتغيّر المجتمع دون أن يكون للتربية1 نصيب في ذلك، بما يمكن أن تمنحنا من فهم عميق لمشاكلنا الحالية ومشاكل المستقبل في ظلّ الواقع الذي نعيش، لذلك علينا أن نتساءل: هل يمكن للتربية الحالية، تربية عصر الصناعة أن تكون هي ذاتها تربية المستقبل؟

طبعًا، هذه الفرضيّة تبدو غير ممكنة، لاعتبارات عدّة أهمّها أنّ التربية تتحرّك بتحرّك المجتمع وبتحرّك العلوم، ممّا يجعل من القطيعة مع تربية عصر الصناعة أمرًا محسومًا، وهي التربية القائمة على "ثنائية المنتج والمستهلك: مدارس تنتج وأسواق عمل تستهلك، واستاتيكية المعارف والمهارات: معارف تتهالك وتتجدّد، ومهارات تتقادم ولا تستبدل" على رأي علي نبيل وحجازي نادية (2005، ص: 278)، في المقابل تزداد الحاجة إلى تربية تستثير التعلّم، وتفسح الطريق " أمام شيء أكثر تحدّيًا... أن نكون مبدعين" على رأي جون هوكنز (2001) 2، لذلك يرى ليدبيتر Leadbeater (1999) أنّ هدف التعليم لا يجب أن يكون "غرس وعاء للمعرفة، وإنّما تطوير الملكات: ملكات أساسيّة كالقراءة والكتابة والعدّ، وكذلك ملكة التصرّف بمسؤولية تجاه الآخرين، واتخاذ المبادرة والعمل الخلاق الجماعي. وأهمّ هذه الملكات، والتي أخفق التعليم التقليدي في رعايتها، هي القدرة على مواصلة التعلّم والإقبال عليه. فالإسراف في التعليم يقتل الرغبة في التعلّم"3. وهنا يطرح السؤال التالي: إذا كان التعليم التقليدي، وهو التعليم الرسمي أو التعليم النظامي، قد فشل في استثارة التعلّم مدى الحياة، من سيتحمّل هذه المهمّة على عاتقه في المستقبل؟

يذهب جون هارتلي John Hartley (2007/2005، ص: 11 – 12) إلى أن المسؤولية مشتركة إذ أنّ مجرّد توسيع نظام التعليم الرسمي كما هو الحال اليوم، ليس هو الحلّ. وإنّما يمكن للأفراد والأسر تحمّل المزيد

---

1 - التربية المقصودة هنا هي التربية النظامية وإن لم تكن وحدها باعتبار تعدّد المؤسسات الأخرى التي تقوم بالفعل التربوي.

2- أورده، هارتلي جون. (2007/2005، ص: 7 – 8). الصناعات الإبداعية، كيف تُنتَج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعولمة؟ الجزء الأول. ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي. عالم المعرفة، الكويت.

3- المصدر السابق، (2007، ص: 11)

من المسؤولية عن حاجاتهم للمعرفة، وسوف يفعلون هذا. وسيتولّى تقديم الخدمات التعليميّة منظّمات خاصّة وعامّة، للوفاء بالأغراض التي تحدّدها احتياجات المتعلّمين أنفسهم، لا الإجازات والشهادات الرسميّة، وباختصار سيصبح التعليم نظامًا موزّعًا، مكرّسًا للإبداع والابتكار... ومنتشرًا عبر الكثير من المواقع، من مطبخ الأسرة إلى فضاء الإفطار في العمل وكذلك فصول الدّراسة والمقاهي "، بما يعني أنّ التعليم المكرّس للإبداع، الذي يشكّل المكوّن الرئيسي لتربية المستقبل، لن يكون من مشمولات التعليم الرسمي فحسب وإنّما يمكن أن تتولاّه عديد الجهات، بما "أنّ الدّولة في طريقها لتصبح القطاع الأكثر قدما في مجموع النسق الاجتماعي" مثلما أكّد ذلك ميشال كروزي (2019/2006 ص: 332)1.

وبناء على ما سبق أي أنّ التعليم المكرّس للإبداع يمكن أن تقوم به عديد الجهات الرسميّة منها وغير الرسميّة، وباعتبار أنّ التعليم النّظامي قد فشل في التقليص من فجوة التفاوت الموجود بين الطبقات وبين الفضاءات الحضريّة على مستوى نوعيّة التعلّم والمكتسبات، يمكن أن نطرح السؤال التالي: هل يمكن أن تكون التربية على الإبداع، مدخلا من مداخل إعمال مبدأ تكافؤ الفرص في الوقت الذي تكون فيه وجهًا من أوجه الفصل المدرسي؟

3 – 2 التربية على الإبداع بين تكافؤ الفرص والفصل المدرسي:

مفهوم تكافؤ الفرص من المفاهيم الأكثر تداولاً بالتحليل والدّراسة في علم اجتماع التربية، إذ يعود إلى ستينات القرن الماضي ومع ذلك فإنّ تحديد معناه بقي عصيًّا أو لعلّه بدا كذلك، حيث تعدّدت معانيه بتعدّد المرجعيات وتعدّد زوايا النظر إليه وتعدّد الأزمنة التي تمّ تناول المفهوم خلالها، ومن المعاني التي تمّ طرحها:

1- ذكره، جان بيير دوران وروبرت ويل (2019/2006). علم الاجتماع المعاصر. ترجمة طواهري ميلود. بن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر.

- التكافؤ على مستوى الالتحاق بالتعليم من جهة، والالتحاق بمختلف مراحله وشعبه العلمية من جهة أخرى، وهو أدنى مستوى يمكن أن يأخذه المفهوم.
- التكافؤ على مستوى الفضاءات التي تستقبل التلاميذ وهي فضاءات يمكن أن تعني:

- الفضاء المكاني الذي تتواجد به المؤسّسة على المستوى التنموي بمختلف تجلياته، مثلما يذهب إلى ذلك Mingat Alain (1) حيث يرى أنّ قراءة الظّاهرة المدرسيّة تقتضي التموقع على مستوى هذا الفضاء، والذي يحمل في طيّاته عديد المعاني: البلد، الجهة، الإقليم، المدينة، القرية، الريف... ممّا يجعل منه اسمًا جمعًا يحمل عديد المعاني باعتبار ما يُمكن أن يوجد من فضاءات، وهي فضاءات مختلفة باختلاف خصائصها، واختلاف تأثيرها على مستوى مفهوم تكافؤ الفرص، باعتبار اختلاف رؤوس الأموال بينها الرمزية منها والثقافيّة والمادّية ممّا يدعو إلى أخذ هذه العوامل بعين الاعتبار للتقليص من تأثيرها على مستوى نوعيّة التعلّم الحاصلة وعلى مستوى الفصل المدرسي.
- فضاءات التعليم أي المدارس، من ذلك ألاّ تكون هناك كثافة لعدد المدرّسين المبتدئين بالمدارس ذات الأولويّة التربويّة على رأي بروسّو Bressoux (1996) مثلما أورد Fellouzis Georges (2015، ص: 15 – 16) حتّى لا نُعاقب التلاميذ المنحدرين من أوساط غير محظوظة وبالتالي تقوم المدرسة بتوسيع فجوة التفاوت عوضًا عن التقليص منها.

- القسم أو الفصل المتواجد داخل المدرسة والذي قد يختلف على مستوى البناية أو التجهيزات أو نوعية التلاميذ المتواجدين به، ممّا يؤثّر إعمال تكافؤ الفرص بينهم خاصّة إذا تمّ الفصل بين المتميزين وغيرهم من التلاميذ، مما يقلّص من انتقال أثر التعلّم أفقيّا، ونحن نعلم أنّ الطفل عن الطفل ألقن وعنه آخذ على رأي بن سينا.

---

1 - Mingat Alain, Lieux, contextes et différenciations sociales à l'école in la ségrégation dans la ville, Préface de Marcel Roncayolo, édition L'Harmattan, Paris 1994, p163 - 164

- التكافؤ باعتماد التمييز الإيجابي، أو التكافؤ التعديلي، بأن نعطي أكثر لمن يملك أقلّ.
- التكافؤ على مستوى نوعيّة التعلّم، والذي يرمي إلى تجاوز المساواة الشكليّة المتمثّلة في تعميم التعليم، والمرور إلى المساواة التي تستهدف المكتسبات، على رأي Fellouzis Georges (2015، ص: 17)، بما يعني أنّ النظام التربوي العادل ... هو ذلك النظام الذي يمكّن كلّ التلاميذ بما في ذلك الضعاف منهم من اكتساب الحدّ الأدنى من المعارف المدرسية وهو ما عبّر عنه سان أمارتيا Amartya Sen (2000، ص: 194 – 196): ب "عدالة القدرات الأساسية" L'égalité des capacités de base".
- التكافؤ المتعدّد الأبعاد على رأي الشرقاوي محمد (2010، ص: 97 – 98) والذي يكون من خلال:

- تربية مجانية، إلزاميّة وكونية إلى مستوى حدّ أدنى معيّن.
- توزيع معرفة مماثلة (identique) للجميع.
- مساواة على مستوى الموارد المدرسية: المادّية منها والبشريّة.
- تركيبة اجتماعية مختلطة: بمعنى ألاّ تكون المدرسة مكانا للتفرقة والتمييز بمختلف أشكاله.
- مساواة على مستوى أثر المدرسة: يعني أن يكون لكلّ التلاميذ، على اختلاف أصولهم الاجتماعية، نفس حظوظ النّجاح.

ومن خلال هذه المعاني المختلفة التي أوردنا، يبدو جليّا أن التعامل مع مفهوم تكافؤ الفرص في التعليم ليس بالأمر اليسير باعتباره على صلة مباشرة بالمفهوم المضادّ له وهو التفاوت والذي يأخذ بدوره عديد الأبعاد لأنّه يشكّل انعكاسا للواقع الاجتماعي المتّسم بالتفاوت، سواء بين الذكور والإناث أو بين الأغنياء والفقراء أو بين البيض وغيرهم من أصحاب البشرة السوداء، وغير ذلك من التفاوتات التي تصل إلى الميز بين هذا وذاك، والسؤال المطروح: أي دور لمدرسة التعليم في هذه التفاوتات، هل قلّصت من تأثيرها أم أنّها وسّعت الفجوة وخلقت واقعًا جديدًا؟

تشير عديد الدراسات العربية وخاصّة الأجنبية إلى أنّ المدرسة تكرّس التفاوت بدل التقليص منه، من ذلك دراسة شبّاح علي والعربي طاهر وبن عز الدين ليلى 11984 ودراسة البدوي أسماء 22016 ودراسة بورديو وباسرون 1970 وبودون 1973 وفان زانتان أيناس 2009، كما أورد تقرير توجّهات مستقبل التعليم في المنطقة العربية – بناء المستقبل 2020 – 32050، بكون ""الاتجاهات العالميّة في دراسة الرياضيات والعلوم (تيمس) والبرنامج الدولي لتقييم التلاميذ (بيزا) تشير إلى أنّ أداء المتعلّمين من الخلفيات الاجتماعية والاقتصاديّة المحرومة أسوأ من أقرانهم من الخلفيات الاقتصادية الجيّدة"، ولعلّ هذا الاستنتاج ليس جديدًا، إذ سبق أن أثبته عديد المنظرين وعديد النظريّات في علم اجتماع التربية، من ذلك نظريّة إعادة الإنتاج لبورديو وباسرون (1970) والنموذج اللغوي لبازيل بارنشتاين (1971) ونظرية اختيار المسار الدراسي لريمون بودون (1973) ونظرية اختيار المدرسة لأيناس فان زنتان (2009) ونظرية مهنة التلميذ ومعنى العمل المدرسي لفيليب برنو (2013) وغير ذلك من النظريات والنماذج، فما الجديد إذن؟

إن الجديد والذي مازال مسكوتا عنه في عديد الأمكنة من العالم، هو أنّ التعليم النظامي لم يعد يكرّس التفاوت فحسب بل يقوم بالفصل المدرسي أو السفرقة4 المدرسية (ségrégation scolaire) والتي حلّت محلّ التكافؤ في التعليم وقد تعرّض لهذا المفهوم العديد من المنظرين أمثال "بيار مارل" Pierre Merle (2012) الذي بيّن أنّ هذه السفرقة حقيقة متعدّدة المظاهر:

1- بن عز الدين ليلى، شبّاح علي، والعربي طاهر، ديمقراطيّة التعليم في تونس، تأطير منجي الشملي، نشر اليونسكو، 1984، ص: 101 – 130.

2- البدوي أسماء، التعليم العالي في مصر: هل تؤدّي المجانيّة إلى تكافؤ الفرص، دراسة أعدّت تحت إشراف مجلس السّكّان الدّولي، بدعم مالي من مؤسّسة فورد، دار الكتاب مصر 2016.

3- تقرير توجّهات مستقبل التعليم في المنطقة العربية – بناء المستقبل 2020 – 2050 https://www.teachercc.org

4- السفرقة هي ترجمة حرفية لمفهوم ségrégation، وهو مفهوم نحته الباحث الناكوع محمد في رسالة دكتورا غير منشورة تمت مناقشتها بكلية الأداب والعلوم الإنسانية بصفاقس – تونس سنة 2022، وهو مفهوم مُشبع بعديد الدّلالات إذ يجمع بين الميْز والفصل والانفصال والتفرقة والإقصاء والإبعاد والعزل والانعزال... لذلك تمّ الاختيار على الترجمة الحرفية.

- السفرقة حسب النوع الاجتماعي والتي تتضح على مستوى المسارات التعليمية المختلفة للذكور والإناث، إذ بالرغم من التحوّل الذي تعيشه الاختصاصات العلمية على مستوى منتسبيها، فقد أصبح البعض منها اختصاصًا لنوع دون أخر من ذلك ما نشهده اليوم من سيطرة الإناث على شعبة التربية والتعليم منذ التربية قبل المدرسية.
- السفرقة الاثنية والتي تتجلّى خاصّة في الفصل بين أبناء السكّان الأصليين وأبناء المهاجرين أو النّازحين على مستوى توزيعهم بين المؤسسات التربويّة أو بين فصول الدّراسة.
- السفرقة الأكاديمية والتي تأخذ أشكالاً مختلفة من ذلك وجود مسارات تعليمية يتم توجيه التلاميذ لها حسب مستوياتهم المدرسية أو توجيه التلاميذ إلى شعب مختلفة منذ الحادية عشر من أعمارهم حسب كفاياتهم مثل ما هو موجود في ألمانيا، أو توجيههم إلى تعليم مهني وأخر تعليم عام منذ السنة السادسة ابتدائي كما هو الحال في فرنسا، أو توزيعهم حسب المؤسسات إلى إعداديات نموذجية وأخرى عادية كما هو الحال في البلاد التونسية، إلى غير ذلك من النماذج التي تميّز بين نوعين من الأنظمة التربويّة، بين أنظمة ضعيفة السفرقة مثل أنظمة كلاً من فنلندا والنرويج وسويسرا والسويد وأخرى عالية السفرقة مثل أنظمة ألمانيا وهولاندا وبلجيكا والبرازيل وتركيا والمكسيك.
- السفرقة الاجتماعية وهي السفرقة حسب المؤسسات والتي تبدو جليّة بين التعليم الخاصّ والتعليم العمومي، أو بين مدارس تنتج الفشل المدرسي في الأحياء الشعبية وأخرى تنتج التميّز وتتواجد في الأحياء الرّاقية، سفرقة تعود في الأصل إلى السفرقة السكنيّة مثلما بيّن ذلك ماركو أوبرتي Marco Oberti (2007)، أو السفرقة حسب الشّعب العلمية، الشعب المثمنة اجتماعيًّا لأبناء الطبقات المرفهة وبقيّة الشعب لأبناء الطبقات المهمّشة 1.

1- على رأي المثل الشعبي التونسي "ولد الفأر يجي حفّار وولد البطّ يجي عوّام".

والجدير بالذكر أنّ كلّ هذه الأنواع من الفصل أو السفرقة المدرسيّة، تقع في الوقت الذي تتغنّى فيه الأنظمة التربويّة بتبنّي مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم وهو ما دعا دنيس لفورج Denis Laforgue (2005) إلى الحديث عن التناقض الذي تعيشه الدول على مستوى الأنظمة التربوية بين التشريع والواقع الميداني، حيث السفرقة المدرسية التي حلّت محلّ التكافؤ الوهمي أو التكافؤ المزعوم في التعليم، ممّا جعل شكري بن عياد Chokri Ben Ayed (2010) يتحدّث عن التراجع الذي تعيشه المدرسة الديمقراطية في ظلّ الواقع المسكوت عنه.

واليوم، ووسط هذا الواقع، يتمّ التسويق لتربية المستقبل، تربية الإبداع، فهل ستكون هذه التربية فرصة للخروج من السفرقة المدرسيّة أم ما هي إلاّ وجه جديد من أوجه الانتقاء والميْز المدرسي؟

3 – 3 التربية على الإبداع وإمكانية تغيير الواقع الحالي:

لعلّه في البداية من الضروري الإشارة إلى أنّ انتشار المؤسسات التربويّة وتعميم التعليم والزيادة من فرص الالتحاق به، لم يكن في إطار حقوقي فحسب، بل كان أيضًا نتيجة لمطلب اقتصادي ملحّ إثر الثورة الصناعيّة التي فرضت مزيد من الحاجة إلى يد عاملة متعلّمة للتأقلم مع الواقع الجديد للعمل، واليوم ونحن نعيش ثورة اتصالية أصبح معها الحديث عن الذكاء الاصطناعي واقعًا ملموسًا، هل يمكن القول أنّ التربية على الإبداع هي مطلب يتوافق مع الواقع الجديد، للتطوّر التكنولوجي والاقتصاد الرقمي؟ وإذا كان "إعطاء الإبداع فرصة معقولة، يشكّل مسألة حياة أو موت لأي مجتمع"، مثلما يذهب إلى ذلك أرنولد توينبي1 وهي رؤية ودعوة في نفس الوقت إلى تربية جديدة قائمة على الإبداع وفي خدمة الإبداع من أجل مجتمع مبدع. في هذه الحالة أسئلة عديدة تُطرح: أي تربية ممكنة هذه؟ وأيّ تحدّيات ورهانات تنتظرها؟ وأي دور لهذه التربية لتغيير الواقع الحالي المتسم بتكريس التفاوت والفصل المدرسي؟

1- ذكره، حجازي مصطفى (2010، ص: 221). علم النّفس والعولمة، رؤى مستقبليّة في التربية والتنمية. ط1. نشر المركز الثقافي العربي.

أسئلة عديدة تُطرح على التربية على الإبداع، أسئلة من العسير الإجابة عنها بالأرقام باعتبارها مازالت في طور مشروع لم يتمّ تنزيله على أرض الواقع بالكيفيّة التي من خلالها يمكن تقييمها والحكم لها أو عليها، لذلك سنعتمد في هذا الجزء على التحليل المفهومي ومحاولة قراءة ما يوجد بين السطور. فما المقصود بالتربية على الإبداع؟

التربية على الإبداع هو مفهوم مركّب يتكوّن من التربية ومن الإبداع. أوّلاً: التربية كمفهوم، حامل لعديد المعاني، فقد يشير إلى العناية بالأطفال، مثلما يمكن أن يعني نوعًا من السلوك، كما يمكن أن يفيد المسار المتبع او نتيجة هذا المسار، كذلك يمكن أن نتحدّث عن التربية باعتبارها تنمية الانسان، للتأكيد على أهميّة العنصر البشري في النهوض بالاقتصاد، خاصّة وأنّ تقرير التنمية الإنسانية العربية لسنة 2002 يشير إلى أنّ "رأس مال البشري والاجتماعي يسهم بما لا يقلّ عن 64% من أداء النموّ، بينما يُسهم رأس المال المادّي والبنى التحتيّة بما مقداره 16%، فيما تسهم الموارد الطبيعيّة بما مقداره 20% " مثلما أورد حجازي مصطفى (2005، ص 21)، بما يعني أنّ الرّكن الأساسي للتنمية في كلّ أبعادها هو الانسان، بما أنّه أكثر رؤوس المال إسهامًا فيها، ممّا يحيلنا إلى القول بكون التخطيط للتنمية يبدأ من التخطيط للتربية قصد تطويرها، والذي يتمثّل مستقبلاً في أمرين أساسين على رأي شبشوب أحمد (1999، ص: 8):

- التأكيد على التعليم الأساسي الإجباري وجعله واقعًا ملموسًا خاصّة بالمناطق الريفيّة، والمراهنة على تعليم البنت وتشجيعها على استكمال دراستها.
- المراهنة على تكوين الانسان بتطوير ملكاته الذهنيّة وإذكاء فكره النّقدي وتشجيعه على الابتكار والإبداع.

وإذا دخل الأمر الأول في خانة إعمال مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم، على مستوى الفضاءات وعلى مستوى النوع الاجتماعي، فإنّ الأمر الثاني مثير للجدل باعتبار الفروق الفرديّة وتعدّد الذكاءات، لذلك يذهب

شبشوب أحمد (1999، ص: 19) إلى أنّ المنظرين التربويين يطرحون على المدرسة، جملة من الأسئلة في إطار جرّها إلى تغيير مهامّها، من ذلك:

هل من واجب التربية أن تعين الأطفال على تعلّم معارف متنوّعة وسريعة الانتقال أم أنّه بإمكانها الاقتصار على تطوير ملكات الطفل وقدراته؟ وهل أنّ المدرسة التي تقتصر على الغاية الثانية يمكن نعتها بالمدرسة الديمقراطيّة، أم أنّ توجّهها المحجم عن تدريس المعارف وتعليمها يجعلها دون علم منها، مدرسة انتقائيّة؟

في هذا الإطار يقول المربّي البلجيكي "جرار فوراز" 1 "إنّ الإيديولوجيا التربويّة القاضية بالتأكيد على تفتّح ملكات الطفل، هي في الواقع إيديولوجيا بورجوازيّة، ولأنّها كذلك فهي لا تهدّد أطفال الطبقات المرفّهة بالسقوط في الجهالة ... لكن تعميمها على كلّ الطبقات، قد يحرم بعض الأطفال من امتلاك المعارف الدنيا الضروريّة لدخولهم الحياة الاجتماعيّة والمهنيّة"، وفي ظلّ هذا التناقض، يُطرح السؤال التّالي: أي تربية ستتولاها المدرسة في ظلّ الدعوة إلى التربية على الإبداع، التربية التي تمكن من المعارف الدنيا أم التربية التي تنمي القدرات؟ وأي دور سيكون لها في التعامل مع الفروق الفردية وما أصبح يشكو منه أطفال الطبقات الهشّة من صعوبات مدرسيّة؟

ثانيًا، تعدّد المفاهيم المرتبطة بالتربية اليوم من ذلك: التربية على السلم، التربية على المحافظة على البيئة، التربية على المواطنة العالمية، التربية على الصحّة وغيرها كثير... ومنها التربية على الإبداع، وهو الإطار الذي ستشتغل تربية الانسان الجديد داخله، نتيجة تعدّد ما هو مطلوب منها بعد شبه الإجماع الذي كان حولها، وهذا يعود من جهة إلى أنّ العديد من القيم أصبحت محلّ جدال ونقاش بعد شبه الاتفاق الذي كان سائدًا حولها، ومن جهة ثانية، إلى انتشار جملة من المفاهيم على الصعيد العالمي كحقوق الانسان وحقوق الطفل وحقوق المرأة وحقّ الاختلاف وحقّ الأقليات ومفهوم الفرد ومناهضة التمييز العنصري... وهي مفاهيم وإن

1- أورده، شبشوب أحمد (1999، ص: 19. مقاربات جديدة للتربية. تونس.

كانت مبثوثة في المجتمع منذ القديم، فقد صارت مطروحة بأكثر حدّة على الأقلّ على المستوى النظري، ممّا يضاعف من مسؤولية التربية عمومًا ويجعل من التربية على الإبداع إحدى الإمكانيات التي يُمكن أن توفّر حلولا لهذا الواقع الجديد، تربية اشترط لها إدغار موران Edgar Morin (1999) معارف سبعة ضرورية أو قضايا سبعة يعتبر تدريسها ضروريًّا وهي: أنواع العمى المعرفي، مبادئ المعرفة الملائمة، تعليم الشرط الإنساني، تعليم الهويّة الأرضية، تعليم الفهم وتعليم أخلاق الجنس البشري. ولعلّ هذه المعارف تشكّل السياق الذي تشتغل التربية على الإبداع داخله. وهو ما يجرّنا إلى ضرورة تعريف الإبداع ثانيا.

الإبداع تقريبًا مثله مثل التربية ليس محل إجماع بين المنظرين باعتباره مفهوم في علاقة بسلوك الانسان، سلوك من أهمّ ميزاته التعقيد والتركيب ممّا يجعل النظر إليه من زوايا متعدّدة أمرًا ضروريًّا ومتأكّدًا، لكنّ هذه الزوايا متعدّدة المرجعيات، وإن أمكن لها التقليص من العتمة حول الموضوع فإنّها تزيده تعقيدًا وتجعل الإجماع حوله شبه مفقود، وهو ما يعيشه مفهوم الإبداع، الذي روّج حوله الباحثون عديد المعاني، فمنهم من اعتبره في جوهره محكوم بالعوامل الوراثيّة، وبنوا على ذلك استنتاجين: أوّلاً أنّ هناك بعض الأفراد (أو السلالات أو الأسر) لديهم استعدادات للإبداع أكثر من غيرهم وهو إقرار يحدّ من دور التربية والتعليم في صنع الإبداع، ثانيًا التأكيد على العوامل الوراثيّة أكثر من غيرها، وهو ما أورده عامر أيمن (2008، ص: 7)، من ذلك أشار جالتون في كتابه "العبقريّة الموروثة" الذي ظهر عام 1869 إلى أنّ دراساته بينت أنّ أُسرًا معيّنة يزداد بينها عدد العباقرة مقارنة بباقي الأسر، وهو ما يعني أنّ العبقريّة ليست موزّعة بالتساوي بين جميع الأفراد والعائلات (أسعد 1976، سايمنث 1993)1. لكن في ظلّ مبدأ إمكانية التربية (principe d'éducabilité) المعلن اليوم، لنا أن نتساءل، إلى أي مدى مازال هذا التصوّر سائدًا؟ وأي تأثير لهذا التصوّر على مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم وظاهرة الفصل المدرسي السائدة في عالم أصبح محكومًا بالتميّز؟

1- أورده، عامر أيمن (2008، ص: 7). شخصية المبدع، محدّداتها وأفاق تنميتها. مؤسسة طيبة للنّشر والتوزيع، القاهرة.

غير أنّ معنى الإبداع لم يرتبط، بالوراثة، فحسب بل ارتبط بالإلهام تارة وبالصدفة ثانياً وبالموهبة ثالثًا، معاني قلّصت من دور ما يبذله المبدع من جهد مثلما قلّصت من أهمية البيئة والتربية على مستوى صناعة الإبداع، معاني قد يكون أثرها مازال طاغيًا على العديد من النظم التربوية رغم التطوّر الذي شهده المفهوم باعتباره "ظاهرة متعدّدة الوجوه أكثر من كونه مفهومًا نظريّا محدّد التعريف" 1 مثلما يرى ما كينون Mackinnon، ويشير الكسندرو روشكا Al. Rosca (1989، ص: 16 - 23) إلى أنّ مُعظم الباحثين يرون في الإبداع "تحقيق إنتاج جديد، وذي قيمة من أجل المجتمع"، أمّا في معناه العامّ فهو إيجاد حلول جديدة للأفكار والمناهج، إذا ما تمّ التوصّل إليها بطريقة مستقلّة حتّى لو كانت غير جديدة على العلم والمجتمع".

وإذا اعتبارنا أنّ الإبداع يتمثّل في تحقيق إنتاج جديد ذي قيمة من أجل المجتمع، نجد أنفسنا أمام إشكال حقيقي، خاصّة ونحن في عصر موسوم بعصر مجتمع المعرفة، أي أنّ المجتمع المتقدّم اليوم، هو المجتمع القادر على إنتاج المعارف والتقنيات الجديدة (البرمجيات بمختلف أنواعها) وتسويقها، ممّا يجعل من التربية على الإبداع كأنها موجّه لفئة مخصوصة.

في المقابل إذا ما أخذنا في الحسبان مختلف المعاني التي يمكن أن يأخذها الإبداع كمفهوم، حيث يجمع بين النشاط وكيفية القيام به على مستوى الأسلوب والمنهجية المعتمدة، وما يَنتج عن كلّ ذلك من مُنجز يتّصف بالجدّة والأصالة، مثلما يمكن أن يُمثّل حلاّ لمشكل أو قيمة مضافة لفائدة المجتمع، من هذه الزاوية وباعتبار ما يعاني منه المجتمع المعاصر من مشاكل متعدّدة متّصلة بمختلف جوانب حياة الأفراد والمجتمعات، وباعتبار ما يعيشه مفهوم الذكاء الإنساني من تحوّل، حيث أصبح يُنظر إليه على أنّه "منظومة شاملة تجمع بين صور مختلفة منه، يُشار إليها حاليًا باسم الذكاءات المتعدّدة... ذكاءات يغطّي كلّ منها جانبًا من جوانب النشاط الإنساني، ويشكّل الإبداع قاسمًا مشتركًا بينها... وإن أمكن اعتبار الابداع نوعًا مميزًا من

1- أورده، ألكسندر روشكا (2016، ص: 47) الطريق إلى الإبداع. نحو نظريّة جديدة. ترجمة أحمد عزّت السيّد. EBRU للطباعة والنشر والتوزيع.

التفكير.. على رأي درويش زين العابدين1، يخرج الإبداع من المعنى الضيّق الذي تمّ حصره فيه، ليشمل كلّ ميادين ومجالات الحياة، ويصبح مفهومًا جمعًا أي أنّه إبداعات فلكلّ مجال إبداعه ولكل فرد إبداعه ولكلّ مجتمع إبداعه.

ومن هذه الزاوية، حتّى وإن أمكن اعتبار الابداع موهبة في بعض معانيه، فإنّ الموهبة حسب رنزولي (1978)2 "تتكوّن من التفاعل بين ثلاث مكوّنات أساسيّة هي: القدرات العقليّة والدّافعيّة أو الالتزام بالمهمّة والإبداع"، ممّا يعطي للمعنى اللغوي دلالة، وهو الإجادة، لأن الالتزام والدافعيّة يساهمان في إجادة للشيء الذي قمنا أو نقوم به، وهي صفة من صفات المبدع يمكن اكتسابها، وهنا يمكن العود إلى توماس أديسون 3T. Edison الذي قال "تدين العبقريّة بجزء واحد إلى الإلهام، وبتسعة وتسعين جزءا إلى الكدّ والمجهود"، وهو نفس ما أشارت إليه أناستزي Anastasi 4 عندما قالت بأنّ " الدّلائل الآن آخذة في النموّ نحو صنع المبدع أكثر من الاتّجاه الذي يعمل على تمييزه والكشف عنه"، ومن هذه الزاوية يُمكن أن تكون التربية على الإبداع حلّا للتقليص من التفاوت والفصل المدرسيين.

لكن في ظلّ المنهج الخفيّ الذي تشتغل التربية داخله، وفي ظلّ الواقع المعيش والمسكوت عنه وهو سيطرة الاقتصاد على المؤسسة التربوية، هل يكفي ما عرفه مفهوم الإبداع من تطوّر من خلال نظرة الجمع التي يحملها في ثناياه، كي تغيّر المدرسة طريقتها وتساهم في صنع كلّ المبدعين أم أنّها ستواصل الاشتغال بنفس

---

1 - درويش زين العابدين (2017، ص:3). الذكاء الإنساني بين الاتباع والإبداع، الفصل الأول من سيكولوجية الإبداع، أسس نظريّة وتطبيقات مؤسسية، نشر جامعة القاهرة، كلية التجارة، القاهرة.

2- أورده، المغربي أحمد عدنان. (2015، ص: 14). الموهبة والإبداع والتفوّق، الكشف عن الموهوبين والمبدعين. دار أمجد للنشر والتوزيع، عمّان.

3- أورده، ألكسندر روشكا (2016، ص: 28) الطريق إلى الإبداع. نحو نظريّة جديدة. ترجمة أحمد عزّت السيّد. **EBRU** للطباعة والنشر والتوزيع.

4- أورده، ألكسندر روشكا. (2016، ص: 29). المصدر السابق.

الكيفيّة وبالتالي ستهتمّ بصنف معيّن وتهمل البقيّة في إطار نوع من البراغماتية التي تميّز طريقة اشتغالها خاصّة في ظلّ سيطرة الاقتصاد والطبقات النافذة على أوصالها؟

من خلال ما نشاهده اليوم من تمييز بين المواد المدرسية على مستوى التوقيت المخصّص لها وعلى مستوى الضوارب، حيث يتمّ تثمين الموادّ العلمية تحديدًا كالرياضيات والعلوم الطبيعية والفيزياء والكيماء وعلم الحاسوب وبأقل درجة العلوم الإنسانية في حين يتمّ تهميش الموادّ الفنيّة كالموسيقى والتربية التشكيلية والتربية البدنيّة وهو ما تجلّى أثناء فترة الكوفيد حيث أصبح الحديث يدور عن ضرورة استغلال الوقت لتدريس المواد الأساسية فقط، وهي المواد العلمية (العلوم الصحيحة) واللغات، يمكن أن نستنتج أنّ التربية على الإبداع لن تحيد عن الواقع الحالي وهي صورة جديدة من صور الانتقاء والتمييز طالما أنّ النظم التربويّة لا تأخذ نفس المسافة من الذكاءات المتعدّدة ولا تتعامل معها بنفس الكيفيّة، وبالتالي تقوم بتكريس التفاوت بين المبدعين، لأنّ ما يتمّ طرحه كموادّ أساسية لا يأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية، فما هو أساسي بالنسبة لهذا هو فرعي بالنسبة لآخر، من ذلك وعلى سبيل المثال ليس إلاّ، إذا كانت الرياضيات أساسية بالنسبة للبعض فإنّ الرياضة أو التربية التشكيلية أو الموسيقى أهمّ بالنسبة لآخرين.

وأمام ما نشهده اليوم من إقبال البعض على التكوّن في اختصاصات لا تجد حظّها في المدرسة نتيجة الولع بها أو الرغبة في التكوّن فيها، تُطرح قضيّة الدّافعية والدور الذي يمكن أن تلعبه في صنع المبدع لذاته والتقليص من أثر منظومة التربية في دعم التفاوت والانتقاء. والسؤال المطروح: أي دافعيّة يمكنها أن تقود الفرد إلى الخروج من الواقع المفروض إلى الواقع المتاح؟ وأي دور للتربية على الإبداع في تنمية هذه الدّافعيّة؟

3 – 4 التربية على الإبداع والدّافعيّة: الدافعيّة مفهوم نفسي motivation مشتقّ من اللفظ اللاتيني Movere والذي يعني To move ويأخذ معنى تغيير الموضع، وكلّ ما يمكن أن يكون وراء حدوث هذا التغيير

وهذه الحركة1، وهو تقريبًا نفس المعنى الذي يتخذه مصطلح الدّافع في اللغة العربية الذي يُشير كذلك، إلى الوجهة التي تتخذها الحركة، من ذلك يُقال "طريق يدفع إلى مكان كذا" أي ينتهي إليه2. ويعتبره معجم أكسفورد للغة الانقليزية (2006) بأنه "سبب (أو أسباب الفعل) أو التصرف في الفعل بطريقة معينة، وبمعنى آخر الحماس للقيام بالفعل"، فيما يذهب موقع اكسفورد3 إلى اعتبار الدافعية، بكونها مجموعة "القوى النفسية التي تحدّد اتجاه مستوى جهد الشخص ومستوى الشخص من المثابرة في مواجهة العقبات".

ما يعني أنّ المصطلح مُشبع بالدلالات، إذ يجمع بين الاستثارة والحماس والأسباب التي تقود إلى القيام بالفعل أو النشاط وتوجيهه نحو هدف معيّن، وهو تقريبًا ما ذهب إليه ڤاج وبرلنر Gage et Berliner (1984) اللّذان اعتبرا أنّ الدّافعيّة مفهوم يُستخدم لوصف ما ينشّط الفرد (أو يستحثّه أو يدفعه) وما يوجّه نشاطه 4 وهو تعريف يشير ضمنيًا إلى العوامل التي تقف وراء إنجاز الفعل، لذلك ترى جديدي عفيفة (2014، ص: 215) أنّ الدّافعيّة تشير إلى " القوّة الذّاتية التي تحرّك سلوك الفرد وتوجّهه لتحقيق غاية معيّنة يشعر بالحاجة إليها أو بأهمّيتها المادّية أو المعنويّة. وتُستثار هذه القوّة المحرّكة بعوامل تنبع من الفرد نفسه (حاجاته، خصائصه، ميوله، اهتماماته) أو من البيئة المادّية أو النفسيّة المحيطة به (الأشياء، الأشخاص، الموضوعات، الأفكار، الأدوات)". والسؤال المطروح: ما هي هذه العوامل أو الدوافع التي تقود إلى الإبداع باعتباره حاجة؟ وكيف يمكن تنميتها؟

---

1 - English Dictionary (1969, p:487). 2edition. The penguin Group publishing, England.

2- المنجد في اللغة والأعلام (1986، ص: 218). ط 35. دار المشرق، بيروت.

3 -Oxford-review.com

4- أوردته، جديدي عفيفة (ص: 215). الدافعيّة، أهمّيتها ودورها في عمليّة التعلّم. مجلّة معارف، مجلّة علميّة محكّمة، العدد 17، ديسمبر 2014.

يعتبر كلّ من شالكروس وجاونوفسكي (1989)1 أنّ "مسألة الدّافعيّة إلى الإبداع تشكّل السرّ الكبير الغامض"، نظرًا لتعدّد التساؤلات أو الفرضيات التي تحوم حولها، ويذهب حجازي مصطفى (2010، ص: 249) إلى أنّ الباحثين في الميدان يتفقون حول تنوّع الدّوافع من حيث محرّكاتها ومن حيث أهدافها، لكن على تنوّعها يبقى أهمّها الدّافع إلى "تحقيق الذّات وهو دافع شائع ومشترك بين كلّ النّاس، ويتخذ في حالة النموّ السويّ، مظهرًا من مظاهر تفتّح الطّاقات وتحقيق الحياة الخصبة والنّشاط الوظيفي الكامل. أمّا ما نراه من عزوف عن هذا، فهو ظاهرة غير طبيعيّة، تشكّل ردّ فعل لإحباطات مزمنة ومتكرّرة".

بما يعني أنّ الانسان يُبدع عندما يحقّق ذاته، وعندما يكون هو نفسه لا صورة من الآخر، أو صورة يرغب الآخر أن يكون عليها، وهو ما يعني كذلك أنّ كلّ فرد هو مشروع إنسان مبدع شرط أن تتوفر له العوامل المناسبة التي تدفعه وتساعده على تفجير طاقاته في الاتجاه الذي يحقّق من خلالها ذاته، لذلك يذهب أوليفي ربول Olivier Reboul 2 إلى أنّ "التربية لا تعني صُنع راشدين تبعًا لنموذج معيّن بل تحرير الانسان ممّا يمنعه من تحقيق ذاته، والتناغم معها تبعا لعبقريته الخاصّة"، كما اعتبر أنّ ما يستحقّ أن يتمّ تعلّمه هو "ما يوحّد وما يحرّر في نفس الوقت"، أي ما يوحّد على مستوى أنسنة الانسان، حيث "لا يكون الانسان إنسانا إلّا بالتربية" مثلما ذهب إلى ذلك إيمانويل كانط، وما يحرّر هو ما يدفع الفرد إلى تحقيق ذاته.

وفي هذا الإطار يذهب باولو فرير3 في كتابه "تعليم المقهورين" إلى أنّه " إذا أردنا أن نتخطّى التفسيرات السّاذجة الشكليّة للمهمّة الانسانيّة للتعليم، فإنّ هذه النّقطة يجب أن تكون نقطة الانطلاق نحو التفكير الانتقادي الجدلي. ولأننا نفتقد هذه الروح الانتقاديّة، فإنّنا نعجز عن إدراك الدّور الحقيقي للتعليم، أو حتّى إذا ما أدركنا، فإنّنا نجعله متخفيًا. إنّنا نميل إلى إغفال دور التربية – كعمل اجتماعي – وهو الدّور الذي

1- ذكرهما، حجازي مصطفى (2010، ص: 248). مصدر سابق.

2- ربول أوليفي (2001، ص: 19). فلسفة التربية. ط. 9. ترجمة عبد الكريم معروفي. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب.

3- باولو فرير (1980). تعليم المقهورين. ترجمة يوسف عوض. دار القلم، بيروت.

سيظلّ في خدمة الانسان لتطويعه أو لتحريره"1. وإذا كان الإبداع لا يتحقّق إلاّ إذا حقّق الفرد ذاته، وتحقيق الذات لا يتمّ إلاّ بتحريرها ممّا يُعيقها، نجد أنفسنا أمام سؤال جوهري، هل أن التعليم الحالي قائم على تطويع الفرد أم على تحريره؟ وبلغة أخرى هل تُساهم التربية الحالية في تكوين إنسان متصالح مع نفسه كي تدفعه ليكون مبدعًا؟

تُشكّل الإجابة عن السؤال الفارق نقطة الانطلاق الحقيقية لتربية المستقبل، التربية على الإبداع، التربية التي تقود إلى تحقيق الذّات، ومن هذه الزاوية نرى أنّه لا يمكن الحديث عن تربية تدفع نحو الإبداع، ما لم تكن هذه التربية في حدّ ذاتها مبدعة، وشاملة على مستوى مخطّطاتها وعلى مستوى مناهجها وعلى مستوى فضاءاتها وعلى مستوى تجهيزاتها وعلى مستوى إطاراتها. ولن تكون كذلك ما لم تتخلّص من الازدواجية التي تعيشها حاليًا والتي قادت إلى فجوات عديدة، فجوة بين التشريع والميدان، وأخرى بين القول والفعل، وثالثة بين التعليم والتقييم، ورابعة بين تعليم العلوم الصحيحة وتعليم العلوم الإنسانية، وخامسة بين تعليم أبناء الفقراء وتعليم أبناء الأغنياء، وسادسة بين التعليم في خدمة الاقتصاد والتعليم باعتباره تنمية شاملة، وسابعة بين التعليم الكمّي والتعليم النوعي.

فجوات عديدة ومتعدّدة تعيشها التربية الحالية، نرى أنّها تأتي في إطار فجوة نعتبرها أمّ الفجوات، وهي الفجوة بين المنهج الصريح والمنهج الخفيّ، بما يعني أنّه إذا أردنا ألاّ تكون التربية على الإبداع مجرّد صورة جديدة لواقع قديم قائم على تكريس التفاوت والفصل المدرسيين، أو مجرّد جبّة نحجب بها ما تعاني منه التربية الحالية من ثغرات، تخدم كلّ صور الانتقاء والميز المدرسي، وهي صور تأتي في إطار أشمل، هو "خدمة القوى المستفيدة" أيّا كانت هذه القوى، نحن في حاجة إلى تغيير جذري على مستوى النظام التربوي تتقلّص معه الفجوة بين الضمني والصريح، وهو تغيير مرتهن بتغيير جذري على مستوى المجتمع نفسه، يعني

1- أورده، علي سعيد إسماعيل (1995، ص: 212). فلسفات تربويّة معاصرة. عالم المعرفة، الكويت.

بيئة النظام التربوي بكلّ مكوّناتها لتكون دافعًا مهمّا للإبداع. وهنا يُطرح السؤال: هل هذه العمليّة ممكنة في الوقت الراهن، على أساس أنّنا نحتاج إلى إصلاح من سيقوم بالتغيير؟

الخلاصة:

تشكّل تربية المستقبل هاجسًا لكلّ الأمم التي تسعى لأن تكون فاعلة في مجتمع الغد الموسوم بعصر مجتمع المعرفة، هذا المجتمع الذي يبدو مجهولا في العديد من مظاهره وخاصّة ما تعلّق بمهن المستقبل، حيث ستندثر مهن وتولد أخرى، نتيجة تسارع وتيرة التحوّلات التي تعيشها المجتمعات المعاصرة، تحوّلات تقف الثورة الاتصالية وراءها، وتتطلّب نظاما تربويا يقطع مع تربية عصر الصناعة ويقوم على الإبداع، بما يمكّن من ابتكار حلول لإشكاليات جديدة يعيشها المجتمع هذا المجتمع الموسوم تارة بمجتمع المعرفة وطورا بمجتمع المخاطر. غير أنّ هذا الإبداع سيبقى رهين ما يتوفّر له من عوامل تساعده على الظهور والبروز، عوامل لم تتوفّر في تربية عصر الصناعة بالقدر الكافي، باعتبارها لم تحرّر الانسان بما يساعده على تحقيق ذاته، بل عملت على تطويعه، وجعلت المؤسسة المدرسية في خدمة مَن يُهيمن، لضمان مواصلة هيمنته، مهما كان هذا المهيمن، مستعمرًا كان أو طبقة أو اقتصادًا أو ثقافة أو مجتمعًا أو غير ذلك. لكن العمليّة لا تبدو سهلة، نظرا لأنّ من سيدعم هذا النظام إن تمّ، هو ذاته ذلك الذي يسوّق للتكافؤ ويخدم الفصل الاجتماعي والميز المدرسي، يسوّق للحريّة ويكرّس الاستبداد، يدعو للتحرّر ويدعم الانغلاق، النظام الذي يعطي الأفضلية لطرف على حساب الآخر، ولقيم على حساب أخرى، ولطبقات دون غيرها، ولثقافة دون سواها. لذلك نتساءل: هل سنشهد ولادة نظام تربوي عادل وداعم للإبداع في ذات الوقت أم سيتواصل تكريس التفاوت لكن بوجه آخر؟

المصادروالمراجع:

I. العربيّة:

1 - ألكسندر روشكا (2016) الطريق إلى الإبداع. نحو نظريّة جديدة. ترجمة أحمد عزّت السيّد. EBRU للطباعة والنشر والتوزيع.

الكسندرو روشكا Al. Rosca. (1989). الإبداع العام والإبداع الخاصّ. ترجمة غسان عبد الحي أبو فخر. عالم المعرفة، الكويت.

2 - إدغار موران Edgar Morin (1999 / 2002). تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل. ترجمة: عزيز لزرق ومنير الحجوجي. دار توبقال للنشر، المغرب.

3 - المغربي أحمد عدنان. (2015). الموهبة والإبداع والتفوّق، الكشف عن الموهوبين والمبدعين. دار أمجد للنشر والتوزيع، عمّان.

المنجد في اللغة والأعلام. ط 35 (1996). دار المشرق، بيروت.

4 - باولو فريري (2002). نظرات في تربية المعذبين في الأرض. ترجمة مازن الحسيني. دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع بالتعاون مع المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، فلسطين.

5 - باولو فرير (1980). تعليم المقهورين. ترجمة يوسف عوض. دار القلم، بيروت.

جان بيير دوران وروبرت ويل (2019/2006). علم الاجتماع المعاصر. ترجمة طواهري ميلود. بن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر.

6 - جديدي عفيفة (2014). الدافعيّة، أهمّيتها ودورها في عمليّة التعلّم. مجلّة معارف، العدد 17.

7 - درويش زين العابدين (2017). الذكاء الإنساني بين الاتباع والإبداع، الفصل الأول من سيكولوجية الإبداع، أسس نظريّة وتطبيقات مؤسسية، نشر جامعة القاهرة، كلية التجارة، القاهرة.

8 - هارتلي جون John Hartley (2007/2005، ص: 7 – 8). الصناعات الإبداعية، كيف تُنتَج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعولمة؟ الجزء الأول. ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي. عالم المعرفة، الكويت.

9 - حجازي مصطفى (2010). علم النّفس والعولمة، رؤى مستقبليّة في التربية والتنمية. ط1. نشر المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان.

10 - حجازي، مصطفى. الإنسان المهدور (2005). ط 1. نشر المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان.

11 - لموشي حسين يوسف (2004 ص: 13). تربية المستقبل، التجربة الماليزية. نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

12 - عاقل فاخر (1985). علم النفس التربوي. دار العلم للملايين، بيروت.

عامر أيمن (2008). شخصية المبدع، محدّداتها وأفاق تنميتها. مؤسسة طيبة للنّشر والتوزيع، القاهرة.

13 - علي نبيل وحجازي نادية (2005). الفجوة الرقمية، رؤية عربية لمجتمع المعرفة. عالم المعرفة، عدد 318، الكويت.

14 - علي سعيد إسماعيل (1995، ص: 212). فلسفات تربويّة معاصرة. عالم المعرفة، الكويت.

15 - ربول أوليفي (2001). فلسفة التربية. ط. 9. ترجمة عبد الكريم معروفي. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب.

16- شبشوب أحمد (1999). مقاربات جديدة للتربية.، سلسلة وثائقية. تونس.

II. دراسات سابقة:

1 - بن عز الدين ليلى، شبّاح علي، والعربي طاهر، ديمقراطيّة التعليم في تونس، تأطير منجي الشملي، نشر اليونسكو، 1984، ص: 101 – 130.

2 - البدوي أسماء، التعليم العالي في مصر: هل تؤدّي المجانيّة إلى تكافؤ الفرص، دراسة أعدّت تحت إشراف مجلس السّكّان الدّولي، بدعم مالي من مؤسّسة فورد، دار الكتاب مصر 2016.

3 – الناكوع محمد (2016). تكافؤ الفرص في التعليم الابتدائي. جهة قابس نموذجا. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الأداب والعلوم الإنسانية بصفاقس – تونس.

III. الفرنسية:

1 - Ben Ayed, Choukri et al. (2010). L'école démocratique, Vers un renoncement politique ? Armand Colin, Paris.

2 - Boudon Raymond (1973). L'inégalité des chances, La mobilité dans les sociétés industrielles. Pluriel, Paris.

3 - Bourdieu Pierre et Passeron (J-C) (1970). La Reproduction, éléments pour une théorie du système d'enseignement. Minuit, Paris.

4 - Bourdieu Pierre et Passeron (J-C) (1964). Les Héritiers, les étudiants et la culture. Minuit, Paris.

5 - Cherkaoui Mohamed (2010). Sociologie de l'éducation. 8ème édition. PUF, Paris.

6 - Dubet François (2010). Les places et les chances. Repenser la justice sociale. Seuil, Paris.

7 - Fellouzis Georges (2014). Les inégalités scolaires. Collection « Que sais-je ». PUF, Paris.

8 - Laforgue Denis (2005). La ségrégation scolaire : L'Etat face à ses contradictions. L'Harmattan, Paris.

9 - Merle Pierre (2012). La ségrégation scolaire. Collection « Repères ». La Découverte, Paris.

10 - Marco Oberti (2007). L'école dans la ville. Presses de la fondation nationale des sciences politiques, Paris.

11 - Mingat Alain (1994). Lieux, contextes et différenciations sociales à l'école, in la ségrégation dans la ville, Préface de Marcel Roncayolo L'Harmattan, Paris.

12 - Perrenoud Philippe (2013). Métier d'élève et sens du travail scolaire. 8ème édition. ESF, Paris.

13 - Van Zanten Agnès 2009. Choisir son école, Stratégies familiales et médiations locales. 1ère édition. PUF, Paris.

14 - Sen Amartya (2000). Repenser L'inégalité. Traduit de l'anglais par Paul Chemla. Seuil, Paris.

IV. الانجليزية:

1 - English Dictionary (1969). The penguin Group publishing. 2edition. England.

2 - Oxford-review.com

Fundación Internacional
Faros del Pensamiento
Granada, España

INTERNATIONAL UNIVERSITY OF NOVI PAZAR 2002

مؤسسة منارات الفكر الدولية
The International Foundation of Beacons of Intellect

FACULTY OF ISLAMIC STUDIES NOVI PAZAR

the world conference

The future of education, humanities and legitimacy in a changing world

Novi Pazar, Serbia _ 3-4 May 2023

Proceedings Book
Edited by:
Dr. Mostafa Ahmed El _Hakim
Dr. El Mostafa Samahi

Published by
The International Foundation of Beacons of Intellect
ISBN: 978-1-9163760-9-0
Copyright©2023